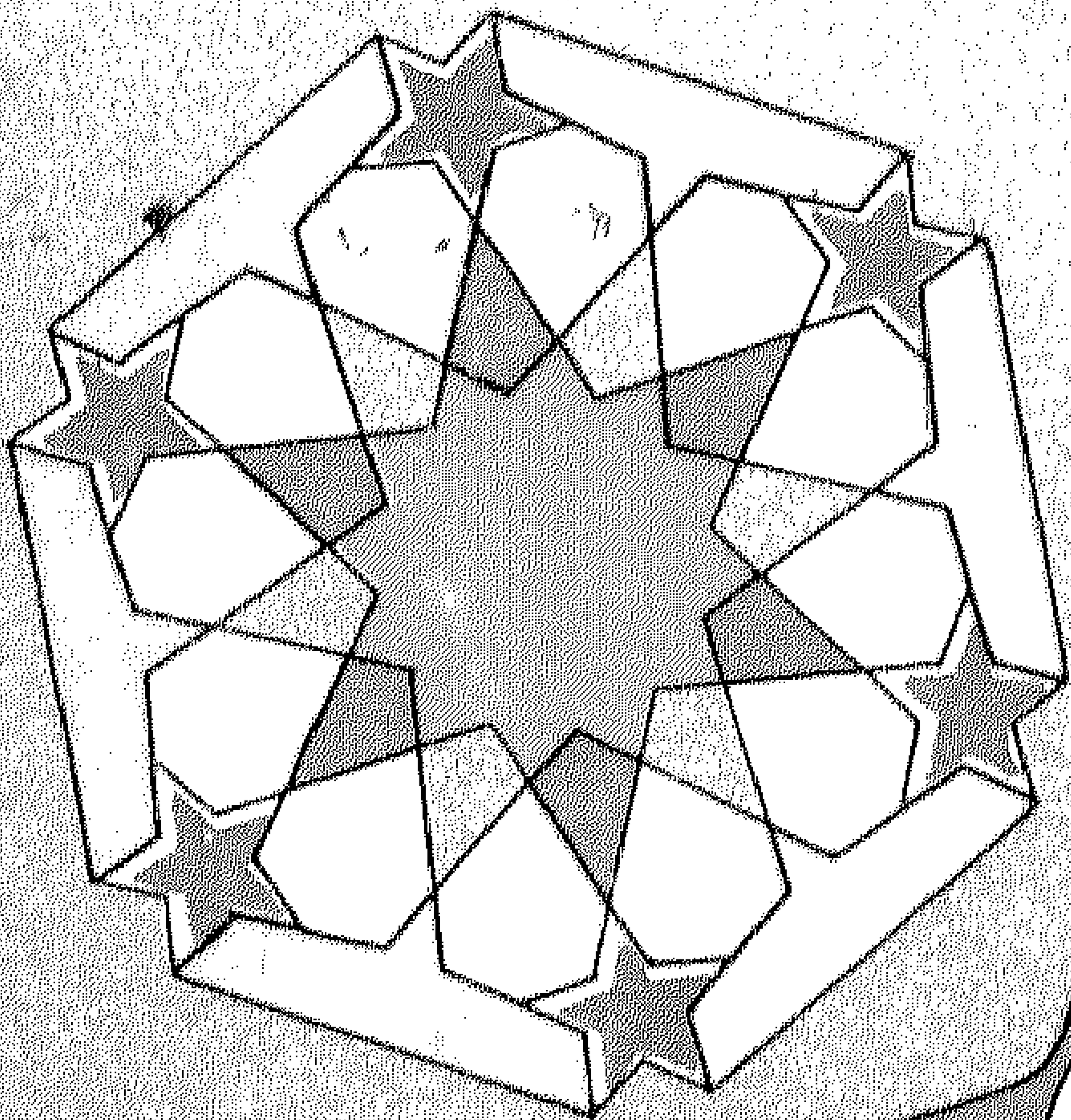
اليوم الآخر

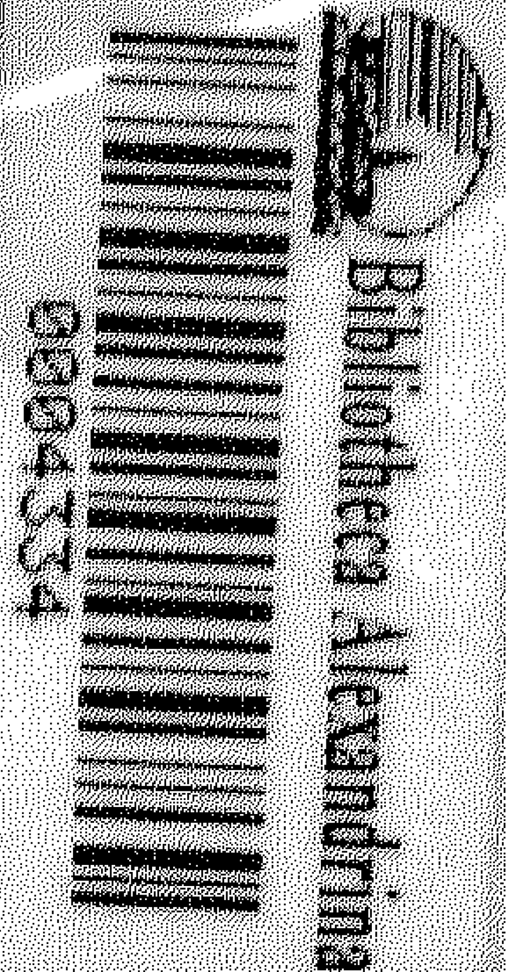
بين

اليهودية والمسيحية والإسلام

الدكتور فرج الله عبد الباري أبو عطا الله







اليوم الآخر

بين

اليهودية والمسيحية والإسلام

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٢٤٢٧٧١/ ٢٥٦٢٣٠ /٢٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب: ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

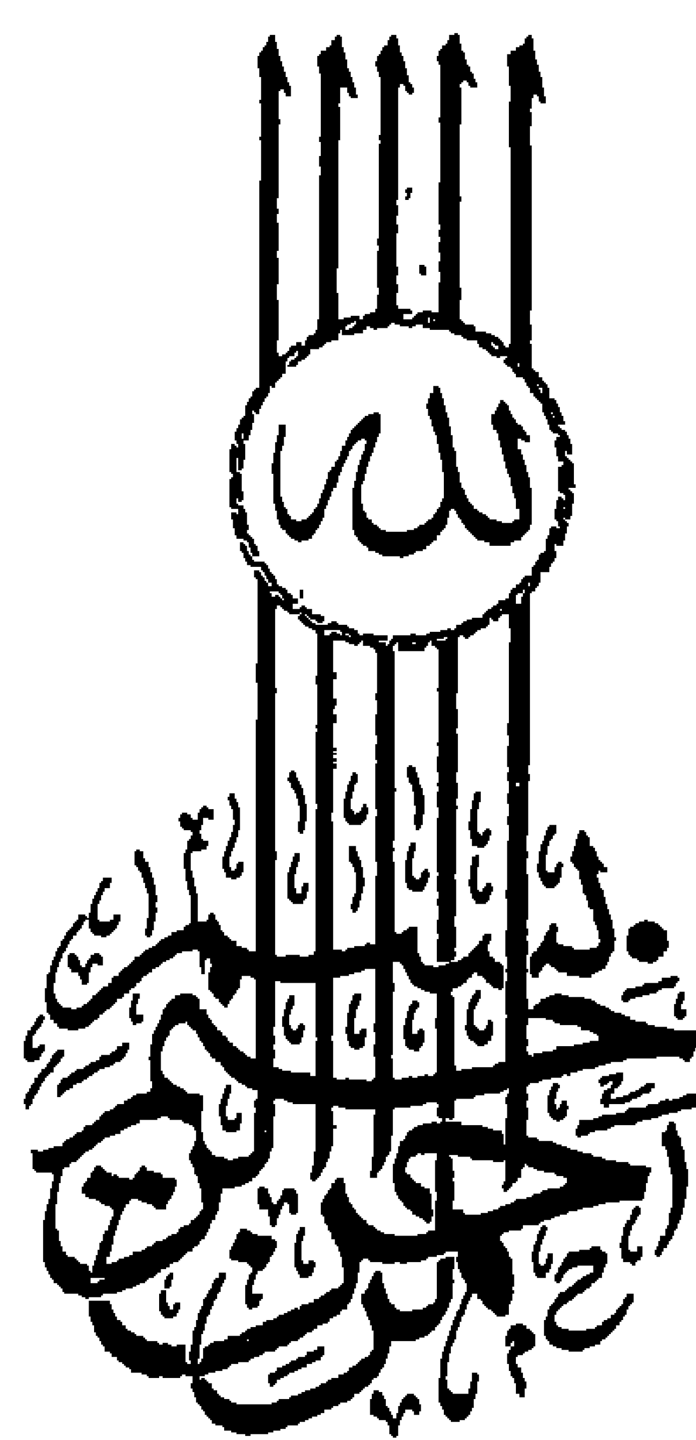
اليوم الآخر

بين

اليهودية والمسيحية والإسلام

الدكتور فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م



الإهداء

* إلى المجاهدين فى سبيل الله من أمة الإسلام .

* إلى الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس .

* إلى روح والدى الذى وهبنى للعلم والمعرفة .

* إلى والدتى التى كان لدعائها الفضل الأكبر فى توفيق الله لى .

* إلى أخى توكل الذى كان لى أبًا وأخًا ، وأحاطنى برعايته وعطفه لأشق طريق العلم والمعرفة ..

جزى الله الجميع عنى خير الجزاء .

بســــم الله الرحمن الرحيــــم

تقــديم

للأستاذ الدكتور / يحيى هاشم حسن فرغل

لابد لنا في تقديم هذه الرسالة من إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بموضوعها ؛ لأن الموضوع الذى نعالجه يثار حوله ـــ عمداً ـــ كثير من البلبلة والتشويش ، وكثير من التجاهل المتعمد لمنهج البحث العلمى .

هناك سؤال مطروح الآن حول : علاقات الجدل العقدى بين الإسلام وأديان أهل الكتاب ... يهودية أو مسيحية ! .

هناك ـــ مثلاً ـــ فكرة طرحت فعلاً تصرح بأنه (من حق أى إنسان أن يتحدث ـ حتى بمنطق الجهل ـــ فى تمجيد دينه ، وجنسه ، وقومه ، ولكن ليس من حقه أن يتحدث مهاجماً ديناً آخر ، ولابد من تجريم ذلك بالقانون)[1] .

وصحفى آخر يعتبر أن مجرد الإكثار من ذكر « الإسلام » يعد نوعاً من الإثارة ، إذ يقول عن بعض المتحدثين إنه (يطالب بسياسة إسلامية ، وباقتصاد إسلامى ، وبمجتمع إسلامى ، وبقانون إسلامى ، وبوحدة إسلامية ، وبتنمية إسلامية ، و ... و ... إلى آخر مشاكلنا بإضافة كلمة « إسلامية » .. فمن غير المعقول ونحن على مشارف القرن العشرين أن ينادى أحدنا بهذا التعصب ليعيدنا إلى جاهلية العصور الوسطى ..)[2] .

والسؤال المطروح علينا هو :

كيف يرسم قسم مقارنة الأديان ـــ بكلياتنا ومعاهدنا ـــ طريقه بين هذه المحاذير ؟

---

(١) اليوميات بالأهرام فى ٢٧ / ٣ / ١٩٨٧ م .

(٢) أخبار اليوم فى ٢٨ / ٣ / ١٩٨٧ م .

١ ـــ أيكون ذلك بالانكباب على « الإسلام » دون تعرض لغيره ؟
وإذن فكيف تتم المقارنة ، وهى حق لأجهزة البحث العلمى على مستوى العالم ؟ وهى ضرورة « داخلية » قائمة فى نصوص الدين ؟!

٢ ـــ أو بشرح العقيدة بكل أبعادها وعلاقاتها وملابساتها ، مع المحافظة على الصلات الطيبة : وطنياً واجتماعياً وفردياً ، وبخاصة فى الإسلام الذى يحرص على الأمرين معاً ، حرية تامة فى توصيف العقيدة والحكم عليها وعلى غيرها ، دون أن يمثل ذلك نوعاً من الإثارة ، كالذى توهمه نصارى نجران ، إذ ذهبوا إلى رسول الله ﷺ يعاتبونه قائلين : (مالك تشتم صاحبنا ؟ قال : « ما أقول ؟ » قالوا : تقول : إنه عبد الله ! قال : « أجل ، هو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول » فغضبوا ...)[1] .

إذن فمجرد قول المسلم عن عيسى عليه الصلاة والسلام : إنه عبد الله ورسوله أثار غضباً فى الطرف الآخر .

فهل يمكن أن تدفعنا هذه الحساسية إلى السكوت عن تقرير ما هو صريح فى الدين ؟ .

إذن فلتغلق معاهد الدين ، ولتطمس صفحات من الكتب ، وليكف القارىء عن تلاوة بعض الآيات ..

ولا أظن أن هذا مقصود لعاقل من الناس .
نعم ، فليكن الجدل بالحسنى
ولكن الجدل بالحسنى لا يعنى طمس الحقيقة .

لأن الحقيقة سوف تعلن عن نفسها فى نهاية الأمر ، رضى الناس أم سخطوا . والجدل بالحسنى فى باب العقيدة ـــ بالذات ـــ لن يخلو قط من استعمال كلمات هى من نبات هذا الميدان ومفرداته التى لا غنى عنها ، من قبيل هذا « إيمان » وهذا « كفر » ، هذا « مؤمن » ، هذا « كافر » ، هذا « مصيره إلى الجنة » وهذا « مصيره إلى النار » .

فكيف يمكن أن يقال انكبوا على أنفسكم ولا تتعرضوا للأديان الأخرى ؟ .

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ فى كثير من التفاسير ، ومنها تفسير الألوسى .

وإذا كنا نريد أن نضع قواعد لمثل هذه الأمور فيجب أن نتقبل داخل هذه القواعد مثل هذه الأوصاف ، ولا يصح أن تدخل فى حساب الشجار أو فى حساب الإثارة .

لقد كان ذلك هو الأمر دائماً فى تاريخ العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب فى جميع العصور دون أن يستثير ذلك شعور أحد أو يستفز فكراً أو يهدد أمناً .

لتكن الحدود العقائدية حازمة بارزة كما يريدها الله تعالى ، لا معنى إطلاقاً لتمييع هذه الحدود ، لأن البعض وهو يعمل لتجنب الفتنة الطائفية يتطرق إلى هذه الحدود ويميعها ، وهناك مقالات كثيرة تنشر يريد أصحابها أن يحققوا السلام الاجتماعى على حساب الحدود العقائدية ، أو بالدخول فى مساومات من أجل وضع ميثاق ؟!!

إن الطريق إلى تجنب الفتنة الطائفية إنما يتحقق كما تحقق دائماً فى التاريخ الإسلامى .

فنحن لسنا مقبلين على تجربة جديدة ، ولكن لقد حقق هذا المجتمع وحققت هذه الحضارة تجربتها ، واستقرت الأوضاع ، وساد السلام الاجتماعى دون مساومة أو تمييع بين العقيدتين ، وأن السلام الاجتماعى لا يكون إلا بشريعة الله عز وجل التى تقرر أن لأهل الذمة ما لنا وعليهم ما علينا .

* * *

والحدود الأساسية التى قامت عليها هذه الرسالة تدور حول مسميات الدين والإسلام والكفر بحسب ما تسمح به العقيدة الإسلامية .

أما عن استعمال كلمة « الدين » فإنها تأتى بمعنيين :

أ ـــ بالمعنى اللغوى الشامل : الذى يشمل الصحيح من الدين وغير الصحيح ، وقد جاء هذا فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة ، منها : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾ .

ب ـــ ولكنها تأتى فى المقام الأول بالمعنى الخاص الذى لا ينطبق إلا على الدين الصحيح ، وهو هنا ليس إلا « الإسلام » ديناً لجميع الرسل والأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ.

ذلك هو صريح قوله تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ .

وفى ذلك جاء قوله ﷺ صريحا : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » متفق عليه .

وهنا لنا وقفة مع أهل الزيغ والضلال والجهل الذين كانوا ـــ ومازال بعضهم ـــ يعدد الأديان السماوية (الحقة) .

فلما أثبتنا أنه ليس فى « الحق » إلا دين سماوى واحد هو « الإسلام » اغتصبوا كلمة « الإسلام » ليلبسوها ثوباً مرقعاً من « جميع الأديان » التى سبق أن ادعوا تعددها فقالوا : تلك الأديان « إسلام » !!

إنه إذا كان بعض هؤلاء ينوى أن يستغل حقيقة « وحدة الدين » بأن يجعلها وحدة تنطوى على « التعدد » فيجرون بذلك مجرى التناقض الذى يقبلونه فى عقيدة الألوهية نفسها ، فإنه لا شأن لنا بهذا التحريف الذى لا تنتهى وسائله عندهم .

وحدة الدين المعلنة واضحة .

دين سماوى واحد .

دين فرد .

دين واحد فرد هو الإسلام لا غير .

يجب أن يكون واضحاً أننا عندما ننادى ـــ فى مجال الدين الصحيح ـــ بـ « وحدة الدين » ، فإننا لا نقولها ثم نسكت ولكن نقول : (وحدة الدين عند الله : الإسلام) .

إننا نسوق ذلك باعتباره مصطلحاً يعنى الوحدانية ولا يعنى الشمول .

ليس هذا وصفاً « جامعاً » .

ولكنه وصف « مانع » .

أإذا قلنا : وحدانية الله الفرد ، الصمد ، لننفى ألوهية فرعون ، واللات ، وبوذا .. جاء من يقول لنا : لعلكم تقصدون وحدانية الله التى تجمع فى داخلها فرعون واللات وبوذا ؟

سبحان الله !

أى انحراف فى المنطق هذا ؟

وإنه لما يبعث على الأسف أن رذاذاً من هذا المنطق المريض تسرب إلى أقلام تتعرض للحديث عن الإسلام ..

فواحد من هؤلاء يعيب على الباحثين الذين دعوا إلى المفاصلة الكاملة مع أهل الكتاب ويقول رداً عليهم : (إن المسلمين فى لغة القرآن هم المؤمنون بالله الواحد ، وليسوا أتباع دين خاص ...)[1] !!

وآخر مُعَمَّم ـــ رحمه الله ـــ فى حديث له بالتليفزيون ـــ بمناسبة الإسراء والمعراج ـــ يعتبر أن ما جاء فى حديث الإسراء والمعراج من قوله ﷺ عن لقائه بالأنبياء وأخوته لكل منهم « أخى موسى .. أخى عيسى .. » يعتبر أن هذا إعلان بالأخوة بين الإسلام والمسيحية ؟ !!

سبحان الله ، أيجهل هؤلاء أبجديات العقيدة الإسلامية ، وأن الإسلام لا يكون بغير الإيمان بالرسل ، جميع الرسل ؟! ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ ؟! .

إن بعض الباحثين ـــ الذين نكن لهم كل الاحترام ـــ عندما يكتبون فى مجالات تخصصهم تنزلق بهم الأقدام فى هذا المقام .

إذ يخلط بعضهم بين المقامين اللذين فرقنا بينهما فى استعمال كلمة الدين : كلمة الدين عندما يراد بها المعنى اللغوى العام الذى يشمل الصحيح وغيره ، وكلمة الدين عندما يراد بها المعنى الخاص الذى لا ينطبق على غير الصحيح فيكون عندئذٍ خاصاً بالإسلام .

يخلط بين الاستعمالين فيقتنص شواهد من المقام الأول يستعملها فى خصائص من المقام الثانى ، وعندئذ يعلن « تعددية الأديان » فى نظر الإسلام[2] .

وإذا كان لأحد أن يعلن « تعددية الأديان » فى نظر الإسلام بالمعنى الأول ـــ ما يشمل الصحيح وغيره ـــ فإنه ليس له باسم الإسلام أن يعلن هذه التعددية بالمعنى الثانى الذى يقتصر على الصحيح ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ .

ولكن الطامة تصبح كبرى عندما يصرح بعضهم لا بتعددية الأديان التى يمكن

---

(١) مقال الثلاثاء بالأهرام ١٧ / ٣ / ١٩٨٧ م .

(٢) انظر جريدة الوفد فى أبريل ومايو ١٩٨٧ م .

تفسيرها بالمعنى الأول وتنتهى المشكلة ، ولكن بـ « تعددية الأديان » التى لا تفهم إلا بالمعنى الثانى للدين ، ويحسب هذا الباطل مفخرة من مفاخر الإسلام .

إن الاستقرار والتعايش وتجنب الفتنة لا يكون قط بمحاولات طمس الحدود ما بين العقيدتين ، فهذا لا يرضى أيا من الطائفتين ، لأنه يعتدى عليهما معاً .

لتكن الحدود العقدية حاسمة بارزة ، كما يريدها الله ، وكما يقررها الطرفان كل من جانبه .

أما الطريق إلى تجنب الفتنة فقد كان دائماً وسيكون بضمان من شريعة الله التى تعطى أهل الكتاب حقوقهم الاجتماعية كاملة بمقتضى « الذمة » .

« لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

ومن هنا ساد الأمن والسلام والتسامح .

لقد بدأ تعامل الإسلام مع أهل الكتاب على شكل مناقشة لعقائدهم فى مرحلة مبكرة من عهده المكى ، كما تدل على ذلك سورة الفاتحة « الآيات ١٤٦ من سورة الأنعام ، ١٣٩ إلى ١٦٣ من سورة الأعراف ، ٧٤ ـــ ٩٣ من سورة يونس و ١٨ من سورة النحل ، ١ ـــ ٨ من سورة مريم ، وفيها الرد على اليهود فى افترائهم على مريم ، ورد على النصارى فى دعواهم بأن المسيح ابن الله ، وآيات مكية أخرى كثيرة تعاملت مع أهل الكتاب على أنهم منحرفون فى العقيدة قبل أن يهاجر النبى ﷺ إلى المدينة .

وهذا الخط العقدى لا يعارض الخط القانونى الذى ظهر على شكل معاهدات بين المسلمين وأهل الكتاب ، وقد نصت المعاهدة الأولى على حرية أهل الكتاب فى ديارهم وعبادتهم وتعاملهم مع المسلمين ، إذ جاء فيها : « وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » .

وعلى هذا المنوال جرت معظم المعاهدات بين أصحاب النبى ﷺ وبين أهل البلاد المفتوحة ، حيث أعطت هذه المعاهدات لأهل الكتاب ولغيرهم الحرية العقدية والاجتماعية والاقتصادية .

ومعاهدة النبى ﷺ مع نصارى نجران هى المثل المحتذى وقد جاء فيها أن الرسول ﷺ « قد أعطاهم ذمة الله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعتهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وعلى ألا يخسروا أو يعشروا ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فالنصف ، على ألا يأكلوا الربا ، فمن أكل منهم الربا فذمة محمد ﷺ منهم بريئة » .

وهذا النموذج الرائع من التعاقد مع أهل الكتاب نراه فى معاهدات خالد مع أهل الحيرة ، ومع أهل عانات ، كما نجده فى معاهدة عمر رضى الله عنه مع أهل القدس ، ونجده فى معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر .

أما ما عرف بالشروط العمرية ، فقد تراوحت بين القبول والرد عند علماء المسلمين والرد هو الصحيح .

إننا نؤكد أن الحسم فى قضايا العقيدة الصريحة الواضحة شىء والسلام الاجتماعى شىء آخر ، وأنه يمكن الجمع بين الأمرين دون إخلال بواحد منهما ، بل نقول : إن الإخلال بواحد منها يضر بالآخر بالضرورة .

ومن هنا فإننا نقرر بوضوح الحدود الثابتة المعلومة من الدين بالضرورة ، والتى نتخذها فيصلا فى دراستنا العقدية ، ومقارنات الأديان[1] ، وهى تتلخص فى الأمور الآتية :

١ ـــ لا يطلق لفظ الدين ـــ وكذا لفظ الشريعة ـــ بالمعنى الحق المقبول عند الله إلا على الإسلام ، وإن كان من الممكن إطلاقه بالمعنى اللغوى العام الذى يشمل الحق وغيره .

٢ ـــ الإسلام هو الدين الوحيد الفرد المنزل من الله تعالى على جميع الرسل ، ابتداء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ .

٣ ـــ الإسلام لا يعنى التوحيد فحسب ، وليس كل من كان موحداً كان مسلماً أو متديناً بدين الله ، ولكن دين الله ـــ الإسلام ـــ لا يكون إلا بالإيمان بالله ورسله جميعاً ؛ بغير تفريق بين أحد من رسله .

(١) أشرف أستاذنا الدكتور يحيى هاشم على رسالة دكتوراه بعنوان « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » للدكتور فتحى محمد الزغبى .

٤ ـ لا إسلام ولا دين مقبولاً عند الله بعد بعثة محمد ﷺ إلا بالإيمان به وباتباع كل ما جاء به .

٥ ـ القرآن والسنة الصحيحة هما المصدران الإلـٰهيان الوحيدان . الموثقان اللذان يقاس إليهما كل خبر عن رسالات الأنبياء السابقين .

٦ ـ ما عدا الإسلام فإنما هو ديانات وضعية بقى فى بعضها بعض آثار من الوحى لا تعرف إلا بالقياس إلى القرآن والسنة .

٧ ـ القرآن صحيح قاطع فى وصف عقائد أهل الكتاب :

بأنها كفر .

وبأنها شرك .

وبأن مصير أصحابها إلى الخلود فى النار .

٨ ـ الإسلام يسمح بوصف أصحاب هذه الديانات المخالفة بأنهم أهل كتاب ولا يسمح بوصف أديانهم بأنها سماوية .

٩ ـ القرآن لا يقبل من أهل الكتاب ـ عقدياً ـ إلا من آمن بمحمد ﷺ واتخذه مهيمناً على عقائده .

١٠ ـ الإسلام قاطع فى معاملة أهل الذمة بقاعدة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » مع بعض التفاوت فى بعض الفروع ، مما لا يضر بهذه القاعدة الكلية .

١١ ـ إن هذه الأمور قطعية .

١٢ ـ أن السلام الاجتماعى الحقيقى لا يتم إلا من طريقها .

وهو لا يمكن أن يتم بتحريف العقائد ؛ لأن هذا التحريف مرفوض من جميع الأطراف .

والكتاب الذى نقدمه يُعد من أفضل الكتب التى تحدثت عن هذا الموضوع ، ولا أبالغ إن قلت إنه بمنهجه يعتبر جديداً على المكتبة الإسلامية وبعنوانه وبموضوعه يعتبر فتحاً جديداً فى علم مقارنة الأديان ، إذ أن المؤلف لم يكتف بما هو مسطور فى بطون الكتب بل ارتحل لمقابلة علماء الأديان موضوع البحث وحاور كلاً فى دينه واستفسر منهم عن فهمهم لهذه القضايا ، ولعل هذا الأسلوب فى البحث يعيد إلى الذهن تلك الجهود الكبيرة التى كان يقوم بها الرعيل الأول من العلماء فى البحث العلمى ، والتى كانت تقوم على الترحال من أجل التثبت والحصول على الحقيقة من مصدرها وإن كنت أُعرِّف القارىء بهذه الجهود

التى بذلها المؤلف لألقى من خلالها ضوءاً على منهجية البحث ، إلا أن هذا ليس غريبًا على المؤلف الذى أعرفه من خلال علاقتى العلمية به مذ كان طالباً فى الفرقة الأولى فى كلية الدعوة الإسلامية بطنطا ، حيث كان وقتها ، ومن خلال منهجه العلمى فى التلقى وجدليته المنهجية ، يبشر ببزوغ نجم جديد فى سماءَ الثقافة الإسلامية ، ومدافع لا تلين له قناة فى الزود عن حياض الإسلام الحنيف .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أ . د . يحيى هاشم حسن فرغل

« بسم الله الرحمن الرحيم »

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :

فمنذ تفتحت عيناى على المعرفة وأنا شغوف بكل دراسة مقارنة بين شيء وآخر ، وأجد متعة فى الكشف عن أوجه الاختلاف والاتفاق بين الفرق والمذاهب ، إلى أن شرفنى الله عز وجل بالالتحاق بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا — حيث وجدت ضالتى فى مادة مقارنة الأديان التى كانت تدرس لنا على مدى أربع سنوات — وكانت المؤلفات التى تدرس لنا تجذبنى إلى فهمها وتحصيلها والحصول على أعلى الدرجات فيها ، وظلّت رغبتى وحبى لعلم مقارنة الأديان ملازمة لى أثناء دراستى العليا ، خاصة عندما كنا ندرس موضوعات المقارنة بين الإسلام والنصرانية واليهودية ، ولفت نظرى أثناء الدراسات العليا مايتعلق بالجوانب العقائدية بين الإسلام واليهودية والنصرانية ، وقرأت عند بعض المؤلفين القدامى والمحدثين أن اليهود ليس عندهم بعث فى التوراة ولفت نظرى ذلك ؛ إذ كيف يأتى دين من عند الله وليس فيه ما يتعلق بمصير الإنسان بعد موته .

ومما لفت نظرى أيضا ما قرأته عند النصارى من أن المسيح هو الذى يحاسب الناس فى الآخرة .

كل هذه الأشياء كانت تدور فى خاطرى أثناء دراستى العليا . وعند التسجيل للماجستير استخرت الله وعرضت على الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم أن أسجل رسالة الماجستير فى موضوع اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، ولقد شد من أذرى ، وطلب منى أن أبحث عن هذه النقطة ، وقمت بالبحث عن هذا الموضوع فى كتب العقيدة والأديان ، وشرح الله صدرى لهذا الموضوع ، خاصة أننى لم أجد مؤلفاً قد تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة ، فكتبت خطة عرضتها على الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم الذى من الله علىّ بقبوله الإشراف على الرسالة ، فنقّحها وصاغها صياغة علمية ،

وكان له الفضل بعد الله فى تخطيط منهجها وتحديد آهدافها وإرشادى إلى مراجع البحث .

ولقد قسمت الرسالة فى البداية إلى بابين : باب يتعلق بالاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام ، وباب يتعلق بأثر الاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام .

ولكن بعد أن توغلت فى البحث وجدت أن الباب الأول بفصوله ومباحثه يربو على الأربعمائة صحيفة والباب الثانى يقترب من هذا . وكانت هذه مشكلة بالنسبة لى من ناحية الكم ومن ناحية الكيف ؛ إذ أن البحث على الوضع المشار إليه يحتاج إلى فترة زمنية أكبر بكثير مما هو محدد له . وطرحت المشكلة على أستاذى الدكتور يحيى هاشم مقترحاً الإكتفاء بالباب الأول ، حتى يتسنى معالجة مباحثه معالجة علمية دقيقة ، فطلب منى بعض المباحث ، وبعد قراءتها اقتنع فضيلته بما اقترحته عليه وأصبحت الرسالة بعد التعديل تتكون من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة .

فى المدخل : تحدثت عن اليوم الآخر فى الديانات الوضعية واقتصرت منها على المصرية القديمة والهندية والفارسية ، وأثبت من خلال النصوص أن اليوم الآخر عنصر أصيل فى عقيدة المصريين والهنود والفرس ، ورددت ذلك الاعتقاد إلى الفطرة وإرسال الرسل ، لا إلى النبوغ العقلى والتفوق الفكرى عند هذه الأمم ، وقبل أن أتحدث عن واقعات يوم القيامة مهدت بتمهيد وضحت فيه المقصود باليوم الآخر فى الإسلام والنصرانية واليهودية

والفصل الأول : عرضت فيه واقعات اليوم الآخر ، بدءاً من الموت إلى الجنة أو النار : فتحدثت عن الموت فى التصور الإسلامى والتصور النصرانى والتصور اليهودى ، وبينت الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية واليهودية ، وكيف ربط النصارى واليهود بين مفارقة الإنسان للحياة عن طريق الموت ، وعلاقة ذلك بخطيئة آدم عليه السلام ، وبيّنت وجهة نظر الإسلام من مصدرية القرآن الكريم والسنة ، ورددت على النصارى واليهود فى هذا الشأن ، مبيناً أن خطيئة آدم لا يتحملها إلا هو .

ثم تحدثت عن البرزخ وعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية ، وأوضحت موافقة التصور النصرانى للتصور الإسلامى فى بعض ما يتعلق بعلامات الساعة ، ورددت ذلك إلى موافقة بقايا الصحيح فى الاناجيل مع صريح القران الكريم ، وأوضحت أن علامات الساعة مقتضبه عند اليهود ، وليس فيها تفصيلات مناسبة مثل الإسلام

والنصرانية .

ثم تحدثت عن البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية ، وتوقفت كثيراً عند البعث فى تصور اليهود ، وكيف يوفّقون بين خلو التوراة من الإشارة إلى اليوم الآخر واعتقادهم بالبعث ، وفندت رأى ابن كمونة اليهودى فى هذا الصدد ، وعقبت على ذلك بأن السبب فى خلو التوراة من الحديث عن البعث هو التحريف الذى مارسه علماء اليهود وأحبارهم بالنسبة للتوراة .. وبعد ذلك تحدثت عن الحشر فى التصور الإسلامى ، وكيف أن النصارى واليهود لا يفرقون بين البعث والحشر .

ثم تحدثت عن الحساب ، وبينت اعتقاد النصارى فى أن المسيح هو الذى يحاسب الخلق يوم القيامة ، وفنّدت هذا ، وناقشت أحد القساوسة فى ادعائه : أن السنة تشهد على أن المسيح هو الذى يحاسب الناس فى الآخرة استناداً إلى قول الرسول ﷺ : « ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً » .

وبينت الافتراء الذى اقترفه هذا القس ضد الإسلام وضد السنة ، وبينت أن المسيح ينزل ليحكم بشرع الرسول ﷺ ، وهذا الحكم فى الدنيا لا فى الآخرة ، وتحدثت عن صحائف الأعمال التى يحاسب الإنسان على أساس منها ، وموافقة النصارى واليهود للتصور الإسلامى فى هذا الصدد .

ثم تحدثت عن الميزان والحوض وكيف أنهما مما خص الله به أمة محمد ﷺ ، ثم تحدثت عن الشفاعة ، وكيف أثبت القرآن الكريم والسنة الشفاعة للرسول ﷺ ، وتحدثت عن أنواع الشفاعة وعن الشفاعة العظمى للرسول ﷺ ، وعن شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته ، وعرضت رأى المعتزلة فى هذا الصدد ، ورد أهل السنة عليهم .

ثم انتقلت للحديث عن الشفاعة عند النصارى ، وراعنى ما وجدت من تصورهم للشفاعة والسلطة الكاملة التى أعطيت للكهان من غفران للخطايا وعفو عن الذنوب ، وأنه لا شفاعة عندهم فى الآخرة . وكانت هذه مشكلة بالنسبة لى فالمكتوب فى كتبهم ومراجعهم لا يذكر شيئا عن الشفاعة فى الآخرة ، فأردت أن أسجل فى البحث أنهم لا يعتقدون فى الشفاعة فى الآخرة .

وعرضت الأمر على الأستاذ الدكتور / يحي هاشم المشرف على الرسالة ، فاقترح أن أقابل أحد علمائهم ، وبالفعل قابلت أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى

بالكنيسة القبطية ، وعرضت عليه آن يدلنى على مراجع تتحدث عن الآخرة بوجه عام ، والشفاعة بوجه خاص . وتحدّث الرجل عن الآخرة فى التصور النصرانى والخطايا التى لا يعفى عنها ، وكان مما تحدث فيه أن الشفاعة فى الدنيا لا الآخرة ، وقسم الذنوب التى يعفى عنها فى التصور النصرانى والخطايا التى لا يعفى عنها ، وكيف أن الإنسان إذا مات فإما أن يكون فى النار وإما أن يكون فى الجنة أبد الآبدين ، وفهمت من حديثه أنه لا شفاعة فى الآخرة ، وساعدنى هذا على الحكم على كثير من النقاط المثارة فى البحث عن الآخرة فى التصور النصرانى مثل : عذاب القبر ، وسؤال الملكين ، والميزان ، والصراط ، وأن الأناجيل لم تتحدث عن هذه التفصيلات .

ولم أكتفى بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى بالكنيسة القبطية الذى يمثل طائفة الأرثوذكس ، فذهبت إلى مدير معهد الدومينكان للدراسات الشرقية الأب جورج شحاته قنواتى ، لأعرف رأى الكاثوليك فى بعض النقاط المثارة فى البحث ، ولم أجد ما كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل ، بل وصرفنى عن البحث فى علم مقارنة الأديان ، وأحالنى إلى أحد الرهبان الفرنسيين فى المعهد وكانت اللغة عائقاً دون حديث الراهب معى فيما يتعلق بتصور النصارى الكاثوليك عن الآخرة ، ولكنه أتاح لى فرصة الاطلاع على مكتبة المعهد ، وعثرت فيها على بعض المراجع التى تحدثت عن الآخرة فى تصور الكاثوليك . وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكل عائقاً لى فى مواصلة البحث وسبر غور كثير من النقاط المثارة فى البحث فى مجال المقارنة ، فذهبت إلى دير سانت كاترين بجنوب سيناء ـــ وهو دير تاريخى قرأت أنه يحوى الكثير من المراجع والمخطوطات ـــ فذهبت بخطاب من الكلية ولكن رفض القائمون على الدَيْر والمكتبة أىّ عونٍ علمى فيما يتعلق بالبحث ، إلى حد أنهم لم يوافقوا أن يتحدثوا معى شفوياً فى موضوع الآخرة فى التصور النصرانى ، وقفلت راجعاً أبحث عن مصادر اليوم الآخر فى مظانه عند النصارى واليهود ، وبذلت قصارى جهدى فى هذا الصدد . وأسجل أن عدم توافر المصادر اليهودية كانت عائقاً لى عن البحث فى كثير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد وحسبى ذلك .

ثم تحدثت بعد ذلك عن الجنة والنار بين التصور الإسلامى والنصرانى واليهودى وعرضت أوجه الاتفاق والاختلاف والتناقض الذى وقع فيه النصارى واليهود فى تصويرهم للجنة والنار ، وخلوها من الطعام والشراب والنكاح وسائر المتع ، بالرغم من تصريح العهد

القديم ببعض الإشارات ، وكذلك العهد الجديد ، وسجلت هذه التناقضات . وتحدثت عن كثير مما انفرد به الإسلام من حكم أهل الفترة وأطفال المسلمين ، وأطفال المشركين . وتحدثت عن الخلود فى الجنة والنار فى الإسلام ، والخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى خروج الموحدين من النار ، وبينت تصور اليهود والنصارى للخلود فى النار .

ثم بعد ذلك تحدثت عن رؤية الله بين الإسلام واليهودية والنصرانية ، وعرضت رأى أهل السنة ورأى المعتزلة والرد عليه من أهل السنة ، ومدى التخبط والإضراب الذى وقع فيه النصارى فى عرضهم لرؤية الله ، من نفيهم مرة للرؤية وإثباتهم لها ، ثم تساءلت من الذى يزعم النصارى أنه يُرى يوم القيامة هل هو الله ؟ أو المسيح ؟ أو هما معا ؟ ، وبينت الخلط والاضطراب الذى وقع فيه النصارى فى هذا الصدد .

وبانتهاء مبحث رؤية الله ينتهى الفصل الأول الذى اشتمل على واقعات يوم القيامة كلها . وكانت خطتى فى هذا الفصل أن أعرض الواقعة فى التصور الإسلامى ثم التصور النصرانى ثم التصور اليهودى ، مقارنا بين التصورات الثلاثة ، ومعقباً فى بعض المباحث التى أرى أنها تحتاج إلى تعقيب .

والفصل الثانى : عقدته لبيان عقيدة البعث ، وهل هو بالروح أو بالجسد ، والجنة والنار أيضا هل هما حسيان أو معنويان ؟

فمهدت بداية بتمهيد أوردت فيه نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ، وتلك التى تحدثت عن البعث يوم القيامة وحقيقة الجسد ، وخرجت من هذا التمهيد بأن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة تثبت البعث الجسدى للإنسان يوم القيامة ، وأن الإنسان سيكون له وجه ويدان ورجلان وسمع وبصر ، وأنه سيحشر يوم القيامة حافياً عارياً ، وهذا دليل على أن للإنسان جسداً عارياً يوم القيامة .

ثم بعد ذلك عرضت للمتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة ، وبينت مذاهب المتكلمين فى البعث يوم القيامة ، وخرجت بنتيجة مؤداها أن المتكلمين يثبتون البعث الجسدى وأخذت على المعتزلة أنهم تعرضوا لبعض الجزئيات بالنسبة للجسد الذى سيبعث يوم القيامة ، التى لم يكلف الله أحداً ممن خلقه ببحثها أو معرفتها ، وعرضت للبعث عند متصوفة الإسلام ، واخترت منهم المحاسبى والغزالى ، وأنهما قالا ببعث الجسد يوم القيامة ، إلا أنهما كانا يخاطبان الوجدان أثناء حديثهما عن البعث ، لينقلا المخاطب من الأخبار إلى

المشاهدة ، وتوقفت عند البعث فى فكر ابن سينا ، وكيف أنه خالف إجماع المسلمين حين قال بالبعث الروحانى لا الجسمانى ، وبيّنت المنزلق الخطير الذى تردى فيه ابن سينا حين قال : إن نصوص القرآن الكريم الواردة فى شأن البعث مراد بها مخاطبة العامة لا الخاصة ، ورددت عليه بما ذكره الله عز وجل فى سورة البقرة حين عرض لقصة الرجل الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، وكيف أماته الله ثم بعثه ، وعقب على ذلك بقوله تعالى .. **﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾** (١) .

ونفس الإجابة ذكرها الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام حين سأل الله أن يريَه كيف يحيى الموتى ، وذكرت أن الرجل كان من العامة وإبراهيم عليه السلام من الخاصة ، ومع ذلك كانت الإجابة واحدة ، وتشير إلى بعث الجسد يوم القيامة .

وعرضت بعد ذلك لحقيقة الجسد الذى سيبعث يوم القيامة فى التصور النصرانى

وعرضت للاضطراب الذى وقع فيه النصارى فى هذا الصدد ، واضطرابهم بين البعث الجسمانى والبعث الروحانى ، وبينت أن اضطراب النصارى فى تعبيرهم عن الجسد الذى سيبعث يوم القيامة هو الذى جعل بعض علماء الإسلام يقولون : إن النصارى يقولون بالبعث الجسمانى ، وجعل البعض الآخر يقولون إن النصارى يقولون بالبعث الروحانى ، وخلصت إلى أن النصارى تركوا نصوص الأناجيل الصريحة التى تقول بالبعث الجسمانى ، واعتقدوا فى قول بولس الذى يرى أن البعث فى الآخرة سيكون جسماً روحانياً ، وبينت أن الجسم الروحانى الذى يقول به النصارى لم يُذكر فى الأناجيل ، ولكنه ذكر فى رسائل بولس ، وأشرت إلى البيئة التى نشأ فيها بولس ، وكيف تأثر بالفلسفات الشائعة فى عصره ، والتى ظهرت فى آراءه مثل الجسم الروحانى الذى قال : إن الأجساد فى القيامة ستقوم به .

ثم عرضت لليهود وتصورهم لحقيقة البعث ، وخلصت إلى أن البعث بالروح والجسد هو الشائع لدى اليهود ، باستثناء بعض فلاسفتهم كفيلون الاسكندرى ، الذى ذهب إلى البعث الروحانى .

---

(١) البقرة ٢٥٩

ثم عرضت بعد ذلك للجنة والنار وحقيقتهما لدى المتكلمين والصوفية والفلاسفة ، ثم حقيقتهما عند النصارى واليهود ، ومهدت بتمهيد بينت فيه نصوص الوحى المتعلقة بالجنة والنار ، وأوضحت أن القرآن الكريم والسنة النبوية جمعا بين النعيم الحسى المتمثل فى الجنات والأنهار والأزواج المطهرة ، والمعنوى المتمثل فى رضوان الله ورؤيته فى الآخرة ، هذا من ناحية النعيم ،وجمعا أيضاً بين العذاب الحسى المتمثل فى النار والزقوم والحميم والسلاسل والأغلال ، والعذاب المعنوى المتمثل فى الخزى والعار وغضب الله عليهم وعدم كلامهم أو النظر إليهم .

وبعد ذلك عرضت للمتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وبينت أنهم يثبتون النعيم الحسى والمعنوى والعذاب الحسى والمعنوى كما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبينت فهم المتصوفة للنعيم والعذاب ، ثم عرضت لابن سينا وفهمه للنعيم والعذاب وأنه خالف جمهور المسلمين فى القول بالنعيم الروحانى فقط والعذاب الروحانى فقط .

ثم بعد ذلك عرضت النعيم والعذاب عند النصارى والجدال الذى دار بين علماء المسلمين وبين النصارى حول النعيم الحسى فى الجنة ، إذ يعتقد النصارى أن الجنة خالية من النعيم الحسى ، وعرضت نصوص الأناجيل التى تتحدث عن الطعام والشراب والنكاح فى الآخرة ، وتأويل النصارى لتلك النصوص .

وعرضت أيضاً للجنة والنار عند اليهود ، وبينت كيف أن التوراة الحالية خلت من الإشارة إلى النعيم والعذاب ، والذى يبنى عليه اليهود اعتقادهم إشارات عابرة فى أسفار الأنبياء وتعاليم التلمود ، وأوردت السبب فى عدم الإكثار من أمور الآخرة عند اليهود وختمت بهذه الأسباب الفصل الثانى .

الفصل الثالث : وفى الفصل الثالث عرضت الاستدلال على اليوم الآخر من ناحية الإمكان والوقوع ، واستعرضت أدلة القرآن الكريم التى تحدثت عن ذلك من الناحية العقلية ، وتناولت أيضا الاستدلال على اليوم الآخر لدى علماء الإسلام ، والقواعد التى استنبطوها من القرآن الكريم ، ثم عرضت لأدلة الوقوع والنماذج التى ذكرها الله عز وجل فى القرآن الكريم والتى تثبت وقوع الآخرة ، ثم بعد ذلك عرضت لشبهات المنكرين ، والمناهج التى استخدمها القرآن الكريم لإقناعهم والرد على شبهاتهم ، وتمثل هذا فى المنهج الوجدانى والمنهج العملى ، وعرضت لشبه المنكرين من القدامى والمحدثين ، ورددت على تلك الشبهات التى أثاروها .

ثم بعد ذلك تعرضت للاستدلال على اليوم الآخر لدى النصارى فى الأناجيل وأوضحت أن الأناجيل تخلوا من الاستدلال العقلى على الآخرة ،وإن كانت تشير إلى الأدلة الوجدانية ، وأشرت إلى أن علماء النصارى تأثروا بالأدلة العقلية التى استدل بها علماء الإسلام على البعث ، ثم بيّنت خلو التوراة الحالية من الحديث عن الآخرة والاستدلال عليها ، وذكرت أن علماء اليهود قد ذكروا بعض الأدلة العقلية على البعث والحياة الآخرة ،كما هو واضح فى فكر « سعديا الفيومى » ، وأشرت إلى تأثره بعلماء الإسلام فى استدلالاته على البعث .

ثم عقدت **خاتمة** ضمنتها أهم نتائج البحث .

ويلاحظ أن عنوان الرسالة كان يقتضى أن أبدأ باليوم الآخر عند اليهود ثم بعد ذلك عند النصارى ثم بعد ذلك عند المسلمين ، ولكن بعد البحث آثرت أن أبدأ أولاً بالإسلام ثم بعد ذلك بالنصرانية ثم بعد ذلك باليهودية ، وذلك لأن هناك بعض واقعات اليوم الآخر لا توجد عند اليهود ولا عند النصارى فلو بدأت بما عند اليهود أولاً سأبدأ ببعض الواقعات من فراغ وأنتهى إلى واقعة فى الإسلام أتحدث عنها ، ولاحظت أن هذه الطريقة لن تمكننى من إجراء المقارنة على الوجه المرجو ، فعرضت الفكرة على الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم المشرف على الرسالة فوافقنى عليها ، وأصبحت فصول الرسالة ومباحثها على الترتيب الحالى . أبدأ بالإسلام باعتباره الدين الذى اشتمل على واقعات اليوم الآخر وتفصيلاته ، ثم أعرض للتصور النصرانى وأبين مدى الاتفاق أو الاختلاف مع الإسلام ، وكذلك الأمر فى التصور اليهودى . فالإسلام هو المحور الذى أرتكز عليه وأحتكم إليه عند اختلاف ما عند النصارى واليهود مع ما جاء به الإسلام .

وأخيراً فهذا ما وفقنى الله إليه فى عرض اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية ، فإن كنت قد أصبت فأسأل الله أن يتقبل هذا الجهد خالصاً لوجهه ، وأن يكفر به عنى من سيئاتى ، وإن كنت قد أخطأت فالكمال لله وحده ، وأسأل الله أن يعطينى أجر المجتهد .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت .. وإليه أنيب .

المؤلف

مدخل

اليوم الآخر فى الديانات الوضعية

ويشمل :

المبحث الأول : اليوم الآخر عند المصريين القدماء .

المبحث الثانى : اليوم الآخر عند الهنود « البراهمة » .

المبحث الثالث : اليوم الآخر عند الفرس .

تمهيد

اليوم الآخر فى الضمير البشرى

بالبحث والتنقيب فى ديانات البشر القديمة وعقائدهم الماضية وُجد أن الاعتقاد بخلود النفس سمة عامة وقاعدة مشتركة بين الأمم كلها . يقول الأستاذ « سيد قطب » : « إن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام قد تضمنت عقيدة اليوم الآخر مع تضمنها لوحدانية الله سبحانه »(١) .

فكل الأمم التى وجدت على ظهر الأرض منذ أن استخلف الله آدم فيها كانت تعرف شيئا عن الله ، وكذلك تعرف المصير الذى ينتهى إليه أفرادها ، وهذا ما تدل عليه البحوث الحديثة .

تثبت الدراسة المقارنة للأديان أنه وجد — حتى عند بعض القبائل المنعزلة — حسّ دينى ، يدفعهم إلى المناقشة والتفكير فى أسئلة مثل : لماذا وُلدنا ؟ وما هو الهدف من حياتنا ؟ وما هى الغايات التى نخدمها ونسعى إليها ؟ وأين ستذهب بعد الموت ؟

يقول الدكتور « دراز » : « إن الحقيقة التى أجمع عليها مؤرخوا الأديان هى أنه ليست هناك مجموعة إنسانية بل أمة كبيرة ظهرت وعاشت ، ثم مضت دون ان تفكر فى مبدأ الإنسان وفى مصيره وفى تعليل ظواهر الكون وأحداثه »(٢) .

وهنا نجد أن القرآن الكريم يذكر أنه ما من أمة إلا وأرسل الله إليها نبياً ينذرهم ويعلمهم تعاليم الله التى على رأسها وحدانية الله وعقيدة اليوم الآخر .

ولكنَّا نجد أن كثيرا من الأمم يعرض عندهم اليوم الآخر فى صورة غير واضحة

---

(١) مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٤ للأستاذ سيد قطب ، الطبعة السادسة الناشر دار المعارف ١٩٨٠

(٢) الدين ص ٣٤ — الدكتور / محمد عبد الله دراز الناشر مطبعة السعادة ١٩٦٩ م .

وليست على الصورة التى جاء بها أنبياء الله إلى تلك الأمم . والسبب فى ذلك أنه كان يحدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة ، فيخلطوا بها أوشابا[1] من الوثنية وتصوراتها السابقة على الرسالات السماوية أو اللاحقة .

ومن هذه الأوشاب الخليطة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة . وهذا ما يجده الدارس فى كثير من الأصول العقائدية والأخلاقية التى أتت بها الرسالات السماوية لهذه الأمم .

وسوف نعرض فيما يلى :

* تصور الديانة المصرية القديمة لليوم الآخر والتفصيلات المختلفة التى اعتقدها المصريون القدماء .
* تصور اليوم الآخر عند الهنود وبخاصة من بين طوائفهم « البراهمة » .
* تصور اليوم الآخر عند الفرس .

وذلك وفقاً للترتيب التاريخى .

وسوف نقتصر فى هذا التمهيد على هذه الديانات الوضعية الثلاث باعتبار أنها استوعبت اعتقاد كثير من البشر فى فترات طويلة من التاريخ بما يصلح مدخلا لتقديم دراسة مقارنة عن :

« اليوم الآخر فى اليهودية والنصرانية والإسلام » .

* * *

(١) الأوشاب : الأوباش والأخلاط واحده وشب انظر القاموس المحيط ج ١ ص ١٤٢

المبحث الأول

اليوم الآخر عند المصريين القدماء

كانت عقيدة الخلود تحتل مكاناً كبيراً فى نفوس المصريين ، إذ أنه لا يكاد يوجد مصدر تاريخى عن المصريين القدماء إلا وفكرة الخلود والحياة بعد الموت تحتل مكان الصدارة فيه ، لما لهذه الفكرة من أهمية بالغة . يقول المؤرخ اليونانى « هيرودوت » : « إن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس »[1] .

ويعلق صاحب كتاب الأدب والدين على عبارة « هيرودوت » بقوله : « وعبارة « هيرودوت » تشرحها الأعمال الدينية التى قام بها المصريون استعداداً ليوم الحساب ، فلقد كانوا يعتقدون بخلود النفس بعد الموت ، وورد فى النصوص المنقوشة على الأهرام والتى يرجع تاريخها إلى الأسر الأولى « أن النفس خالدة لا تموت أبدا » ، وفى كتاب الموتى أن الميت يقول « أنا لا أموت مرة ثانية فى العالم الثانى » .... »[2] .

ونحن مع هيرودوت فى أن المصريين اعتقدوا بخلود النفس ولكن لسنا معه فى أنهم أول الشعوب الذين اعتقدوا فى الحياة الآخرة لأمرين :

الأمر الأول : أن المصريين ليسوا أول الشعوب التى وجدت على ظهر الأرض .

الأمر الثانى : أنه ما من أمة إلا وأرسل الله فيها نذيراً يعلمهم العقائد الأساسية التى منها عقيدة اليوم الآخر يقول تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾[3] . اللهم إلا إذا كان المؤرخ اليونانى يقصد أول الشعوب التى وصل إليه خبرها ودرس عقائدهم .

يقول « وول ديورانت » فى معرض حديثه عن الديانة المصرية القديمة : « وكان أهنم ما يميز هذا الدين توكيده فكرة الخلود » [4] .

---

(١) نقلاً عن الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠١ للأستاذ / أنطون ذكرى أمين المتحف المصرى ـــ الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها . الطبعة الأولى ١٩٢٣ .

(٢) نفسه ص ١٠٧   (٣) فاطر ٢٤ .

(٤) قصة الحضارة ـــ الجزء الثانى المجلد الأول ص ١٦٢ ـــ ترجمة محمد بدران .

والذى يقرره « ديورانت » يؤكده « أدولف أرمان » بقوله : « لئن كان الشعب المصرى يختلف فى شيء عن غيره من الشعوب فإنما ذلك فى العناية التى كان يوجهها إلى موتاه »[1].

ويعتبر الشيخ « أبو زهرة » أن أروع ما فى العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم بالحياة الأخرى ، وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية ، فقد كانت الدنيا فى نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود ، بل إن دنيانا ليست إلا ممراً إلى ذلك الخلود[2] . ولا يعنى ذلك أنهم أهملوا الحياة الدنيا وتركوها ، كلا ؟ بل إن فكرة الحياة الآخرة سيطرت عليهم تماما . ومهما يكن من شيء فإن التاريخ نقل لنا صورة خلود النفس عند المصريين أوضح من سائر الأمم الأخرى .

وإن تغلغل عقيدة الخلود فى نفوس المصريين هو ما يفسر لنا سر اهتمامهم بكل ما من شأنه أن يخلد ذكراهم أو يساعد فى ظنهم على حفظ أجسادهم للحياة الأخرى ، ولذلك يعزو صاحب كتاب الأدب والدين المقابر المصرية القديمة إلى أنه « ليس حب التظاهر والكبرياء هو الذى جعل الأقدمين يصنعون قبوراً خالدة وأجساداً غير قابلة للمحو والزوال ، وإنما السبب الحقيقى هو اعتقادهم فى خلود النفس وفى الحياة الآخرة »[3] .

وهو تعليل مقبول إلى حدٍّ ما ، إلا أننا لا نستطيع أن نلغى حب التظاهر والكبرياء من تفكيرهم أثناء اهتمامهم بتلك الأشياء ، بدليل أنهم فى فترة مبكرة جداً فى تاريخهم كانوا يدفنون موتاهم فى مقابر متواضعة قبل الأهرامات ومقابر الملوك .

يقول « الأنبا يؤانس » فى حديثه عن اليوم الآخر لدى المصريين : « وليست الأهرامات ومقابر الملوك والأمراء هى الدليل على ذلك ، بل إن المصريين منذ فجر التاريخ اعتقدوا فى البعث والخلود ، فقد اكتشف العلماء مقابر منذ فجر التاريخ ووجدوا أن المصريين كانوا يدفنون الميت فى تلك الفترة المبكرة جداً من تاريخهم فى وضع القرفصاء ، ركبته قرب ذقنه ، وهو الوضع الذى يكون عليه الجنين فى بطن أمه »[4].

---

(١) ديانة مصر القديمة ـــ نشأتها وتطورها ونهايتها . تأليف أدولف أرمان ـــ ترجمة الدكتور / عبد المنعم بكر وآخرون ـــ الناشر مصطفى البابى الحلبى .

(٢) مقارنات الأديان القديمة ـــ الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦ الناشر دار الفكر .

(٣) الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠٧

(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ٢٨ .

ويستخلص « الأنبا يؤانس » من طريقة دفن المصريين القدماء موتاهم بهذا الوضع بأنه تعبير قوى على البعث ، وأن الإنسان سيحيا ثانية كما خرج من أحشاء بطن أمه(١)

والذى أريد أن أصل إليه هو أن المصريين اعتقدوا فى البعث ودفنوا موتاهم فى فجر تاريخهم بطريقة تشعر بأنه سوف يحيا ثانية ، ولما تقدموا وتطورت حضارتهم أدخلوا عنصر التظاهر وحب الفخر والكبرياء مع اعتقادهم بالخلود والحياة الأخرى ، فبنوا الأهرام وتركوا لنا هذه الآثار التى يقف الإنسان أمامها مبهورا من روعة بنيانها ، ولا يمكن أن يكون المقصود منها حفظ الأحياء فقط ولكن إظهار القوة والفخر والكبرياء .

الأسس التى قامت عليها فكرة الحياة الآخرة عند قدماء المصريين :

قبل أن نتحدث عن التفصيلات التى نقلت إلينا عن المصريين القدماء من ناحية تصورهم للبعث والحساب والميزان وكيفيته ، والنعيم والعذاب نحاول أن نلقى الضوء على الأصول التى بنوا عليها الاعتقاد بالحياة الأخرى .

أولا : إرسال الرسل :

فى التصور الإسلامى نجد أن المصريين القدماء كجماعة بشرية عمرت الأرض فترة من الزمان ، وكأمة من الأمم ، أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، والقرآن الكريم يجزم بذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ (٢) .

والنص القرآنى يوضح أنه ما من أمة إلا وجاء إليها نذير أى نبى أو رسول يعرفهم بالله وأنهم سيرجعون إليه ليجازيهم عن أعمالهم . ويعتقد أن المصريين كأمة من الأمم أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، وعقيدة اليوم الآخر من الأصول التى يأتى بها كل رسول ، ولذلك فإن عقيدة المصريين فى الحياة الآخرة مصدرها الوحى من الله عز وجل ، وبتقادم الزمن نسى الناس العقيدة الصحيحة وانحرفوا عنها منقصين منها أو زائدين عليها ، ولكن الأصل عندهم مرجعه إلى الوحى . ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام دعا المصريين إلى الوحدانية وإلى اليوم الآخر . يقول تعالى على لسان يوسف ﴿ **إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم**

---

(١) نفسه .

(٢) فاطر ٢٤ .

وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾[1] .

ويعلق الأستاذ « سيد قطب » على هذه الآية بقوله :« وذكر الآخرة هنا فى قول يوسف يقرر أن الإيمان بالآخرة كان عنصرا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعاً منذ فجر البشرية الأولى ، ولم يكن الأمر كما زعم علماء الأديان المقارنة أن تصور الآخرة جاء إلى العقيدة بجملتها متأخرا . لقد جاء إلى المعقائد الوثنية الجاهلية متأخراً فِعْلاً ، ولكنه كان دائماً عنصراً أصيلاً فى الرسالات السماوية الصحيحة »[2] .

ويقول الشيخ « أبو زهرة » : « ويظهر أن صدى دعوة يوسف استمر أجيالا يعمل فى النفوس المصرية »[3] . فهناك تعاليم من الله على لسان الرسل ، وانحراف من الناس عن هذه التعاليم .

ثانياً : مظاهر الحياة الدنيا :

يذهب بعض الباحثين إلى أن الذى حدا بالمصريين لكى يعتقدوا فى الحياة الأخرى أن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الخير والشر والبر والفاجر ، وكثيرا ما نرى فى هذا المعترك الشر ينتصر على الخير والفساق على الأبرار ، فلو لم يكن هناك يوم كله للخير وكله على الشر ، يحاسب في المسيء على إساءته ويكافأ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهى ، فمن العدالة أن يكون يوم آخر يكون للأبرار على الفجار ، وللأطهار لا للأشرار ، وأن تكون الحياة الباقية لينتصر فيها الخير وينتصف فيها من الشر[4] . وهذا الرأى يرجع إلى الأساس الأول وأقصد به التعاليم التى جاءت إلى المصريين عن طريق الرسل إذ لا يمكن أن تكون مظاهر الحياة والصراع بين الخير والشر هو الذى ولّد فكرة الحياة الأخرى عندهم ، ذلك لأن الدين هو الذى يحكم على الأشياء بالخيرية أو الشرية ، والوحى هو الذى رسخ هذه الفكرة فى نفوسهم

---

(١) يوسف ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) فى ظلال القرآن ص ١٩٨٨ ج ٤ للأستاذ / سيد قطب ــ الناشر دار الشروق الطبعة الثامنة ١٩٧٩

(٣) الديانات القديمة ص ٨ .

(٤) الديانات القديمة ص ١٦ ، ١٧ .

تفصيلات ما بعد الموت

أولا : البعث :

اهتم المصريون بالبعث وما بعده اهتماماً شديداً ، لدرجة أنهم ألّفوا كتاباً سموه « كتاب الموتى » ، أودعوا فيه الأشياء التى إذا فعلها الميت ينجو من العذاب . يقول « وول ديورانت » : « وكان أهم ما يميز هذا الدين توكيد فكرة الخلود ، فالمصريون يعتقدون أنه إذا أمكن أن يحيا النيل ، ويحيا النبات كله بعد موتهما فإن فى مقدور الإنسان أيضا أن يعود إلى الحياة بعد موته » (١) .

ولكن المصريين رغم اعتقادهم بفكرة البعث وسيطرتها عليهم تصوروها بصورة حسية ساذجة ، فهم يتضورون أن الميت حتماً يحيا ويحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء من طعام وشراب . يقول الشيخ « أبو زهرة » : « وكانوا يعتقدون أيضاً أن الميت أو روحه فى العالم الآخر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء فى هذه الدنيا من طعام وشراب وما إلى ذلك من طعام الأحياء فى الدنيا » (٢) .

وتعليقنا على ما أورده « ديورانت وأبو زهرة » يبرز أمرين :

الأمر الأول : أن اعتقاد المصريين بالبعث بعد الموت عقيدة سماوية ، لا جدال فى ذلك بعد الذى أوردناه من الآيات القرآنية التى تثبت إرسال نذير لكل أمة من الأمم .

الأمر الثانى : أنه بتقادم عهد الرسول كانت تختلط العقيدة السماوية بالأوشاب الوثنية فتضيف أشياء إلى العقيدة الصحيحة أو تنقص أشياء أخرى ، كما فعل المصريون فى تصورهم لتفصيلات ما بعد الموت .

ثانيا : الحساب والجزاء :

كما اعتقد المصريون فى الحياة بعد الموت اعتقدوا كذلك فى الحسب والجزاء ، يقول الدكتور « غلاب » : « فالمصريون هم أول قوم اعتقدوا ترتب الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية » (٣) . ولا يأتى اعتقادهم هذا إلا بناءً على إيمانهم بالحساب والجزاء ، فكانوا

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثانى ــ المجلد الأول ص ١٦٢ .

(٢) الديانات القديمة ص ١٧ .

(٣) الفلسفة الشرقية ص ٥٨ الدكتور / محمد غلاب بدون تاريخ .

يعتقدون بالحساب على ماقدمه الإنسان فى الدنيا والجزاء عليه ، إن خيراً فخير وإن شرا فشر ، وإن كنا لا نميل إلى تعبير الدكتور « غلاب » السابق ، لأن المصريين كما نعلم من التاريخ ليسوا أول الشعوب التى اعتقدت باليوم الآخر ؛ إذ أن الاعتقاد باليوم الآخر جزء أساسى فى دعوة الرسل ، واعتقاد المصريين بالحساب عقيدة سماوية ، ولكن صورته صورة حسية ساذجة ، وقد ورد فى كتب المصريين القدماء تفصيل الحساب والمحاكمة . يقول « أنطون ذكرى » : « يظهر الإنسان فى الحال بعد الموت أمام محكمة « أسوريس »(١) لمحاسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السيئات ليلقى الجزاء العادل »(٢) .

والمصريون يتصورون محاسبة الميت أمام المحكمة على الوجه التالى : « يرأس أسوريس الإلـٰه الصالح محكمة العدل الكبرى فى تاووس ، قائماً فى صدر القاعة المكلل سقفها بالقناديل وعلامات الحق ، وأمامه أحفاده أبناء « حوريس » وآلهة أربعة أركان العالم ، ومعهم إثنان وأربعون قاضياً بعضهم برؤوس بشرية ، وبعضهم برؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم سيف لقتل الخاطىء ، ووظيفتهم ملاحظة مايظهر فى كفتى الميزان الذى يزن الحسنات والسيئات ، ومراقبين ذلك بكل دقة ، وتطبيق نتيجتها على أقواله ، وأما « أسوريس » وحشى يدعى باللغة المصرية « عمعم » أى المفترس ، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد ، تراه متحفزا إذا رجحت كفة ميزان الخطايا »(٣) .

تلك صورة المحاكمة التى اتفق عليها ـــ مع بعض الاختلاف فى الألفاظ ـــ معظم من كتب عن المصريين القدماء(٤) .

دفاع الميت عن نفسه :

يدافع الميت عن نفسه ليثبت أنه كان طاهراً أمينا ويعدد بعض الصفات الحميدة

---

(١) لعلها أزوريس لأن كل الكتب تثبت ذلك .

(٢) الأدب والدين عند المصريين ص ١٠٧ .

(٣) الأدب والدين ص ١٠٧ ـــ وإنما اقتصرت على ما أورده أنطون ذكرى لأنه يعتبر متخصصاً فى الديانة المصرية القديمة ، وطبيعة عمله ساعدته على الاطلاع على كثير من الأسرار والمعلومات التى لم تتح لغيره ، إذ أنه كان يعمل أميناً للمتحف المصرى .

(٤) انظر على سبيل المثال ـــ قصة الحضارة ـــ الجزء الثانى من المجلد الأول ص ٢٦٤ وانظر كذلك ديانة مصر : نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ وانظر كذلك الديانات القديمة ص ١٧ ، ١٨ ومقارنة الأديان اليهودية والإسلام ص ٤٩ ـــ وقصة الديانات ـــ سليمان مظهر ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

وينسبها إلى نفسه لعله ينجو أمام المحكمة وترجح كفة حسناته .

يقول الشيخ « أبو زهرة » : « وقد خاض المؤرخون فى بيان الفضائل التى كانت تعد فضائل فى نظر المصريين فى هذا المقام ، وقوام هذه الفضائل سلبى ،ودعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس »(١) .

يقول « ديورانت » : « ومن الطرق الأخرى أن تعلن الروح براءتها من الذنوب الكبرى فى صورة اعتراف سلبى »(٢) ويعلق ديورانت على هذا الاعتراف بقوله : « وهذا الاعتراف من أقدم وأنبل ماعبر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية »(٣) .

وقد أورد كثير من الكُتَّاب الاعتراف الذى ننقله عن كتاب الأديان القديمة فى الشرق نص دفاع الميت : « سلام عليك أيها الإلٰه العظيم ، صاحب الحق ، إنى جئت إليك يارب خاضعاً أمامك لأعاين مجدك ، إنى أعرف اسمك وأسماء الاثنين والأربعين قاضيا الجالسين معك فى قاعة الحق والعدل ، لقد أتيت لك يا إلٰهى بالحق متخلياً عن كل خطيئة ، فإنى لم أظلم أحدا ، ولم أحنث فى يمينى ، ولم أشته امرأة قرينى ، ولا مال غيرى ، ولم أكذب قط ، ولم أخالف الأوامر ، ولم أبع القمح بثمن باهظ ، ولم أطفف الكيل ، ولم أقتنص طيور الآلهة ، ولم أطارد حيواناتها ، ولم أصطد الأسماك المقدسة من بحيراتها ، ولم أخالف نظام الرى ، ولم أتلف الأرض الزراعية ، ولم أكن قوالاً ولا نماما ، أنا طاهر ، وبما أنى مبرأ من الذنوب فأرجو أن أكون من الفائزين »(٤) .

وإن هذا الدفاع وما يحويه من فعل للفضائل واجتناب للرذائل يعطينا صورة واضحة عن الأخلاق ومدى الالتزام بها عند قدماء المصريين ، ومن عجيب الأمر أن « ديورانت » يتناقض مع نفسه تناقضًا واضحاً عندما يقول تارة عن اعتراف الميت أمام القضاة بأنه « من أقدم وأنبل ما عبَّر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية »(٥) ، ثم يعود مرة أخرى فيسلب

---

(١) الديانات القديمة ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) قصة الحضارة الجزء الثانى من المجلد الأول ص ٢٦٤ .

(٣) نفسه .

(٤) الأديان القديمة فى الشرق ص ٢٧١ الطبعة الثانية ١٩٨٣ ـــ وبإمكاننا أن نرد كل هذه للفضائل التى عددها الميت فى دفاعه عن نفسه إلى الإسلام بمعنى أن كل هذه الأشياء من الأوامر وليست من ابتكارات العقل المصرى القديم .

(٥) ديورانت ـــ قصة الحضارة ـــ الجزء الثانى ـــ المجلد الأول ص ٢٦٤ .

الأخلاق عن المصريين ، ويزعم أن الدين لم يهذب أخلاقهم ، فيقول : لقد كان الدين فى مصر من فوق كل شىء ومن أسفل منه ، فنحن نراه فيها فى كل مرحلة من مراحله ، وفى كل شكل من أشكاله من الطوطم إلى علم اللاهوت ، ونرى أثره فى الأدب وفى نظام الحكم وفى الفن وفى كل شىء عدا الأخلاق »[1] .

ثالثا : الميزان وصدور الحكم :

من التفصيلات التى أوردها لنا من كتبوا عن المصريين القدماء : الميزان الذى توزن به أعمال الميت الحسنة والأعمال السيئة « ثم يعرض على الميزان والمعبودة « معت » ممثلة الحق والاستقامة جاثية فى كفته اليمنى ، وقلب هذا الإنسان فى كفته اليسرى رمزاً لأعماله ، وهو المنوط به بتأدية الشهادة عليه »[2] .

وتكون استقامة لسان الميزان أو عدم استقامته الدليل على صلاح الميت أو فساده « فإذا كان المتوفى صادقا فى دفاعه استقام لسان الميزان »[3] وحينئذ يحكم للميت بالبراءة ، « وإذ اتضح أن المتوفى من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة ، وأن قلبه وكل أعضائه طاهرة نطق « أسوريس » الإله الأبدى بالحكم النهائى فيقول له : فليخرج الميت فائزًا من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء وتفتح له أبواب الجنة ، ولتزفه جميع الآلهة ولا تتعرض له حراس السماء »[4] .

فإذا كان الميت شريرًا فإن حكم « أزوريس » عليه هو قوله : « اذهب أيها الشرير إلى الجحيم لتلاقى أشد العذاب ، وأمر النكال ، وأنتم أيها القضاة ،اقتلوه بسيوفكم ، وتغذوا الآن من لحمه ، واشربوا من دمه ، وأنتن أيتها الأرواح الشريرة اضربنه بالحديد وأحرقنه بالنار ، وأنت يا عمعم الوحش المفترس ، قَطِّعه إربا إربًا[5] وتغذّ من أحشائه . فليفن جسدك أيها الخاطىء ، ولتعدم نفسك ، وليشطب اسمك من سفر الحياة ، قد جعلتك غنيمة للأفاعى ،وفريسة للوحوش الضارية . وأنتم يا زبانية جهنم اسحبوه على وجهه إلى

---

(١) نفسه ص ١٥٥ .
(٢) الأدب والدين ص ١١١ ، ١١٢ .
(٣) نفسه ص ١١١ .
(٤) الأدب والدين ص ١١١ ، ١١٢ .
(٥) الإرب جمعه آراب وهو العضو ، وقطعته إرباً إرباً : أى عضواً عضواً ــ الرائد تأليف جبران مسعود ــ ص ٧٣ ــ دار العلم للملايين ١٩٦٥ بيروت .

الجحيم ،واقطعوا رأسه على خشبة المصّار ، ومزقوا جسمه كل ممزق ، وألقوه فى أتون[1] النار[2] .

رابعا : مكافأة النفس ومجازاتها :

الجنة والنار :

إن الإيمان بالحياة الآخرة عند المصريين تضمن الإيمان بالجنة والنار اللتين يجازى الميت فيهما ، « فالمصريون القدماء يعتقدون بخلود الروح ، ويعتقدون بالثواب والعقاب والجنة والنار ، وهى عقائد فطرية من جانب ، ثم هى بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر فى فترات تاريخها الطويل »[3] .

ونجد الجنة عندهم كالدنيا من ناحية المأكل والمشرب والملبس ، غير أنها تختلف عن الدنيا بأنها خالية من البؤس والشقاء ، « أما الجنة فإنهم يرون أن الحياة فيها تشبه الحياة الدنيا من حيث الأكل والشرب والأولاد ، ولكنها تخالف الدنيا بأنها باقية خالدة »[4] .

وقد ورد طرف من نعيم الجنة الذى يتنعم به الميت بعد صدور الحكم بالبراءة من الذنوب بأمر الإله « أزوريس » ، بأن يقدم لذلك الميت « المؤونة والقرابين والشراب ، وليعط ثيابًا من الكتان الجيد ، وليرد له قلبه ، ولتوهب له حياة جديدة ،وليجلس عن يمينى فى الفردوس السماوى »[5] .

إن النعيم حسى كما هو واضح من النصوص المصرية القديمة ، وذلك التصور للنعيم تختلف صوره ، فبينما نجده فى بعض النصوص مقصورًا على الطعام والشراب ، نجده فى البعض الآخر يتمثل فى الحرية والزرع والحصد ، وتصور بعض هذه النصوص الميت الذى حكم ببراءته بأنه « يدخل ويخرج فى العالم السفلى ، ويسكن حقل ياور ،ويقيم وقتًا فى حقل الطعام ذلك المكان الفسيح ذى الرياح الكثيرة ، حيث هو هناك قوى ممجد ،

(١) الأتّون بالتشديد : الموقد وقيل حجارة تقام وتوقد فيها النار التى تصيّر الحجارة كلًا والعامة تخففه ــ مختار الصحاح ص ٤ للإمام الرازى طبعة دار المعارف بمصر وانظر الرائد ص ٣٠ .

(٢) الأدب والدين ص ١١٢ ــ وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام .

(٣) الأديان القديمة فى الشرق ص ٢٧١ ــ دار الشروق ١٩٨٣ ــ الطبعة الثانية .

(٤) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٤٩ .

(٥) الأدب والدين ص ١١٢ .

وحيث يحرث ويحصد ويشرب ويحب ويفعل سائر ما كان يفعل على الأرض »[1] .

هذا عن الجنة ونعيمها . أما عن مكانها فإن المصريين القدماء اختلفوا فى تحديد مكانها ، فذهبت الدولتان القديمة والوسطى إلى أنها تحت الأرض أو خلف الجبل الغربى ، حيث مغرب الشمس ، أو فى جزيرة السعداء فى البحر الأبيض المتوسط ،فلهم فى ذلك مذاهب عدة[2] .

عذاب النار :

بعد أن يحاسب الإنسان أمام المحكمة ينطق الإله أزوريس بالحكم ، فإذا كان من الأشرار يقول له . اذهب عنى أيها الشرير إلى الجحيم . وهناك يلقى أشد العذاب الذى يتمثل فى قتل الأشرار الذين حكم عليهم أزوريس ، وأكل السباع من لحومهم ،وهناك وحش مفترس يأمره أزوريس بافتراس الأشرار وتقطيعهم قطعا متناثرة ، وهناك ما يسمى بالزبانية يسحبون الأشرار على وجوههم إلى الجحيم ، ويقطعون رؤوسهم ، ويمزقون أجسادهم ،ولا يقتصر الأمر عند عذاب الوحوش والزبانية ، ولكن يأمر القضاة الذين حكموا عليه بكونه من الأشرار أن يقتلوه بسيوفهم ، ويتغذوا من لحمه[3] .

. وهكذا نجد الأشياء التى يخشاها الإنسان فى الدنيا هى من بين الأشياء التى يهدد بها بعد الموت إذا كان شريرًا ، ومن صور العذاب للأشرار أنهم لا يدخلون مملكة « أزوريس » ، ولا يدخل الموتى الذين يخفقون فى هذا الامتحان « أى محاكمة الموتى » فى محكمة أزوريس ، « وفى هذا حد الكفاية من البؤس والشقاء ، لأنهم يظلون فى مقابرهم يضنيهم الجوع والعطش »[4] .

ولعل أبلغ تعبير عن تصوير البعث والحساب عند المصريين ما ذكره الدكتور « عمارة نجيب » بقوله : « فالإيمان بالبعث والحساب حقيقة دينية ، وصلت إلى المصريين عن طريق دين صحيح ، لولا أن عبث بها الفكر الإنسانى البشرى ، وخالطها التحريف فحوَّل صورة البعث إلى خيال بشرى ، وقضية على مستوى الإدراك الحسى للبشر ،نزلت من مستوى الإدراك الإيمانى السامى إلى هذه الصورة التى عرضت ، وهى صورة ناقصة تدل

---

(١) ديانة مصر نشأتها وتطورها ص ٢٦٠ .
(٢) الأدب والدين ص ١١٣ .
(٣) مقارنة الأديان ص ٥٠ بتصرف .
(٤) ديانة مصر القديمة ـــ نشأتها وتطورها ص ٢٥٩ .

على عجز العقل ــ حين يكون وحده بلا وحى ــ عن الوصول إلى حقائق هذه الأمور »[1] .

وبعد استعراض اليوم الآخر عند المصريين القدماء يمكن للباحث أن يخرج بهذه النتائج :

١ ــ أن فكرة الحياة بعد الموت أو اليوم الآخر عند المصريين تعبر عن عقيدة راسخة ، وترجع فى أصلها إلى وحى ورسالة كانت لدى المصريين ، ذلك أن المصريين كغيرهم من الأمم أرسل الله لهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، وهؤلاء الرسل كان لهم الفضل الأكبر فى تذكير المصريين بالحياة الأخرى ، ونعرف من هؤلاء الرسل إبراهيم ويوسف عليهما السلام ، فقد هاجر إبراهيم إلى مصر ،وعاش فيها فترة ، وتولى يوسف خزائنها فترة كبيرة .

٢ ــ أنه بتقادم الزمن امتزجت عقيدة اليوم الآخر عندهم بكثير من التصورات البشرية .

٣ ــ وجوب تحليل الباحث للنصوص وردِّها إلى التصور الإسلامى ، وعدم الاعتماد على وجهة نظر الكتاب الغربيين أو الشرقيين ، الذين يردون كثيرا من المعتقدات الدينية عند المصريين إلى نبوغهم الفكرى ، وسبقهم العقلى ، بعيدا عن المصدر الأساسى لتلك العقائد وهو الوحى الذى رحم الله به الأمم فأرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ،يقول تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك بالحقِّ بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾[2] ويقول تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[3] .

* * *

(١) الإنسان فى ظل الأديان ص ٧٢ ــ الدكتور / عمارة نجيب ــ الناشر المكتبة التوفيقية ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ م .
(٢) فاطر ٢٤ . (٣) النحل ٢٦ .

المبحث الثانى

اليوم الآخر عند الهنود

كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن الحياة الأخرى عند قدماء المصريين ، نقرر هنا ما أورده الدكتور « دراز » فى كتابه الدين بقوله : « إن الحقيقة الكبرى التى أجمع عليها مؤرخو الأديان هى أنه ليست هناك جماعة إنسانية ــ بله أمة كبيرة ــ ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر فى مبدأ الإنسان ومصيره ، وفى تعليل ظواهر الكون وأحداثه »(١) .

والمصير الذى تفكر فيه الأمم إنما هو حالة الإنسان عندهم بعد الموت وثوابه وعقابه ، والهنود من الأمم التى فكرت فى مبدأ الإنسان ومصيره ، وعللت ظواهر الكون وأحداثه . وسوف نقتصر فى هذا المدخل على « البراهمة » ــ أقدم الديانات الهندية ــ محاولين الإشارة إلى عقيدتهم فى تصورهم للحياة بعد الموت ، ومصير الأرواح ، وعلاقة الجزاء بالعمل والثواب والعقاب .

أولا : علاقة العمل بالجزاء :

يعتقد الهنود الذين يدينون « بالبراهمة » أن : « جميع أعمال البشر الاختيارية التى تؤثر فى الآخرين خيراً كانت أو شراً لابد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب ، طبقاً لقاموس العدل الصارم ، فنظام الكون إلهٰى قائم على العدل المحض ، وأن العدل الكونى قضى بالجزاء لكل عمل ، وأن فى الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء ، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله ، ويكون الجزاء فى هذه الحياة »(٢) .

واتخذ هذا الاعتقاد عندهم صورة قانون عام ، لا ينفك عن الإنسان بحال من الأحوال ، وقرر الكهنة الهنود أن هناك قانوناً للحياة يقول : جزاء الخير الخير مثله ، وعقاب الشر شر مثله وهذا القانون اسمه « الكاراما »(٣) .

---

(١) الدين ص ٣٤ للدكتور / محمد عبد الله دراز ــ الناشر مطبعة السعادة ١٩٦٩ م .

(٢) أديان الهند الكبرى ص ٦٢ الدكتور أحمد شلبى .

(٣) الكاراما معناها العمل ، وهى فى هذه الحالة معناها العمل الذى لابد منه فى الحياة فهناك ناموس جامد للعلة =

وهذا الاعتقاد هو الذى ولد عند الهنود عقيدة التناسخ ،« فعقيدة الهندى فى أن كل عمل له جزاء جعلته يعتقد بتردد الأرواح فى الأجسام حتى تكفر ما عليها »[1] .

ثانياً : تناسخ الأرواح :

يعتبر التناسخ للأرواح هو السمة المميزة لعقيدة الهنود .يقول « البيرونى » : « كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والإسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يك منها ، ولم يعد من جملتها »[2] .

والتناسخ عند الهنود معناه : أن الروح لا تفنى بعد الموت ، وإنما تحاسب بأن تعود مرة أخرى لتلبس جسداً آخر ، جزاء لها على ما عملت من حسنات ، أو اقترفت من سيئات . وقد نقل لنا « البيرونى » فى كتابه : « تحقيق ما للهند من مقولة » حواراً بين اثنين من الهنود ، يتّضح من خلاله عقيدتهم فى الروح ، ومصيرها بعد الموت .يقول « البيرونى » : « حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم فى هذا الباب . قال « باسديو لأرجن » يحرضه على القتال وهما بين الصفين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ولانحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه ، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة ، وإنما تتردد فى الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التى عقباها موت البدن ثم العود . وقال له : كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود ، لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تيبسها ، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق نحو آخر ليس كذلك ، كما يستبدل اللباس إذا خلق . فما غمك لنفس لا تبيد ، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود ، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت ، وكل ميت عائد وليس لك من كلا الأمرين شىء إنما هما إلى الله الذى منه جميع الأمور »[3] .

= والمعلول ، وللعمل والجزاء . أديان العالم حبيب سعيد ص ٧٩ .

(١) قصة الديانات ــ سليمان مظهر ص ٥٥ .

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٩ لأبى الريحان بن أحمد البيرونى . الناشر عالم المكاتب ــ الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

(٣) المرجع السابق .

ويظهر من النص السابق بقاء الروح وعدم فنائها بعد الموت « ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه »[1] . فهم يعتقدون فى رجوع الروح ، ولكنه رجوع إلى أى شيء ، إنساناً أو حيواناً أو نباتاً لتستقر فيه ، جزاءً على أعمال صاحبها . وعقيدة رجوع الروح هذه جعلتهم لا يكترثون كثيراً بالحياة ، وجعلتهم يستعذبون الموت ولا يخافون منه « كيف ينكر الموت من عرف أن النفس أبدية الوجود »[2] ، ولكن الشيء الذى تستقر فيه الروح لا يتجدد إلا بعد معرفة النفس هل هى شريرة أم خيرة ؟ وبناء على معرفتها ومحاسبتها يتجدد الشيء الذى تحل فيه ، ومن هنا كان اعتقادهم فى الحساب .

ثالثاً : الحساب عند الهنود :

كما تصور المصريون القدماء الحساب تصور الهنود أن الحساب على الأعمال يكون بعد الموت مباشرة وكذلك الجزاء ، ويعتقد الهنود « أن الإنسان إذا مات ذهب به « زامـون » وهو من الزبانية إلى مجتمع القضاء ، ويحمله مع المجتمعين فيه قائد مأمور إلى « أتيرس » ، فأما النفس التى تشتهى الجسد ، أو كان عملها شيئاً غير عدل ومشتهية بالأنفس القائلة هربت من هناك وتحيزت فى كل نوع إلى أن يمر عليها أزمنة ، فيؤتى بها ضرورة إلى السكن الذى يشبهها »[3] .

والمسكن الذى يشبه تلك النفس السيئة هو أن تردد « فى النبات وخشاش الطير ومرذول الهوام وقذرها من القمل والدود »[4] .

وأما النفس التى تبين أنها طاهرة « فإنها تصادف مرافقين وقواداً آلهة ، وتسكن الموضوع الذى ينبغى »[5] . والسكن الذى ينبغى لمن استحق الاعتلاء والثواب من الأنفس هو « أن يصير كأحد الملائكة مخالطاً للمجامع الروحانية غير محجوب عن التصرف فى السماوات والكون مع أهلها »[6] .

ولا شك لدينا أن فكرة الحساب والثواب والعقاب مصدرها الوحى عند كل الأمم **﴿ وإنْ من أمةٍ إلّا خلا فيها نذير﴾**[7] .

---

(1) نفسه .
(2) نفسه .
(3) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤٠ .
(4) نفسه ص ٤٧ .
(5) نفسه ص ٤٧ .
(6) نفسه
(7) فاطر ٢٤ .

ولا شك أيضاً أن الهنود كأمة من الأمم جاءها نذير من الله بالأصول العقائدية التى يأتى بها جميع الأنبياء ، ومن ضمن تلك الأصول الإيمان بالبعث والجزاء .

والنصوص التى عرضتها عن الحساب والثواب والعقاب ـــ كما يقول الدكتور « عمارة نجيب » ـــ « قد انحدرت وتراجعت فى العقيدة الهندية حتى صارت على هذا النحو ، فالموجود منها الآن صورة مشوشة لعقيدة البعث والإيمان بالجزاء الصحيح »(١) .

رابعاً : الجنة والنار :

قد يتبادر إلى الذهن بعد أن استعرضنا عقيدة البراهمة فى تناسخ الأرواح أنه لم يكن عندهم جنة ولا نار ، ولكننا وجدنا أنهم يعتقدون فى الجنة ، ويعددون الجهنميات ، وهذا على حد تعبير الدكتور « عمارة نجيب » « مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة » (٢) .

يشرح « البيرونى » عقيدتهم فى الجنة والنار فيقول : « المجمع يسمى « لوك » والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة ، فيسمى العالم الأعلى « سفرلوك » وهو الجنة ، والعالم الأسفل « تاكلوك » أى مجمع الحيات وهو جهنم ، ويسمى أيضاً « تركلوك » وربما سموه « ياتال » أى أسفل الأرضين ، وأما الأوسط الذى نحن فيه فيسمى « مارلوك » ، « مانشرلوك » ، أى مجمع الناس ، والأوسط للاكتساب ، والأعلى للثواب ، والأسفل للعقاب ، وفى هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل ، والكون فى كل واحدة منهما للروح مجردة من البدن ، وللعاجز عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم « لوك » آخر ، يسمى « ترجلوك » ، وهو النبات والحيوان غير الناطق يتردد الروح فى أشخاصهما بالتناسخ ، إلى أن ينتقل إلى الإنس على تدريج من « أدون المراتب » (٣) النامية إلى عليا المراتب الحساسة وكونها فيها على أحد وجهين .

الأول : إما لقصور مقدار المكافأة عن محلى الثواب والعقاب .

الثانى : وإما لرجوعها إلى جهنم . فعندهم أن العائد إلى الدنيا من الجنة متأنس فى أول حالته ، والعائد إليها من جهنم متردد فى النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان » (٤)

(١) الإنسان فى ظل الأديان ص ١٩٦ ـــ الناشر المكتبة التوفيقية .

(٢) نفسه ص ١٩٦ .

(٣) لعلها أدنى .

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤٦ ، ٤٧ .

والنص يعنى أن العائد من الجنة تحل روحه فى إنسان ، أما العائد إلى الدنيا من جهنم فهو يتردد فى مرتبة أدنى من الإنسان كالنبات والحيوان مدة معينة ، حتى تكفر عنه سيئاته ، فيرتقى إلى مرتبة الإنسان . أما مقدار مكث الأرواح الخيرة فى الجنة فتكون مدة كانت الأرواح فيها مثل المدة التى فعلوا فيها الخيرات ، وتركوا المنكرات . أما الأرواح الشريرة فتنتقل إلى جهنم وهى المنزلة السفلى ثم بعد استيفاء الأرواح الخيرة مدتها فى المرتبة العليا تنتقل إلى الإنسان ، وكذلك الأرواح الشريرة بعد استيفاء مدتها فى جهنم ، تنتقل إلى الحيوان أو النبات أو الإنسان ثم تتدرج وتنتقل إلى مرتبة أعلى .

وهنا يأتى التساؤل عن الشرير ، هل ينال جزاءه فى جهنم ثم يعود إلى الدنيا فى جسد حقير ؟ ولماذا يرجع إلى الجسد الحقير إذا كان قد نال جزاءه فى جهنم ؟ ومرد هذا التخبط يرجع إلى التدخل الفكرى البشرى القاصر على الوحى الإلهى الكامل .

ويلاحظ أن البراهمة لا يكتفون بجهنم واحدة ، ولكنهم يعددون الجهنميات ، وأكثر من ذلك يرون أن لكل ذنب جهنم خاصة به . يقول « البيرونى » : « وهم من جهة الأخبار يكثرون عدد الجهنميات وصفاتها وأساميها ويقررون لكل ذنب منها محلا وقيل فى « يشن تيران » إنها ثمانية وثمانون ألفا » (١) .

ومن النصوص التى وردت عنهم يتبين أن الثواب والعقاب عندهم فى الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن ، ويكونان مؤقتين لأجل محدود لا دائمين (٢) .

حل التناقض بين التناسخ وبين الجنة والنار فى اعتقاد (البراهمة) :

ذكرنا من قبل عقيدة التناسخ عند الهنود ، وأنها سمة مميزة لهم كما يقول البيرونى ، وأن البراهمة بعقيدتهم فى التناسخ اعتبروا « أن الأرض دار جزاء وثواب » (٣) ورأينا عندهم نصوصا يذكرون فيها الجنة والنار والثواب والعقاب . وهذا الجمع بين التناسخ ووجود الجنة والنار « مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة »(٤) كما يقول الدكتور « عمارة نجيب » .

---

(١) نفسه .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦٢ للدكتور / عبد الواحد وافى الناشر ــ دار نهضة مصر ١٩٧١ .

(٣) أديان الهند الكبرى ص ٦٥ .

(٤) الإنسان فى ظل الأديان ص ١٩٦ .

وأميل إلى أن البراهمة لم يجمعوا بين عقيدة التناسخ والجنة والنار فى وقت واحد ، وإنما كان اعتقادهم فى الجنة والنار أولا ، مع عقيدتهم فى الوحدانية ، ومما هو جدير بالذكر أن الهنود كانت عقيدة الوحدانية متغلغلة فى نفوسهم . يقول « ماكس مولر » الثقة الحجة فى اللغات الآرية : « أيا كان العصر الذى تم فيه جمع الأناشيد المسطورة فى الرجفيدا فقبل ذلك العصر كان بين الهنود مؤمنون بالله الأحد الذى لا هو بذكر ولا بأنثى ، ولا تحده أحوال التخصيص من قيود الطبيعة الإنسانية ، وارتفع شعراء الفيدا فى الواقع إلى أوج إدراكهم لكنه الربوبية لم يترق إليه مرة أخرى غير أناس من فلاسفة الإسكندرية المسيحيين ، لكنه فوق هذا لا يزال أرفع وأعلى مما يطيف بأذهان قوم يدعون أنفسهم بالمسيحيين »[1] .

وهكذا يتفق العلماء فى نتائجهم مع ما قرره القرآن الكريم من أن الناس كل الناس فى ضمائرهم اعتراف بالله الأحد ، وأن الرسل جاءوا إلى أممهم بالدعوة إلى الوحدانية والإنذار باليوم الآخر .

ثم بتقادم الزمن انحرف الناس عن العقيدة الصحيحة إلى التصورات المنحرفة ، وكانت أمة الهند من تلك الأمم التى انحرفت عن الوحدانية وعن عقيدة اليوم الآخر .

* * *

---

(١) الله ـــ كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية ص ٧٥ الأستاذ / عباس محمود العقاد الناشر دار المعارف بمصر ـــ الطبعة السادسة ١٩٦٩ .

المبحث الثالث

اليوم الآخر عند الفرس

اعتقد الفرس كما اعتقد المصريون والهنود فى حياةٍ أخرى بعد الموت ، يحاسب الإنسان فيها على أعماله ويجازى ، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر . يقول « الشهرستانى » : « ومسائل المجوس كلها تدو على قاعدتين اثنتين :

الأولى : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة .

الثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة . وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معاداً[(١)] .

والأصل الثانى وهو المعاد اشترك فيه الفرس مع غيرهم من الأمم ، فقد « كانت البلاد الفارسية مسرحاً لكثير من الديانات ، شأنها شأن الأمم التى شاركت فى بناء اللبنات الأولى فى الحضارة الإنسانية كالهند ومصر وبابل وآشور »[(٢)] . وبعض هذه الديانات كما سبق أن أوضحنا عند المصريين والهنود احتلت فيها عقيدة الحياة الأخرى مكاناً بارزاً . وكانت ديانة الفرس أيضاً من الديانات التى احتلت فيها عقيدة الآخرة ذلك المكان البارز الواضح .

ويذهب الأستاذ « العقاد » إلى أن الفرس تأثروا بالمصريين والهنود فى عقيدة البعث والجزاء ، يقول : « ولعلهم جمعوا بذلك بين عقيدة الهند فى نهاية العالم وعقيدة المصريين فى محاسبة الروح ووزن أعمالها فى موقف الجزاء »[(٣)] . ولكن الأمر ليس أمر تأثر وتأثير فحسب بين الحضارات المصرية والهندية والفارسية كما يذهب العقاد لوجود بعض أوجه الشبه بين عقائدهم ، وإنما هذا التشابه فى التصور الإسلامى يرجع إلى إرسال الله رسلاً مبشرين ومنذرين إلى تلك الأمم ، وهو التعليل للتشابه بين عقيدة الفرس والمصريين والهنود فى الحياة الأخرى ، وذلك قبل أن تنحرف تلك العقائد عن الدين الصحيح . ويرجع هذا التشابه

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ص ٥٩ ج ٢ .

(٢) الله والإنسان ص ٢٣١ الأستاذ / عبد الكريم الخطيب .

(٣) الله : كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية أ . العقاد ص ٨٨ نشر دار المعارف .

أيضاً إلى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

تفصيلات ما بعد الموت :

أولا : حالة الروح :

إعتقد الفرس أنه « لابد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة تصفى فيها » (١) . وهذه القنطرة مهمتها أن تميز الأرواح الطيبة من الأرواح الخبيثة ، ولذلك « فإن الروح تهب عليها ريح إما معطرة إذا كان الميت خيراً ، وإما نتنة إذا كان شريراً ،فتحمل إلى موضع يلتقى فيه إمّا بفتاة جميلة ، وإما بعجوز مفزعة ، وليست الأولى فتاة حقيقيةولا الثانية عجوزاً حقيقية ، وإنما هى صورة أعمال الميت »(٢) .

ثانياً : الحساب :

اعتقد الفرس فى الحساب والميزان ، وهى أشياء مَن بقايا العقيدة الصحيحة ، ممزوجة بتصوراتهم البشرية ، فتصوروا أن هناك « معبراً للحساب والحكم الأخير ،وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم « ميتهرا » ، وهناك ينصب ميزان توضع فى إحدى كفتيه حسنات الميت وفى الأخرى سيئاته »(٣) ، وبناء على ترجيح إحدى كفتى الميزان يكونَ الثواب أو العقاب للميت ، ولعلنا نلاحظ أن تصور الفرس هو نفسه تصور المصريين القدماء ، وهذا يؤكد أن العقيدة فى أساسها واحدة لكل الأمم ، لأن النفس البشرية فطرت على الوحدانية ولوازمها من الاعتقاد فى الرجوع إلى الله بعد الحياة الفانية .

ثالثاً : النعيم والعذاب :

النار هى عذاب الذين اقترفوا السيئات ولم تثقل موازينهم فى الخير ، ولذلك اعتقد الفرس أن « الروح الخبيثة لا تستطيع أن تجتاز القنطرة ، فتتردى فى درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب »(٤) . هذا الجحيم الذى تسقط فيه الأرواح الخبيثة عبارة عن « جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً »(٥) ، أو هو عبارة عن « بحيرة متقدة بالنار ، يهوى فيها الذين زادت فى ثقل الميزان سيئاتهم عن حسناتهم »(٦) . ويعلل الشهرستانى سبب

---

(١) قصة الحضارة ج ٢ ص ٤٣٤ ـــ ترجمة محمد بدران .

(٢) الفلسفة الشرقية للدكتور : محمد غلاب ص ١٩٥ .

(٣) نفسه ص ١٩٦ .

(٤) قصة الحضارة ج ٢ ص ٤٣٤ .

(٥) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

(٦) أديان العالم ـــ حبيب سعد ص ١٦٦ .

عبادة المجوس للنار وتعظيمهم إياها « ظنهم أن التعظيم ينجيهم فى المعاد من عذاب النار »(١) . أما النعيم فالسماء هى الجزاء للذين فعلوا الخيرات « أما أنفس الأبرار الذين حرصوا على أحكام النبى(٢) ووصاياه فإنهم يجوزون سالمين إلى السماء(٣) .

وهناك رأى آخر يذهب إلى أن الأخيار « يذهبون إلى النور ،حيث يستقبلهم « أهورامازدا » بعد أن يمروا فى وسط العمل الصالح والقول الخير والفكر الطيبة ، وهناك يستمتعون فى كنف « مازدا » بالسعادة الأبدية »(٤) .

والسعادة الأبدية هى الجنة فى اعتقادهم ، وهذه الجنة تصوروها بصورة حسية ملموسة ، وجنة « زرادشت » تقع أقصى شرقى جبال « هيراميرازيته » ، ويرتفع الجبل متجاوزاً النجوم إلى عالم النور اللانهائى ، ويصل إلى جنة « أهورامازدا » فى منزل النغم وهو أم الجبال ، وقمته سابحة فى العزة الأبدية ، لا ليل ولا برد ولا مرض(٥) . ويعلق الدكتور « عبد الواحد وافى » على عقيدة الفرس فى الحياة بعد الموت ، مقرراً أن الفرس تؤمن باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار(٦) .

وهذه الأمور من بقايا العقيدة الصحيحة التى جاء بها الأنبياء إلى الأمم ومنهم أمة الفرس .

* * *

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٧٤ بهامش الفصل فى الملل والنحل لابن حزم الناشر مكتبة السلام العالمية .

(٢) يقصد المؤلف « زرادشت » ولسنا معه فى إطلاق لفظ النبى عليه ، لأنه لم يرد نص يوضح ذلك فضلاً عن أن « زرادشت »شخصية مختلف حول وجودها أصلاً عند كثير من الباحثين ـــ انظر الشيعة الغالية وتأثرها بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٥٤ للباحث فتحى الزغبى .

(٣) أديان العالم ـــ حبيب سعد ١٦٦ .

(٤) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

(٥) الأسفار المقدسة ص ١٤٦ ، ١٤٧ نقلاً عن القصة فى الأدب الفارسى .

(٦) الأسفار المقدسة ص ١٤٦ .

الفصل الأول

واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

ويشمل :

تمهيدا عن المقصود باليوم الآخر بين الأديان الثلاثة .

ثم المباحث التالية :

المبحث الأول : الموت .

المبحث الثاني : البرزخ .

المبحث الثالث : علامات الساعة .

المبحث الرابع : البعث .

المبحث الخامس : الحشر .

المبحث السادس : صحائف الأعمال .

المبحث السابع : الحساب .

المبحث الثامن : الصراط .

المبحث التاسع : الميزان .

المبحث العاشر : الحوض .

المبحث الحادى عشر : الشفاعة .

المبحث الثاني عشر : الجنة والنار .

المبحث الثالث عشر : رؤية الله .

الفصل الأول

واقعات اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

تمهيد

المقصود باليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : المقصود باليوم الآخر فى التصور الإسلامى

اليوم الآخر فى الإسلام له إطلاقان :

الإطلاق الأول :

يوم القيامة الذى تنتهى فيه الدنيا ، وتبدل الأرض غير الأرض والسموٰات . وهذا الرأى ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين . يقول الإمام الطبرى فى تفسيره لقول الله تعالى ﴿ **وبالآخرة هم يوقنون** ﴾(١) : « سميت آخرة لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق »(٢) ويفهم من تفسير الطبرى أن المراد بالآخرة يوم القيامة ، وما فيه من عجائب وغرائب . وأما الذى وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل إلى نبيه محمد ﷺ ، وما أنزل من قبله من المرسلين من إيقانهم به من أمر الآخرة ، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة(٣) .

وينقل عن ابن عباس تفسيره لقوله ﴿ **وبالآخرة هم يوقنون** ﴾(٤) أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك

---

(١) البقرة ٤ .

(٢) الطبرى ج ١ ص ٢٤٥ ــ تحقيق محمود محمد شاكر ــ أحمد محمد شاكر دار المعارف ط الثانية .

(٣) نفسه ٢٤٦ .

(٤) البقرة ٤ .

ويكفرون بما جاءك من ربك[1] .

والإمام الفخر الرازى عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر** ﴾[2] يقول :

« السؤال الثالث : ما المراد باليوم الآخر ؟ الجواب : يجوز أن يراد به الوقت الممدد الذى لا حد له ، وهو الأبد الدائم الذى لا ينقطع له أمد ، ويجوز أن يراد به الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة « الجنة » وأهل النار « النار » ، لأنه آخر الأوقات المحدودة ، وما بعده فلا حد له »[3] .

والإمام البيجورى يقول : « واليوم الآخر هو يوم القيامة ،وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح ، وقيل إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار »[4] .

هذا هو الإطلاق الأول ، الذى ذهب إليه جماعة من العلماء والمفسرين ، واليوم الآخر بهذا الإطلاق له أسماء كثيرة « فله نحو ثلاثمائة اسم » ، وهو يحتل تلك المرتبة العليا بعد الإيمان بالله ، إلى حد أننا قلما نجد سورة فى التنزيل إلا وللبعث واليوم الآخر فيها سهم وأى سهم .

الإطلاق الثانى :

يذهب بعض العلماء إلى أن اليوم الآخر يبدأ بالموت بالنسبة للإنسان ، ويستدلون بقول الرسول ﷺ : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه »[5] .

يقول الإمام ابن كثير : وفى بعض الأحاديث أنه عليه السلام سئل عن الساعة فنظر إلى غلام فقال : « لن يدرك هذا الهرم حتى تأتيكم ساعتكم »[6] .

ويشرح ابن كثير هذا الحديث بقوله : « والمراد انخراف قرنهم ودخولهم فى عالم الآخرة ، فإنّ كل من مات فقد دخل فى حكم الآخرة »[7] .

(1) نفسه .　(2) البقرة ٨ .　(3) تفسير الفخر الرازى ج ٢ ص ٦١ ، ٦٢ .

(4) تحقيق المريد شرح جوهرة التوحيد للإمام البيجورى ص ٢٢٠ ـــ طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية .

(5) نفسه وانظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج ١٦ . ٢٩٥٩ طبعة دار الشعب .

(6) الترمذى ج ٤ ص ٦٧٧ طبعة مصطفى الحلبى .

(7) النهاية فى الفتن والملاحم ج ١ ص ٣١ لابن كثير ـــ الناشر دار التراث ، والحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

ولا يتبادر إلى الأذهان أن المقصود بقول الرسول « حتى تأتيكم ساعتكم » اليوم الآخر على الإطلاق الأول الذى عرضناه ، لأن الساعة بهذا المعنى لا يعلمها إلا الله . يقول ابن كثير : « فأما الساعة العظمى وهى وقت اجتماع الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته »(١) .

واليوم الآخر الذى سندرسه على الصفحات القادمة ندرسه على الإطلاق الثانى الذى يبدأ بالموت وينتهى بالجنة أو النار . ويلاحظ أنه لا فرق بين الإطلاقين إلامن حيث عموم الإطلاق الثانى واشتماله على الموت كبداية للآخرة .

ثانياً : المقصود باليوم الآخر فى التصور النصرانى

يسمى النصارى الآخرة « بالاسخاتولجيا » ، وهى معنى مركب من كلمتين يونانيتين معناهما : « الكلام فى الآخرة ، أى الأمور المختصة بمستقبل النفس ونهاية العالم ، ومجىء المسيح الأخير والدينونة ونصيب الأبرار السماوى وقصاص الأشرار الأبدى »(٢) . ونلاحظ أن هذا الإطلاق يحدد الآخرة من نهاية العالم ومجىء المسيح ، أى القيامة الكبرى التى تبدأ بالبعث ومقدماته . ونفس الشىء يذكره « القس فهيم عزيز » يقول : « والمعنى التقليدى لهذا الاصطلاح « اسخاتولجى » هو التعليم عن الأشياء الأخيرة ، فتتضمن العقيدة المختصة بنهاية العالم أو مجىء المسيح ، والعقائد المختصة بمصير الأفراد الذين يموتون قبل نهاية العالم ، كالعقيدة المختصة بالسماء والجحيم والمطهر »(٣) .والإطلاق الذى ذكره القس فهيم عزيز نلاحظ أنه يدخل فيه أشياء مثل الموت والمطهر والسماء — وهذه أشياء تحدث للروح بعد الموت وقبل الآخرة — ومن الممكن أن نستنبط أن هذا يشبه الإطلاق الثانى عند المسلمين ، الذى يجعل الآخرة تبدأ من الموت بالنسبة للإنسان ، وهذا الإطلاق النصرانى الذى يجعل الآخرة تبدأ بالموت يؤيده ما ذكره الدكتور جميل صليبا فى تعريفه للآخرة . ورد فى المعجم الفلسفى تحت الآخرة ما نصه « موضع علم الآخرة هو البحث فى المسائل المتعلقة بنهاية العالم ومصير الإنسان من موت وبعث وجنة ونار »(٤) .

---

(١) النهاية فى الفِتَن والملاحم ج ١ ص ٣١ .

(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١١٦٧ تأليف لجنة من القساوسة — الناشر دار الثقافة المسيحية .

(٣) الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس ص ٣٩٧ الدكتور « القس فهيم عزيز » الناشر دار الثقافة .

(٤) المعجم الفلسفى للدكتور / جميل صليبا ج ١ ص ٢٧ الناشر دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢ .

وهذا الإطلاق عند النصارى للآخرة يشابه الإطلاق الثانى عند المسلمين للآخرة وسوف نعرض الآخرة عند النصارى طبقاً للإطلاق الثانى الذى يحددها من موت الإنسان وما يحدث له بعد ذلك ، وهو إطلاق يتضمن أيضاً البعث والجنة والنار ، وغير ذلك من مشاهد القيامة .

ثالثاً : المقصود باليوم الآخر عند اليهود

من الأمور البالغة التعقيد لدى الباحث الآخرة عند اليهود ، إذ أن الإشارات إليها تأتى عابرة مختلفاً حولها ، هل المقصود بالآخرة اليوم الذى يبعث فيه الناس للجزاء والحساب ؟ أو المقصود به يوم أخير بالنسبة لليهود وحدهم يستريحون فيه من الشقاء والحروب وينتصرون على أعدائهم ؟ ويذهب كثير من الباحثين إلى أن التوراة خالية من الإشارة إلى البعث والحساب والجزاء . يقول حبيب سعد : « من الغريب أنه بينما كان الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت من العقائد التى نادت بها أديان كثيرة فى القديم مثل أمة الفرس فإن أمة إسرائيل لم تلتزم بهذه العقيدة »[1] ويرى الدكتور ظاظا أن اليهود لم يفكروا فى الغيبيات إلا بعد أن تعرضوا للسبى البابلى ، ثم التشتت فى الأرض على أيدى الرومان[2] . ويحدد الدكتور ظاظا مفهوم الغيبيات الذى اتجه تفكير اليهود إليه ، فيذكر أن التفكير فى الغيبيات كان يتخذ اتجاهين محددين هما : نهاية العالم ، والخلاص على يد المسيح المنتظر[3] . ولكن جينبير يبين أن اليهود حين يتحدثون عن الآخرة لا يقصدون ما يقصده المسلمون أو النصارى . يقول شارل جينبير : وكان اليهود بإطلاقهم اسم آخرة الأيام أو نحو ذلك ، لم يكونوا على أدنى شبه بما استعمله المسيحيون أو المسلمون الذين يؤمنون بالآخرة ، وبأنها قريبة جداً ، فاليهود يسخرون منها ، ويرون أنها بعيدة جداً ، ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبرى « أحرنيت هيّاميم » التى معناها آخر الأيام أو الآخرة ، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئاً ، لا على عهد موسى ، ولا على عهد القضاة على الأقل فى النص الموجود بين أيدينا[4] . وإذا كانت أسفار موسى الخمسة وكذلك أسفار الأنبياء لا تعطينا تحديداً دقيقاً لليوم الآخر عند اليهود ، فإن مفكرى اليهود وعلمائهم نجد عندهم تصريحاً بالإيمان بالبعث والآخرة . يقول سعديا الفيومى : « إن إحياء الموتى الذى عرفنا ربنا أنه يكون فى دار الآخرة للمجازاة فذلك

(١) أديان العالم حبيب سعد ص ١٩٤ .

(٢) الفكر الإسرائيلي أطواره ومفاهيمه ص ١٠٩ .

(٣) نفسه ١٠٩ / ١١٠ .

(٤) انظر الفكر الدينى أطواره ومفاهيمه ص ١١١ / ١١٢ ففيه تلخيص لرأى جنيبير .

مما أمتنا مجمعة عليه »[1] . فهذا نص يبين أن البعث يجمع عليه اليهود ، ولكن يخرق الإجماع الذى يزعمه سعديا الفيومى أن هناك فرقاً يهودية تنكر البعث ولا تؤمن به ، من هذه الفرق (الصدوقيون)[2] . والذى يهمنا فى نص سعديا الفيومى أن هناك تحديداً للآخرة ، وهى تكون ببعث الأحياء من الموت للجزاء . وموسى بن ميمون من علماء اليهود يقول : « أنا أومن إيماناً كاملاً بقيامة الموتى فى الوقت الذى تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن ، وإلى أبد الآبدين» [3]. ونص ابن ميمون يتفق مع نص سعديا الفيومى فى أن الآخرة تبدأ من قيامة الأموات ، أى من البعث والنشور ، واليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يقرون بالقيامة والآخرة التى تبدأ بتبدل الأرض غير الأرض والسموٰات .. روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : « وجاء حبر إلى النبى ﷺ فقال : يامحمد أو يا أبا القاسم ، إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال والشجر على أصبع ، والماء على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له ، ثم قرأ ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموٰات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾[4] .

وهذه النصوص سواء لسعديا الفيومى ، أو لابن كمونه أو لليهود على عهد رسول الله ﷺ يمكن أن تعطى تحديداً للمقصود بالآخرة عند اليهود التى تبدأ من قيام الأموات للبعث وتبدل الأرض والسموٰات ، وسوف نزيد الأمر وضوحاً عند الحديث عن البعث عند اليهود .

* * *

(١) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ لسعديا الفيومى طبعة لندن ١٨٨٢ موجود فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧ لاهوت .

(٢) انظر على سبيل المثال قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ والموسوعة النقدية للفلسفية اليهودية ص ١٣٥ وانظر الأسفار المقدسة وغيرها كثير .

(٣) نقلاً عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .

(٤) صحيح مسلم ج ٢ ص ٥١٥ طبعة عيسى الحلبى ، الزمر ٦٧ .

المبحث الأول

الموت بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً : الموت فى التصور الإسلامى

حقيقة الموت :

إن الموت حقيقة واقعة يراها البشر جميعاً أمامهم ، تختلف أسبابه ، ولكن حقيقته واحدة ، وهى انقطاع الإنسان عن الحياة الدنيا وانتقاله إلى عالم آخر غير العالم الذى كان يعيش فيه ، ويعرفه العلماء بتعريفات كثيرة(1) تدور حول انقطاع تعلق الروح بالبدن فيذكر القرطبى تعريف العلماء له بأنه « ليس بعدمٍ محض ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته والحيلولة بينهما »(2) .

وورد فى التعريفات للسيد الجرجانى تعريف الموت بأنه « صفة وجودية خلقت ضداً للحياة »(3) . ويعرفه ابن مسكويه بأنه « ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الأعضاء التى يسمى مجموعها بدناً كما يترك الصانع آلاته »(4) .

ويربط الإمام الجوينى بين تعلُّق الروح بالبدن وبين الحياة وبين مفارقة الروح للبدن وبين الموت ، فيقول : « والأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة متشابكة للأجسام المحسوسة ، أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها ، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة »(5) .

---

(1) يذهب البعض إلى تعريف الموت بأنه إماتة الشهوات ، ويسمون ذلك الموت الإرادى أو الموت الروحى ، ولما كان غرضنا من البحث الحديث عن الموت بمعناه البدنى رأينا الاقتصار على التعريفات التى تتحدث عن الموت بمعناه المتعارف لدى الجميع وهو مفارقة الإنسان للحياة . انظر التعريفات للسيد ص ٢١١ وانظر تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٧٧ وانظر المعجم الفلسفى ج ٢ ص ٤٤١ ــ ٤٤٢ .

(2) التذكرة بأحوال الموتى والآخرة ج ١ ص ١ للإمام القرطبى . تحقيق الدكتور أحمد حجازى ــ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ م .

(3) التعريفات للسيد الجرجانى ص ٢١١ الناشر البابى الحلبى ١٩٣٨ .

(4) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٧٥ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط الثانية .

(5) الإرشاد للإمام الجوينى ص ٣٧٧ تحقيق د . محمد يوسف موسى ، عبد المنعم على الناشر مكتبة الخانجى ١٩٥٠ .

وإذا كانت التعريفات التى ذكرتها كلها تجمع على أن الموت معناه مفارقة الإنسان للحياة الدنيا ، فإن التعريفات الطبية للموت تجمع على تلك الحقيقة . وإذا اختلفت فيما بينها على تحديد أسبابه فإنها تجمع على وقوعه للكائنات كلها ،فيعرفه العلماء والمحدثون بأنه « فقدان الجسم لفاعليته » وبأنه « انتهاء عملية الأجزاء التركيبية وتجمد الأنسجة العصبية »[1] .

وكل هذه التعريفات تجمع على أن الموت هو توقف الحياة عن الإنسان فى الدنيا . ولما كان هناك وجه شبه بين النوم والموت يحسن بنا أن نشير إلى الفرق بين ظاهرتى النوم والموت .

يقول الله تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمّىً إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[2] والمقصود من الآية والله أعلم : أن الله تعلى يتوفى الأنفس عند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى لحين موتها .

ويذكر الفخر الرازى ــ بتحليل دقيق ــ الفرق بين النوم والموت ــ بناء على كمال تعلق النفس بالبدن ــ فيذكر أن « النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحانى إذا تعلق بالبدن حصل ضَوْءُهُ فى جميع الأعضاء وهو الحياة ، فنقول : إنه فى وقت النوم ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ، ولاينقطع ضوءه عن باطن البدن ، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد ،إلا أن الموت انقطاع كلى والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه . وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبَّر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يقع ضوء النفس على البدن بالكلية ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة .

ثانيها : أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم .

ثالثها : أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت . فثبت أن الموت والنوم يشتركان فى كون كل واحد منهما توفياً للنفس ، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة فى

---

(١) الإسلام يتحدى ص ٧٢ ــ ٧٤ ــ للأستاذ / وحيد الدين خان ــ الناشر مكتبة القرآن .

(٢) الزمر ٤٢ .

صفات مغيبة ، ومثل هذا لا يصدر إلا عن القادر العليم الحكيم »[1] .

وبهذا التوضيح يتبين أن بين الموت والنوم شبهاً من جهة أن النفس ترتفع عن ظاهر البدن فى النوم ، ومن هنا نجد الإنسان فى النوم متخففاً من أثقال البدن[2] وتنتقل روحه إلى عالم آخر إلى حين اليقظة فترد روحه إليه ، ووجه المفارقة بين الموت والنوم أن النفس ترتفع عن البدن ظاهراً وباطناً عند الموت ، فتتنعم إن كان الميت من الصالحين وتتعذب إن كان من الطالحين[3] .

وبعد هذه التفرقة بين ظاهرة الموت والنوم يأتى هذا التساؤل هل الموت ظاهرة تعترى البدن أو النفس ؟

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا أن نبين المعانى المختلفة التى تطلق عليها النفس ، بخاصة وأنه قد مرَّ بنا عند تعريفنا للموت إطلاق النفس على الروح ، وترتب الموت على مفارقتها للبدن . يذكر شارح العقيدة الطحاوية وابن القيم فى كتابه الروح أن النفس تطلق على أمور ، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولها تارة ويختلف تارة أخرى ، فالنفس تطلق على الروح ، ولكن غالباً ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن ، أما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها ، وتطلق النفس على الدم ، ففى الحديث « مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه » ، والنفس تطلق على ذات الإنسان يقول الله تعالى ﴿ **فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبة** ﴾[4] وتطلق النفس على العين الحاسدة ، يقال أصابت فلانا نفس ، أى عين ، أما الروح فلا تطلق على البدن لا على انفراده ، ولا مع النفس ، وإنما تطلق على القرآن تارة ، يقول تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[5] وتطلق الروح على جبريل أيضا ، يقول تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾[6] وتطلق الروح تارة أخرى على ما يؤيد الله به أولياءه ، يقول تعالى : ﴿ **أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾[7] وتطلق الروح

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٦ ص ٢٨٤ وانظر روح المعانى للألوسى الجزء ٢٤ ص ٧ ـــ ٩ وانظر تهافت التهافت لابن رشد ص ٨٣٣ ـــ ٨٣٤ القسم الثانى .

(٢) انظر شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لابن الفرضى ٣٤٢ تحقيق أحمد محمد شاكر ـــ الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ .

(٣) سنتحدث عن هذا بالتفصيل عند الحديث عن عذاب القبر ونعيمه .

(٤) النور ٦١ . (٥) الشورى ٥٢ . (٦) الشعراء ١٩٣ . (٧) المجادلة ٢٢ .

على ما هو أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه[1].

أما عن الموت هل يقع على البدن أم على النفس بمعنى الروح ؟

فإن العلماء مختلفون فى ذلك . يقول ابن العز فى شرح العقيدة الطحاوية : « اختلف الناس هل تموت الروح فى النفس أم لا ؟ فقالت طائفة : تموت ؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت ، وقد قال تعالى : ﴿ **كل من عليها فانٍ . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[2] وقال تعالى :﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾[3] قالوا : وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت ، وقال آخرون : لا تموت الأرواح ، فإنها خلقت للبقاء ، وإنما تموت الأبدان ، قالوا : وقد دلت الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله فى أجسادها ، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب[4] .

وقد قال تعالى :﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾[5] هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وذاقت الموت »[6] . ونحن نرجح أن النفس بمعنى الروح باقية وأنها لا تفنى ولا تعدم .

وبعد أن بيّنا هذه الأمور بالنسبة للفرق بين النوم والموت ، وهل الموت ظاهرة تعترى البدن أو النفس ، وأوضحنا معنى موت النفس الذى ذكره الله فى القرآن ، نذكر عدة حقائق ركّز عليها القرآن الكريم بالنسبة للموت ، منها :

أولا : الموت عام لكل البشر :

يقول الله تعالى :﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى مالا تعلمون** ﴾[7] يقول ابن كثير : « ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت** ﴾أى صرفناه بينكم » ، وقال الضحاك : « ساوى فيه بين أهل السماء والأرض »[8] . ويقول عز وجل

---

(١) انظر شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص ٣٤٣ والروح لابن القيم ص ٥٥ .

(٢) الرحمن ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) القصص ٨٨ .

(٤) من هؤلاء ابن رشد الفيلسوف ــ انظر تهافت التهافت ص ٨٣٣ ــ ٨٣٤ القسم الثانى تحقيق الدكتور / سليمان دنيا ــ دار المعارف ــ الطبعة الثانية .

(٥) آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٦) الروح لابن القيم ص ٥٥ .

(٧) الواقعة ٦٠ ، ٦١ .

(٨) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٥ طبعة عيسى الحلبى .

﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** ﴾.(١) وهذه الآية تعنى أن الناس جميعا صائرون إلى الموت لا محالة ، ولا ينجو منه أحد كائنا من كان ، حتى رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون** ﴾(٢) والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة ، ولا ينجيه من ذلك شيء فالكل له أجل مُحَتَّم .

والله عز وجل حين يقرر فى القرآن الكريم أن الموت لابد وأن تذوقه كل نفس ولابد أن يقع على الجميع لا يقدم سببا لذلك سوى أن الله وحده هو الحى الذى لايموت وأن الموت مقدر على كل نفس سواه عز وجل .

هذا الذى يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون غير مايذهب إليه النصارى من أن « موت الإنسان كان نتيجة من نتائج السقوط فى الخطية ، وأن الإنسان حين يرتضى نعمة الله لا يحفظه شيء من الموت » (٣) .

ويستدل أحد علماء النصارى على عقيدة النصارى فى ترتب الموت على الخطية بفقرة فى سفر التكوين تقول : « إن آدم أبعد عن شجرة الحياة التى كانت تجعله خالداً ، أى أنه فقد نعم الخلود بابتعاده عن الله مصدرها ، ويعتبر أن الموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية ، فإن الله خلق الإنسان خالداً وصنعه على صورة ذاته »(٤) .

ثانيا : الموت والحياة بأمر الله وحده :

يقرر القرآن الكريم أن الموت لا يقع إلا بأمر الله .يقول الله تعالى ﴿ **والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير** ﴾ (٥).

أى أن الله بيده الخلق ، وإليه يُرجع الأمر كله ، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ، ولا يزاد فى عمره ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره .

---

(١) النساء ٧٨ . (٢) الأنبياء ٣٤ .

(٣) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٩٣ تأليف كوستلى يندلى وآخرين منشورات النور بيروت .

(٤) المصدر السابق ص ٩٣ ، ٢٧٩ ــ وسوف نناقش النصارى فى عقيدتهم تلك عند الحديث عن العلاقة بين الموت والخطية فى مفهوم النصارى .

(٥) آل عمران ١٥٦ .

ويقول الله تعالى: ﴿ **إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير** ﴾[1] .

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : « إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته ، وأنه هو الذى أحيا الخلق من العدم ، ثم يميتهم ، ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع »[2] .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة جدا توضح وتبين أن الموت بيد الله وحده ، منها قوله تعالى ﴿ **وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار** ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ **هو الذى يحيي ويميت فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾[4] . كل هذه الآيات تؤكد أن الموت والحياة بيد الله وحده ، وليس لبشر أيا كان قدرة على على موت أحد إلا بإذن الله وحده ، والذى يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون بخلاف ما عليه النصارى ، إذ يعتقدون أن الموت ليس من صنع الله ، ولا يسره هلاك الأحياء[5] . وقد ورد فى القرآن الكريم إضافة التوفى إلى الله تارة ، وإلى الملائكة تارة ، وإلى ملك الموت تارة أخرى ، فكيف نوفق بين هذه الآيات وبين ما يؤكد عليه القرآن الكريم من أن الموت بيد الله وحده ؟ يقول القرطبى : « إن قال قائل : كيف الجمع بين هذه الآى ، وكيف يقبض ملك الموت فى زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب ؟ قيل له : اعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئًا ، فتارة يضاف لملك الموت لمباشرته ذلك ، وتارة أخرى إلى أعوانه من الملائكه لأنهم قد يتولون ذلك أيضا ، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾[6] وقال ﴿ **وهو الذى أحياكم ثم يميتكم** ﴾[7]. وقال ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم** ﴾[8] فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره »[9] . وبهذا يزول ما يظن أنه تعارض بين آيات القرآن بعضها والبعض الآخر ، ويثبت أن الموت بأمر الله وحده ، وأن الذين أضيف إليهم التوفى من الملائكة أو ملك الموت فإنهم يتصرفون بأمر الله القادر على الموت وحده .

---

(١) ق ٤٣ . (٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٩ .
(٣) المؤمنون ٨٠ . (٤) غافر ٦٨ .
(٥) انظر مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٧٩ وما بعدها .
(٦) الزمر ٤٢ . (٧) الحج ٦٦ . (٨) الملك ٢ .
(٩) التذكرة للقرطبى ج ١ ص ٨٤ ـــ ٨٥ وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٩٩ .

ثالثا : أن لكل نفس أجلاً معلوما :

يقول الله تعالى ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون** ﴾(١) وأن ذلك الأجل المقدَّر لكل إنسان لا يعلم زمانه ولا مكانه إلا الله وحده . يقول الله تعالى : ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾(٢) يقول ابن كثير : « أى ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض فى بحر أو بر أو سهل أو جبل »(٣) ويروى حديثا عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال : « ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة »(٤) .

والقرآن الكريم وهو يتحدث عن الموت لا يذكر شيئًا عن الأشياء التى تسبب الموت ولكنه يصور عجز البشر عن رد الحياة لإنسان أراد الله له الموت .يقول تعالى ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذٍ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين** ﴾ (٥)، وهذه الآية تصور عجز البشر التام عن رد الحياة لإنسان قدّر الله له الموت . فالجميع من حوله وهم يعلمون أنه يحتضر ، ولكن لا يملكون أن يردوا النفس بعد أن بلغت الحلقوم إلى مكانها الذى لا يعلمه إلا الله ، وهى من أبلغ الآيات التى يتحدى الله بها البشر على قدرته وتصرفه فى خلقه .

وهنا نتطرق إلى مبحثٍ من الفائدة أن نذكره هنا ونحن نتحدث عن الأجل المعلوم الذى قدره الله لكل إنسان .

المقتول هل هو ميت بأجله أم لا :

يرى أهل السنة أن كل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله فى الوقت الذى علم الله حصول موته فيه أزلاً بخلقه تعالى من غير مدخليَّة للقاتل فيه ، وإنما القصاص يجب على القاتل للكسب . وعند أهل السنة أن المقتول لو لم يقتل لجاز فى ذلك الوقت أن يموت وأن لا يموت فيه ، لأنه لا اطلاع لنا على ما فى علم الله .

يقول إمام الحرمين فى الإرشاد : « إن كل من يقتل فقد مات بأجله ، والمعنى

(١) النحل ٦١ . (٢) لقمان ٣٤ . (٣) ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٥ .
(٤) نفسه ج ٣ ص ٤٥٦ . (٥) الواقعة ٨٣ — ٨٧ .

بذلك أن الذى قُتل عَلِم الله تعالى فى أزله مآل أمره ، وما علم أنه كائن فلابد أن يكون ، فإن من علم الله تعالى أنه يقتل فإنه يقتل لا محالة ، فإن قدِّر مقدِّر عدم القتل وقدر معه أن يكون المعلوم أنه لا يقتل فلا يمكن مع هذا التقرير القطع بامتداد العمر ولا القطع بالموت فى وقت القتل بدلاً منه ، بل كل جائز عقلا لا يمتنع تقديره ، فهذا ما لا يسوغ غيره ، وقد شهدت آى من كتاب الله تعالى على أن كل هالك مستوف أجله ، منها قوله تعالى ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾(١) وما ذهب إليه إمام الحرمين يؤكده الغزالى بقوله : « إن من قتل ينبغى أن يقال أنه مات بأجله ؛ لأن الأجل عبارة عن الوقت الذى خلق الله تعالى فيه موته ، سواء كان معه ضرر فيه أو كسوف قمر أو نزول مطر ، لأن كل هذه عندنا مقترنات وليست مؤثرات »(٢) .

والقاضى عبد الجبار من المعتزلة يرى « أن من مات حتف أنفه مات بأجله ، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضا ، ولا خلاف فى هذا ، والدليل عليه أن الأجل ليس المراد به هنا إلا وقت الموت ، وهما قد ماتا جميعا فى وقت موتهما »(٣) .

وبهذا يتبين أنه ليس خلاف بين القاضى عبد الجبار فى هذه المسألة وبين أهل السنة وإنما الخلاف بين القاضى عبد الجبار وبين بعض شيوخ المعتزلة — وبين بعض شيوخ المعتزلة وأهل السنة فى أنه لو لم يقتل كيف يكون حاله فى الحياة والموت ؟ .

يقول القاضى عبد الجبار : « الخلاف فى المقتول لو لم يقتل كيف كان يكون ؟ فعند شيخنا أبى الهذيل أنه كان يموت قطعا لولاه ، وإلا يكون القاتل قاطعا لأجله ، وذلك غير ممكن ، وعند البغدادية أنه كان يعيش قطعاً »(٤) .

ثم يبين القاضى عبد الجبار رأى جمهور المعتزلة(٥) فى تلك المسألة بقوله : « والذى عندنا أنه كان يجوز أن يحيا ويجوز أن يموت ، ولا يقطع على واحد من الأمرين ،

---

(١) النحل ٦١ ، انظر الإرشاد ص ٣٦٢ — ٣٦٣ بتصرف وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠٠ — ٢٠٢ .

(٢) الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ص ١٨٧ — الناشر مكتبة الجندى .

(٣) الأصول الخمسة : للقاضى عبد الجبار ص ٧٨٢ — الناشر مكتبة وهبة .

(٤) الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٨٢ الناشر مكتبة وهبة .

(٥) انظر مقالات الإسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٣٢٢ ، يذهب الأشعرى إلى أن أكثر المعتزلة على أن الأجل هو الوقت الذى فى معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل ، فإذا قتل قتل بأجله وإذا مات مات بأجله .

فليس إلا التجويز » (١) ويُفنّد صاحب الأصول الخمسة ما ذهب إليه أبو الهذيل بقوله : « وأما ما قاله أبو الهذيل فليس يصح ، لأن ذلك الأجل الذى لو لم يقتل فيه لبقى إليه أجل غير محقق ، فكيف يلزم أن يكون قاطعا لأجله » (٢).

ويستدل أهل السنة بقوله تعالى ﴿ **ولئن مُتّم أو قتلتم لإلى الله تحشرون** ﴾(٣) . فإن المقتول ميت بأجله ، والمعنى « ولئن متم من غير سبب أو قتلتم بسبب لإلى الله تحشرون » (٤).

ويستدلون أيضًا بقوله تعالى ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾(٥) على أن المقتول يسمى بالميت (٦) . وبعد عرضنا للأدلة يتبين لنا أن ما ذهب إليه أهل السنة هو الحق ، وأن الكثرة من المعتزلة يذهبون إلى أن المقتول ميت بأجله ، ولا يجزمون برأى فيما لو فرض عدم موت المقتول حين القتل ، كما ذهب إلى ذلك أهل السنة ، وأن من شذّ من المعتزلة فقد كفانا القاضى عبد الجبار مؤنة الرد عليهم وتفنيد أدلتهم .

رابعا : حال المؤمنين والكافرين ساعة الاحتضار والمآل الذى يصيرون إليه :

يصور القرآن الكريم حالة المؤمن وحالة الكافر عند خروج الروح أثناء الموت ، فالروح والريحان للمؤمن . يقول الله تعالى ﴿ **فأما إن كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾(٧) وهذه الآية تبين حالة المؤمن عند خروج الروح . والمآل الذى يصير إليه إن كان من المقربين أو كان من أصحاب اليمين .

والحميم والجحيم للكافر المكذب . يقول الله تعالى عن الميت ساعة خروج روحه ﴿ **وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم** ﴾(٨) . ويقول الله تعالى ﴿ **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا**

---

(١) الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٨٣

(٢) نفسه ص ٧٨٣ .

(٣) آل عمران ١٥٨ .

(٤) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠١ .

(٥) آل عمران ١٨٥ .

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٩ ص ١٢٥ .

(٧) الواقعة ٨٨ — ٩١ .

(٨) الواقعة ٩٢ — ٩٤ .

عذاب الحريق﴾[1] . ونفس المصير يتعرض له الظالمون عند خروج الروح . يقول الله تعالى ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾[2] .

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : « إن الكافر إذا احتضر بَشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم ، فتتغرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم »[3] .

وكما رأينا فإن القرآن الكريم يذكر عن الموت حقائق أساسية ؛ لئلا يضل الإنسان ، ولأن الموت بداية لرحلة طويلة يقطعها الإنسان فى عالم آخر يختلف عن الدنيا ، ومن هنا كثرت الإشارة إليه على النحو الذى ذكرنا .

ولأهمية الموت وما يقع بعده حث الرسولَ ﷺ المسلمين على تذكره والعمل لما بعده باعتبار أنه أمر لا مفر منه وأن تذكره يحفز للعمل لما بعده .

روى النسائى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر هاذم اللذات »[4] ويفسر القرطبى فى تذكرته هاذم اللذات فيقول « يعنى الموت »[5] .

وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر قال : كنت مع رسول الله ﷺ ، فجاء رجل من الأنصار ، فسلم على النبى ﷺ ثم قال : يا رسول الله أى المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقاً » قال : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس »[6] .

وهكذا نرى اهتمام الرسول ﷺ والقرآن الكريم بالموت والحث على ذكره والعمل لما بعده .

---

(١) الأنفال ٥٠ . (٢) الأنعام ٩٣ . (٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٠٧ .

(٤) رواه النسائى ص ٤ ج ٤ الناشر دار الفكر بيروت ــ الطبعة الأولى .

(٥) التذكرة للقرطبى ج ١ ص ١٤ .

(٦) رواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٢٣ ــ الناشر دار الفكر الحديث .

ولعلماء الإسلام استنباطات قيمة من القرآن الكريم فى أمر الموت ، ما بين معتبر إياه نعمة كبرى من النعم التى أنعم الله بها على الإنسان ، وما بين واقف عند بعض ألفاظ القرآن الكريم التى تعتبره مصيبة ، وعلى كل الأحوال فهو :

« مصيبة يصاب بها الإنسان ، ولا يقدر أن يدفعها عن نفسه ،ولا أن يدفعها أحد عنه ، وهو مع ذلك نعمة كبرى إذا كان قنطرة يعبر عليها الإنسان الصالح إلى الجنة » . يقول القرطبى فى التذكرة : « وهو ـــ أى الموت ـــ من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة فى قوله ﴿ **فأصابتكم مصيبة الموت** ﴾[1] فالموت هو المصيبة الكبرى والرزية العظمى »[2] هكذا يراه القرطبى ، وهو يقف فى نظرته تلك عند حدود ألفاظ القرآن الكريم التى تصف الموت بأنه مصيبة ، ولكن الراغب الأصفهانى فى كتابه « تفصيل النشأتين » ينظر إلى الموت على أنه نعمة أنعم الله بها على الإنسان ، يقول عن الموت : « فالموت باب من أبواب الجنة ، منه يتوصل إليها ، ولو لم يكن موت لم تكن جنة ، ولذلك منَّ الله به على الإنسان ﴿ **الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾[3] . فقدم الموت على الحياة تنبيها على أنه يتوصل به إلى الحياة الحقيقية ، وعدّه علينا نعمة ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾[4]، فجعل الموت إنعاماً ، لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليها إلا بالموت فالموت نعمة ، لأن السبب الذى يتوصل به إلى النعمة نعمة ، وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾[5] فنبه على أن هذه التغيرات خلق أحسن »[6] .

والذى ذهب إليه الراغب الأصفهانى يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه ، فقد دعا الرسول ﷺ أمته أن يدعو الواحد منهم ربه بهذا الدعاء الذى رواه الإمام البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيا للموت فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى »[7] .

---

(١) المائدة ١٠٦ .
(٢) التذكرة للقرطبى ج ١ ص ١ بتصرف يسير جداً
(٣) الملك ٢ .
(٤) البقرة ٢٨ .
(٥) المؤمنون ١٤ ـــ ١٦ .
(٦) تفصيل النشأتين ص ٦١ للراغب الأصفهانى نقلاً عن الله والإنسان ص ٢١٩ للأستاذ / عبد الكريم الخطيب .
(٧) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ـــ طبعة عيسى الحلبى .

وأيضا اعتبر رسول الله ﷺ أن الموت خير للمؤمن من الفتن .

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمود بن لبيد مرفوعا أن النبى ﷺ قال : « اثنتان يكرههما ابن آدم : الموت ، والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب »[1] .

والإمام الغزالى ينظر إلى الموت لا باعتباره هو ، ولكن باعتبار الشخص الذى يقع عليه الموت يقول فى كتابه « ميزان العمل » :

الناس عنده ـــ أى الموت ـــ ثلاثة أقسام :

الأول : ذو بصيرة علم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه ، وأن الإنسان وإن طال فى الدنيا مكثه فهو كخطفة برق لمعت فى أكناف السماء ثم عادت للاختفاء ، فلا يثقل عليه الخروج من الدنيا إلا بقدر ما يفوت من خدمة ربه عز وجل ، والازدياد من تقربه ، والإشفاق مما يقول أو يقال له ، كما قال بعضهم لما قيل له : لم تجزع ؟ قال : لأنى أسلك طريقا لم أعهده وأقدم على رب لم أره ، ولا أدرى ما أقول وما يقال لى . ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت »[2] فهذا الشخص فى نظر الإمام الغزالى لا ينفر من الموت بل أكثر من ذلك أنه « إذا عجز عن زيادة العبادة ربما اشتاق إليه »[3] .

الثانى : رجل ردىء البصيرة ، متلطخ السريرة ، منهمك فى الدنيا ، منغمس فى علائقها ، رضى بالحياة الدنيا واطمأن بها ، ويئس من الدار الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، فإذا خرج إلى دار الخلود أضرَّ به ـــ أى الموت ـــ كما تضر رياح الورد بالجعل[4] . وإذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلا ومصباح الملأ الأعلى ، فكان كما قال تعالى : ﴿ **ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾[5] .

الثالث : رتبة بين رتبتين . رجل عرف غوائل هذا العالم ، وكره صحبته ، ولكنه أنس به وألفه ، فسبيله سبيل من ألف بيتاً مظلماً قذرا ولم يَرَ غيره ، فهو يكره الخروج منه وإن كان قد كره دخوله ، فإذا خرج ورأى ما أعد الله للصالحين لم يتأسف على ما كره

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤٢٧ ـــ الناشر دار الفكر العربى .

(٢) ميزان العمل ص ١٦٣ للإمام الغزالى ـــ الناشر مكتبة الجندى . (٣) نفسه .

(٤) الجعل ـــ حيوان كالخنفساء يكثر فى المواضع الندية . المعجم الوسيط ج ١ ص ١٢٦ .

(٥) الإسراء ٧٢ .

فواته ، بل قالوا ﴿ **الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذى أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾[1] »[2] . بهذه النظرة الثاقبة استطاع « الإمام الغزالى » أن يبين موقف الشخص بالنسبة للموت ، فهو نعمة عظمى للرجل الصالح[3] لأنه يوصله إلى النعيم ، وهو مصيبة كبرى للرجل الطالح لأنه يوصله إلى الجحيم .

ومما تجدر الإشارة إليه سريعاً أن العلم الحديث بالرغم من تقدمه الهائل لا يستطيع أن يقدم تفسيرا لحدوث الموت ، ولا يستطيع أيضا أن يرد الموت عن إنسان أراد الله له الموت ، يقول الأستاذ وحيد الدين خان : « إن الذين لا يؤمنون بالعالم الثانى — الآخرة — يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالَما أبديا لأفراحهم . ولذلك بحثوا كثيرا عن أسباب الموت ؛ حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب من أجل تخليد الحياة ، ولكنهم أخفقوا إخفاقاً ذريعا . وكلما بعثوا فى هذا الموضوع رجع إليهم بعثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت وأنه لا مناص منه »[4] .

غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه :

من الأمور التى تترتب على الموت فى التصور الإسلامى : غسل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه .

يقول البغدادى فى أصول الدين : « للأموات ثلاثة أحكام ، منها حكم الكفن والمؤونة والغسل والدفن ، فأما حكم الكفن والمؤونة والغسل فإنه أول ما يبدأ به من رأس مال الميت قبل الديون والوصايا »[5] .

وغسل الميت واجب عند الجمهور ، يقول ابن حجر فى الفتح : « الجمهور على وجوبه ، وقد رد ابن العربى على من لم يقل بذلك ، وقد توارد به القول والعمل وغُسِّل الطاهرُ

---

(١) فاطر ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) انظر ميزان العمل ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٣) الإسلام يتحدى ص ٧٩ — ٨٠ للأستاذ / وحيد الدين خان — ترجمة ظفر الإسلام خان ، وانظر اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص ٦٢ للدكتور / عبد الغنى عبود .

(٤) الإسلام يتحدى ص ٧٩ — ٨٠ الأستاذ / وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان ،وانظر اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص ٦٢ د . عبد الغنى عبود .

(٥) أصول الدين للبغدادى ص ٢٠٠ — الطبعة الثالثة ١٩٨١ دار الكتب العلمية .

المطهَّر فكيف بمن سواه »[1] .

والدليل عليه ما رواه البخارى عن أم عطية الأنصارية رضى الله عنها قالت دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال : « اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك — إن رأيتن ذلك — بماء وسدرٍ ؛ واجعلن فى الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور ، فإذا فرغتن فآذِنَّنى » فلما فرغنا آذناه ، فأعطانا حقوه ، فقال أشعرنها إياه » . يعنى إزاره [2] .

والحديث يدل على وجوب الغسل للميت واستحباب تطييب الماء الذى يغسل به الميت . قال فى الفتح : « وظاهره جعل الكافور فى الماء ، وبه قال الجمهور ، وقال النخعى والكوفيون إنما يجعل فى الحنوط ، أى بعد انتهاء الغسل والتجفيف . قيل : الحكمة فى الكافور مع كونه يطيب رائحة الموضع لأجل من يحضر من الملائكة وغيرهم ، أن فيه تجفيفاً وتبريداً وقوة نفوذ وخاصية فى تصليب بدن الميت وطرد الهوام عنه ، وردع ما يتحلل من الفضلات ، ومنع إسراع الفساد إليه ، وهو أقوى الأراييح الطيبة ، ويجزىء كل رائحة طيبة غير الكافور »[3] وقوله ﷺ « أشعرنها إياه » أى اجعلن الإزار شعارها أى الثوب الذى يلى جسدها .

ويستحب المسارعة إلى تجهيز الميت إذا تيقن موته لأنه أصون له وأحفظ من أن يتغير . قال الإمام أحمد : كرامة الميت تعجيله لما رواه أبو داود أن النبى ﷺ قال : « إنى لأرى طلحة .. وقد حدث فيه الموت ، فآذنونى به وعجلوا فإنه لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرانى أهله » .قال صاحب المغنى : « ولا بأس أن ينتظر بها مقدار ما يجتمع لها جماعة لِمَا يؤمل من الدعاء له إذا صلى عليه ما لم يخف عليه أو يشق على الناس »[4] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤمن لا ينجس حياً ولا ميتا[5] . قال ابن عباس رضى الله عنهما : « المسلم لا ينجس حيا ولا ميتا » وقال سعد : « لو كان نجساً ما مسسته »[6] .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ج ٣ ص ٩٧ دار إحياء التراث العربى — الطبعة الثانية ١٩٨١ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) انظر فتح البارى ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) المغنى لابن قدامة أبى عبد الله بن أحمد بن قدامة ج ٢ ص ٤٥٢ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

(٥) بعكس ما نجد عند اليهود إذ يعتبرون أن الميت نجس وسنتعرض لهذا عند الحديث عن غسل الميت عند اليهود .

(٦) فتح البارى ج ٣ ص ٩٨ ، ٩٩ .

وهذا النفس ينفى على المؤمن كونه نجساً حقيقة ومجازاً .

تكفين الميت :

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كفن فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كرسف ، ليس فيهن قميص ولا عمامة(١) . ووجه الاستدلال بالحديث أن الله لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل ، والثلاثة الأثواب ليست شرطاً فى صحة الكفن ، وإنما يستحب ذلك ، وهذا ما عليه الجمهور (٢) ، ويجزىء ثوب واحد .

الصلاة على الميت :

أما الصلاة على الميت فقد فعلها الرسول ﷺ وحث عليها .

روى البخارى بسنده ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ : « قد توفى اليوم رجل صالح من الحبش فصلوا عليه ، فصففنا ، فصلى النبى ﷺ ونحن صفوف » (٣) .

وقد استدل الفقهاء بهذا الحديث على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد ، قال بذلك الشافعى وأحمد وجمهور السلف ، حتى قال ابن حزم : « لم يأت عن أحد من الصحابة منعه » (٤) .

وحث الرسول ﷺ على اتباع الجنائز والصلاة عليها .

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد الجنازة حتى يصلى فله قيراط ، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان » . قيل : وما القيراطان ؟ قال : « مثل الجبلين العظيمين » (٥) .

وهذا الحديث فيه بيان رأفة النبى ﷺ . ورحمته بأمته إذ أن شهود الجنازة والصلاة على الميت فيه ثواب وأجر للحى الذى يقوم بذلك ، وأيضا رحمة بالميت ، إذ كلما كثر الذين يصلون عليه كلما كان ذلك رحمة به ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ .

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٥ .

(٢) نفسه .

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٦ .

(٤) فتح البارى ج ٣ ص ٤٦ .

(٥) المرجع السابق ج ٣ ص ١٥٤ .

ثانياً : الموت فى التصور النصرانى

يقسم النصارى الموت إلى قسمين : الموت الجسدى الذى هو مفارقة الحياة ، والموت الروحى وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله .

ورد فى قاموس الكتاب المقدس تحت مادة الموت ما نصه :

« الموت ينقسم إلى : ما يصيب الجسد فقط دون النفس وإلى ما يصيبهما معاً »[(١)] وورد فى إنجيل « متى » : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم »[(٢)] وسوف نقتصر فى بحثنا هنا على الموت بمعناه الجسدى ، لأنه المقصود فى البحث ويعرف الموت الجسدى عند النصارى بأنه « انفصال النفس عن الجسد ، وعودة الجسد إلى التراب متحللاً إلى عناصره البسيطة »[(٣)] . ويعبر عن هذا الموت الجسدى للإنسان بتعبيرات مختلفة فى العهدين القديم والجديد أوردها علم اللاهوت النظامى . يعبر عن موت الإنسان الجسدى فى الكتاب المقدس بالانضمام إلى قومه[(٤)] ، وبالذهاب فى طريق الأرض كلها [(٥)] ، وبالانضمام إلى آبائه [(٦)] ، وبرجوع التراب إلى الأرض ، وبالنوم[(٧)] ، وبالموت [(٨)] ، وبنقض بيت خيمتنا الأرضى عند الرب [(٩)] ، وبالرقاد بيسوع [(١٠)] ، وبالانحلال [(١١)] وبالنزول إلى القبر [(١٢)] .

والموت الجسدى عند النصارى مترتب على خطيئة آدم « لابد من الموت لكل إنسان لأن آدم الإنسان الأول سقط فى الخطيئة »[(١٣)].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٩ تأليف لجنة من اللاهوت ـــ الطبعة السادسة ٨١ .

(٢) إنجيل متى ١٠ ـــ ٢٨ .

(٣) حقائق أساسية فى الإيمان المسيحى ص ٢٥٨ ـــ تأليف القس . فايز فارس ـــ الناشر دار الثقافة ـــ الطبعة الأولى .

(٤) سفر التثنية ٣٢ : ٥ (٥) القضاء ٢ : ١ . (٦) جامعة ١٢ ـــ ٧ .

(٧) يوحنا ١١ : ١١ . (٨) رسالة كورنفوس الثانية ٥ : ١ . (٩) كورنفوس الثانية ٥ : ٩ .

(١٠) سالة تسالونيكى ٤ : ١٤ . (١١) رسالة تيما شاوس الثانية ٤ : ٦

(١٢) علم اللاهوت النظامى ـــ لجنة من القساوسة ص ١١٦٧ ـــ الناشر دار الثقافة المسيحية .

(١٣) إيماننا الحى ص ٥٠٧ ـــ ٥٠٨ تأليف الأب دروبير كليمان اليسوعى . الأب أدمون تارزجى اليسوعى ـــ الناشر دار المعارف ١٩٦١ .

وورد فى رسالة رومية هذا المعنى ، وهو ترتب الموت على خطيئة آدم عليه السلام ، لأن الجميع معه ، « من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع »(١) .

مما سبق يتبين لنا أن الموت الجسدى سببه خطيئة آدم التى ورثها الناس عنه . يقول صاحب مدخل إلى « العقيدة المسيحية » : « لقد كانت نعم الله تكتنف الإنسان وتحفظه من الأمراض والموت ، أما وقد رفض هذه النعمة وتعرى عنها ، فلم بعد شىء يحفظه من الانحلال الذى تؤول إليه طبيعته إذا تركت وشأنها ، هذا ما عبر عنه الكتاب المقدس بقوله : « إن آدم أبعد شجرة الحياة التى كانت تجعله خالداً »(٢) أى أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها ، وبهذا المعنى قال الله لآدم : « تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود »(٣) . ويواصل المؤلف إستدلاله على أن الموت ليس من صنع الله فيقول : « فالموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية ، فإن الله خلق الإنسان خالدا ، وصنعه على صورة ذاته ، وكذلك ليس الموت من صنع الله ولا يسره هلاك الأحياء »(٤) .
وواضح من النص الذى نقلته عن صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية أنه يعتبر أن الإنسان خالد ، وأن آدم لو لم يخطىء لما مات ومات البشر من بعده ، ويعتبر أن الموت ليس من صنع الله ، لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورة ذاته خالدا أيضا ، والمحور الذى ترتكز عليه العقيدة النصرانية فى الموت : خطيئة آدم عليه السلام وترتب الموت لآدم وللبشر من بعده عليها ، وهذه المعانى تفيض بها الأناجيل وأعمال الرسل ، ورد فى رسالة رومية : « لأن أجرة الخطية هو موت وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا »(٥) .

وورد فى رسالة كورنثوس الأولى : « أما شوكة الموت فهى الخطية ، وقوة الخطية هى الناموس »(٦). ويفسر صاحب الكنز الجليل النص السابق بقوله : « أما شوكة الموت فهى

---

(١) رسالة رومية ٥ : ١٢ وانظر أيضاً ٩ : ٢٧ : ٢٨ ، يوحنا ٨ : ٢١ ، ٢٤ يوحنا : ١٩ : ٧ — ٨ ، يعقوب ١ — ١٥ .

(٢) سفر التكوين ٣ : ٢٢ .

(٣) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٩٣ وسفر التكوين ٣ : ١٩ .

(٤) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٧٩ .

(٥) رسالة رومية ٦ : ٢٣ .

(٦) كورنثوس الأولى ١٥ — ٥٦ .

الخطيئة ، لولا الخطيئة لم يكن للموت قوة على الإيذاء »[1]

النصوص السابقة والتى يقوم عليها اعتقاد النصارى تذهب إلى أن سبب الموت الخطيئة ، وهنا نجد اختلافا جوهريا بين التصور الإسلامى للموت والتصور النصرانى ، فالقرآن الكريم لا يقدم سبباً للموت سوى أن الله وحده هو المستحق للبقاء يقول تعالى ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾[2] .

والتساؤل الذى نطرحه هنا للنصارى بعد استعراضنا للنصوص التى تربط بين الموت والخطيئة هو : ما علاقة خطيئة آدم بموت البشر من بعده ؟ وهل لو لم يخطىء آدم لكتب للبشر الخلود من بعده وامتنع عنهم الموت ؟ هكذا يذهب صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية ، والنصوص التى أوردناها تثبت ذلك ، بل إن ميخائيل مينا يصرح بذلك بقوله : « لو لم يخطىء آدم لما مات ، ولما كنا نحن أيضا نموت ، بل نحيا حياة سعيدة على الأرض ، وأسعد منها بغير قياس فى السماء »[3] ، والذى ذهب إليه ميخائيل مينا وغيره من النصارى مخالف للفطرة ولسنن الله فى الكون ، ونحن نفترض هنا أن آدم أخطأ ، فالعقل يقول إنه هو الذى يتحمل نتيجة ذلك الخطأ ، إن ملابسى إذا علق بها بعض القاذورات ؛ فلا يزيل هذه القاذورات غسل ملابس غيرى ، وإنما ملابسى أنا ، وعلى فرض أن البشر ورثوا هذا الخطأ عن آدم[4] ، فالنصارى تعتقد أن المسيح جاء ليتحمل الأخطاء عن البشر ، والنتيجة المنطقية أن يرفع المسيح الموت عن الناس ، مادام قد تحمل خطاياهم التى تسبب الموت لهم . وهنا نرى الاضطراب الواضح لدى النصارى حين يرتبون الموت على الخطيئة التى ارتكبها آدم عليه السلام كما يزعمون .

ونحن نعتقد أن الإنسان لا يتحمل أوزار غيره قال الله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرةٌ وِزَرَ أخرى** ﴾[5] وقال تعالى ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾[6] ونعتقد أيضا أن آدم تاب فتاب الله عليه . يقول الله تعالى : ﴿ **فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾[7] ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

---

(١) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ص ٣٠٤ ج ٦ .

(٢) القصص ٨٨ .

(٣) علم اللاهوت ــ ميخائيل مينا ج ٢ ص ٢٨٤ .

(٤) نقول هذا مجاراة للخصم .

(٥) الإسراء ١٥ .

(٦) النجم ٣٩ .

(٧) البقرة ٣٧ .

ويصل الأمر إلى أبعد من ذلك عند النصارى فى فهمهم للموت وعلاقته بالسيد المسيح يقول الأنبا يؤانسى عن الموت : « إنه ليس هو النهاية أو الخاتمة ، إنما هو نهاية رحلة مؤلمة من مراحل حياة الإنسان فى عالم الشقاء والتعب ، كما أنه بداية لحياة أبدية سعيدة لا تنتهى ، فالسيد المسيح له المجد ، ذاق الموت بإرادته فحوله إلى حياة »[(١)] .

ونحن نتساءل هنا تعليقاً على كلام الأنبا يؤانس : إذا كان المسيح قد ذاق الموتَ بإرادته فحوّله إلى حياة ، فلماذا صرخ حين الموت وهو على الصليب[(٢)] على حد تعبير إنجيل « متى » فقد ورد فيه ما نصه : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلى إيلى لماذا شبقتنى أى إلهىْ إلهىْ لماذا تركتنى ؟ فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : إنه ينادى إيليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ سفنجة وملأها خلاًّ ، وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا : اترك لنرى هل يأتى إيليا يخلصه ، فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح »[(٣)] .

هذه الصورة التى يرسمها لنا إنجيل متى للسيد المسيح وهو على الصليب لا تتناسب مع كون المسيح إلهاً ولا ابناً للإله كما يزعم النصارى ، وإذا كان المسيح قد حول الموت إلى حياة فلماذا صرخ واستغاث ، وإذا كان قد أخذه « على عاتقه بطاعة كاملة ومحبة متناهية »[(٤)] كما يقول صاحب كتاب « إيماننا الحى » ،فلماذا استنكر أن يترك للموت وينادى مستغيثاً ومعترضا على ما فعل به : لماذا شبقتنى ، كل هذه المتناقضات تبطل اعتقاد النصارى فى أن الخطيئة هى سبب الموت ، وأن المسيح قد حول الموت إلى حياة ، ولست فى مجال مناقشة النصارى فى ميراث البشر لخطيئة آدم ، ولا لتحمل المسيح هذه الخطايا عن البشر[(٥)] . والذى أوردناه عن النصارى فى تصورهم للموت وأسبابه تختلف تماماً عن الموت فى الإسلام وما يعتقده المسلمون من أن الموت بيد الله وحده وليست له أسباب

---

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٤ .

(٢) نقول هذا مجاراة للخصم فيما يعتقد إذ أننا نعتقد أن المسيح لم يقتل ولم يصلب قال الله تعالى ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** ﴾ النساء ١٥٧ .

(٣) متى ٢٧ : ٤٧ : ٥٠ .

(٤) إيماننا الحى ص ٥٠٧ لردير كليمان اليسوعى .

(٥) انظر بالتفصيل هذا الموضوع فى « الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه » رسالة ماجستير للباحث أحمد عجينة ـــ مكتبة كلية أصول الدين بطنطا ـــ الفصل الخامس الخاص بموقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره من =

سوى أن الله وحده هو الحى الذى لا يموت ، إلا أننا نجد عند النصارى بعض الأشياء الخاصة بالموت والتى تتفق مع التصور الإسلامى منها :

أولاً : الموت عام لجميع البشر :

يقول الأنبا يؤانس : « فالموت يشمل جميع البشر ، حتى إن المرتل يتسائل فى تعجب « أى إنسان يحيا ولا يرى الموت »(1) ، ونفس المعنى يؤكده بولس بقوله « وضح للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة »(2) .

ثانياً : أن وقت الموت غير معلوم :

يقول صاحب كتاب إيماننا الحى : « ولا نعلم متى ولا أين ولا كيف يباغتنا الموت ؟ ولكننا نعرف يقيناً أننا إذا متنا أبناء لله نخلص »(3) .

وعند النصارى أن الموت يأتى بغتة ، ولا يعلم أحد زمانه ولا مكانه ، وعندهم أن الموت يأتى فى وقت لا يتوقعه الإنسان ، يقول الأب ميشيل ميتم : « والموت يأتى كالسارق فى ساعة لا نظنها ، وقد نبهنا إلى ذلك يسوع حين قال : « والقوات التى فى السموات تتزعزع وحينئذ ينصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد »(4) . وهذا النص يستدل به عند النصارى على عدم علم أحد بالقيامة ، ولا أدرى لماذا استدل به المؤلف على عدم تحديد ساعة الموت . اللهم إلا إذا كان يقصد بالقيامة الموت .

ولا تقدم الأناجيل صورة مفصلة عن خروج روح الميت ومآله كما قدم القرآن الكريم كل ما ذكره إنجيل لوقا : أن الصالح تحمل روحه الملائكة إلى السماء ، وأن الفاسد تهوى روحه إلى الهاوية فى العذاب . يقول لوقا فى إنجيله عن الفقير المسكين والغنى المتكبر : « فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الغنى أيضا ودفن فرفع عينه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر فى حضنه »(5) .

= ص ٥٩٥ — ٦٢٢ .

(1) المزمور ٨٩ : ٤٨ .

(2) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٤ .

(3) إيماننا الحى ص ٥٠٨ .

(4) شرح التعليم المسيحى ج ١ ص ٢٢ تأليف الأب ميشيل متيم مطبعة الإحسان حلب ١٩٥٢ .

(5) لوقا ١٦ — ٣٢ فى مقابلة للباحث مع الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا بالكنيسة القبطية ، لم يشر إلا إلى ذلك النص فى الاستدلال على خروج روح الصالح والطالح — من النصارى .

غسل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه عند النصارى :

من الأمور التى يتفق فيها التصور النصرانى مع التصور الإسلامى بالنسبة للميت الغسل والتكفين والدفن والصلاة عليه .

يقول صاحب كتاب إيماننا الحى : « إن جسد المسيحى هيكل للروح القدس ، فهو خادم للرب ، ومصيره أن يقوم مجدا فى اليوم الأخير ، وبالتالى يجب أن يحاط جسد المسيحى أيضا بالاحترام بعد موته ، والكنيسة تكرمه بإقامة مراسم الجنازة ودفنه فى أرض مباركة »(١) . ولا شك أن هناك اختلافا بين النصارى والمسلمين فى طريقة الغسل والدفن والصلاة والتكفين(٢) .

ثالثاً : الموت فى التصور اليهودى

يؤكد العهد القديم عدة أمور للموت منها :

أولا : الموت عام لجميع البشر :

ورد فى سفر أيوب ما نصه « يسلم الروح كل بشر جميعاً ويعود الإنسان إلى التراب »(٣) . ويفسر صاحب السنن القويم هذا النص « بأن الله إذا ترك الإنسان لحظة واحدة بدون عناية ، فإن الإنسان يعود إلى التراب ، ويستنتج من هذا بأن وجود الإنسان حيا ودوام الخير بما يثبت وجود الله »(٤) أى أن عناية الله بالإنسان هى التى تضمن له الحياة وإذا لم يعتن الله بالبشر فإنهم يموتون جميعا ، وهو تفسير معوج إذ أن عناية الله بالإنسان حيا وميتا ، وورد فى المزامير : « أى إنسان يحيا ولا يرى الموت أى ينجى نفسه من يد الهاوية »(٥) « لأنك أنت حصنى فى يدك استودع روحى »(٦) .

---

(١) إيماننا الحى ص ٥١٨ .

(٢) يكفن الميت النصرانى فى ملابس جديدة وهى الملابس التى كان الميت يلبسها عادة فى حياته بشرط أن تكون جديدة ، أخذت تلك المعلومة شفهياً من الأنبا غريقريوس ــ أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى بالكنيسة القبطية .

(٣) سفر أيوب ٣٤ ــ ١٥ .

(٤) السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢٤٧ .

(٥) المزايد ٨٩ ــ ٤٨ .

(٦) المزايد ٣١ ــ ٥ .

هذه النصوص تثبت أن الجميع سوف يموتون ولن يهرب أحد من الموت ، وعذرنا فى عدم كتابة النصوص عن الموت لأن العهد القديم يصب اهتمامه على الحياة الدنيا فقط .

ثانياً : أن الموت له أجل معلوم ووقت محدد :

ورد فى سفر الجامعة « لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموٰات وقت ، للولادة وقت وللموت وقت ، ولفع الفروس وقت ، وللقتل وقت ، وللشفاء وقت ، وللبناء وقت »[1] هذا النص يدل على أن للموت أجلاً معلوماً ووقتاً محدداً كما أن لكل شيء على الأرض وقتاً معلوماً وزمناً محدداً ، وهذا مما يشترك فيه التصور الإسلامى مع ما فى العهد القديم الحالى .

ثالثاً : ربط الموت بالخطية :

يشترك اليهود مع النصارى فى أن الخطية سبب الموت ، ويفيض العهد القديم بالنصوص التى تربط بين الموت وبين خطيئة آدم عليه السلام .

ورد فى سفر التكوين « وأما ثمرة الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا »[2] . وورد فى نفس السفر :

« وأخذ الرب الإلٰه آدم ، ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها ، وأوصى الرب الإلٰه آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة للخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت »[3] .

ويشرح قاموس الكتاب المقدس النص السابق بقوله :

« ليس المراد بذلك أنه يجرى حكم الموت فى ذلك اليوم بعينه بل المراد أنه يكون على يقين من نزوله به ، إنما فى ذلك اليوم عينه أوقع عليها حكم الموت الروحى الذى هو البعد عن الله والانفصال عنه »[4] .

وورد فى سفر حزقيال الربط بين الموت والخطية « النفس التى تخطىء هى تموت »[5] وورد فى سفر حزقيال أيضا « وإذا رجع البار عن بره وعمل إثماً وفعل مثل كل الرجاسات

---

(١) سفر الجامعة ٣ : ١ — ١٨ .
(٢) سفر التكوين ٣ — ٣ .
(٣) التكوين ٢ : ١٥ — ١٨ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٩ .
(٥) سفر حزقيال ١٨ — ٣٤ .

التى يفعلها الشرير أفيحيا كل بره الذى عمله ، لا يذكر فى خيانته التى خانها ، وفى خطيئته التى أخطأ بها يموت »[1] ؟! .

هذه النصوص وغيرها من النصوص التى لم نذكرها تربط بين الموت وبين الخطية ولسنا هنا فى مجال مناقشة هذا الربط وبيان تهافته كما أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن علاقة الموت بالخطية عند النصارى .

ولا يقدم العهد القديم أى صورة عن حالة خروج الروح أثناء الموت بالنسبة لليهودى كل ما ورد فى الفكر اليهودى صورة ينقلها لنا « سعديا الفيومى » فى كتاب الأمانات والاعتقادات عن حالة خروج روح اليهودى يقول : « إن الآباء عرفونا أن الملاك الذى يبعث به الخالق ليفرق بينهما » بين النفس والجسم « يظهر للإنسان فى صورة نار صفراء مملوءة عيوناً من نار زرقاء ، وفى يده سيف مصلت يقصده به ، إذا رآه كذلك انزعج وفرقت[2] روحه جسمه »[3] .

ولعل تلك الصورة هى التى جعلت الحاخامات يتألمون ساعة الموت ،وتبدو على وجوههم علامات الخوف والفزع من صورة هذا الملاك : « وقد وردت أمثلة فى التلمود عن كرب وتألم بعض الحاخامات من منظر الموت وهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لا أمل لهم من الخلاص « النجاة » خائفين أن يلقى بهم فى الجحيم »[4] .

وهذا ما يفسر لنا كراهية اليهود للموت وحرصهم على الحياة الدنيا . يقول الله تعالى مخاطباً اليهود ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنَّوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾ [5] .

---

(١) سفر حزقيال ١٨ ـــ ٢٤ .

(٢) لعلها وفارقت حتى يستقيم المعنى .

(٣) الأمانات والاعتقادات ص ٢٠٣ تأليف سعديا الفيومى ـــ طبعة ليدن ١٨٨٢ ـــ وسعديا الفيومى يقول الدكتور النشار عنه : اعتبره مؤرخو الفكر اليهودى أنفسهم من الأقدمين والمحدثين من أعظم رجال الفكر اليهودى قاطبة إذ أنه كان أول العلماء الربانيين الممثلين لتاريخ اليهود الذين أقبلوا على استخدام العقل والبرهان لإقامة فلسفة يهودية أو لاهوت يهودى يستند على الكتاب والعقل معاً (الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ تأليف د . على سامى النشار ـــ والأستاذ عباس الشربينى منشأة دار المعارف بالإسكندرية) .

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٨٥ نقلاً عن الأدب العبرى .

(٥) البقرة ٩٤ ، ٩٥ .

ويقول ﴿ قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[1] .

ومن الأمور التى يشترك فيها اليهود مع المسلمين والنصارى : غسل الميت وتكفينه ودفنه .

يشترك اليهود مع المسلمين والنصارى فى غسل الميت قبل الدفن ، وأيضا تكفينه ووضع الروائح الطيبة على جثته . ورد فى قاموس الكتاب المقدس ما نصه : « جرت العادة بين اليهود وبقية القدماء كما فى أيامنا هذه أن يغمض الأقارب عينى الميت[2] ، وأن يولولوا عليه ويتلوا عليه[3] ، ويستمروا على ذلك أياماً كثيرة بعد الدفن ، وكانوا أيضا يغسلون الجثة ويلفونها بأكفان من كفان ويربطون الرأس بمنديل[4] وكانوا يدهنون الجثة ويلفونها بالأطيان »[5] .

وإلى هذا نجد صورة قريبة جدا من التصور الإسلامى بالنسبة لغسل الميت وتكفينه ووضع الروائح الطيبة على جثته ، ولكن سنجد صورة مختلفة تماما عما عند المسلمين والنصارى ، فبينما نجد الرسول ﷺ يقول « المؤمن لا ينجس »[6] ، ونجد النصارى يعتبرون أن جسد المسيحى هيكل للروح القدس ويجب أن يحاط جسد المسيحى بالاحترام[7] ، بينما نجد هذا عند المسلمين والنصارى ، نجد أن اليهود يعتقدون أن « لمس الميت أول الدخول إلى الغرفة التى وضعت الجثة فيها منجسا »[8] ولذلك جرت العادة بأن يدفن الميت بعد الموت بساعات قليلة [9].

ولم يقدم اليهود قرابين على موتاهم للرحمة والمغفرة لهم . ورد فى قاموس الكتاب المقدس أن اليهود « لم يكونوا يقدمون القرابين من أجل الموتى ، بل يظهر أن الشريعة

---

(١) الجمعة ٦ ــ ٨ .
(٢) سفر التكوين ٤٦ : ٤ .
(٣) إنجيل يوحنا ١١ : ١٩ : ٣١ : ٣٣ .
(٤) يوحنا ٢ : ٧ .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ وانظر إنجيل لوقا ٢٤ : ١ ، إنجيل يوحنا ١٩ : ٤ .
(٦) فتح البارى جـ ٣ ص ٩٩ .
(٧) انظر إيماننا الحى ص ٥١٨ .
(٨) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ .
(٩) نفسه .

الموسوية تنكر تقديم القرابين للموتى »[1] .

وورد فى نفس سفر التثنية ما يشعر بعدم جواز تقديم قرابين للأموات . يبدو هذا من تضرع اليهود أمام الله بأن محصولهم وزراعتهم قد أعطوا منها اليتيم والأرملة ، ولم يأخذوا من حق الله المقدر فيها شيئاً لطعامهم ولا لمن لا يستحقها . ورد فى سفر التثنية : « متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك فى السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللاوى والقريب واليتيم والأرملة فأكلوا فى أبوابك وشبعوا تقوم أمام الرب إلهك ، قد نزعت المقدس من البيت ، وأيضا أعطيته اللاوى والغريب واليتيم والأرملة حسب كل وصيتك التى أوصيت بها ، لم أتجاوز وصاياك ولانسيتها ، لم آكل من فى حزنى ، ولا أخذت منه فى نجاسة ، ولا أعطيت منه لأجل ميت ، بل سمعت بصوت الرب إلهى ، وعملت حسب كل ما أوصيتنى »[2] والنص واضح بأن تقديم القرابين للأموات لا يجوز .

* * *

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ .

(٢) سفر التثنية ٢٦ — ١٣ — ١٥ .

المبحث الثانى

البرزخ بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً : البرزخ فى التصور الإسلامى

يعرف البرزخ بأنه الحاجز بين شيئين ، ومابين الموت والبعث فمن مات فقد دخل لبرزخ[1] وجاء فى التعريفات « للسيد » أن البرزخ « هو الحائل بين الشيئين ، ويعبر به عن عالم المثال ــ أعنى الحاجز بين الأجسام الكثيفة ــ وعالم الأرواح المجردة ، أعنى الدنيا والآخرة »[2] .

وقد سمى القرآن الكريم الفترة من بعد الموت إلى البعث بالبرزخ . يقول الله تعالى **﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾**[3] .

والميت فى تلك الفترة إما أن يكون منعما إذا كان من المؤمنين الصالحين ، أو معذبا إن كان من الكافرين المكذبين ، أو من عصاة المؤمنين . يقول ابن القيم فى كتابه الروح :

« إن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين »[4] .

ويعتبر عذاب البرزخ ونعيمه أول منازل الآخرة التى يتعرض لها المؤمن وغير المؤمن يذكر ابن القيم أن « عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها ، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة فى غير موضع دلالة صريحة كقوله ﷺ : « فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها » وفى

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٩ مجمع اللغة العربية ــ الطبعة الثانية .

(٢) التعريفات للسيد الجرجانى ص ٣٨ طبعة الحلبى .

(٣) المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) الروح لابن القيِّم ص ٨٧ الناشر مكتبة السلام العالمية .

الفاجر : « فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها » . ومعلوم قطعا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها ، فإذا كان يوم القيامة دخل من هذا الباب إلى مقعده الذى هو داخله »(١) . وهناك بعض الأشياء التى تحدث للميت فى أول فترة البرزخ منها سؤال الملكين . يقول صاحب كتاب المسايرة فى علم الكلام :« سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه ورد بهما الأخبار وتعددت طرقهما »(٢) ونحن مع ابن الهمام فى تعدد طرق الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين ، ولسنا معه فى تعدد طرق تسميتهما بمنكر ونكير ، فهناك رواية واحدة عن أبى هريرة بأنهما أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير(٣) .

وقد وردت الآيات القرآنية التى تثبت سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه .

سؤال الملكين :

مما يسبق سؤال الملكين الحياة فى القبر لأهل البرزخ ،ومما يدل على الحياة فى القبر قوله تعالى حكاية عن الكافرين ﴿ **ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل** ﴾(٤) يذكر شارح المواقف أن المراد بالإماتتين والإحيائين فى الآية الإماتة قبل مزار القبور ثم الإحياء فى القبر ، ثم الإماتة فيه بعد مسألة منكر ونكير ، ثم الإحياء للحشر ، وذكر أن هذا هو الشائع المستفيض بين أصحاب التفسير . والغرض من ذكر الإحيائين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله على البعث ، ولهذا قالوا فاعترفنا بذنوبنا ، أى الذنوب التى حصلت بسبب إنكار الحشر ، وإنما لم يذكر الأحياء فى الدنيا لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم فى حياتهم الدنيا(٥) ، والإمام الرازى فى تفسيره للآية السابقة يرى « أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا : ﴿ **ربنا أمتنا اثنتين** ﴾ فإحدى الموتتين مشاهدة فى الدنيا ، فلا بد من إثبات حياة أخرى فى القبر ، حتى يصير الموت الذى يحصل عقبها موتاً ثانياً ، وذلك يدل على حصول حياة فى القبر »(٦) .

---

(١) الروح لابن القيم ص ١٢٥ .

(٢) المسايرة فى علم الكلام لكمال الدين بن الهمام ص ١٤٦ — ١٤٨ .

(٣) انظر فتح البارى ج ٣ ص ١٨٤ .

(٤) غافر ١١ .

(٥) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ .

(٦) التفسير الكبير للرازى الجزء ٢٧ ص ٣٩ وانظر الروح لابن القيم وفيه معتبر لكل من زعم أنه لا توجد حياة للميت فى القبر — ص ٦٧ — ٨٧ .

وبعد أن يحيا الميت فى قبره يسأله الملكان اللذان وردت عنهما الأخبار وتعددت طرقها .

يقول الله تعالى ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾(١) المفسرون على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين فى القبر(٢) ومما يدل على أن هذه الآية تدل على سؤال الملكين ما رواه البخارى بسنده عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾(٣) وأما السنة فيقول ابن القيم :« أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير متواترة »(٤) .

وكون أحاديث عذاب القبر ومساءلة الملكين متواترة المعنى يوضحه صاحب المواقف بقوله : « الأحاديث الصحيحة الدّالة عليه أى على عذاب القبر أكثر من أن تحصى ، بحيث تواتر القدر المشترك ، وإن كان كل واحد منها من قبيل الآحاد »(٥) .

ومن الأحاديث التى وردت فى سؤال الملكين :

ما رواه البخارى بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ــ حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ــ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً » قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : « وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال لا دريت ولا تليت ، فيضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين »(٦) .

---

(١) إبراهيم ٢٧ .

(٢) انظر ابن كثير ج ٢ ص ٥٣١ وما بعدها وانظر أبا السعود جـ ٣ ص ١٨٩ وانظر الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٣٧٧ .

(٣) فتح البارى جـ ٨ ص ٣٠٥ .

(٤) الروح لابن القيم ص ١٢٧ .

(٥) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ وشرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٢ .

(٦) صحيح البخارى جـ ٣ ص ١٨٣ ــ ١٨٦ .

هذا الحديث صريح فى الحياة فى القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه ، يقول صاحب الفتح فى شرحه لهذا الحديث : « أخبر النبى ﷺ أمته بكيفية امتحانهم فى القبور ، لا أنه نفى ذلك عن غيرهم » قال : « والذى يظهر أن كل نبى مع أمته كذلك فتعذب كفارهم فى قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون فى الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة . وفيه أن الميت يحيا فى قبره للمسألة ، خلافاً لمن رده واحتج بقوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾[1] . قال : فلو كان يحيا فى قبره للزم أن يحيا ثلاث مرات ويموت ثلاث ، وهو خلاف النص ، والجواب بأن المراد بالحياة فى القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة فى الدنيا ، التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء ، بل هى مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذى وردت به الأحاديث الصحيحة ، فهى إعادة عارضة حدثت لكثير من الأنبياء لمسألتهم عن أشياء ثم عادوا موتى »[2] .

وهناك اختلاف بين العلماء : هل سؤال الملكين فى القبر خاص بأمة محمد ﷺ ،أم أنه عام لجميع الأمم ؟

هذا الموضوع اختلف العلماء فيه ، فمن العلماء من ذهب إلى أن سؤال الملكين خاص بأمة محمد ﷺ ، لأن الأمم قبل أمة محمد ﷺ كانت تأتيهم رسلهم بالرسالة فإذا أبوا عوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله محمداً ﷺ رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب ، وأعطى السيف ، حتى دخل فى دين الإسلام من دخل مهابة السيف ، وهم المنافقون الذين أعلنوا الإيمان وأسروا الكفر ، فلما ماتوا قيض الله لهم فتنة القبر ليميز المؤمن من المنافق ، وليميز الله الخبيث من الطيب ، وإلى هذا الرأى ذهب عبد الله الترمذى . وقال آخرون : إن سؤال الملكين وعذاب القبر لا يختص بأمة محمد دون غيرها من الأمم لأن حديث البخارى الذى فيه يأتيه ملكان فيقعدانه « ويسألانه عن الرجل الذى بعث فيهم » وإن كان فيه السؤال لأمة محمد ، إلا أنه لا ينفى السؤال عن غيرهم من الأمم[3] ويرجح ابن القيم أن السؤال فى القبر لأمة محمد وغيرها بقوله : « والظاهر والله أعلم أن كل نبى مع أمته كذلك ، وأنهم فى قبورهم تقام عليهم الحجة ويعذبون كما يعذبون فى الآخرة بعد

---

(١) غافر ١١ .　　(٢) فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٧ .

(٣) الروح لابن القيم ص ١٤٦ ـــ ١٤٨ ، فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٧ .

السؤال وإقامة الحجة عليهم »[1] . والذى يجب التسليم به أن الميت من أمة محمد ﷺ يحيا فى القبر للمساءلة من الملكين اللذين وردت بهما الأخبار ، وأنه بعد تلك المساءلة إما أن يعذب وإما أن ينعم . يقول القاضى عبد الجبار من المعتزلة بعد أن يستدل بالكتاب والسنة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين : « فأما الكلام فى أن ذلك كيف يكون وأنه تعالى يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ، فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشرانه حسب ما وردت به الأخبار ، فإن ذلك لا يهتدى إليه من جهة العقل وإنما الطريق إليه السمع »[2] .

عذاب القبر ونعيمه :

يقول الله تعالى ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوءُ العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[3] .. يقول ابن كثير : « وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور »[4] . وينقل القرطبى إجماع الجمهور على أن العرض فى الآية يدل على عذاب القبر . قال فى الفتح : « قال القرطبى : الجمهور على أن هذا العرض يكون فى البرزخ وهو حجة فى تثبيت عذاب القبر »[5] . وابن القيم فى كتابه الروح يذهب إلى أن الآية دالة على عذاب القبر ولا تحتمل غير ذلك ، يقول : « فذكر عذاب الدارين ذكرا صحيحا لا يحتمل غيره »[6] والإمام البخارى فى صحيحه يقدم لأحاديث عذاب القبر بالآيات القرآنية التى تدل على عذاب القبر ، منها قوله جل ذكره ﴿ **سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم** ﴾[7] عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ قال : خطب رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال : « اخرج يا فلان فإنك منافق » فذكر الحديث وفيه : « ففضح الله المنافقين فهذا العذاب الأول والعذاب الثانى عذاب القبر »[8] .

ومن الآيات التى تثبت عذاب القبر قوله تعالى ﴿ **ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل** ﴾[9]

---

(1) الروح لابن القيم ص ١٤٨ . (2) الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٣٢ .
(3) غافر ٤٥ ، ٤٦ . (4) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٨١ . (5) فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٠ .
(6) الروح لابن القيم ص ١٢٧ . (7) التوبة ١٠١ .
(8) فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٠ . (9) غافر ١١ .

يقول الإمام الرازى فى تفسيره : « احتج أكثر العلماء بهذه الآية فى إثبات عذاب القبر . وتقرير الدليل : أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين فإحدى الموتتين مشاهد فى الدنيا ، فلابد من إثبات حياة أخرى فى القبر حتى يصير الموت الذى يحصل عقبها موتاً ثانياً ، وذلك يدل على حصول حياة فى القبر »[١].

ويستدل أيضا بتلك الآية وغيرها صاحب المواقف وصاحب المقاصد . والقاضى عبد الجبار من المعتزلة يستدل أيضا بتلك الآية على عذاب القبر ويعتبر أن دلالة تلك الآية عامة فى جميع المكلفين ، يقول « والدلالة التى تعم قوله تعالى ﴿ **ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ ولا تكون الإماتة والإحياء مرتين إلا وفى إحدى المرتين إما التعذيب فى القبر أو التبشير »[٢] .

ويذهب البعض إلى أن قوله تعالى ﴿ **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾[٣] لا تدل على الحياة فى القبر ، ويذهب إلى أن المراد بالموتة الأولى الإشارة إلى الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة وعلقة ، والموتة الثانية إشارة إلى ما حصل فى الدنيا . ويفند الإمام الرازى والقاضى عبد الجبار هذا الرأى ، لأن الإماتة تستعمل بمعنيين :أحدهما إيجاد الشىء ميتاً ، والثانى تصيير الشىء ميتا بعد أن كان حيا ، كقول الإنسان وسع الخياط ثوبى يحتمل أنه خاطه واسعا ، ويحتمل أنه صيره واسعا بعد أن كان ضيقا ، فلم لا يجوز فى هذه الآية أن يكون المراد بالإماتة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصييرها ميتة ،ثم إن الإماتة فى الحقيقة إبطال الحياة وتفريق البنية التى تحتاج هى فى الوجود إليها ، وذلك لا يتصور فى النطفة التى لم تكن حية أصلاً[٤] . ومن حجج الذين يمنعون دلالة الآية على الحياة فى القبر والعذاب فيه أن قوله تعالى ﴿ **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ [٥] إنها حكاية كلام الكفار فلا تكون حجة ، وأيضا لو ثبتت الحياة فى القبر لكانت الإحياءات ثلاثة فى الدنيا وفى القبر وفى الحشر[٦].

---

(١) التفسير الكبير للرازى الجزء ٢٧ ص ٣٩ .
(٢) الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٣١ . (٣) غافر ١١ .
(٤) الأصول الخميسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٣١ والتفسير الكبير ج ٢٧ ص ٣٩ .
(٥) غافر ١١ .
(٦) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٢ والتفسير الكبير للرازى الجزء ٢٧ ص ٣٩ .

أما قولهم هذا من كلام الكفار فلا يكون حجة ، فلا وجه لهم فيه ، لأنهم لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله تعالى ، ولو كانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم .ألا ترى لما كذبوا فى قولهم ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾[1] كذبهم الله فى ذلك فقال ﴿ **انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾[2] . فلما لم يكذبهم الله فى قولهم يجوز لنا أن نستدل بما قالوه على الحياة فى القبر والعذاب فيه .

أما أنهم لو كانت لهم حياة فى القبر لكانت الحياة ثلاث مرات وهو خلاف ما ذكر فى قوله تعالى ﴿ **ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾[3] فالإمام الرازى يرد على هذا الاعتراض من وجوه :

الأول : أن مقصودهم فى قولهم أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين تعديد أوقات البلاء والمحنة ، وهى أربعة الموتة الأولى والحياة فى القبر ، والموتة الثانية والحياة فى القيامة ، فهذه الأربعة أوقات البلاء والمحنة ، فأما الحياة فى الدنيا فليست من أوقات البلاء والمحنة ، فلهذا السبب لم يذكروها .

الثانى : لعلهم ذكروا الحياتين ، وهى الحياة فى الدنيا والحياة فى القيامة ، أما الحياة فى القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها .

الثالث : لعلهم لما صاروا أحياء فى القبور لم يموتوا ،بل بقوا أحياءً إما فى السعادة وإما فى الشقاء ، واتصل بها حياة القيامة .

الرابع : أنه لو لم تثبت الحياة فى القبر لزم أن لا يحصل الموت إلا مرة واحدة ، فكان إثبات الموت مرتين كذباً ، وهوعلى خلاف لفظ القرآن[4] .

ثم يختم الرازى استدلاله بالآية على عذاب القبر « إنا نرجح قولنا بالأحاديث الصحيحة فى عذاب القبر »[5] .

ومن الحجج التى يحتج بها المانعون لعذاب القبر قولهم : إنا نرى الميت أو المقتول أو

---

(١) الأنعام ٢٣ . (٢) الأنعام ٣٤ .

(٣) غافر ١١ .

(٤) انظر التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٣٩ ــ ٤١ وانظر المقاصد ص ١٦٢ ــ ١٦٤ .

(٥) التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٤١ .

المصلوب يبقى مدة من غير تحرك وتكلم ، ولا أثر تلذذ أو تألم ، ولو كان له أصل لكان يجب فى النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمثاب ، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره ، وأيضا فإن الميت ربما يدفن فى صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه على ما ورد فى الخبر[1] ، ويفند صاحب المقاصد ما احتج به المانعون لعذاب القبر بقوله : « إن جميع ما ذكرتم استبعادات لا تنفى الإمكان كسائر خوارق العادات ، إذ قد أخبر بها لصادق فلزم التصديق »[2] .

أما قولهم بأنا لا نرى على الميت أثراً للثواب أو العقوبة ، ولو كان لرآها النباش فيرد عليهم بأنه « من المجوز أن لا يعذبه الله تعالى فى الحالات التى يطلع عليها النباش أو غيره ، أو يعذبه على وجه يستتر عنهم ، لوجه من المصلحة يرى ذلك » [3] .

أما قولهم إن الميت قد يدفن فى صندوق أو لحد ضيق لا يتصور فيه جلوسه ـــ على نحو ما ورد فى الخبر ـــ فيرد عليهم بأنه « لا يشترط الحياة بالبنية ،ولو كان ذلك شرطاً فمن الممكن أن يبقى من الأجزاء ما قد يصلح بنيته ، ثم إن العذاب يجوز أن يكون للروح التى هى أجسام لطيفة أو للأجزاء الأصلية الباقية ، فلا يمتنع أن لا يشاهده الناظر ، ولا أن يخفيه الله تعالى عن الإنس والجن لِحِكَمٍ لا اطلاع لنا عليها » [4] .

ومن الآيات التى يستشهد بها على عذاب القبر قوله تعالى ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾ [5] هذه الآية يحتج بها على إثبات عذاب القبر . يقول ابن القيم : « وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد اللهبن عباس فى إثبات عذاب القبر ، وفى الاحتجاج بها شيء ، لأن هذا عذاب فى الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر ، ولم يكن هذا لِيخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن ، لكن فقهه فى القرآن ودقة فهمه فيه فَهِمَ منها عذاب القبر ، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر ، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا ، وهذا يدل على أنه بقى من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ، ولهذا قال من العذاب الأدنى ، ولم يقل العذاب الأدنى

---

(١) الأصول الخمسة ص ٧٣٣ والمقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٢) المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٣) الأصول الخمسة ص ٧٣٣ . (٤) المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ . (٥) السجدة ٢١ .

فتأمله » (١) .

وإذا ذهبنا إلى الأحاديث التى وردت فى عذاب القبر ، فإنها متواترة المعنى ، والقدر المشترك منها متواتر (٢) .قول شارح العقيدة الطحاوية فى الأحاذيث الواردة فى عذاب القبر ونعيمه : « وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لما كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب إعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا يتكلم فى كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له فى هذه الدار ، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول ، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود فى الدنيا » (٣) .

ومن الأحاديث التى تثبت عذاب القبر : ما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما : مر النبى ﷺ على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير » ثم قال : « بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما أحدهما فكان لا يستتر (٤) من بوله » قال : ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال :« لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا »(٥) .

وهذا الحديث صريح فى إثبات عذاب القبر لعصاة المؤمنين ،وليس المقصود من الحديث أن العذاب بسبب النميمة وعدم الاستبراء من البول فقط ، ولكن كما قال الزين بن المنير ونقله صاحب الفتح : « المراد بتخصيص هذين الأمرين بالذكر تعظيم أمرهما ، لا نفى الحكم عما عداهما ، فعلى هذا لا يلزم من ذكرهما حصر عذاب القبر فيهما ، لكن الظاهر من الاقتصار على ذكرهما أنهما أمكن فى ذلك من غيرهما ، وقد روى أصحاب السنن من حديث أبى هريرة « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » (٦) .

وروى الإمام مسلم بسنده عن زيد بن ثابت قال : « بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ » فقال رجل : أنا ، فقال : « فمتى مات

(١) الروح لابن القيم ص ١٢٨ .
(٢) شرح المواقف جـ ٣ ص ٤٥٣ .
(٣) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص ٣٤٨ ــ الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ .
(٤) فى معظم الروايات لا يستبرىء من بوله
(٥) فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٨ .
(٦) فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٨ .

هؤلاء ؟ » قالوا : ماتوا فى الإشراك . فقال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ،فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » . ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « تعوذوا بالله من عذاب النار » قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار قال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : « تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن » . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : « تعوذوا بالله من فتنة الدجال » قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال (١) .

وهذا الحديث صريح فى عذاب القبر وكيف أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من عذاب القبر ويأمر أصحابه أن يتعوذوا من القبر وفتنته .

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال » (٢) .

والنعيم والعذاب فى القبر يكون بالروح والبدن معا . يقول شارح العقيدة الطحاوية : « عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به » (٣) ويؤكد صاحب المقاصد ذلك بنقل اتفاق أهل الحق على ذلك ، يقول : « اتفق أهل الحق على أن الله يعيد إلى الميت فى القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويتلذذ ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار لكن توقفوا فى أنه هل يعاد الروح إليه أم لا ؟ وما يتوهم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع ، وإنما ذلك فى الحياة الكاملة التى يكون معها القدرة والأفعال الاختيارية » (٤) ، وابن القيم يفصل تعلق الروح بالبدن وانفصالها عنه أحيانا فى البرزخ بقوله : « وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم ، فلابد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللّذة ما يليق به ، ويذيق بدن الفاجر العاصى له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحق . هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس ، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ، وأما البرزخ فأول دار الجزاء ، فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضى الحكمة إظهاره (٥) .

(١) رواه مسلم جـ ٣ ص ٢١٩٩ — ٢٢٠٠
(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٤١٢ طبعة الحلبى .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٨ .
(٤) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٥) الروح لابن القيم ص ١٢٥ .

وقد وردت بعض الآثار التى تروى تزاور أرواح الموتى وتلاقيهم مع بعضهم ومع الأحياء ، وهو أمر غير مستبعد ؛ لأن الأرواح إما أن تكون معذبة أو منعمة مع أبدانها ، فالمعذبة فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ، أما الأرواح المنعمة فإنها تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ماكان منها فى الدنيا ، فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها . قال الله تعالى ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾(١). يقول ابن القيم : « وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة »(٢) .

وقد عقد « ابن القيم » فصلاً كاملا فى كتابه « الروح » وهو من أشمل الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع ، وفيه روى الآثار التى وردت عن تلاقى أرواح الأموات والأحياء ، وأيضا تلاقى أرواح الأموات مع بعضهم ، نذكر من تلك الآثار ما رواه ابن أبى الدنيا قال : حدثنى محمد بن بزيع أخبرنى فضل بن سليمان النميرى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن جده قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجداً شديدا ، فقالت : يا رسول الله ، إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة ، فهل تتعارف الموتى ،فأرسل إلى بشر بالسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم والذى نفسه بيده يا أم بشر ، إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤوس الشجر » . وكان لا يهلك هالك من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر ،فقالت : يا فلان ، عليك السلام . فيقول : وعليك . فتقول : اقرأ على بشر السلام(٣).

وروى ابن أبى الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الأخبار ، فإذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول : صالح فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون : لا . فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا ؟(٤) .

---

(١) النساء آية ٦٩ . (٢) نفسه ص ٢٦ .

(٣) نقلا عن الروح لابن القيم ص ١٩ ، ٢٠ .

(٤) نفسه ص ٢٠ ــ وانظر بالتفصيل من ص ١٩ ــ ٥٤ وأيضا ما ذكره الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين الجزء ١٦ ــ المجلد الرابع ٢٩٤٠ ــ ٢٩٤٨ .

ويذكر الإمام الغزالى أن أرواح الأحياء تتلاقى مع أرواح الأموات ، والأكثر من ذلك أن الأموات ربما أخبروا الأحياء بشيء يحدث لهم مستقبلاً ، يذكر الإمام الغزالى أن الحسن بن على قال : قال لى على رضى الله عنه : إنِ رسول الله ﷺ سنح لى الليلة فى مغامرة ، فقلت : يارسول الله ، ما لقيت من أمتك . قال : « ادع عليهم » فقلت : اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم ، وأبدلهم بى من هو شر لهم منى . فخرج فضربه ابن ملجم .(١) ونكتفى بهذا القدر من الآثار ؛ نظرا لأنها عبارة عن رؤى لا تثبت حكما شرعيا ، وإنما يستأنس بها فقط .

ثانيا : البرزخ فى التصور النصرانى

ما هو مصير النفس بعد الموت ؟ سؤال يردده علماء فرق النصارى ، ويختلفون فى الإجابة عليه .

ففرقتا « الأرثوذكس » « والبروتستانت » لهم رأى فى حالة الروح بعد الموت ، وفرقة « الكاثوليك » لهم رأى يخالف « الأرثوذكس » « والبروتستانت » . ولذلك سنعرض آرائهم وتصورهم لحالة الروح بعد الموت .

أولاً : الأرثوذكس(٢) والبروتستانت(٣) :

يطرح صاحب كتاب « هذه عقائدنا » هذا السؤال : ماذا يحدث لنفس المسيحى عندما يموت ؟ ويجيب بقول : « يقول البعض بأنها ترقد فى القبر مع الجسد ، ورأى كهذا يعارض ما جاء فى الأسفار المقدسة معارضة تامة »(٤) ويستدل بما ورد فى إنجيل لوقا من قول المسيح للص وهو على الصليب :« اليوم تكون معى فى الفردوس »(٥) ويستدل أيضا بما ورد فى رسالة بولس إلى فيليب حين قال بولس عن موته : « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٤٠ .

(٢) يمثل اتجاه الأرثوذكس الكتب التالية : هذه عقائدنا تأليف ج . كلايد تارنر — تاريخ الآقباط للأستاذ زكى شنوده .. وهناك بعض الكتب أحلت إليها تمثل عقيدة الأرثوذكس منها : عقائد أساسية — مدخل فى علم اللاهوت — مدخل إلى العقيدة المسيحية — دينونة البشر العامة .

(٣) ويمثل اتجاه البروتستانت : علم اللاهوت النظامى ، قضايا المسيحية الكبرى .

(٤) هذه عقائدنا — تأليف ج كلايد تارنر الناشر . المنشورات المعمدانية بيروت ١٩٧٢ .

(٥) لوقا ٣٣ : ٤٣ .

المسيح »[1] وبما ورد فى سفر الرؤيا ورد : « طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن »[2] .

ثم يعلق على هذه النصوص ويستنتج ثلاث خصائص تتعلق بموت الأبرار : أنهم فى الفردوس ، وأنهم مع المسيح ، وأنهم سعداء[3] ، ونلاحظ أن النصوص الثلاثة التى وردت فى لوقا وفى رسالة فيليب وفى سفر الرؤيا اعتبرها المؤلف تمثل مصير أرواح الأبرار بعد الموت . أما عن مصير الأشرار ، فإن المؤلف المذكور يعترف بأن النصوص غير متوافرة ، ولم يرد عنهم إلا القليل فى الأسفار المقدسة . يقول : « لا تكشف لنا الأسفار المقدسة إلا القليل عن حالة الأشرار بعد الموت والقيامة »[4] ، ويستشهد بنصين فى إنجيل لوقا ورسالة بطرس الثانية ويقول عنهما : « هناك عبارتان تعطياننا كل ما نعرفه تقريبا عن هذا الموضوع ، ففى مثل الغنى والعاذر ، يقول يسوع : « مات الغنى ودفن فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب »[5] أما النص فى رسالة بطرس الثانية « يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، ويحفظ الأئمة إلى يوم الدين معاقبين »[6] ، ففى النصين تصوير لمصير الأشرار ، فالنص الأول يبين أن الغنى الفاسد داخل العذاب بعد الموت ، والنص الثانى يبين أن الأشرار يحفظهم الله من الفناء معاقبين إلى يوم الدين ، ونفس الأدلة يوردها الأنبا يؤانس فى الاستدلال على مصير الأشرار فى كتابه السماء[7] .

والأستاذ زكى شنودة فى كتابه تاريخ الأقباط يؤكد ما تعتقده الكنيسة القبطية فى مصير الأرواح بعد الموت بقوله : « إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها عن أجسادها ، بل تأخذ عربونا فقط من السعادة إذا كانت صالحة ، أو من التعاسة إذا كانت طالحة ، حتى يجىء يوم القيامة ، فتلبس الأرواح أجسادها »[8] وهذا قريب من مصير الأرواح عند المسلمين مع اختلاف ، ألا وهو أن مصير الأرواح فى التصور الإسلامى يتحدد بعد سؤال الملكين ، أما عند الأرثوذكس فإن الأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح كما يقول النصارى الأرثوذكس ، والأرواح الشريرة تتعذب يوم القيامة حين اجتماعها مع

---

(1) رسالة فيليب ١ — ٢٣ . (2) سفر الرؤيا ١٤ : ١٣
(3) هذه عقائدنا ص ١٥٩ — ١٦٠ (4) نفسه ص ١٦٠ .
(5) لوقا ١٦ : ٢٢ — ٢٣ .
(6) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٩ وانظر هذه عقائدنا ١٦٠ .
(7) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٧ — ١٠٩ . (8) تاريخ الأقباط للأستاذ زكى شنوده ص ٢٥٢

أجسادها . كان هذا رأى الأرثوذكس .

أما البروتستانت فهم يقولون نفس الآراء التى قررها الأرثوذكس . وسوف نعرض لآرائهم بإيجاز : سؤال يطرحه علم اللاهوت النظامى وهو :« ماذا يعلمنا الوحى فى حالة النفس بعد الموت ؟ » ويجيب بقوله : « النفس لا تموت ولا تنام وإن أنفس الأبرار تكمل حينئذ فى الطهارة ، وتدخل السماء ، حيث تنتظر فداء أجسادها الكامل ، وإن أنفس الأشرار تطرح فى جهنم ، حيث تبقى فى القصاص والظلام إلى حكم اليوم العظيم »(١) .

بعد استعراض رأى الأرثوذكس والبروتستانت نجد أن هناك اتفاقاً بين الفرقتين على أن أرواح الصالحين عندهم تصعد إلى السماء فى الفردوس مع المسيح وهى سعيدة ، كما أن هناك اتفاقاً فيما بينهم على أن أرواح الأشرار تذهب إلى الجحيم والظلام حيث تجتمع الأرواح مع الأجساد . وكما رأينا فإن النصوص عن مصير الأشرار غير وافية باعتراف النصارى أنفسهم من فرقتى الأرثوذكس والبروتستانت ، وإذا كانوا يقررون أن النصوص التى وردت فى الأناجيل وأعمال الرسل عن مصير الأبرار غير كافية أيضا ، فهى إشارات عابرة غير مسهبة أو مفصلة .

ثانياً : رأى الكاثوليك فى مصير الأرواح بعد الموت :

يعتقد الكاثوليك « أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت ، يؤدى الأفراد أمامها حساباً عما قدمت فى الحياة . يقول صاحب كتاب « إيماننا الحى » : « عند الموت تنفصل النفس عن الجسد ، فيعود جسدنا إلى الأرض وينحل فيها ، أما أنفسنا فلا يمسها الفساد لأنها روح ، وطالما نفارق هذه الدنيا تمثل أنفسنا أمام محكمة الله ، فعليها أن تؤدى حساباً عن كل أفكارها وأقوالها وأفعالها وعن كل ما أغفلته من أعمال الخير ، ويطلق على هذه المحاكمة : الدينونة الخاصة »(٢) هذه المحكمة الخاصة يشرحها « ميشيل ميتيم » بقوله : « حالما نموت تمثل أنفسنا أمام الله لتحاكم عن أعمالها الصالحة والشريرة »(٣) . وبعد مثولها أمام المحكمة المشار إليها يتحدد مصيرها ، إن كانت صالحة صعدت إلى السماء ، وإن كانت طالحة نزلت إلى المطهر . يقول ميشيل ميتيم عن النفس

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١١٦٨ وما بعدها . وأيضا قضايا المسيحية الكبرى ص ٥٦٣ ــ ٥٦٨ .

(٢) إيماننا الحى ص ٥٠٨ ــ وانظر رسالة العبرانين ٩ : ٢٧ .

(٣) شرح التعليم المسيحى ــ العقائد الإلهية ص ٢٣١ جـ ١ .

بعد المحاكمة : « فإن كانت ناصعة الطهارة — أى الروح — طارت نوراً إلى السماء ، وإن كان عليها بعض التكفيرات نزلت إلى المطهر »(١) .

هذا المطهر الذى تنزل إليه النفس الطالحة ما حقيقته ؟يشرح الأب ميشيل ميتيم حقيقة المطهر والذين يذهبون إليه من مقترفى الذنوب فيقول : « إن من يموت فى حال النعمة دون أن يكفر عن خطاياه تكفيرا تاما تذهب نفسه إلى المطهر ،فتقضى فيه مدة يحددها الله بعدله ، فتفى جميع ديونها وتكفر عن آثامها ، فتتطهر من أوساخها ثم تدخل السماء »(٢) .

العذاب فى المطهر :

يرى الكاثوليك من النصارى أن « فى المطهر نوعين من العذاب ، الأول : الحرمان المؤقت من التمتع بمشاهدة وجه الله الكريم ، وهو عذاب أليم شديد ، الثانى : هو عذاب النار ، تتطهر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج السماء »(٣) .

والعذاب الذى تتعرض له النفوس فى المطهر يخفف عنها بالصلوات والأدعية ، والكاثوليك يعتقدون فى مساعدة النفوس التى تتعذب فى المطهر ،وذلك بتقديم الطقوس الكنسية والصلوات لهم ورد « فى شرح التعليم المسيحى » ما نصه : « تتألم النفوس المطهرية آلاماً فادحة ، فبينها نفوس أهالينا وأصدقائنا ومعارفنا ومواطنينا ، فكيف تنساها وهى عطشى إلى مساعدتنا ؟ فيتوجب علينا أن نقدم لراحتها صلواتنا ومناولاتنا ، وخاصة ذبيح القداس الإلهى ، فإن هذه الأعمال الصالحة تخفف من شدة عذاباتها ، وتقصر من مدتها بحسب ما ترتبه إرادة الله القدوسة »(٤) . ونلاحظ أن تلك الصلوات والقرابين لا تلغى العذاب ولكن تخففه فقط .

وفكرة المحكمة التى يعتقدها الكاثوليك تنقدها فرقة البروتستانت ويعتبرونها وما يترتب عليها — من نزول النفوس الشريرة إلى المطهر — من العقائد الوثنية(٥) . ومن الاختلافات

(١) نفسه ص ٢٣١ — ٢٣٢ .
(٢) شرح التعليم المسيحى ٢٣٧ جـ ١ وانظر رسالة كورنثوس الأولى ٣ : ١٥ .
(٣) شرح التعليم المسيحى ص ٢٣٧ وإنجيل متى ٥ : ٢٦ .
(٤) شرح التعليم المسيحى ص ٢٣٧ .
(٥) علم اللاهوت النظامى ص ١١٧٥ .

الجوهرية بين الأرثوذكس والكاثوليك فكرة المحكمة وفكرة المطهر[1] . وهذا الاختلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك اختلاف جوهرى . وليس بين عام عند الأرثوذكس ومتصل عند الكاثوليك ، لأن النصوص التى نقلناها عند الأرثوذكس لا تشير إلى فكرة المحكمة تلك ، ولا إلى المطهر على الإطلاق ، وإن كانت فرق النصارى متفقة على المصير الأخير لأرواح الأبرار وأرواح الأشرار ، بأن الأبرار فى السماء والأشرار فى الجحيم .

ويرى بعض الباحثين المسلمين أن فكرة المطهر عند الكاثوليك مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين . يقول الدكتور « السقا » : « وشذ نصارى الكاثوليك عن جميع النصارى الذين يقولون بالحساب والنعيم أو العذاب يوم القيامة ، وقالوا بحساب للإنسان بعد الموت مباشرة بعد خروج الروح مباشرة من جسد الإنسان ، مثل القول بعذاب القبر عند بعض المسلمين »[2] .

ولا أوافق الدكتور السقا فيما ذهب إليه لأمرين :

الأمر الأول : أن عذاب القبر ليس عند بعض المسلمين ، ولكن عند جمهور المسلمين ، فلقد اتفق سلف الأمة وخلفها على سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه ،ووردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تواتر القدر المشترك منها بمعناها[3] كما قال بذلك علماء العقيدة وعلماء الحديث ، حتى المعتزلة الذين اتهموا بأنهم ينكرون عذاب القبر ، استعرضنا رأى القاضى عبد الجبار من المعتزلة[4] الذى أثبت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين والتزم بالدليل السمعى . ونحن لا ننكر أن هناك بعض الآراء التى تنكر عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين ، ولكنهم شواذ ، أما الأكثرية من العلماء فيقولون بعذاب القبر ونعيمه كما دل عليه السمع ، فهل جمهور المسلمين هم بعض المسلمين ، كما يقول الدكتور السقا ؟

الأمر الثانى : أن فكرة المطهر عند الكاثوليك بينها وبين عذاب القبر ونعيمه

---

(١) تاريخ الأقباط ص ٢٦٩ — ٢٧٠ .

(٢) مقدمة لفتح الروح والتسوية للإمام الغزالى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا مقدمة المحقق ص ١٥ الناشر مكتبة المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

(٣) عرضنا الآراء بالتفصيل عند حديثنا عن نعيم القبر وعذابه فى الإسلام .

(٤) انظر الأصول الخمسة ص ٧٣٠ — ٧٣٣ .

اختلاف ، لأن فى الإسلام سؤال الملكين الذى يسبق عذاب القبر ونعيمه ، ولا يوجد ذلك عند الكاثوليك ، وفكرة المحكمة المشار إليها عندهم ليست واضحة ، فالنصوص لم تبين لنا من الذى يقوم بذلك ، وليس عندهم تفصيل فى تلك الفكرة فى العهدين القديم والجديد(١) ، بعكس ما نجد فى الإسلام من تفصيل إلى حد ما حول سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه .

تعقيب :

بعد عرضنا للبرزخ بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامى والتصور النصرانى للميت فى فترة البرزخ .

أولاً : أوجه الاتفاق :

يتفق التصور النصرانى مع التصور الإسلامى فى المصير النهائى للأرواح فى فترة البرزخ ، حيث إنهم يعتقدون أن الأرواح الطيبة تكون منعمة إلى يوم القيامة ، وأن الأرواح الشريرة تتعذب إلى ذلك اليوم الذى تجتمع فيه الأرواح مع الأجساد .

ثانياً : أوجه الاختلاف :

يختلف تصور الأرثوذكس والبروتستانت عن التصور الإسلامى فى أن التصور الإسلامى فيه سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه ، أما الأرثوذكس والبروتستانت فليس عندهم سؤال الملكين ، ولا ما يترتب عليه من عذاب فى القبر ونعيمه .

أن تصور الكاثوليك للمحكمة والمطهر ، وإن كان بينها وبين عذاب القبر وجه شبه ، إلا أنها تختلف عن التصور الإسلامى ، حيث سؤال الملكين فى الإسلام .

ثالثاً : البرزخ فى التصور اليهودى

ورد فى قاموس الكتاب المقدس أن « الهاوية مقر الموتى » ، وهى ترجمة الكلمة العبرية

---

(١) فى مقابلة للباحث مع الأنبا غريغريوس — أسقف علم الدراسات العليا فى الكنيسة القبطية نفى عذاب القبر ونعيمه فى اعتقاد الأرثوذكس .

« شئول »[1] والكلمة اليونانية « هاويس »[2] . وقد فهم العبرانيون هذه الكلمة تارة كأنها قبر أو موت ، وقد صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان تحت الأرض[3] ، وله أبواب[4] ، وهو مكان مظلم مخيف ، سكانه يشعرون وكأنهم فى وجود بليد جامد[5] .. وتذهب إليه نفوس الجميع[6] ، وفيه القصاص ، وفيه الثواب ، ولا يمكن العودة منه إلى الأرض[7] ، وهو مكان عريان أمام الله [8] . ويقول المرنم : إن الله هناك[9] وإن أرواح شعبه وحالتهم فى ذلك المكان كانت تحت عينه الساهرة ، وهذا التعليم عن معرفة الله لشعبه بعد الموت وحضوره معهم ومجيئه الدائم لهم اشتمل على الغبطة للأبرار والويل للأشرار بعد الموت ، وأصبح لهم مقران : الأبرار يكونون مع الرب ، والأشرار بعيدون عن وجهه[10].

هذا ما ورد فى العهد القديم عن الروح ومصيرها بعد الموت ، تنزل جميع الأرواح إلى الهاوية وفيها يتم القصاص ، وبعد هذا القصاص يكون للأبرار الغبطة والسرور ، والويل والثبور للأشرار . إلا أن التلمود يعرض بعض التفصيلات التى تحدث لروح اليهودى بعد الموت ورد فى التلمود : « أن الروح عندما تغادر الجثة ينتج عنها صوت صارخ ، ولكن الحاخامات دعوا الله وصلوا ، فامتنع هذا الصوت الذى لا مثيل له إلا صوت الشمس حين تدور حول مدارها ، وصوت الجماهير فى مدينة روما »[11].

وورد فى التلمود أن الروح تحلّق فوق الجثة ثلاثة أيام ، وهى تريد أن ترجع إلى الجسد مرة ثانية ، إلا أنها حين تشاهد أن جسد اليهودى قد تغير تتركه ورد فى التلمود : « أما بعد الموت فتحلّق الروح على الجثة ثلاثة أيام ، تنوى الرجوع إليها ، ولكنها عندما ترى أن شكل الوجه تغير تتركها وتذهب بعيداً »[12] .

وورد فيه أيضاً « أن مساء كل يوم جمعة تدخل روح جديدة فى الأجسام الميتة فى

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ .
(٢) هذه عقائدنا ص ١٥٩ .
(٣) سفر العدد ٢٠١٦ — ٣٣ — وحزقيال ٣١ : ١٤ — ١٧ .
(٤) أشعياء ٢٨ / ١٠ .
(٥) صموئيل الثانى ٢٢ : ٦ وحزقيال ٦ : ٥ .
(٦) سفر التكوين ٣٧ : ٣٥ .
(٧) صموئيل الأول ٢٨ / ٨ — ٩ .
(٨) أيوب ٢٦ / ٦ .
(٩) مزمور ١٣٩ : ٨ .
(١٠) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠
(١١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ لظفر الإسلام خان — الناشر — دار النفائس بيروت .
(١٢) نفسه ص ٧٧ .

القبر وتبقى حتى انتهاء السبت ، حيث تغادر الجسم ، ولزم إثبات هذه الروح الجديدة بسبب الرغبة المتزايدة فى الأكل والشرب »(١) . كل هذه التفصيلات لا نجدها فى العهد القديم . ويشرح « سعديا الفيومى » فى كتابه « الأمانات والاعتقادات » مفارقة الروح لجسدها بقوله : « وفى أول زمان المفارقة تغيم مدة لا تستقر مقرها إلى أن يبلى الجسم ، ومعنى ذلك إلى أن تفترق أجزاؤه ، فتكون فى هذه المدة يصعب عليها ما تعلمه ، مما يمر بالجسم من الدود والرمة وما أشبه ذلك . كما يصعب على الإنسان علمه بأن بيتاً كان يسكنه قد خرب ونبت فيه الشوك والحسك . وهذه صعوبة تكون على النفس بالأقل والأكثر حسب استحقاقها ، كما أن منزلته بالسفل تكون بالأقل والأكثر فتصعب عليه حسب استحقاقها »(٢) . ويبين سعديا الفيومى المكان الذى تستقر فيه الأرواح بعد مفارقتها للجسد بقوله : « تحفظ إلى وقت المجازاة وتكون الصوافى منها موضع حفظها فى علوم الكوادر فى سفل »(٣) . ويبن المدة التى تحفظ فيها الأرواح الصالحة والأرواح الطالحة فيقول : « إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجتمع جميع النفوس التى أوجبت الحكمة من البارىء خلقها ، وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا ، فإذا تم عددها واجتمعت جمع بين النفوس وأجسامها »(٤) . والذى نلاحظه أن ما ورد فى التلمود فيه تفصيلات لأمور كثيرة لم ترد فى العهد القديم عن الروح ، وترددها على القبر ورغبتها فى الرجوع إلى جثة الميت ، ثم فرارها بعد أن ترى أن الجثة قد تغيرت .

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يقولون بعذاب القبر ويتعوذون منه .

روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها ، فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر . فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ، فقال : « نعم عذاب القبر » قالت عائشة رضى الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر زاد غُنْدَرٌ : « عذاب القبر حق »(٥) .

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ لظفر الإسلام خان ــ الناشر ــ دار النفائس بيروت ص ٧٧

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢٠٦ سعديا الفيومى . (٣) نفسه ص ٢٠٧ .

(٤) نفسه ص ٢٠٧ . (٥) فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٢ / ١٨٣

يقول ابن كثير بعد أن أورد حديث عائشة وما دار بينها وبين اليهودية عن عذاب القبر ، وإقرار الرسول ﷺ لما ذكرته اليهودية لعائشة عن عذاب القبر : « فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية فى هذا الخبر وقرر عليه »[1] .

وبعد عرضنا للبرزخ عند اليهود يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصور الإسلامى والتصور اليهودى للميت فى فترة البرزخ على النحو التالى :

مواطن الاتفاق :

أولا : يعتقد اليهود أن هناك قصاصاً بعد الموت في القبر الذي يطلقون عليه لفظ الهاوية[2] ، وأن هذا القصاص يترتب عليه الثواب والعقاب لروح الميت ، وهذا القصاص لا تعطي أسفار العهد القديم صورة مفصلة عنه ، ولكن التعاليم الشفوية أعطت بعض التفصيلات عن نعيم الروح وعذابها ، وفكرة القصاص في القبر عند اليهود بينها وبين عذاب القبر في الإسلام وجه شبه بيّن ، خصوصاً إذا علمنا أن يهودية أخبرت السيدة عائشة بعذاب القبر ، وأن الرسول ﷺ أقر اليهودية حين أخبرته السيدة عائشة بما قالته اليهودية عن عذاب القبر

ثانيا : يتفق التصور اليهودي مع التصور الإسلامى فى المصير النهائي للأرواح فى فترة البرزخ ، حيث يعتقد اليهود أن الأرواح الصالحة تكون فى علو حسب استحقاقها ، وأن الأرواح الشريرة تكون فى سفل حسب استحقاقها أيضا .

أما مواطن الاختلاف فتتمثل فيما يأتى :

أولا : أن النعيم والعذاب يقع على الروح وحدها[3] دون الجسد ، بعكس مانجد فى الإسلام ، إذ أن العذاب والنعيم يقع على الروح وحدها أحيانا ، وعليها وعلى الجسد أيضاً[4] .

ثانيا : أن البرزخ فى التصور الإسلامى يتعرض فيه الميت لسؤال الملكين ، ولا يوجد ذلك عند اليهود .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨٢ .   (٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

(٣) انظر الأمانات والاعتقادات ص ٢٦ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٨ والروح لابن القيم ص ١٢٥ .

ثالثا : أن التفصيلات التى وردت عن الروح وترددها على الجسد يوم السبت ورغبتها فى الرجوع الى الجسد ثم تراجعها بعد رؤيتها تغير الجسد . لا توجد فى التصور الإسلامى تلك الحالة للروح .

* * *

المبحث الثالث

علامات الساعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : علامات الساعة فى التصور الإسلامى

بداية يقرر القرآن الكريم أن الساعة بمعناها العام التى تقوم فيها القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسموات لايعلمها أحد إلا الله ، يقول تعالى: ﴿ **إن الله عنده علم الساعة ويُنَزِّل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾[(١)] .

ويقول تعالى فى رده على الذين يسألون الرسول ﷺ عن الساعة ، مبينا عدم معرفة الرسول لوقتها ، وإنما الذى يعلم وقتها هو الله ﴿ **يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفىٌّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[(٢)] ويبين القرآن الكريم أن مهمة الرسول ﷺ الإنذار بها ، لا تحديد وقتها ، يقول الله تعالى ﴿ **يسئلونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾[(٣)] والآيات القرآنية تقرر بكل صراحة ووضوح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله ، ونفى القرآن الكريم عن الرسول معرفتها ، وبين أن مهمته تتمثل فى الإنذار بها لا تحديد وقتها .

إلا أن علامات الساعة وأشراطها قد أخبر عنها الرسول ﷺ روى الإمام مسلم بسنده عن ابن عمر فى حديث جبريل الذى سأل فيه الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، أن جبريل سأل الرسول ﷺ عن الساعة ، قال فأخبرنى عن الساعة . قال : « ماالمسئول عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرنى عن أمارتها . قال : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان »[(٤)] فى الحديث نفى الرسول

---

(١) لقمان ٣٤ .

(٢) الأعراف ١٨٧ .

(٣) النازعات ٤٢ — ٤٦ .

(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٢ طبعة عيسى الحلبى .

ﷺ عن نفسه العلم بالساعة ، ولكنه أخبر عن أماراتها كما ورد فى الحديث .

وروى مسلم بسنده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم السبابة والوسطى[1]،يقول النووى فى شرحه لهذا الحديث « المراد بينهما شيىء يسير كما بين الأصبعين فى الطول ، وقيل هو إشارة إلى قرب المجاوزة »[2] .

وليس فى نفى القرآن الكريم العلم بالساعة عن الرسول ، وإثبات الرسول ﷺ أنه علم أماراتها ، ولا ماأخبر عنه ﷺ من أنه بعث والساعة كهاتين ، كما أخبر فى الحديث السابق ، نوع من التناقض يقول القرطبى فى تذكرته : « إن قيل ثبت أن النبى ﷺ سأل جبريل عن الساعة ، فقال : « ماالمسئول عنها بأعلم من السائل » الحديث ، فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم ، ورويتم عنه أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وهذا يدل على أنه كان عالما ، فكيف يتآلف الخبران ؟ »[3] ويوفق القرطبى بين ماورد فى القرآن وما أخبر عنه الرسول ﷺ .

يقول القرطبى : « نطق القرآن بقوله الحق ﴿ **قل إنما علمها عند ربى** ﴾ الآية فلم يكن يعلمها هو ولا غيره ، أما قوله : « بعثت أنا والساعة كهاتين » فمعناه : أنا النبى الأخير ، فلا يلينى نبى آخر ، وإنما تلينى القيامة ، كما تلى السبابة الوسطى وليس بينهما إصبع أخرى ، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها ، وهى مع ذلك كائن ، لأن أشراطها متتابعة وقد ذكر الله الأشراط فى القرآن فقال ﴿ **فقد جاء أشراطها** ﴾ أى دنت ، وأولها النبى ﷺ لأنه نبى آخر الزمان ، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبى ، ثم بين ﷺ مايليه من الأشراط ، فقال : « أن تلد الأمة ربتها » إلى غير ذلك[4] . والذى ذكره القرطبى فى تذكرته يرد على كل معترض ــ بأن بين القرآن الكريم ولأحاديث النبوية تعارضاً فيما يتعلق بالساعة ووقتها ــ إذ أن ما ورد فى الأحاديث النبوية موافق لما جاء فى القرآن الكريم من ناحيتين :

الناحية الأولى : أن الرسول ﷺ نفى عن نفسه وعن غيره العلم بالساعة ووقتها ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النوّوى جـ الثامن عشر ص ٨٩ ــ ٩٠ الناشر المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٢) نفسه ص ٨٩ .

(٣) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٧٣٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ــ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ .

(٤) نفسه جـ ٢ ص ٧٣٣ .

وهذا ماقرره القرآن الكريم .

الناحية الثانية : أن الله عز وجل قد تحدث عن مجيء أشراط الساعة وعلاماتها ، والرسول ﷺ فصّل ماأجمله القرآن الكريم عند تلك الأشراط ووردت بعض التفصيلات عن العلامات الصغرى والكبرى للساعة ، كما سيتضح عند عرضنا للأحاديث التى تحدثت عن ذلك .

أشراط الساعة :

من أشمل ما ورد من الأحاديث الصحيحة فى علامات الساعة الصغرى والكبرى ما رواه الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس منْ مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، ولتقُومَنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقُومَنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقُومَنَّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقُومَنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها »(1) .

وهذا الحديث الذى رواه الإمام البخارى عن علامات الساعة من أشمل الأحاديث التى وردت فى أشراط الساعة ، إلى درجة أنه « لم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والأشراط فى عموم إنذار النبى ﷺ بفساد الزمان ، وتغيير الدين ، وذهاب الأمانة ، ما يغنى عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة فى أشراط الساعة »(2) .

---

(1) فتح البارى جـ ١٣ ص ٧٠ ــ ٧٦ .

(2) التذكرة جـ ٢ ص ٧٣٤ يورد القرطبي فى التذكرة بعض الأحاديث والتفاصيل الباطلة عن أشراط الساعة ، والتى منها ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أن فى سنة مائتين تأويه كذا وكذا وفى العشر والمائتين يكون كذا وكذا ويبين كذب هذه الأخبار من ناحية أنه قد مضت هذه المدة وغيرها ، ولم يقع شيء من الذى يدعى أن الرسول أخبر به ، ومن ناحية أخرى أن التاريخ على عهد الرسول لم يكن معروفاً ، وإنما عرف فى عهد عمر فكيف يجوز هذا ، ولم يكن وضع =

ولقد استنبط العلماء من حديث البخارى السابق أن علامات الساعة منها ما وقع على وفق ما قاله ﷺ ، وهذا من علامات ثبوته ، ومنها ما وقعت مباديه ولم يستحكم بعد ، ومنها ما لم يقع منه شىء ولكنه سيقع . يقول ابن حجر فى فتح البارى شرح صحيح البخارى فى شرحه للحديث السابق : « هذه المذكورات وغيرها مما أخبر ﷺ بأنه سيقع قبل أن تقوم الساعة ، لكنه على أقسام :

أحدها :

ما وقع وفق ما قال ، وهذا من علامات النبوة له ﷺ ، كاقتتال الفئتين العظيمتين ، وظهور الفتن ، وكثرة الهرج ، وتطاول الناس فى البنيان ، وتمنى بعض الناس الموت .

الثانى :

ما وقعت مباديه ولم يستحكم ، ومن هذا النمط تقارب الزمان ، وكثرة الزلازل ، وخروج الدجالين الكذابين ، وحين يوسد الأمر إلى غير أهله حتى يكون الولد غيظاً ، والمطر قيظاً ، ويجترىء الصغير على الكبير ، واللئيم على الكريم ، ويخرب عمران الدنيا .

الثالث :

ما لم يقع وسيقع بعد ، من هذا النمط طلوع الشمس من مغربها ، وقتال المسلمين لليهود حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر ، فيقول الحجر : يا مسلم ، هذا يهودى ورائى فاقتله ، وأن ذلك يظهر قبل الدجال . وهذه العلامات من العلامات الكبرى التى لا تُقبل التوبة بعدها . وينقل ابن حجر حديثاً أخرجه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه « ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل : الدجال ، والدَّابة ، وطلوع الشمس من مغربها »[1] .

وسنتحدث عن العلامات الكبرى للساعة التى تسبق القيامة مباشرة ، ومن أظهر تلك العلامات ظهور الدجال ، ونزول عيسى بن مريم إلى الأرض ليقتل الدجال .

وهناك أحاديث وردت فى كتب السنة عن خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم .

= شيء من التاريخ . التذكرة جـ ٢ ص ٧٣٥ .

(١) فتح البارى جـ ١٣ ص ٧٧ ــ وانظر من ص ٧١ ــ ٧٧

من تلك الأحاديث :

ما رواه البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماء ، قلت من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية ، قالوا : هذا الدجال ، أقرب الناس به شبها ابن قطن رجل من خزاعة »[(1)] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال : « غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم . إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خَلَّةً[(2)] بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالاً . يا عباد الله فاثبتوا » قلنا : يا رسول الله ، وما لبثه فى الأرض ؟ قال : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » فقلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا ، اقدروا له قدره » قلنا : يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : « كالغيث استدبرته الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم[(3)] أطول ما كنت ذُرا وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ،فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين[(4)] ليس بأيديهم شىء من أموالهم ، ويمر بالخَرِبة فيقول لها أخرجى كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيَعَاسِيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين[(5)] ، واضعاً كفيه على أجنحة

---

(1) فتح البارى جـ ١٣ / ٨١ : ٨٣ .

(2) أى مابين البلدين .

(3) أى ماشيتهم

(4) مجدبين .

(5) فيها لغتان مهروذتان أو مهرودتان . أى ثوبين مصبوغتين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة .

ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ (١)، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد (٢) فيقتله ، ثم يأتى عيسى بن مريم قوما عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان (٣) لأحد بقتالهم ، فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل صوب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحضر نبى الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نَبِيُّ الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النَّغف(٤) فى رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلَّا ملأه زهمهم(٥) ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً ، لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة(٦) ، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك ، وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرِّسْلِ(٧) ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفآم من الناس ، واللَّقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة(٨) من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة »(٩) .

وهذا الحديث الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه يتحدث صراحة عن الدجال وفتنته ، وصفته قبل قيام الساعة ، ثم نزول المسيح عيسى بن مريم لقتل الدجال وإظهار الحق والدعوة إلى شريعة الإسلام . يؤكد هذا ما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى

---

(١) أى حبات الفضة .

(٢) بلدة قريبة من بيت المقدس .

(٣) أى لا قدرة ولا طاقة لأحد على قتالهم .

(٤) دود يكون فى أنوف الإبل .

(٥) أى دسمهم ورائحتهم الكريهة .

(٦) كالمرآة أو كالروضة أو كالصفحة كلها معان تحتملها الكلمة .

(٧) اللبن .

(٨) اللقحة ـــ القريبة العهد بالولادة .

(٩) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٦٣ ـــ ٧١ .

الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويَقْبِضُ المال حتى لا يقبله أحد »(١) والمسيح عليه السلام حين ينزل يصير هو الحاكم ، لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضى ولا مفتى ، لأن العلم يكون قد قبض من الناس ، وهذا من علامات الساعة فينزل عيسى عليه السلام للحكم بين الناس بشريعة الإسلام ، وحينئذ يجتمع المسلمون حوله ويحكمونه على أنفسهم ، إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ، ولأن تعطيل الأحكام الشرعية غير جائز ، ونلاحظ أن هناك تلازما بين ظهور الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام . وهذا مما يدل على أن ذلك مما يسبق الساعة ، ومن العلامات الكبرى التى لا تُقْبَل التوبة بعدها .

ثانياً : علامات الساعة فى التصور النصرانى

ورد فى الأناجيل عدم تحديد الساعة ونفى معرفتها عن أحد سوى الله عز وجل ، وأن المسيح والملائكة لا يعلمون تحديد الساعة التى تقوم فيها القيامة للدينونة . ورد فى إنجيل متى : « وأما فى ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده »(٢) . واضح من النص أنه ينص صراحة على معرفة الله وحده بالساعة ، وأن الملائكة لاتعلم وقتها ، ولكن الله هو الذى يعلم ذلك الوقت .

ورد فى تفسير النص السابق « فلا يعلم بها أحد » قال هذا لقطع رجاء الرسل أن يعرفوا وقت الدين فالأمر مؤكد والزمان مجهول(٣) ، ويشعر المفسر بالتناقض بين كون المسيح إلٰها فى اعتقاد النصارىٰ ، وبين عدم معرفته بتحديد وقت الساعة ، فيرد ذلك إلى عدم قدرة العقل فى الخوض والتوفيق بين كونه إلٰهاً ، وكونه لا يعلم الساعة . يقول مفسر إنجيل متى : « ولا نستطيع أن ندرك كيف أنَّ يسوع باعتبار كونه إنساناً لا يعرف الزمان الذى عينه باعتبار كونه إلٰها ، ولكن هذا ليس بأبعد عن إدراكنا سر التثليث أو سر التجسد » (٤) . إلى هذا الحد يصل المفسر إلى التناقض ، إذ أنه يعتقد أن المسيح باعتبار كونه إلهاً قد عين وقت الساعة ، وباعتبار كونه إنساناً لا يعلم وقتها . ونظراً لمصادمة ذلك للعقل فإن المفسر يذهب إلى القول بأن هذا من الأسرار التى لا تستطيع عقولنا أن تهتدى

---

(١) رواه البخارى جـ ٢ ص ٢٧ ، ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .
(٢) متى ٢٤ ـــ ٣٦ / ٣٧ .
(٣) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل جـ ١ ص ٤١٨ .
(٤) الكنز الجليل جـ ١ ص ٤١٨ .

إليه .

وورد فى متى فى عدم تحديد وقت الساعة : « اسهروا ، لأنكم لا تعلمون فى أى ساعة يأتى ربكم ، واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته يتعب ، لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان »(١) .

وورد فى أعمال الرسل عن عدم تحديدها أيضاً ما نصه : « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الأب فى سلطانه » (٢) وورد فى تفسير ذلك النص قول صاحب الكنز الجليل : « أبى فى جوابه أن يعين لهم الوقت بناءًا على المبدأ ، وهو أن الله لا يخبر الناس بأوقات الحوادث العظيمة المتعلقة بملكوته . ومثل ذلك كان جوابه للرسل حين قالوا : قل لنا متى يكون هذا ، وهو قوله : وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده ، ولكن وجَّه أفكارهم إلى الاستعداد للقيام بما يجب عليهم من الخدمة ، لأن الأزمنة والأوقات التى تحدث فيها الأمور المستقبلية التى جعلها الأب فى سلطانه — أى عيَّنها بحكمته الأزلية — لا يعرفها أحد ، ولا الملائكة ، ولا المسيح نفسه باعتبار كونه إنساناً ولا يليق بالإنسان أن يسأل عنها ، ولا نعلم علة ذلك ، إنما نعلم أن الناس لو علوها وعرفوا أنها بعيدة لغفوا عن الاستعداد لها وأهملوا السهر ».(٣) .

وهذه النصوص تدل بصراحة ووضوح أن الساعة لا يعلمها أحد إلا الله ، وهذا هو اعتقاد النصارى كما ورد فى الأناجيل وأعمال الرسل ، وهذا التصور يتفق مع التصور الإسلامى بالنسبة لعدم تحديد وقت الساعة وأنه لا يعرفها أحد إلا الله ، وليس المجال هنا لبيان التناقض الصريح والواضح جداً بين اعتقاد النصارى فى ألوهية المسيح ونفى العلم عنه بالساعة وموعدها ، بالرغم من ادعاء النصارى أنه هو الذى حددها وأنه لا يعلمها لأنه إنسان(٤) .

وإذا كانت الساعة غير معلومة فإن علاماتها قد أخبر بها المسيح كما يقول النصارى فى العهد الجديد ، ورد عن علامات الساعة فى إنجيل يوحنا : « أيها الأولاد ، هى الساعة الأخيرة ، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى قد صار الآن أضداد كثيرون ، من هنا نعلم أنها

(١) متى ٢٤ — ٤٢ / ٤٥ .
(٢) أعمال الرسل ١ — ٧ / ٨ .
(٣) الكنز الجليل جـ ٤ ص ١٠ بتصرف .
(٤) انظر الكنز الجليل جـ ٢ ص ٤١٨ .

الساعة الأخيرة » (١) .

والنص السابق يشير إلى علامات الساعة ، وهى مجىء ضد المسيح ، أى ضد شخصه وضد دعوته ، ويقصد يوحنا بذلك النص الإشارة إلى مجىء المسيح الدجال ، وورد فى رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى ما نصه : « ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجىء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم ، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا ـــ أى أن يوم المسيح قد حضر ـــ لا يخدعنكم أحد على طريقةٍ ما ، لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولا ، ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك القادم والمرتفع على كل ما يدعى إلٰها أو معبوداً ، حتى إنه يجلس فى هيكل الله كإلٰه مظهرا نفسه أنه إله »(٢) . بولس يتحدث عن مجىء المسيح وعودته مرة أخرى إلى الأرض ، ولكنه يحذر أهل تسالونيكى أن لا يرتاعوا ، وأن لا يخدعوا بأى واحد يقول لهم إن يوم المسيح قد حضر ، ثم يبين العلامات التى تسبق مجىء المسيح وتسلتزم رجوعه ، وهذه العلامات تتمثل فى الارتداد عن الكنيسة ويظهر إنسان الخطية ابن الهلاك ـــ أى المسيح الدجال ـــ الذى يدعى الألوهية ، ويرتفع حتى يظهر فى هيكل الله معلنا نفسه أنه إلٰه ، يقول ميخائيل مينا : « واضح من هذه النصوص الإلٰهية أن يوم الرب الأخير لا يأتى ما لم يأت هذا الإنسان المقاوم المعروف بالمسيح الدجال »(٣) . وقد وردت صفات الدجال فى رؤيا يوحنا اللاهوتى : « والوحش الذى رأيته شبه نمر ، قوائمه كقوائم دب ، وفمه كفم أسد ، وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً ، ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت ، وجرحه المميت قد شفى ، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش ، وسجدوا للتنين الذى أعطى السلطان للوحش ، وسجدوا للوحش قائلين : من هو مثل الوحش ، من يستطيع أن يحاربه ؟ وأعطى فما يتكلم بعظائم وتجاديف ، وأعطى سلطاناً أن يفعل اثنين وأربعين شهراً ، ففتح فمه بالتجديف على الله ، ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين فى السماء ، وأعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم ، وأعطى سلطانا على كل قبيلة ولسان وأمة ، فسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم فى سفر حياة الخروف الذى ذبح »(٤) . ويوضح صاحب الكنز الجليل تلك

---

(١) يوحنا ٢ / ١٨ وانظر بولس والمسيح ص ١٢٩ . (٢) رسالة بولس إلى أهل تسالونيكى ٢ ـــ ١ / ٥ .

(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٥ . (٤) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٣ : ٢ / ١٠ .

الصفات بقوله : « إن قوة الوحش مكتسبة لا أصلية ، أى أن الله سمح له أن يستعملها زمناً يسيرا ، وسماح الله للوحش بذلك امتحان لإيمان الكنيسة »[1] .

وهناك بعض الفتن التى يحدثها المسيح الدجال مع القديسين كما يزعم النصارى ، يقول ميخائيل مينا : « يصنع الدجال حربا عظمى مع رجال الله ، ولا سيما مع إيليا ، وأخنوخ ، اللذين بعد أن يستظهرا عليه ويغلباه يسمح له الله أن يقتلهما ، وتبقى جثثا هامدة مطروحة على الأرض بلا دفن ثلاثة أيام ونصفا ، وبعد ذلك يقومان بقوة الله حيين »[2] . ورد فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى : « هذان لهما السلطان أن يغلقا السماء حتى لا تمطر مطرا فى أيام نبوتهما ، ولهما سلطان على المياه أن يحولاها إلى دم ، وأن يضربا الأرض بكل ضربة كلما أرادا ، ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حربا ، ويقلبهما ويقتلهما ، وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التى تدعى روحيا سدوم ، ومصر ، حيث صلب ربنا ، وينظر أناس من الشعوب والقبائل والألسنة والأمم جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا ، ولا يدعون جثتيهما توضعان فى القبور ، ويشمت بهما الساكنون على الأرض ويتهللون ويرسلون هدايا بعضهم لبعض ، لأن النبيين قد عذبا الساكنين على الأرض »[3] . ونص يوحنا يوضح أن الوحش المسيح الدجال سيحدث فتناً عظيمة ، منها غلبته لإيليا وإخنوخ ، وقتله لهما ، وترك جثتيهما على الطريق والناس ينظرون إلى قوة الدجال ، ويشمتون فى قتل هذين النبيين ؛ لأنهما قد عذبا الساكنين على الأرض ، والعذاب هنا كناية عن التوبيخات من النّبيين للذين يفعلون الخطايا[4] ، ففتنة المسيح الدجال تتمثل فى القتل وافتتان الناس به ، وفرحهم بقتل الصالحين الذين شهدوا على خطاياهم .

ومن العجائب التى تظهر على يد المسيح الدجال يذكر العهد الجديد عددا من العجائب والغرائب التى تظهر على يديه ، والتى يدعو الناس بسببها إلى كونه إلهاً يستحق العبادة منهم . ورد فى إنجيل متى : « حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هناأو هناك فلا تصدقوا ؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ،

---

(١) الكنز الجليل جـ ٨ ص ٤٨٠ .

(٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١١ / ٦ / ١١ .

(٤) الكنز الجليل ٤٦٠ وما بعدها .

حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم » (١). يقول صاحب الكنز الجليل : « لعل المسيح أراد تحذير تلاميذه من توقع مجيئه الثانى على أثر خراب أورشليم ، ولا شك أنه قصد تحذير شعبه فى العصور الآتية من أن يخدعوا بأقوال الكذبة » (٢) ، وإذا كان متى يخبر بأن هناك مسحاء سيظهرون آيات عجيبة ويحذر من تصديقهم ، فإن يوحنا اللاهوتى يتحدث عن الآيات العجيبة التى تظهر على يد المسيح الدجال قبل قيام الساعة وقبل رجوع المسيح عليه السلام ، ويتحدث فى رؤياه عن ثلاث عجائب ، تظهر على يد الدجال ، ورد فى رؤيا يوحنا اللاهوتى ما نصه : « ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت ، وجرحه المميت قد شفى ، وتعجبت كل الأرض وراء الوحش ، وسجدوا للتنين الذى أعطى السلطان للوحش ، وسجدوا للوحش قائلين ، من هو مثال الوحش ، من يستطيع أن يحاربه » (٣)، ويصنع آيات عظيمة ، حتى إنه يجعل نارا تنزل من السماء على الأرض قدام الناس ، وأعطى أن يعطى روحا لصورة الوحش ، حتى تتكلم صورة الوحش ، ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون ، ويجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم ، وأن لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا من له السمة(٤) . يقول ميخائيل مينا : « قد يصنع الدجال آيات ومعجزات كثيرة بقوة الشيطان يشفى أحد أتباعه أو هو نفسه من جرح قاتل ، ينزل نارا من السماء ، وذلك فى طاقة الشيطان ، لأنه قادر على أن ينزل من الجو صواعق ويثير رعودا وبرقا ، ويجعل تمثاله ينطق ويتكلم ، وذلك بأن يدخل روح من الأرواح الشيطانية فى ذلك التمثال على عادة الوثنيين ، فيصيره ناطقا متكلماً ، ولكن هذه العجائب كلها باطلة وخيالية ، لا حقيقة لها بنفسها ، وإنما الشيطان يتحايل الناس بها كأنها حق » (٥) . ونلاحظ أن ما ورد فى نص متى الذى يحذر فيه المسيح من المسحاء الكذابين أنه يتفق فى معناه مع ما أخبر عنه النبى ﷺ بقوله « بين يدى الساعة ثلاثون دجالاً كذاباً »(٦) . وأن ما ورد فى العجائب التى تظهر على يد الدجال ـــ والتى عرضنا بعضاً منها عند النصارى ـــ يتفق بمعناه مع ما أخبر عنه ﷺ من العجائب التى

---

(١) متى ٢٤ ـــ ٢٤ / ٢٦ . (٢) الكنز الجليل جـ ١ ص ٤١٢ .

(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتى ٣ ـــ ٣ ـــ ٥ .

(٤) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٣ ـــ ١٣ / ١٧ .

(٥) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٦ / ١٧٧ بتصرف . (٦) فتح البارى جـ ١٣ ص ٧٣ .

ظهر على يد المسيح الدجال . روى البخارى بسنده عن حذيفة عن النبى ﷺ قال فى لدجال : « إن معه ماءً وناراً ، فناره ماء بارد ، وماؤه نار » قال أبو مسعود : أنا سمعته من سول الله ﷺ[1] . وأن الفتن التى يحدثها الدجال ، وتحدّثنا عنها الأناجيل تتفق فى معناها أيضا مع ما أخبر عنه ﷺ فيما يفعله الدجال مع الصالحين من عباد الله ، وأنه ستظهر على يديه بعض العجائب التى تفتن الناس . روى البخارى بسنده أن أبا سعيد قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان مما يحدثنا به أنه قال : « يأتى الدجال وهو مُحَرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيار الناس ، فيقول : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه . فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ، ثم يحييه ، فيقول : والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم ، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه »[2] ونحن نسجل هذا لا ننزعج من التوافق بين روايات العهد الجديد عن المسيح الدجال وفتنته ، وما أخبر عنه ﷺ ، ما دمنا نعترف أن للعهد الجديد أصلاً صحيحاً انحرف عنه ، فقد تكون تلك الروايات من الأصول الصحيحة ، بخاصة إذا علمنا أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى وقد أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ، ولكنى سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبى لقومه : إنه أعور وإن الله ليس بأعور »[3] فالرسول ﷺ قد أخبر أن الأنبياء قد أنذرت أممهم بالمسيح الدجال ، وما يفعله بالناس الذين ينزل فيهم ، وأخبر الرسول ﷺ أيضا بذلك إلا أنه زاد صفاته توضيحا ، فوصفه بأنه أعور ، ولم يحدث نبىٌّ من الأنبياء أمته بهذه الصفة .

ومما تحدث العهد الجديد عنه بالنسبة للدجال مدة حكمه . ورد فى رؤيا يوحنا اللاهوتى : « وأعطى فما يتكلم بعظائم وتجاديف ، وأعطى سلطاناً أن يفعل اثنين وأربعين شهراً »[4] يقول ميخائيل مينا : « أما مدة حكم الدجال فثلاث سنين ونصف ، يعانى فيها العالم من الأهوال والشدائد الفادحة ما يقصر عنه البيان ، وقد ينتشر سلطانه ويمتد ملكه إلى أقاصى الأرض كلها ، حيث يكون له أتباع وأعوان فى كل مكان ، يحملون لقب ملوك

---

(١) فتح البارى جـ ١٣ ص ٨٤ .
(٢) نفسه جـ ١٣ ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ .
(٣) فتح البارى جـ ١٣ ص ٨٠ ، ٨١ .
(٤) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٣ — ٥ / ٦ .

وولاة ، ليرغموا الناس على الإسرار بألوهيته ، وإلا ساموهم ظلماً وخسفاً(١) » . ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد حدد المدة التى يمكث فيها الدجال فى الأرض بأربعين يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيام الناس ، ولا شك أننا نتمسك هنا بصحة المدة التى حددها رسول الله ﷺ .

نهاية الدجال فى التصور النصرانى :

يعتقد النصارى أن الدجال ستكون نهايته على يد المسيح عليه السلام ، وذلك قبل أن تقوم الساعة ، وأنه سيطرح فى النار حيًّا ومعه أحد الكذابين ، وأما الذين اتبعوه وصدقوه بكذبه فسوف يُقْتَلُونَ بيد المسيح الذى يخرج جالساً على فرس . ورد فى سفر الرؤيا يوحنا اللاهوتى ما نصه : « ورأيت ملاكـاً واحـداً واقفـاً فى الشمس ، فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة فى وسط السماء : هلم اجتمعى إلى عشاء الإلٰه العظيم ، لكى تأكلى لحوم ملوك ، ولحوم قواد ، ولحوم خيل والجالسين عليها ، ولحوم الكل حُراً وعبـداً صغيراً أو كبيرا ، ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ، ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده ، فقبض على الوحش والنبى الكذاب معه الصانع ، قدامه الآيات التى بها أضل الذين قبلوا اسمه الوحش ، والذين سجدوا لصورته ، وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المُتَّقدة بالكبريت ، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه ، وجميع الطيور شبعت من لحومهم » (٢) . ويقال : إن المدة التى يمكث فيها الدجال بعد أن تنتهى يذهب إلى جبل الزيتون — المكان الذى يزعم النصارى أن المسيح صعد منه إلى السماء — ليصعد إلى السماء كما صعد المسيح ، ولكن يسوع يضربه ضربة قاتلة ، يتحدد على أثرها إلى الجحيم ، حيث النار المتقدة بالكبريت(٣) ، والذين معه سوف يقتلون وتترك لحومهم لطيور السماء تأكلها وتتغذى عليها ، وبعد ذلك نجد أن النصارى يختلفون فيما بينهم عن المدة التى يبقى فيها المسيح على الأرض ، وحال الناس فى تلك الفترة التى تعرف بالملك الألفى — أى الألف سنة التى يقضيها المسيح على الأرض — اختلفوا على رأيين :

الرأى الأول : يرى أن الألف سنة تبتدىء بمجىء المسيح قبل نهاية العالم ، وأنه

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٦ .
(٢) رؤيا يوحنا ١٩ — ١٧ / ٢١ .
(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧٩ .

يملك مع قديسيه ألف سنة على الأرض ، وأنه فى تلك الفترة يعيش القديسون تحت لوائه فى حالة عظيمة من المجد والسعادة ، وأن هذه القيامة التى يقوم فيها المسيح مع قديسيه هى سعادة النفس وحدها ، أما القيامة الثانية فهى سعادة الروح والجسد معاً . وقد أيد هذا الرأى الكثير من مشاهير علماء الكتاب[1] الأرثوذكس .

الرأى الثانى: يذهب إلى أن الألف سنة مدة محصورة بدايتها موت الدجال وتنتهى بالقيامة العامة ، وحينذاك يقوم الأبرار من الأموات ، ويملكون على الأرض مع المسيح ألف سنة ، وفى هذه الفترة ينتشر الأمن والأمان ، ويسكن الذئب مع الخروف ، ويربض النمر مع الجدى[2] . وهذا الرأى يذهب إليه لفيف من البروتستانت .

وهذان الرأيان لا اختلاف كبيراً فيما بينهما ، إذ يتفق الرأى الأول والثانى على الملك الألفى والقيامة الخاصة التى تسبق القيامة العامة ، وأن الأبرار من الأموات يقومون ليعيشوا فى سعادة حسية على الأرض مع المسيح عليه السلام ، والاختلاف فى الزمن هل هو قبل الدجال أو بعده ، والأرثوذكس يرجحون الرأى الأول ، والبروتستانت يرجحون الرأى الثانى[3] .

وهذا الملك الألفى الذى اختلف حوله النصارى نجد أن فى إنجيل متى نصا يشير إلى أن النصارى لن يكونوا هم أصحاب هذا الملكوت ، وإنما ينزع منهم ويعطى لغيرهم ، ويفسر بعض علماء الإسلام هذا النص بأنه إشارة إلى حكم المسيح عليه السلام بشريعة الإسلام فى آخر الزمان بعد قتل الدجال . ونص متى هو « لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره »[4] . يقول الدكتور الفرت فى تعليقه على نص متى : « إنه لكيلا يبقى إخواننا المسيحيون فى حيرة من أمرهم ، ولكى لا يظنوا أن المسيح يكذبهم ، يمكن القول بأن ذلك الملكوت يمكن توقعه فى مجىء المسيح الثانى حين انقضاء الدهر ، ليقضى على الدجل والدجال فى آخر الدنيا ، وليصلح الأرض بالإيمان بعد ما استشرى فيها الفساد والكفر والضلال ، وبذلك تكون على دعوته نهاية العالم ، وإنا لنجد فى نصوص الإنجيل ما يؤكد هذا المسلك ، فإن المسيح لما رأى انتظار القوم لحلول الملكوت أبهم تحديد وقته على وجه التعيين ، ولما كان التلاميذ فى شغف من معرفة وقت حلول

---

(1) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٩ / ١٧١ .
(2) انظر سفر أشعياء ١١ : ٦ / ١٠ .
(3) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٧١ / ١٧٥ .
(4) متى ٢١ : ٤٣ .

الملكوت الذى يأتى عند انقضاء الدهر أكد لهم أن لذلك اليوم مقدمات وعلامات متى تأت يكون الملكوت(١) .

ويذهب الدكتور الفرت إلى أن ما أخبر به المسيح عليه السلام من مجيئه الثانى قبل انقضاء الدهر ، ليقيم مملكة قائمة على أسس قويمة من الدين ، وأنها ستكون مملكة مثالية فى سعادتها تحت تطبيق الشريعة التى ينادى بها المسيح عليه السلام ، قول صدق وخبر حق . ونجد فى الإسلام ما يؤكدها . يقول الدكتور الفرت : « والله أكبر حين يتلى على أسماعنا قوله ، ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتى المنتهى ، وبذلك يتفق عيسى ومحمد على أن العالم ستسوده دعوة عيسى وحكم عيسى قبل انقضاء الدهر ، لكن بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، والذى يؤكد نبوءة محمد هذه أن المسيح عليه السلام ذكر أن بشارته ستكون لجميع الأمم ؛ لأن عيسى عليه السلام فى رسالته الأولى لم يرسل لبنى إسرائيل خاصة ، ولم يرسل لجميع الأمم ، وهذا ما عرفناه وسجله التاريخ من بعد أن سجله الإنجيل ، أما فى المجيء الثانى فإن بشارته ستكون لجميع الأمم حقاً وصدقا » (٢) . وأميل إلى ما ذهب إليه الدكتور الفرت ؛ لأن ما ذهب إليه هو ما يتفق مع التصور الإسلامى فى نزول المسيح وحكمه بشريعة الإسلام ، التى جعلها الله عز وجل خاتمة الشرائع وختم بنبيِّها النبوة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن إنجيل برنابا يشير إلى عودة المسيح قبل القيامة ، ليشهد على الذين حرَّفوا الإنجيل واتخذوه إلٰهاً . ورد فى إنجيل برنابا قول المسيح : « إنى رجل فانٍ كسائر الناس ، على أنى وإن أقامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة ، خادم الله وأنتم شهداء على هذا ، كيف أنى أنكر على هؤلاء الأشرار بعد انصرافى من العالم سيبطلون حق إنجيلى بعمل الشيطان ، ولكن سأعود قبل النهاية ، وسيأتى معى أخنوخ وإيليا ، ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة » (٣) .

تعقيب على علامات الساعة بين التصور الإسلامى والتصور النصرانى :

بعد عرضنا لعلامات الساعة بين الإسلام والنصرانية يمكن أن نقرر مواطن الاتفاق

---

(١) انظر بولس والمسيحية ص ١٤١ / ١٤٣ للدكتور أبو الغيط الفرت . الناشر دار الطباعة المحمدية ــ الطبعة الأولى .

(٢) بولس والمسيحية ص ١٤٥ ــ ١٤٦ .

(٣) إنجيل برنابا الفصل الثانى والخمسون ١٣ / ١٨ .

والاختلاف على الوجه التالى :

أوجه الاتفاق :

أولاً : يتفق التصور النصرانى مع التصور الإسلامى فى أن الساعة لا يعلمها إلا الله وحده ، ووردت نصوص فى الأناجيل تتفق مع نصوص القرآن الكريم فى هذه القضية ، ولا شيء فى هذا التوافق بين بعض نصوص الأناجيل ونصوص القرآن ، ما دمنا نعترف أن للأناجيل أصلاً صحيحاً إنحرف عنه ، هذا الأصل الصحيح يتمثل فى الإنجيل الذى أخبرنا الله عز وجل أنه علَّمه لعيسى بن مريم عليه السلام .

ثانياً : أن أشراط الساعة وعلاماتها فى الأناجيل جاءت موافقة فى المعنى العام مع ما ورد عن أشراط الساعة فى سنة الرسول ﷺ ، مع الاختلاف بين الإجمال عند النصارى والتفصيل عند المسلمين ، وأيضاً بعض الجزئيات التى انفرد بها التصور الإسلامى عن التصور النصرانى .

ثالثاً : أن ظهور المسيح الدجال والفتن التى يحدثها قرب قيام الساعة مما اتفق عليه التصور الإسلامى مع التصور النصرانى ، مع ملاحظة الإجمال عند النصارى والتفصيل عند المسلمين ، وأيضاً بعض الجزئيات التى انفرد بها الإسلام عن النصرانية كصفة المسيح الدجال ، وكيف أنه أعور ، وأن تلك صفة أخبر بها رسول الله ﷺ أمته ، ولم يخبر أى نبى أمته بتلك الصفة ، وعند بحثنا عن تلك الصفة للدجال فى كتب النصارى لم نجد لها أى ذكر وهذا تصديق للرسول ﷺ .

رابعاً : أن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان لقتل الدجال مما يتفق فيه التصور النصرانى مع التصور الإسلامى .

أوجه الاختلاف :

أولاً : التناقض الموجود عند النصارى بين اعتقادهم فى ألوهية المسيح عليه السلام وكونه لا يعلم الساعة ، وبلوغ هذا التناقض أقصى حد فى عبارة أحد المفسرين للأناجيل من النصارى ، الذى يذكر أن المسيح باعتبار كونه إلٰهاً قد عيَّن وقت الساعة ، وباعتباره إنساناً لا يعلم وقتها ، وهذا يخالف التصور الإسلامى جملة وتفصيلا .

ثانياً : يختلف التصور النصرانى عن التصور الإسلامى فى حكم المسيح بعد قتل

الدجال ، إذ يعتقد النصارى أن المسيح سينشر الإنجيل فى كل المسكونة ، وهذا يخالف ما فى العهد الجديد من أن المسيح رسالته لبنى إسرائيل خاصة ، ويخالف التصور الإسلامى فى أن المسيح عليه السلام سوف ينزل ليحكم بشريعة الإسلام ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، ومعلوم أن دعوة الإسلام هى الدعوة العالمية للناس كافة ، وهى الدعوة التى يأتى المسيح عليه السلام ليدعو الناس إليها .

ثالثاً : علامات الساعة فى التصور اليهودى

نظراً لقلة المصادر اليهودية فإننى لم أعثر فى المراجع المتاحة لى على أى إشارة عن علامات الساعة فى التصور اليهودى على عكس ما فى الإسلام ، وما فى النصرانية ، ويبدو أن التوراة الحالية لا تهتم كثيراً باليوم الآخر وما يسبقه وما يقع فيه ، وإنما تجعل اهتمامها بالحياة الدنيا وما فيها ، وأنه إذا وجد عند مفكرى اليهود تفصيلات عن الآخرة وعلاماتها فقليلاً ما يعثر عليها الباحث ، نظراً لأن الديانة اليهودية غير تبشيرية ، ولأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج جنسهم من اليهود .

وهذا ما أسجله فى البداية عن قلة المصادر اليهودية التى يمكن أن يرجع الباحث إليها ، وعلامات الساعة لا نجد فى العهد القديم حديثاً عنها ، حتى النصارى الذين يستدلون على الساعة وعلاماتها نجدهم لا يرجعون إلى العهد القديم فى الاستدلال على علامات الساعة بالرغم أنهم يعتبرون العهد القديم من الأصول التى يرجعون إليها ويستدلون بها على كثير من قضاياهم ، ولو كانت علامات الساعة واضحة فى العهد القديم لاستدل النصارى عليها بالعهدين القديم والجديد معاً ، وهذا ما لم نلحظه فى استدلال النصارى ، إذ رأينا أنهم يكتفون بالعهد الجديد فقط .

وللأمانة العلمية ، فإننى قد عثرت على نص عند أحد مفكرى اليهود ، فيه إشارة ضمنية إلى علامات الساعة ، تتمثل هذه الإشارة فى استدلال هذا المفكر على أن اليهود سيميزهم اللّه عن بقية الأمم ، فيحييهم فى الدنيا أولاً قبل الآخرة ، ليصل حياتهم الآخرة بحياتهم الدنيا . يقول سعديا الفيومى : « أليس نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله يحيى جميع الموتى فى دار الآخرة للمجازاة ؟ فأى شئ لمنكر أن يكون فضل هذه الأمة بمدة زيادة ، يحيى فيها موتانا قبل دار الآخرة ، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة وأى شئ السبب المانع من ذلك والدافع له ؟ أو ليس هو عدلاً ، يعوض كل ممتحن حسب

محنته ، وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة ، فبالأحرى أن يزيدها هذه المدة من قبل الدار الآخرة ، فتكون أفضل من جميع المحسنين ، كما كان صبرها ومحنتها أفضل منهم » [1] .

وهذا النص يعطى إشارة ضمنية إلى علامات الساعة ، إذ أن ذلك يحدث قبل قيام الساعة .

(١) الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومى ص ٢٢٦ — طبعة ليدن ١٨٨٢ .

المبحث الرابع

البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً : البعث فى التصور الإسلامى

احتل البعث مكاناً كبيراً فى القرآن الكريم لدرجة « أننا قلما نجد سورة فى التنزيل إلا وللبعث واليوم الآخر فيها سهم ، وأى سهم »(١) واهتمام القرآن الكريم بالبعث واليوم الآخر يرجع إلى نواحٍ منها :

الأولى : عرض صورة واقعية للبعث وما يصحبه وما يقع بعده من أحداث ، وهذا ما سنتعرض له فى هذا المبحث كواقعة من واقعات اليوم الآخر ، ونرجىء الحديث عن الخلاف الذى وقع بين المسلمين وبعض الفلاسفة فى حقيقة البعث : هل هو بالروح أم بالجسد أم بهما معاً إلى الفصل الثانى من الرسالة ، حين عرض واقعات اليوم الآخر بين المتكلمين والصوفية والفلاسفة .

الثانية : مناقشة المنكرين للبعث ودحض شبههم وإثبات البعث بالأدلة العقلية والوجدانية والعملية والبعث من هذه الناحية سنتعرض له فى فصل مستقل إن شاء الله .

مقدمات البعث :

من مقدمات البعث : النفخ فى الصور ، والصور هو القرن الذى ينفخ فيه . روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابى : يارسول الله ما الصور ؟ قال : « من مقدمات البعث : النفخ فى الصور ، والصور هو القرن الذى ينفخ فيه . روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابى : يا رسول الله ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه »(٢) . ولقد تكرر ذكر الصور فى القرآن الكريم فى سور : « الأنعام » و « المؤمنون » و « النمل » و « الزمر » و « ق » وغيرها(٣) ، وورد ذكره فى السنة النبوية الشريفة

---

(١) قصد السبيل فى التفسير الموضوعى لآى التنزيل ص ١٢٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ١٠ / ١٠ ــ ١١ تحقيق أحمد شاكر .

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٦٨ .

وقد اختلف العلماء فى عدد النفحات فى الصور بعد اتفاقهم على أنه مما يسبق القيامة والبعث ، فمن العلماء من اعتبر أن عدد النفخات ثلاث ، من هؤلاء العلماء : ابن كثير فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم يقول : « النفخات فى الصور ثلاث نفخات ، نفخة الفزع ، ثم نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث »[1] والإمام الطبرى عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿ **ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموٰات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكلٌّ أتوه داخرين** ﴾[2] . يقول : « اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى ﴿ **ويوم ينفخ فى الصور** ﴾ . عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة أنه قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » . قال : وكيف هو ؟ قال : « قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيامة لله رب العالمين »[3] .

ويذهب الإمام النسفى فى تفسيره إلى أن « الجمهور على أنها ثلاث . الأولى للفزع كما قال : ﴿ **ونفخ فى الصور ففزع** ﴾ والثانية للموت ، والثالثة للإعادة »[4] .

وذهب بعض العلماء إلى أن عدد النفخات اثنتان .

يقول القرطبى فى التذكرة بعد أن أورد اختلاف العلماء فى عدد النفخات : « وهما نفختان ، ونفخة الفزع هى نفخة الصعق ؛ لأن الأمرين لازمان لها ، أى فزعوا فزعاً ماتوا منه ، والسنة الثابتة على ماتقدم ، والأحاديث تدل على أنهما نفختان لا ثلاث ، وهو الصحيح إن شاء الله ، لقول الله تعالى ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموٰات ومن فى الأرض إلَّا من شاء الله** ﴾[5] فاستثنى هنا كما استثنى فى نفخة الفزع ، فدل على أنهما واحدة ، وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « بين النفختين أربعون سنة . الأولى : يميت الله تعالى بها كل حيٍّ ، والأخرى يحيى الله بها كل ميت »[6] . وذهب النيسابورى فى تفسيره إلى أن « النفخ فى الصور مرتان ، وذهب البعض إلى أنه ثلاث نفخات : الأولى للفزع كما جاء فى سورة النمل ، والثانية للموت وهو

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير جـ ١ ص ٢٧٩ .

(٢) النمل ٨٧ .

(٣) جامع البيان للطبرى ـــ المجلد العاشر ص ١٣ / ١٤ . الناشر دار المعرفة بيروت ـــ الطبعة الرابعة ١٩٨٠ .

(٤) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٦٦ ـــ الناشر عيسى الحلبى .

(٥) الزمر ٦٨ .

(٦) التذكرة للقرطبى بتصرف جـ ١ ص ٢٢٦ .

معنى الصعق ، والثالثة للإعادة . والأظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه إثبات نفختين[1] .

ويذهب صدر الدين الشيرازى إلى أن نفخة الصور نفختـان : « **الأولى** لإماتـة الإنسان ولمن يزعم أن له حياة ، **والنفخة الثانية** لأجل الإحياء بعد الإماتة حياة أخرى أرفع من الأولى »[2] . قال تعالى: **﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾**[3] .

ورجح ابن حجر فى فتح البارى القول بأن النفخ فى الصور مرتان فقط ، وحديث الصور الطويل الذى فيه ثم ينفخ فى الصور ثلاث نفخات : نفخة للفزع ، ونفخة للصعق ونفخة للقيام لرب العالمين ، هذا الحديث أخرجه الطبرى مختصرا ، وسنده ضعيف ومضطرب . والأحاديث الصحيحة تثبت أنهما نفختان ، منها ما رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر [4] ، وما أخرجه البيهقى بسند قوى عن ابن مسعود موقوفاً « ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه ، والصور قرن ، فلا يبقى لله خلق فى السموات ولا فى الأرض إلا مات ، إلا من شاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون » . وفى حديث أوس بن أوس الثقفى ، رفعه أن « أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه الصعقة ، وفيه النفخة » الحديث أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وفى كل ذلك دلالة على أنهما نفختان فقط »[5] ، وبهذا التحقيق من ابن حجر للأحاديث التى وردت تَبَيَّن أن النفخ فى الصور مرتان ، فقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » . قال أربعون يوما ؟ قال : « أبيت » قال : أربعون شهرا ؟ قال : « أبيت » . قال : أربعون سنة ؟ قال : « أبيت »[6] . وقوله أبيت أى امتنعت من الإخبار بما لا أعلم [7] . قال صاحب الفتح : « النفخةُ الأولى هى نفخة الصعق ، ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية ، وهى نفخة

---

(1) تفسير غرائب القرآن للعلامة نظام الدين النيسابورى بهامش تفسير الطبرى المجلد الحادى عشر ص ١٩ بتصرف .

(2) حقائق البعث والنشور . صدر الدين الشيرازى ص ٩٩ / ١٠٠ بتصرف ـــ الناشر دار التراث العربى ـــ الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

(3) الزمر ٦٨ .

(4) سيأتى ذكر هذا الحديث .

(5) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٠ / ٣١١ .

(6) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٨٢٣ . للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباق ـــ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ١٩٧٧ .

(7) نفسه .

البعث . قال ابن عباس : الراجفة النفخة الأولى ، الرادفة النفخة الثانية »[1] . وبعد هذا العرض لآراء العلماء حول عدد النفخات فى الصور نرجح ما ذهب إليه القرطبى فى التذكرة ، وابن حجر فى الفتح ، نظرا لأن ظاهر الأحاديث الصحيحة تؤيد أن النفخ مرتان ، وما استدل به العلماء من كون النفخ ثلاث مرات ــ كابن كثير ــ فإن الأحاديث ضعيفة كما بيّن ابن حجر فى الفتح ، ودليل آخر أن الاستثناء فى قوله تعالى إلا من شاء الله ورد فى آيتى الفزع والصعق ، ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معا من النفخة الأولى .

وقد ورد فى السُّنة أن الصور من مقدمات القيامة ، وأنه يسبق البعث مباشرة ، فقد ورد فى صحيح الإمام مسلم حديثٌ طويلٌ عن علامات الساعة ، وما يقع قبل النفخ فى الصور ، وما يقع بعد النفخ فيه النفخة الأولى والثانية .

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر حديث الصور ، وفيه « ثم يُنفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغىَ لِيتاً ورفع لِيتاً قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال : فيصعق ويصعق الناس ، ثم يرسل الله ــ أو قال : ينزل مطراً ــ كأنه الطل ــ أو قال الظل ــ فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم قال : يـأيها الناس هلموا إلى ربكم ، وقفوهم إنّهم مسئولون ، ثم يقال أخرجوا بعث النار ، فيقال من كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعين ، فذلك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق »[2] . يقول النووى فى شرح الحديث السابق . « أصغى لِيتاً ورفع لِيتاً ، الليت بكسر اللام صفحة العنق وهى جانبه ، وأصغى مال عنقه ليستمع جيداً من السماء ، والطل أى كمنىِّ الرجال ، وقوله يوم يكشف عن ساق : أى يوم يكشف عن شدة وهول عظيم أى يظهر ذلك ، يقال كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت »[3] .

البعث :

عرف العلماء البعث بأنه توجه الشيء إلى ما كان عليه ، والمراد هنا الرجوع إلى

---

(١) فتح البارى جـ ١ ص ٣١٠ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٧٥ / ٥٧٦ طبعة الحلبى .

(٣) صحيح مسلم ج ١٨ص ٧٦ / ٧٧ وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٧ .

الوجود بعد الفناء ، أو رُجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق ، وإلى الحياة بعد الموت ، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة (١) ، ويعرف البعث بأنه « إعادة الأجزاء الأصلية ، لا إعادة الأجزاء الفاضلة »(٢) ويعرف أيضا بأنه « عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم ، بعد جمع الأجزاء الأصلية التى من شأنها ذلك كالظفر » (٣) . وهذه التعريفات كلها تُجْمِعْ على إحياء الموتى بأجسادهم بعد الموت وخروجهم من القبور .

يقول إمام الحرمين فى الإرشاد : « فإن سُئِلنا الدليل على جواز الإعادة استقرئناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب ، وشَبَّهنا الإعادة بالنشأة الأولى ، كما قال تعالى ردا على منكرى البعث : ﴿ **قال من يحيى العظام وهى رميم** ﴾ »(٤) .

والقرآن الكريم يصور بعث الناس وخروجهم من قبورهم أبلغ تصوير فى قوله تعالى ﴿ **إن يوم الفصل كان ميقاتاً . يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً . وفتحت السماء فكانت أبواباً . وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾ (٥) .

ويصور القرآن الكريم البعث وخروج الناس من القبور لله رب العالمين يقول تعالى : ﴿ **ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مَرْقَدِنا هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعٌ لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ (٦) ، هذا إخبار من الله تعالى بأن الأموات بعد النفخة الثانية يبعثون هباًّ من القبور ، ويتحسرون متسائلين مَنْ بعثنا من مرقدنا ، أى من أهبنا ؟ من هبّ من نومه إذا انتبه وأَهَبَّهُ غيره ، ويجابون بأن هذا ليس بالبعث الذى عرفتموه ، وهو بعث النائم من مرقده ، حتى يهمكم السؤال عن الباعث ، إن هذا هو البعث الأكبر ، ذو الأهوال والأفزاع ، وهو الذى وعده الله فى كتبه المُنَزَّلة على ألسنة رسله الصادقين (٧) .

---

(١) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٣ .

(٢) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٩٢ للإمام فخر الدين الرازى ــ الطبعة الأولى مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٣ هـ .

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٢ .

(٤) يس ٧٨ . وانظر الإرشاد إلى قواعد الأدلة فى أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجوينى ص ٢٧٢ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم مكتبة الخانجى ١٩٥٠ .

(٥) سورة النبأ آية ١٧ ــ ٢٠ .

(٦) سورة يس\آية ٥١ / ٥٤ .

(٧) انظر الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٢٥ / ٣٢٦ .

ويقـول الله عز وجـل مصوِّراً حالـة النـاس حين البـعث : ﴿ **فتـــولّ عنهم يوم يدع الـداعِ إلى شيء نُكُـر . خُشّعاً أبصارهـم يخرجون من الأجـداث كأنهم جرادٌ منـتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ [١] ويقول أبو السعود فى تفسيره لهذه الآية « كأنهم جراد منتشر فى الكثرة والتموج والتفرق فى الأقطار » [٢] .

ومما اهتم به القرآن الكريم والسنة النبوية ما يسبق البعث من أهوال ، تتمثل فى زلزلة الأرض ، ونسف الجبال ، وتكوير الشمس ، وتفجير البحار ، وتنـاثر النجوم ، وتبعثر القبور ، وغير ذلك من الأحداث التى تقع يوم القيامة . يقول الله تعالى : ﴿ **إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رُجَّتِ الأرض رَجًّا . وبُسَّتِ الجبال بسًّا . فكانت هباءً منبثًّا** ﴾[٣] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصور نفخـة واحـدة . وحُمـلت الأرض والجبـال فدكتـا دكـة واحـدة . فيومئـذٍ وقـعت الواقعـة . وانشقت السمـاء فهـى يومئـذ واهية** ﴾[٤] .

ويقول تعالى : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان ما لها . يومئذٍ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها . يومئـذ يصدر النـاس أشتاتـا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[٥] .

يقول صاحب ظلال القرآن : « إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافاً ، وتزلزل زلزالا ، وتنفض ما فى جوفها نفضاً ، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً ، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال التى حملتها طويلاً ، وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت ، ويخيل إليهم أنهم يتأرجحون ويترنحون والأرض من تحتهم تهتز وتمور ، مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض ، وتحسبه ثابتاً باقياً »[٦] .

---

(١) القمر ٦ — ٨ .
(٢) تفسير أبو السعود جـ ٤ ص ٦٥٤ .
(٣) الواقعة ١ — ٦ .
(٤) الحاقة ١٣ — ١٦ ومن السور التى تحدثت عن أهوال يوم القيامة سورة الحج ، الطور ، الواقعة ، المعارج ، القيامة ، المرسلات ، النبأ ، النازعات ، الغاشية .
(٥) سورة الزلزلة .
(٦) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٩٥٤ — دار الشروق الطبعة العاشرة ١٩٨٢ .

ويبلغ تصوير القيامة عند الرسول ﷺ مبلغه حين يشخص لنا يوم القيامة متمثلاً فى بعض سور القرآن الكريم . روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ و ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ و ﴿ **وإذا السماء انشقت** ﴾ وأحسبه أنه قال : « سورة هود »[1] وإن المتأمل فى السور الذى ذكرها الرسول ﷺ على أنها تعرض يوم القيامة مشهوداً للناس يجد حقـا أنها تصور يوم القيامة بأهواله وأحداثه ومشاهده أبلغ تصوير ، ولنأخذ سورة التكوير كمثال على ذلك يقول تعالى : ﴿ **إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت . وإذا النفوس زوجت . وإذا المَوْءُودَةُ سئلت . بأى ذنب قتلت . وإذا الصحف نشرت . وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سعرت . وإذا الجنة أزلفت . علمت نفس ما أحضرت** ﴾[2] .

يقول الأستاذ سيد قطب فى تفسيره لهذه الآيات : « هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود ، والثورة الشاملة لكل موجود ، والانقلاب الذى يشمل الأجرام السماوية والأرضية والوحوش النافرة ، والأنعام الأليفة ، ونفوس البشر ، وأوضاع الأمور ، حيث ينكشف كل مستور ، ويعلم كل مجهول ، وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد فى موقف الفصل والحساب »[3] .

ومما تجدر الإشارة إليه أخبار رسول الله ﷺ بما يفعله الله بالسماء والأرض .

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض »[4] وهذا الحديث إشارة إلى ما فى سورة الزمر فى قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموٰات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾[5] والعلماء على اختلاف ، هل قبض السموٰات والأرض يقع بعد النفخ فى الصور النفخة الثانية أو معه ؟[6] وأميل إلى أن قبض السموٰات والأرض وما يقع فى الكون مما أخبر عنه القرآن الكريم

(١) مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ٢٧ .
(٢) التكوير ١ — ١٤ .
(٣) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٨٣٧ — الطبعة العاشرة .
(٤) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٣ .
(٥) الزمر ٦٧ .
(٦) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٣ .

من زلزلة الأرض ، وتكوير الشمس ، ونسف الجبال مما يصاحب النفخة الثانية فى الصور ، ذلك لأن الآيات التى تحدثت عن ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكّةً واحدةً . فيومئذ وقعت الواقعة** ﴾[1] .

وقوله تعالى ﴿ **يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً . وفتحت السماء فكانت أبواباً . وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾[2] أقول الآيات التى تحدثت عن النفخ فى الصور جاء العطف بعدها بالواو ، وهى لا تفيد الترتيب ، بعكس ثُمَّ التى تفيد الترتيب والتراخى .

وظاهر النصوص القرآنية تفيد أن نسف الجبال وغير ذلك مما يصاحب البعث والنفخ فى الصور ، ومن الجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة . روى البخارى بسنده عن أبى هريرة حديثاً طويلا وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تخيرونى على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدرى أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى ، أو كان ممن استثنى الله عز وجل »[3] وللعلماء آراء عدة فيمن استثنى الله عز وجل يوم القيامة ، فيذهب الإمام الطبرى إلى أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ويستدل بحديث عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **ونُفِخَ فى الصور فَصعِق من فى السموٰات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾[4] فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : « جبرائيل ، وميكائيل ، وملك الموت » . وينقل عن قتادة عن الحسن : يُستثنى الله وما يدع أحداً من أهل السموٰات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت . ونفس المعنى يذهب إليه الإمام البغوى فى تفسيره إذ ينقل عن الحسن إلا من شاء الله ، قال : يبقى الله وحده[5] .

وابن حجر فى الفتح ينقل اختلاف العلماء فيمن استثناهم الله عز وجل فى نفخة الصعق ، ويذكر أن الأقوال عشرة فى هذه المسألة ، فالبعض يقول إنهم الأموات لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون . والبعض ذهب إلى أنهم الشهداء ، وهذا الرأى يؤيده حديث

---

(1) الحاقة : ١٣ — ١٥ .
(2) النبأ ١٧ — ٢٠ .
(3) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١١ / ٣١٢ .
(4) الزمر ٦٨ .
(5) تفسير الطبرى المجلد الحادى عشر ص ١٨ / ٢٢ وانظر تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ج ٣ ص ٤٣١ — الطبعة الأولى — دار المعرفة .

عن أبى هريرة ، وذهب آخرون إلى أنهم الأنبياء ، وهذا الرأى شبيه بسالفه الذى يستثنى الشهداء لأن الأنبياء أحياء عند ربهم ، فإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صعقوا ، ثم لا يكون ذلك موتاً فى جميع معانيه إلا فى ذهاب الأشعار ، وذهب بعض العلماء إلى أنهم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، ثم يموت الثلاثة ، ثم يقول الله لملك الموت : مت . فيموت . وقد استدل الذين ذهبوا إلى أن الذين استثناهم الله الملائكة المشار إليهم بحديث عن أنس ، أخرجه البيهقى ، ويقر ابن حجر أن هذا سنده ضعيف وله طُرقٌ أخرى عن أنس ضعيفة أيضاً ، ويزيد بعض العلماء على الملائكة المشار إليهم حملة العرش ، وحجتهم ما رواه أبو هريرة فى حديث الصور ، وحديث الصور يقول عنه صاحب الفتح : إن سنده ضعيف ومضطرب ، وذهب بعض العلماء إلى أنه موسى وحده . هذه هى الآراء المعوّل عليها(1) والتى تستحق أن نرجح بعضها عن بعض(2) .

وبعد هذا الاستعراض نميل إلى أن الذين استثناهم الله عز وجل هم الأنبياء والشهداء ، وذلك لصحة الحديث الوارد فى الشهداء .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يُصعقوا ؟ قال : « هم شهداء الله عز وجل » . قال صاحب الفتح : صححه الحاكم ورواته ثقات ، ورجحه الطبرى(3) ، وذهب إليه القرطبى فى التذكرة وقال بأنهم الشهداء وهو الصحيح(4) .. ولأن الأنبياء أحياء عند ربهم أيضاً فيلحقون بالشهداء(5) .

ثانيا : البعث فى التصور النصرانى

يطلق البعث عند النصارى على القيامة . ورد فى قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة القيامة : « تتضمن القيامة بحسب تعاليم الكتاب المقدس ، قيامة الأجساد ، وتغير هذه الأجساد ، وبقاءها الى الأبد »(6) . ويفرق قاموس الكتاب المقدس بين القيامة عند

---

(1) هناك بعض الآراء تذهب إلى أنهم الولدان الذين فى الجنة والحور العين ، والنار وما فيها من الحيّات والعقارب ، ويذهب ابن حزم إلى أنهم الملائكة كلهم لأن الملائكة أرواح لا أرواح لها ، فلا يموتون أصلا .

(2) انظر فتح البارى جـ ١١ ص ٢١١ / ٢١٢ والتذكرة للقرطبى جـ ١ ص ٢٠٧ / ٢١٠ .

(3) فتح البارى جـ ١١ ص ٢١٢ .

(4) التذكرة جـ ١ ص ٢٠٧ .

(5) فتح البارى جـ ١١ ص ٢١١ / ٢١٢ .

(6) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ .

النصارى بالمعنى المتقدم وبين بعض العقائد المشابهة للبعث لدى غيرهم من الأمم كالمصريين واليونانيين ، فيذكر قاموس الكتاب المقدس أن قيامة الأجساد عند النصارى تختلف « عن عقيدة المصريين القدماء التي تقول بأن ال « باء » أو الشخصية الهيولية للإنسان الميت كانت تقوم بزيارة جسم المحنَّط من وقت إلى آخر ، ويختلف هذا التعليم — قيامة الأجسام عند النصارى — عن الرأى الذى قال به الفيلسوف اليونانى « أفلاطون » أن النفس هى الخالدة فحسب »[1] . ويواصل قاموس الكتاب المقدس تفريقه بين القيامة العامة عند النصارى ، والتى تتمثل فى قيامة الأجساد المشار اليها سابقاً ، والتى تشمل جميع البشر ، وتكون فى آخر الزمان ، وبين بعث بعض الأفراد الذين قاموا بعد الموت ، وورد ذكرهم فى الكتاب المقدس ، ويذكر الكتاب المقدس أن قيامة الأجساد « تختلف أيضاً عن القيامة والعودة إلى الأرض المألوفة كما حدث فى قيامة ابن أرملة نايين[2] وكما حدث فى قيامة لعاذر »[3] .

ويواصل قاموس الكتاب المقدس حديثه عن القيامة العامة فيذكر أن السيد المسيح علَّم بوضوح « أن الموتى سيقومون ، ولقد نقض حجة الصدوقيين الذين كانوا ينكرون القيامة من أساسها »[4] .

ويربط قاموس الكتاب المقدس بين قيامة الأجساد ، وبين الحساب والجزاء للأبرار والأشرار فيقول : « وكثيرا مانرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطا بتعليمه عن الدنيوية النهائية[5] ولقد علمَّ الرسل أيضا أن القيامة العامة التى فيها يقوم الأبرار والخطاء عند الدينونة الأخيرة »[6] .

مقدمات البعث عند النصارى :

من مقدمات البعث عند النصارى البوق وهو عبارة عن « آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا ينفخون فيها فى الأعياد ، وعند إعطاء علامة الحرب وماأشبه ، وكانت أبواق

---

(١) نفسه . (٢) لوقا ٧ / ١١ / ١٧ .
(٣) إنجيل يوحنا ١١ : ١ / ٤٤ وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠ .
(٥) إنجيل متى ١١ — ٢٢ / ٢٤ ، ١٢ : ٤١ / ٤٤ ، ٢٥ : ٣١ / ٤٦ .
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥ .

الكهنة من الفضة ، وسيعلن البوق مجيء المسيح الثانى [1] ، وكذلك يعلن قيامة الأموات »[2] .

ورد فى رسالة كورنثوس الأولى قول بولس فى الربط بين البوق والبعث : « هو ذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ، ولكننا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير ، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ، و نحن نتغير »[3] . وهذا النص يربط بين البوق والبعث ، ويعتبر النصارى أن « عقيدة قيامة الأجساد من أخص العقائد المسيحية ، لأنها اذا انتفت ينتفى معها الخلاص المسيحى [4] كما يقول الأنبا يؤانس ، ونلاحظ أن النصارى تربط ربطاً بين البعث والخلاص المسيحى ، ولسنا فى معرض مناقشة هذا الربط فيما يهمنا هنا هو تصوير عقيدة النصارى فى البعث ، ثم المقارنة بينها وبين عقيدة البعث فى الإسلام .

يقول ميخائيل مينا : « لم تدع النصوص الإلهية أقل ريب فى نفوس المؤمنين من جهة قيامة الأجساد للحساب والدنيوية بل تكلمت عنها بإيضاح وافٍ وصراحة مستفيضة[5]

وإننى أتساءل : كيف يتناسب قول ميخائيل مينا فى هذا النص مع نصٍّ ورد فى الصفحة التالية لنصه السابق ، يقرر فيه ميخائيل مينا أن كلام الكتاب عن قيامة الأجساد غير مستوفٍ ، يقول : « إن إقامة الموتى الذين تطورت أجسادهم بهذه الحال ــ من آدم إلى آخر إنسان يموت ــ هى بلا شك أسرار يعجز العقل البشرى عن فهمها عجزاً كاملاً ليس لسموها فى نفسها فقط ، بل لأن كلام الكتاب فيها غير مستوفٍ »[6] فى النص الأول يثبت أن قيامة الأجساد تحدثت عنها النصوص الإلهية بإيضاح وافٍ وصراحةٍ مستفيضةٍ ، وفى النص الثانى يذكر أن كلام الكتاب عن قيامة الأجساد غير مستوفٍ ، فضلًا عن عجز العقل البشرى أن يفهمها . فهل النصوص الإلهية الواضحة فى النص الأول غير كلام الكتاب غير الوافى فى النص الثانى ؟ لا أعتقد ، إذ أن المصدر واحد ، ولا فرق فيما رأى بين النصوص الإلهية وكلام الكتاب ، وربما كان النص المعوَّل عليه هو النص الثانى الذى يقول فيه المؤلف بأن كلام الكتاب غير مستوفٍ عن قدامة الأجساد ، وهذا الرأى هو مايذهب إليه النصارى أنفسهم من أن العهد الجديد « لم يقل إلا قليلا لإشباع رغبة حب

(1) متى ٢٤ : ٣١ .
(2) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥ .
(3) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ــ ٥٢ .
(4) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٥ .
(5) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٣٨ .
(6) نفسه جـ ٢ ص ١٣٩ .

الاستطلاع ، والوقوف على وصف تفصيلى مسهب للعالم الآخر »[1] .

وهذا مايعبر عن الواقع الموجود فى العهد الجديد إذ أننا نستطيع أن نؤكد بدون تجاوز للحقيقة أن ماورد عن البعث والقيامة فى الأناجيل المعتمدة[2] ، وأعمال الرسل لدى النصارى لايعادل ماجاء فى سورة الانفطار والتكوير والإنشقاق فى القرآن الكريم ، هذا عن العهد الجديد ، أما العهد القديم الذى يقدسه النصارى فإن الأنبا يؤانس يقول إن ماورد « فى العهد القديم إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات »[3] .

ويذكر صاحب كتاب تراث العالم القديم فى معرض حديثه عن البعث عند اليهود « أن النصوص الواردة فى العهد القديم التى تشير إليه قليلة ومتأخرة ، وعندما تأصل الاعتقاد بين اليهود كان فى صورةٍ تتميز بأنها يهودية وفى اتحاد وثيق مع الانتظار القومى[4] للملكوت »[5] .

وسنواصل استعراض النصوص التى تتحدث عن البعث فى العهدين القديم والجديد لتصور اعتقاد النصارى فى البعث كواقعة من واقعات يوم القيامة .

البعث فى العهد القديم :

يذكر الأنبا يؤانس أن « فى العهد القديم نجد إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات كما نجد براهين عملية على هذه الحقيقة »[6] .

ويستدل الأنبا يؤانس بنصوص من سفرى أشعياء ودانيال ، وسوف نتعرض لهذين النصين لنتبين هل هما يشيران إلى البعث الأخروى أم يشيران إلى البعث القومى لليهود

---

(١) أديان العالم : حبيب سعد ص ٢٤٨ — دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

(٢) أقول المعتمدة لأن ما ورد فى إنجيل برنابا قريب جدًا مما ورد فى القرآن الكريم من ناحية الحقائق — وشىء فى التفصيل يختلف عن الأناجيل الموجودة لدى النصارى الآن — انظر إنجيل برنابا الفصل الثانى والخمسون إلى الثالث والستين ص ٨١ / ٩٦ .

(٣) السماء للأنبا يؤانس ص٩٣ بتصرف يسير جدا .

(٤) سنناقش هذا بالتفصيل عند حديثنا عن البعث عند اليهود ، ونرجح ما نراه إن شاء الله .

(٥) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ لمؤلفه د. ج دى بورج ترجمة زكى موسى مراجعة الدكتور يحيى الخشاب الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .

(٦) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٩ .

واستقرارهم السياسى ؟ كما يذهب إلى ذلك بعض النصارى . ورد فى سفر أشعياء : « تحيا أمواتك ، تقوم الجثث ، استيقظوا ، ترنموا ياسكان التراب »[1] .

وبالرجوع الى السنن القويم فى تفسير العهد القديم نجد أن النص لا يشير إلى القيامة فى الآخرة ، ولكن يشير إلى بعث اليهود بعد السبى . ورد فى تفسير النص السابق « أن أعداد اليهود أخيلة لا تقوم ، ولكن الرب قال لشعب اليهود : تحيا أمواتك ، كانت اليهود فى بابل فى مدة السبى فى الذل فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات ، فقال لهم الرب : إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم ثانية » أى الكلام هنا فى موت الأمة السياسى وقيامتهم للحياة الجديدة[2]

وواضح أن تفسير النص يخرجه عن المراد منه أى البعث الأخروى إلى البعث القومى لليهود ، ونفس التفسير لنص أشعياء يذهب إليه « ناشد حنا » فى تفسيره لسفر أشعياء[3] . ونص أشعياء — الذى استدل به الأنبا يؤانس على البعث الأخروى ، وصاحب السنن القويم ، وناشد حنا على البعث القومى — يفسره بعض الباحثين على أنه إشارة إلى مجئ الإسلام[4] : وإن كنت أوافق الأنبا يؤانس فيما ذهب إليه من دلالة النص على البعث الأخروى ، إذ أن نص أشعياء فيه إشارة إلى الحياة بعد الموت ، وإقامة الأجساد والحياة بعد الموت ، وقيامة الأجساد تتعلق بالبعث الأخروى ، وتفسيرها بالبعث القومى السياسى لليهود ربما كان نوعاً من التحريف الذى تعرضت له النصوص الأصلية .

والذى دعانى إلى ذكر التفسيرات المختلفة لدى النصارى لنص أشعياء هو بيان عدم الصراحة التامة التى زعمها ميخائيل مينا لإشارات الكتاب المقدس عن البعث كما سبق ورددنا عليه . أما نص دانيال الذى ذهب الأنبا يؤانس إلى أنه إشارة إلى البعث الأخروى :

« وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدى »[5] فهذا النص مختلف حول دلالته على البعث الأخروى

---

(١) أشعياء ٢٦ / ١٩ . (٢) السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٨ ص ١٨٦ / ١٨٧ .
(٣) انظر أشعياء مفصلًا آية آية تأليف ناشد حنا ص ٢٤٤ .
(٤) يقظة أولى الاعتبار للشيخ صديق حسن خان . تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ص ٢٥ للمحقق .
(٥) دانيال ١٢ — ٦ .

فمن النصارى من يرى أن النص يشير إلى البعث الأخروى ، ومنهم من يصرفه عن البعث الأخروى إلى البعث القومى السياسى .

يقول ناشد حنا فى تعليقه على نص دانيال : « وقد أُخذت الآية أيضا على أنها قيامة أموات حرفية ، وأنها قيامة عامة لبعض يذهبون إلى الحياة الأبدية والبعض الآخر إلى جهنم ، لكن المقصود هنا بالراقدين فى تراب الأرض اليهود المشتتون ، الآن ، سيجمعهم الرب ، بعضهم يرجع رجوعاً قومياً وروحياً ، فهؤلاء إلى الحياة الأبدية أى الملك الألفى » (١). وكما نرى فإن ناشد حنا يعرض الإختلاف حول نص دانيال ، ويرجح القول الذى يذهب بأن البعث هنا إشارة إلى العودة السياسية لليهود .

وإذا كنا قد رجحنا نص أشعياء فى الدلالة على البعث الأخروى لا القومى لليهود مخالفين صاحب السنن القويم ، وناشد حنا فيما ذهب إليه ، فإننا نرى أن نص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروى ، ونستأنس بما ذهب إليه النصارى فى هذا الصدد ، فضلًا عن أن النص بظاهره لا يشير إلى البعث الأخروى ، وذلك « بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعاً ، بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون ، وإذا كانت اليقظة غير عامة شاملة فليست بعثاً لليوم الآخر »(٢) وسوف يكون لنا رأى فى نص دانيال نرجئه عند الحديث عن البعث عند اليهود وأكتفى بهذا القدر من استدلال النصارى على البعث فى العهد القديم ، لأن للبعث عند اليهود مبحثاً خاصًّا....

البعث فى العهد الجديد :

ورد فى إنجيل متى محاورة بين المسيح والصدوقيين (٣) الذين ينكرون البعث : « وأما من جهة قيام الأموات أفما قرأتم من قبل ماقيل لكم من قبل الله القائل : أناإله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب . ليس الله إله أموات ، بل إله أحياء . فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه » (٤) . يقول بنيامين بنكرتن مفسر إنجيل متى : « عاد الرب فأثبت حقيقة

(١) أشعياء مفصلًا آية آيةجـ ١ ص ٢٤٥ .

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور جـ ٢ ص ٢٤٣ تأليف أحمد عبد الغفور الطبعة الأولى ـــ مكة المكرمة .

(٣) الصدوقيون فرقة من فرق اليهود تنكر البعث والقيامة ، وكانت تجادل السيد المسيح فى ذلك .

(٤) إنجيل متى ٢٢ ـــ ٣١ / ٣٣ .

القيامة ، وأظهر أنها من الإعلانات القديمة ، ومن أصول إيمانهم كنسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب بزمان طويل ، قال الله لموسى : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب» [1]ويستدل المفسر بما ورد فى متى أنا إله إبراهيم وإله إسحاق ويعقوب بأن ذلك دليل على أنهم أحياء ، يقول : « لو كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد كفوا بالموت عن الوجود لما كان من الأمور اللائقة بالله أن يقول لموسى أنا إلهٰهم ، لأنه ليس إلهٰ غير الموجودين ، كان يمكن أن يقول أنا كنت إلهٰهم . فإذن الوقت وانحلال الجسم الثانى لم يقطع العلاقة الكائنة بين الله وبينهم ، وهذه العلاقة نفسها توجب إقامتهم ، لأن الموت مرحلة استثنائية دخيلة على الإنسان ، لأن الله خلقه جسداً ونفساً وروحاً ، ومن ثم فلا بد أن يقيم الجسد حتى يكون مقدسوه أمامه إلى الأبد »[2]ونلاحظ أن مفسر الإنجيل يثبت البعث لدى النصارى ، ويدلل عليه بأن الله إلهٰ أحياء ، فلا بد أن يحيى الأجساد بعد الموت حتتى يجازى الصالحين منهم .

ورد عن البعث ومقدماته فى إنجيل متى مانصه :« وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لايعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموٰات تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء ، فحينئذ تفوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثيرة ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموٰات إلى أقصائها[3] وهذا النص الوارد فى إنجيل متى يبين البعث ومقدماته ، وكيف الشمس تظلم ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموٰات تتزعزع ، ويأتى المسيح ليجمع المختارين من أقصاء السموٰات إلى أقصائها . ونلاحظ فى النص أن جميع قبائل الأرض تنوح ، وأن المختارين هم الذين يكونون مع المسيح .

وورد فى إنجيل مرقس النص التالى : « وأما فى تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم ، والقمر لا يعطى ضوءه ، ونجوم السماء تتساقط ، والقوات التى فى السموات تتزعزع ، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً فى سحاب بقوة كثيرة ومجد فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء »[4] .

---

(1) تفسير إنجيل متى بنيامين بنكرتن ص ٣٨٠ .
(2) نفسه ص ٣٨٠ / ٣٨١ .
(3) متى ٢٤ ـــ ٢٩ / ٣٣ .
(4) مرقس ١٣ : ١٤ / ٢٨ .

ونلاحظ أن ماورد فى إنجيل مرقس يتفق مع ماأورده إنجيل متى فى أن ابن الإنسان يرسل ملائكته ليجمعوا مختاريه بعد أن تنوح جميع قبائل الأرض .

وورد فى إنجيل يوحنا : « لاتتعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة »(١) .. ويعلق صاحب كتاب « إيماننا الحى » على نص يوحنا بقوله : « سوف يسمع الأبرار نداء الرب بفرح لا يوصف ، أما الأشرار فبعثر بهم الرعب ، وتتحد أجساد الموتى عند القيامة بنفوسها ، فيظهر الخاطئون فى صورة قبيحة ينعكس فيها بأسهم وخبثهم ، أما الأبرار فتتجلى أجسادهم بمجد يشبه مجد ابن الله المتجلى »(٢). ولسنا فى مجال مناقشة النصارى فى اعتقادهم بنوة المسيح لله ، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا (٣) .

ونكتفى بهذا القدر من الاستدلال على واقعة البعث من الأناجيل ، وننتقل إلى رسائل بولس ، لنجد أن فكرة البعث والقيامة احتلت مكاناً بارزاً فى رسائله إلى الكنائس المختلفة فى ذلك الوقت . ورد فى رسالة « كورنثوس الأولى » :

« فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ، ونحن نتغير ،لأن هذا الفساد لابد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المائت يلبس عدم موت »(٤) . ونص بولس يربط بين النفخ فى الصور وقيامة الأموات وتغير أجسادهم ليتسنى لهم دخول الملكوت . وورد فى الرسالة الثانية لكورنثوس قول بولس : « الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه »(٥) . وهنا يربط بولس بين قيامة المسيح وقيامة النصارى فى الآخرة . وورد فى سفر أعمال الرسل قول بولس إنه سوف تكون القيامة للأبرار والأثمة(٦) ، ونص بولس يوضح أن القيامة سوف تكون للأبرار والأشرار معاً ، ويورد صاحب دينونة البشر العامة نصوصاً من الأناجيل(٧)عن القيامة والبعث ، ويحيل إلى غيرها ، يقول : « إن القيامة حقيقة راسخة تؤيدها البراهين

---

(١) إنجيل يوحنا ٥ ـــ ٢٨ .
(٢) إيماننا الحى ص ٥٢٧ .
(٣) انظر فى تفنيد حجج النصارى فى ادعاء بنوة المسيح لله ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ٢ ص ٢٦٦ / ٣٥٠ مكتبة المدنى .
(٤) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ـــ ٥٢ / ٥٣ .
(٥) رسالة كورنثوس الثانية ١ ـــ ٩ .
(٦) أعمال الرسل ٢٤ / ١٥ .
(٧) يوحنا ٥ : ٢٨ ، متى ٢٢ : ٢٦ / ٢٥ : ٣٤ .

الكتابية »[1] . ويعتبر الأنبا يؤانس أن « أروع ماكتب عن حقيقة قيامة الأجساد فى العهد الجديد مادونه معلمنا القديس بولس الرسول فى إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس »[2] .

وورد فى الإصحاح المشار إليه قول بولس : « ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات ، فكيف يقول قوم بينكم أنه ليس قيامة أموات ، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، فباطل كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم »[3] . والذى يقرأ الإصحاح السابق يجد أن ماورد فيه من عبارات يختلف فى أسلوبه عما ورد فى سائر الأناجيل ، وعن سائر رسائل « بولس » نفسه ، لأنه فى هذا الإصحاح كان يستخدم العقل تارة ، ويضرب الأمثلة تارة أخرى ، ليبرهن على البعث وحقيقته ،ولعل السبب فى ذلك كما يقول الأنبا يؤانس أن « معالجة الرسول بولس لهذا الموضوع فى رسالة إلى كنيسة فى بلاد اليونان مهد الفلسفة ، وهى كنيسة كورنثوس كان بلا شك ردا على تأثيرات كل من الفلسفة الرواقية والأبيقورية[4] ، التى أنكرت قيامة الأجساد التى انتشرت فى تلك البلاد[5] .

وبعد هذا العرض للنصوص التى تثبت البعث من الأناجيل ، وأعمال الرسل نستطيع أن نقرر أوجه الاتفاق ، وأوجه الاختلاف بين التصور الإسلامى للبعث والتصور النصرانى .

أولا : أوجه الاتفاق :

١ ــ نستطيع أن نؤكد بعد عرضنا للبعث فى التصور الإسلامى ، والتصور النصرانى بأن ماجاء فى الأناجيل يتصل فى أصل الفكرة مع ماجاء فى الإسلام[6] مع اعتبار

---

(١) دينونة البشر العامة ص ٤١ .
(٢) السماء للأنباء يؤانس ص ١٠٣ .
(٣) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ــ ١٣ / ١٥ .
(٤) نلاحظ أن الأنبا يؤانس يؤكد على رد بولس على الفلسفات المنتشرة فى ذلك الوقت فى بلاد اليونان ، ويذهب كثير من الباحثين فى تاريخ الأديان وعلى رأسهم شارل جنيبير إلى أن بولس تأثر بهذه الفلسفات ، وأن المسيحية لم تعرف كثيرا من الأشياء إلا عن طريق تأثر بولس بهذه الفلسفات انظر فى ذلك المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جنيبير ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٨٨ / ١٠٨ .
(٥) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٣ / ١٠٤ .
(٦) انظر الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ص ٢٦ وانظر صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبى ص ٧٠ / ٧١ / ٧٢ فى هذا الكتاب يُفنِّد مزاعم أحد المستشرقين من اليهود الألمان ، الذين يزعمون أن الرسول تأثر فى فكرة البعث والجزاء باليهودية والمسيحية ــ نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨ .

التفصيلات فى التصور الإسلامى عن التصور النصرانى .

٢ ــ أن مقدمات البعث من زلزلة الأرض ، وتساقط النجوم مما يشترك فيه التصور النصرانى مع التصور الإسلامى ، ويتضح ذلك التوافق في البوق الذى يُنفخ فيه لجمع الناس فى التصور النصرانى ، الذى يقابله الصور فى التصور الإسلامى ، وحين نقرر أوجه الاتفاق بين التصور الإسلامي والتصور النصرانى للبعث نقرر أيضاً أن مصدر هذا التوافق هو أن للنصرانية أصلا سماوياً انحرفت عنه بعد رفع الله للمسيح عليه السلام .

ثانيا : أوجه الاختلاف :

١ ــ نلاحظ أن الأناجيل لم تتحدث عن البعث كواقعة بنصوص كافية ، وهذا هو الملاحظ فى الأناجيل وأعمال الرسل ، ومايقرره أيضاً علماء النصارى الذين عرضنا آراءهم عند حديثنا عن البعث فى التصور النصرانى .

٢ ــ لم تقدم الأناجيل أى صورة عن خروج الناس من القبور للقيامة ، بعكس القرآن الكريم الذى صور فى كثير من آياته أحوال الناس وصورتهم أثناء بعثهم ، وهناك جزئيات لم تتحدث عنها الأناجيل ، وتعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية . ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الاختلاف بين النصرانية والإسلام فى اليوم الآخر دقيق وكثير ، ويبرهن على أن اليوم الآخر فى الإسلام يأتى من مصدره الأصيل ، ألا وهو الوحى ، وأنه ليس تابعاً لمصدر آخر وليس منقولاً عن الأناجيل للاختلاف البيِّن فى صورته ، ولأن نبى الإسلام لم يطلع على الأناجيل ، فهى لم تكن مترجمة إلى العربية كما هو ثابت ، ونبى الإسلام لم يكن يعرف العبرية أو السريانية أو اليونانية حتى يزعم زاعم أنه اطلع عليها فى إحدى هذه اللغات ، وهذا الاختلاف بين البعث فى الإسلام والبعث فى النصرانية يبطل زعم المستشرقين الذين يزعمون أن فكرة البعث والجزاء أخذها الرسول ﷺ عن المسيحية أو اليهودية .

ثالثا : البعث فى التصور اليهودى

من الحقائق المعروفة لدى المسلمين أن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام التوراة فيها هدى ونور يقول تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور** ﴾ [(١)] ومعلوم أن هذه التوراة قد اشتملت على التعاليم التى أرادها الله من بنى إسرائيل سواء كانت متعلقة

(١) المائدة ٤٤ .

بالعقيدة أو بالشريعة .

لقد اشتملت التوراة على العقائد والشرائع(١) . ومن ضمن أمور العقيدة التى وردت فى التوراة« اليوم الآخر » وتفصيلاته المختلفة ، يقول الله تعالى ﴿**وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين**﴾(٢) .

وسواء أكانت التوراة هى الألواح أم كانت الألواح مغايرة للتوراة(٣) ، فموسى عليه السلام أوحى الله تعالى له تفصيلا لكل الأشياء ، سواء فى التوراة أم فى الألواح . ومن ضمن الأشياء التى فصلها الله تعالى لموسى عليه السلام اليوم الآخر بتفصيلاته المختلفة من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وغيرها ، يقول الله تعالى : ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلاً لكل شىء** ﴾ (٤) .

ولكن بالتأمل فى أسفار موسى الخمسة الحالية ، والتى يطلق عليها اليهود اسم التوراة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والنار .يقول الدكتور « دراز » : « لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أية إشارة فى أى مكان إلى حياة بعد الموت ، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان فى أديانهم »(٥) .

ووجدنا « ابن كمونة » اليهودى فى كتابه « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » يعترف بخلو التوراة من البعث ، والثواب والعقاب الأخرويين ، ويدافع عن خلو التوراة من البعث ويعلل ذلك بتعليلات سنتعرض لها عند الحديث عن ذلك .

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة ، وتأملنا أسفار الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى على حد قولهم ، وجدنا أن هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء ، وبدراسة هذه

---

(١) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٩٦ .

(٢) الأعراف ١٤٥ .

(٣) يذهب جمهور العلماء إلى أن التوراة هى الألواح ومن جمهور العلماء : الجلالان السيوطى ، والمحلى ، وابن كثير انظر الآراء فى ذلك فى كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

(٤) الأنعام ١٥٤ .

(٥) دستور الأخلاق فى القرآن ص ٢٨ الدكتور محمد عبد الله دراز ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ــ مؤسسة الرسالة ــ دار البحوث العلمية ــ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م .

النصوص وجدنا أنها مختلف حولها ، فالبعض[1] يذهب إلى أن المقصود بها العودة القومية لليهود ، وانتصارهم على أعدائهم ، والبعض الآخر[2] يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها البعث الأخروى ، ولكن اليهود تأثروا فى عصورهم المتأخرة بالبعث من الديانة الفارسية البابلية بعد عودتهم من السبى ، وتوجد بعض النصوص من التى عثرت عليها من التلمود[3] المشناه تشير إلى البعث ، والحساب ، والجزاء فى الآخرة .

وبعض المصادر التى عثرت عليها لعلماء من اليهود تتحدث عن اليوم الآخر ، وأن اليهود يعتقدون فى البعث والجزاء ، وأن عقيدة البعث عقيدة أساسية عند أمة اليهود ، وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية ـ وأعنى بها أسفار موسى الخمسة ـ عن البعث ووجود بعض الإشارات عن الآخرة فى أسفار الأنبياء المتأخرين ، وبعض نصوص التلمود وأقوال اليهود واعتقادهم فى البعث بعد الموت ؛ رأيت أن أدرس البعث عند اليهود فى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول :

التوراة الحالية وخلوها من الحديث عن البعث والجزاء ، وأعنى بالتوراة هنا أسفار موسى الخمسة الحالية ـ كما يسميها اليهود ـ فهم يطلقون التوراة على أسفار موسى الخمسة فقط ، معلقاً على خلو التوراة الحالية من الحديث عن اليوم الآخر وما السبب فى ذلك ؟

الاتجاه الثانى :

عرض الإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء المتأخرين ودراسة ماقيل حولها .

الاتجاه الثالث :

عرض عبارات التلمود وشراح العقائد اليهودية ، وبيان توافقهم واختلافهم عن التوراة

---

(١) منهم على سبيل المثال صاحب كتاب ـ تراث العالم القديم و .ح دى بورج ص ٩٩ ، ومنهم ناشد حنا فى تفسيره لسفر أشعياء . ومنهم صاحب الغصن القويم فى تفسير العهد القديم ، ومنهم صاحب كتاب الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، ومنهم مؤلف الكتاب المقدس وإن كان الذين ذكرنا أسماءهم أو أسماء كتبهم غير اليهود إلا أننا نستأنس بآرائهم ، ولا يلزمنا أن نأخذ باتجاهاتهم فى التفسير لنصوص البعث فى أسفار الأنبياء .

(٢) من هؤلاء على سبيل المثال صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابى ، صاحب كتاب الفكر الإسلامى أطواره ومذاهبه ، اليهود تاريخًا وعقيدة ، ومفصل العرب ، واليهود فى التاريخ ، قصة الحضارة لديورانت .

(٣) التلمود أصله وتسلسله وآدابه . ص ٤٩ .

وأسفار الأنبياء ، وأسجل العذر فى البداية من قلة المصادر اليهودية التى عثرت عليها ، ورجعت إليها ، وذلك لأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج بنى جنسهم ، لاعتقادهم هم أنهم أبناءالله وأحباؤه ، وأنهم شعب الله المختار .

ثم التعقيب على هذه الاتجاهات ، والحكم عليها من خلال الاحتكام إلى القرآن الكريم باعتباره المهيمن على ما سبقه من الكتب ، يقول تعالى : **﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾**(١) .

الاتجاه الأول : خلو التوراة من البعث والجزاء :

يقصد بالتوراة هنا مايقصده اليهود ،« فقد اصطلح الإسرائيليون على تسمية أسفار موسى الخمسة باسم التوراة المكتوبة ، وتسمية التلمود باسم التوراة الشفاهية أو المنقولة »(٢) .

وخلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء كان مثاراً للطعن فيها ، والجدل حولها ، ورد فى كتاب تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث لابن كمونة تحت عنوان الاعتراض الخامس مانصه :

« إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحاً بالثواب والعقاب الأخرويين ، وذلك من أهم ما يذكر ، وهو الأصل الأعظم فى التشريع . فلو كانت التوراة التى بأيدى اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك ، والعدول عنه إلى الدنيويين اللذين قد أكثر من ذكرها فى التوراة ، فإن الدنيا زائلة ولا اعتداد بنعيمها ولا شقائها » (١) .

هذا جزء من الاعتراض الذى وُجه للتوراة أثناء مجادلة ابن كمونة اليهودى ، ويرد ابن كمونه على هذا الاعتراض قائلاً : « إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى » يقصد البعث والجزاء ، « وخاطب به بنى إسرائيل واستفاض فيهم ، فإن قيل : فلم لم يكتبه فى التوراة مصرحاً ؟ قيل : إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها ، ولا السؤال

---

(١) المائدة ٤٨ .

(٢) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٢ ، ٣ .

(٣) تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ص ٤٠ لصديق منصور بن كمونة اليهودى . الناشر دار الأنصار .

عنها ، بل ربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها » (١) .

ثم يشرح خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء بقوله : « إن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم ، وكما أن طبيب الأبدان إنما يعالج على حسب ما يجده فى زمانه ، وأهل زمان موسى لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها ،بل كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها ، بالجملة عبادة غير الله تعالى ، واعتقادهم أن بعبادتها وتقريب القرابين لها تعمر الأرض ، وتخصب البلاد ، وتصح ثمار الأشجار ،كان علماؤهم ونُسَّاكهم وأهل التقوى منهم يعظون الناس ، ويعلمونهم أن الفلاحة التى بها قوام وجود الإنسان إنما تتم وتجيء على الاختيار ، بأن تعبدوا الشمس والكواكب ، وإن سخطوها بعصيانكم أقفرت البلاد وخربت ، وقالوا فى كتبهم التى ذكرناها : إن المشترى سخط على البرارى والصحارى ؛ ولذلك صارت عادمة الماء وعادمة الأشجار يأويها الغيلان ، وكانوا يعظمون الفلاحين والأكارين جدًّا لاشتغالهم بعمارة الأرض التى هى من إرادة الكواكب » (٢) .

ويحكى ابن كمونة عن الصابئة أنهم كانوا يذكرون فى كتبهم أن « الحكماء القدماء كلهم ، والأنبياء قد فرضوا أن يضرب بالآلات فى الأعياد ، وبين أيدى الأصنام ، وأن الآلهة يعجبها ذلك ، وأنها تكافىء فاعليه أحسن مكافأة ، وأكثروا فى هذا الفصل من الوعد والوعيد على ذلك من تطويل الأعمار ، ودفع الآفات ، وصرف العاهات ، وخصب المزارع ، وزكاة الثمار ، فلما شهرت هذه الآيات حتى ظنت يقيناً ،وأراد الله « تع » (٣)رحمة منه محو هذا الغلط من الأذهان ، ورفع هذا التعب عن الأجساد ، بتعطيل تلك الأعمال الشاقة الغير المفيدة ، أخبر على لسان رسوله موسى « عم » (٤) أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام انقطع المطر ، وخربت الأرض فلم تنبت شيئا ، وسقطت ثمار الأشجار وحلت الآفات والعاهات بالأجسام ، وقصرت الأعمار ؛ وبالإقبال على عبادة الله « تع » تنزل الأمطار ، وتخصب الأرض ، وتصلح الأحوال ، ويصح الجسم وتطول الأعمار . وكرر هذا الوعد والوعيد فى عدة مواضع من التوراة ؛ ليزول ذلك الرأى وينمحى أثره من النفوس » (٥) .

---

(١) نفسه ص ٤٠ .
(٢) تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث لابن كمونة ص ٤٠ . (٣) لعلها « تعالى » وقد نقلت النص بحرفيته .
(٤) لعلها عليه السلام . (٥) تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ص ٤١ .

ويبين « ابن كمونة » أن سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة بنى إسرائيل بهذه العقيدة ؛ ولذلك لا تحتاج إلى تكرار . يقول : « ولو كان مرضهم إنكار البقاء الأبدى للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكان قد كرر ذكره فى التوراة للتأكيد والتقرير ، ولمّا لم يكن الأمر كذلك اقتنع باستفاضته بين الأمة والتعريض به ، ولهذا كانت اليهود معتقدة ومقرة بالبعث والنشور للأموات ، وبقاء النفس بعد موت الأجساد ، وتناقلوا ذلك سلفا عن خلف(1) ، وترحموا على موتاهم وأذعنوا بالتوبة عند ظنهم حلول الأجل »(2)

ويذكر ابن كمونة تأكيدا لعقيدة البعث عند اليهود أنهم « قد أوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الموتى فى الصلاة وغير الصلاة وعند اجتيازهم بمقابر أمتهم »(3) .

والنص الذى نقلناه عن ابن كمونة يبرز أمرين :

الأمر الأول :

أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب ، وذلك راجع إلى أن بنى إسرائيل كانوا على علم بالبعث والجزاء قبل موسى عليه السلام ، فلم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه ، وإنما جاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده ، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام

الأمر الثانى :

أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لا يعنى أن اليهود ينكرون البعث ، فهم يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور للأموات ، وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلوا ذلك خلفاً عن سلف ، كما يقول ابن كمونة ، وإن خلو التوراة « أى أسفار موسى الخمسة » من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيراً من الباحثين(4) يذهبون

---

(1) لعلها خلفا عن سلف حتى يستقيم المعنى .   (2) نفسه ص ٤٢ .

(3) تنقيح الأبحاث ص ٤٢ .

(4) انظر على سبيل المثال قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ وانظر الفكر الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١١١ ، ١١٢ ـــ وانظر أديان العالم : حبيب سعيد ص ١٩٤ ـــ ١٩٥ ، الفصل فى الملل والنحل لابن حزم جـ ٢ ص ٨٦ ، وفصل العرب واليهود فى التاريخ ص ٥٤٥ ـــ وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١١٨ ـــ ١١٩ ، وقصد الأديان للدكتور رفقى زاهر ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ـــ واليهود تاريخا وعقيدة ص ١٦١ ـــ اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ١٩٥ .

إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والثواب والعقاب فى الآخرة ، وهذا يغاير الواقع الذى يصرح به اليهود ، ويكون كلام الباحثين موافقاً للحقيقة إذا قصدوا أن توراة موسى الحالية خالية عن البعث والجزاء ؛ لأن اليهود يقرون بذلك ويقدمون أسباباً لخلو التوراة من الحديث عن الآخرة ، كما ورد فى نص ابن كمونة وهم يعترفون « بأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين »(١) .

ولأن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منها ، وقبل أن نبين السبب الحقيقى فى خلو التوراة الحالية عن البعث والجزاء ، ونرد على ابن كمونة فى زعمه بأن سبب خلو التوراة من البعث ، هو الإيمان السابق به ، فلا حاجة للتكرار ؛ بأن نقول : إن المسائل الغيبية ـــ بخاصة فيما يتعلق بالبعث والجزاء والجنة والنار ـــ لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال الوحى المنزل ، والمتمثل فى النصوص المكتوبة التى يرجع إليها ، خاصة وأن الناس دائماً عرضة للسهو والنسيان ، فلا تترك أمور كعقائد الآخرة لتعليمها للناس ، ثم إن التكرار فى المسائل السمعية مهم جداً وضرورى لاستمرار الإيمان ، خاصة فى تلك العقائد التى تتحدث عن أمور لا يشاهدها الناس ولا يخبرون عنها ممن سبقوهم ، وتكرار أمر من الأمور يدل على أهميته ، وعدم استغناء البشر عنه ، خاصة فى أمر عقيدة الآخرة التى توجه حياة الناس ، ولما كانت الآخرة بهذه المنزلة فإنه من غير المعقول ألا تشتمل التوراة عليها ، والحديث عنها ، ويتبين لنا أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر إن دل على شيء فإنما يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة التى نزلت على موسى عليه السلام ، والقرآن الكريم يقرر ذلك فى قوله تعالى ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾(٢) .

والدليل على التحريف الذى لحق بالتوراة من بعد موسى ـــ أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية ، تتعلق بالأصل الذى نبحثه ، وهو البعث والجزاء . يقول الدكتور السقا : « أن موسى عليه السلام سلّم التوراة التى أنزلها الله عليه إلى بنى إسرائيل ، وكان موسى نحو ١٥٧١ ق . م وفى مدينة بابل بالعراق ـــ من بعد سنة

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩ ، ٩١ ترجمه عن العبرانية وشرحه د / شمعون يوسف مويال ـــ مطبعة العرب ١٩٠٩ ـــ دار الكتب المصرية تحت رقم (١) ـــ لاهوت .

(٢) آل عمران ٩٣ .

٥٨٦ ق . م ـ غير علماء بنى إسرائيل نصوصاً من التوراة التى أنزلها الله على موسى ، ومن هذه النصوص التى غيروها ، النص على يوم القيامة ، ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التى كتبها لهم « عزير » فى بابل اختلفوا على عاصمة الدولة أورشليم أم شكيم ؟ واختلفوا على الجبل المقدس ـ صهيون أم جرزيم ؟ ولما لم يتفقوا انقسموا إلى فريقين :

السامريين فى شكيم ، ويقدسون جرزيم ، ويتجهون إليه فى الصلاة .

والعبرانيين فى أورشليم ، ويقدسون صهيون ، ويتجهون إليه فى الصلاة[1] ، وابن حزم فى الفصل يذكر أن « بأيدى السامرية توراة غير التى بأيدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة ، وسائر اليهود يقولون : إن التى بأيدى السامرية محرفة مبدلة »[2] ، ولا يعلق ابن حزم على التوراة السامرية وما فيها لعدم اطلاعه عليها يقول : « ولم يقع إلينا توراة السامرية ؛ لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً »[3] . ولكن إن كانت التوراة السامرية لم تصل إلى ابن حزم فقد اكتُشفَتْ هذه التوراة أخيراً ، وترجمت إلى اللغة العربية ، ومن الاختلافات التى بينها وبين التوراة العبرية النص على يوم القيامة .

يقول الدكتور السقا « قد وجدنا التوراة التى بأيدى السامريين تختلف فى بعض الآيات عن التوراة التى بأيدى العبرانيين، ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة، فهو فى التوراة السامرية صريح للغاية ، وهو فى التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء فى الدنيا ، وإما الجزاء فى الآخرة » [4] ، والنص المختلف حوله فى التوراة العبرانية هو « أليس مكنوزاً عندى مختوماً عليه فى خزائنى ، لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم » [5] .

وقد رجعت إلى تفسير النص فى السنن القويم فى تفسير العهد القديم ، فوجدت « النقمة والجزاء » أى أنا المنتقم والمجازى لا سواى ، وقد اقتبس الرسول [6] هذه العبارة فى

---

(١) مقدمة يقظة أولى الاعتبار بما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار للشيخ صديق حسن خان ص ٦ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ــ الناشر دار التراث الإسلامى بالأزهر .

(٢) الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٩٤ .

(٣) نفسه .

(٤) مقدمه يقظة أولى الاعتبار ص ٧ .

(٥) سفر التثنية ٣٢ ــ ٣٤ ــ ٣٥ .

(٦) يقصد « بولس » لأن المفسر نصرانى ، وهو يربط بين ما ورد فى العهد الجديد والعهد القديم ، لأنه يعتبر هو والنصارى أن المصدر واحد .

المعنى مع تغيير زهيد فى اللفظ بقوله فى رسالة العبرانيين « فإننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى » .

يقول الرب ويقوله فى رسالة الرومانيين لأنه مكتوب : لى النقمة وأنا أجازى بقول الرب فى وقت تزل أقدامهم . وزلة القدم هنا استعارة للخطأ (١) .

ونلاحظ هنا أن النص فسر فى التوراة العبرانية على أن المقصود من الانتقام والجزاء فى وقت زلة أقدامهم الجزاء فى الدنيا لا الآخرة ، وإن كنا هنا نقرر أن تفسير صاحب السنن القويم ليس حجة على اليهود ؛ إلا أننا نذكر رأيه استئناساً ليتبين لنا أن النص فى التوراة العبرانية ليس صريحاً على يوم القيامة .

أما النص فى التوراة السامرية التى يقول اليهود السامريون إنه صريح فى الإشارة إلى يوم القيامة فهو « أليس هو مجموعاً عندى مختوماً فى خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة ، وقت تزل أقدامهم ، إذ قريب يوم تعنتهم وتسرع المستعدات إليهم ، إذ يدين الله قومه ، وعن عبيده يفضح ، إذ يرى إن زلت اليد ، وانقرض المحاصر والمطلق ، ويقولون أين آلهتهم القوية التى استظلوا بها ، التى شحوم ذبائحهم يأكلون ويشربون خمر سكبهم تقوم وتعينكم وتكون عليكم سترة ، انظروا الآن إننى أنا هو وليس آلهة معى أنا أميت وأحيى ، أمرضت وأنا أشفى وليس من يدى مخلص »(٢) .

هذا هو نص التوراة السامرية الذى يقول عنه السامريون : إنه يدل على يوم القيامة .

ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم : « إن قوله يوم « الانتقام والمكافأة » يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله ، فيجزيهم على أعمالهم التى عملوها فى الحياة الدنيا »(٣) .

وهذا النص بالرغم من ادعاء السامريين من صراحته على يوم القيامة ، إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسى الخمسة ، واشتمالها على تفصيلات كثيرة أقل شأناً بكثير من يوم القيامة ، وهذا يدل على أن تلك التوراة ــ أعنى السامرية ــ محرفة هى الأخرى ، أين ذلك النص المختلف حوله على فرض أنه يشير إلى الآخرة فى التوراة العبرية مع النص

(١) السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٢ ص ٥٠ الناشر مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ١٩٧٣ .

(٢) التوراة السامرية ــ سفر تثنية الاشتراع ٣٤ ــ ٣٨ .

(٣) التوراة السامرية ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .

الذى يقول عنه السامريون إنه يدل صراحة على يوم القيامة على فرض صحة ادعائهم ، أقول أين هذان النصان من حديث القرآن الكريم عن اليوم الآخر وتفصيلاته التى استوعبت معظم سور القرآن الكريم إلى حد أننا قلما نجد سورة فى القرآن الكريم إلا تتحدث عن البعث والجزاء ، والجنة وأوصافها ، والنار وعذابها .

ونحن نعتقد أن التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام كان فيها تفصيل لكل شىء ، ومن الأشياء التى أوحى الله بها إلى موسى « اليوم الآخر » وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار ، باعتبار أن اليوم الآخر أحد الأصول العقائدية فى جميع رسالات الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعده ، ونجزم أيضاً أن دعوة موسى عليه السلام كان فيها الإنذار بالعذاب فى اليوم الآخر ، يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ **إنّا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى** ﴾(١) ويقول تعالى: ﴿ **إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى** ﴾(٢) ويقول تعالى : ﴿ **وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين** ﴾(٣) .

والذين آمنوا بموسى عليه السلام كان عندهم علم بأمور الآخرة ، وما ينتظر الصالحون من ثواب ، وما يعاقب به الطالحون من عذاب ، يقول الله تعالى عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى : ﴿ **قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيه ولا يحيى . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى** ﴾(٤) . والآيات التى تتحدث عن الحوار الذى دار بين الذين آمنوا بموسى وبين فرعون ، إن دل على شىء فإنما يدل على أن الإيمان بالآخرة قد تغلغل فى نفوسهم لدرجة أنهم لا يخشون عذاب فرعون وجنوده ، وعقيدة الآخرة تلك التى عنها أفصحوا لابد وأنهم سمعوها من موسى قبل أن يؤمنوا ، ورسخت فى نفوسهم ، بعد أن خالط الإيمان شغاف قلوبهم .

---

(١) طه ٤٨ .
(٢) طه ١٤ ، ١٥ .
(٣) الأعراف ١٤٥ .
(٤) طه ٧٢ ـــ ٧٦ .

والذى تنتهى إليه بعد عرضنا للاتجاه الأول ، وهو خلو أسفار موسى الخمسة من الحديث عن البعث والجزاء هو :

أولاً : أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التدخل البشرى على الوحى الأصلى المنزل على موسى عليه السلام ، ولا ينفى التحريف والتدخل البشرى على نصوص التوراة قول ابن كمونة : إن اليهود يؤمنون بالبعث والجزاء فلا حاجة لتكراره ، لأن الأمور العقائدية وخاصة ما يتعلق منها بالغيبيات لابد من ذكرها والنص عليها فى التوراة ، ولأهميتها ، فلابد من تكرارها إذ أن التكرار إنما يكون للاهتمام بها والتأكيد عليها .

ثانياً : خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة من الحديث عن الآخرة ، وعقيدة اليهود فى البعث والجزاء . إذ أن خلو التوراة الحالية عن البعث لا يعنى أن اليهود لا يعترفون بالآخرة وثوابها وعقابها ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى لأن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى تؤخذ عقائد اليهود منه ، إذ هناك التعاليم الشفوية ، كالتلمود وأسفار الأنبياء المتأخرين والتى يرجع إليهما اليهود فى عقائدهم وشرائعهم .

الاتجاه الثانى : الإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء عن البعث :

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة ، وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى نجد أن هناك إشارات عن البعث ، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث القومى لليهود ، وعودة دولتهم ، وانتصارهم على أعدائهم ، وسوف نناقش الباحثين فيما ذهبوا إليه .

والبعض الآخر من الباحثين يرون أن الإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء مقصود بها البعث الأخروى ، ولكنهم يرجعون ذلك إلى تأثر اليهود بعقيدة اليوم الآخر من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلى ، وسوف نناقش هذا الرأى أيضاً .

ورد فى قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان « القيامة فى العهد القديم » :

« يظهر من الإيمان بالإثابة والجزاء الوارد فى أيوب[1] بأن القيامة مفهومة ضمناً ، وكذلك تذكر القيامة ضمناً فى المواضع التى يعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله وفى

---

(١) أيوب ١٩ : ٢٥ — ٢٧

حضرته فى المزامير(١) ، ويحدثنا أشعياء(٢) عن قيامة المؤمنين ، وكذلك يعلم دانيال(٣) عن قيامة البعض للحياة الأبدية ، وقيامة آخرين للعار للازدراء الأبدى ، ويصف حزقيال(٤) نوعاً من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله »(٥) . وسوف نعرض النصوص التى أشار إليها الكتاب المقدس لنرى هل تشير إلى البعث الأخروى أو تشير إلى البعث القومى لليهود كما يذهب البعض ؟ .

نص أيوب : « أما أنا فقد علمت أن ولى حى ، والآخر على الأرض يقوم ، وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله الذى أراه لنفسى وعيناى تنظران ، وليس آخر ، إلى ذلك تتوق كليتاى فى جوفى »(٦) ويشرح صاحب السنن القويم فى تفسير العهد القديم نص أيوب هكذا : « فقد علمت امتحنه الله بمصائب عظيمة ، حتى ظهر له أن الله قد تركه وأصحابه كانوا له معزين متعبين ، وليس له رجاء بالحياة ، ولا بذكر طيب بعد الموت ، وليس أمامه إلا الظلام ، ومع ذلك ظل إيمانه ثابتاً بأن الله يحبه ولا يترك من خلقه واعتنى به ، والشركة التى كانت له مع الله عربون شركته أفضل تدوم إلى الأبد ، فقال بشدة « قد علمت » ، ولم يعلم إلا بالإيمان « ولى » الولى : هو النسيب الأقرب ، الذى له حق أن يأخذ بالثأر ، وله حق أن يفك الميراث(٧) ، والله ولى شعبه(٨) ، وهو ولى المؤمنين أفراداً ، أى يعينهم وينتقم لهم كنائب عنهم ، ولا يشير الاسم « ولى » إلى من يخلص من الخطية كالاسم « فادى » فى العهد الجديد ، وقال إن وليه حى سيبرره بعد موته ، وخصص هذا الولى لنفسه « ولى ، والآخر لم يقم له ولى ، وهو حى ولكنه رجا كل الرجاء بولى يقوم له فى الآخر ، أى بعد موته الأول اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله ، بدون جسدى أى بعد موته فيكون جسده قد تلاشى ، أرى الله ، وذلك بعد موته وبدون جسده(٩) .

ولا شك فى أن معرفة أيوب بقيامة الجسد ورؤية الله فى السماء كمعرفة غيره من قديسى العهد القديم »(١٠) وهذا النص يشير إلى البعث الأخروى ، وليس المجال هنا مناقشة

---

(١) ١٦ : ٩ — ١١ ، ١٧ : ١٥ ، ٤٩ : ١٥ ، ٧٣ : ٢٤ .
(٢) أشعياء ٢٦ : ١٩ .
(٣) ١٢ : ٢ .
(٤) حزقيال .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ — ٧٤٩ .
(٦) أيوب ١٩ — ٢٥ — ٢٦ .
(٧) راعوث ٤ : ١ .
(٨) أشعياء ٥٤ : ٥ .
(٩) المزامير ١٩٠ : ١٤ .
(١٠) السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .

هل النص يشير إلى البعث الجسدى أم البعث بالروح [1]؟ .. الذى يثبته النص أن أيوب كان عنده إيمان أنه سيبعث ويرى الله ، وهذا ما يرجوه وينتظره .

أما النصوص فى المزامير ، والتى أشار إليها قاموس الكتاب المقدس على أنها تشير إلى البعث والقيامة فهى : « لأنك لم تترك نفسى فى الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً ، فعرفنى سبيل الحياة ، أمامك شبع وسرور فى يمينك نعم إلى الأبد »[2] .

« أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك »[3] .

« إنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية لأنه يأخذنى »[4] .

« برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى . من لى فى السماء ومعاه لا أريد شيئا فى الأرض »[5] .

فهذه إشارات ضمنية إلى البعث والقيامة والنعيم عند الله .

وننتقل بعد ذلك إلى نص أشعياء . « تحيا أمواتك ، تقوم الجثث ، استيقظوا ، ترنموا بإسكان التراب ، لأن طلك طل أعشاب ، والأرض تسقط الأخيلة » [6] .

ويفسر نص أشعياء على أنه إشارة إلى البعث القومى ، وعودة اليهود لأرضهم . يقول صاحب السنن القويم : « الرب قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود فى بابل مدة السبى فى الذل ، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات ، فقال لهم الرب : إنهم سيرجعون إلى بلادهم ، فتقوم أمة اليهود ثانية ، أى الكلام هنا فى موت الأمة السياسى وقيامتهم للحياة كأمة جديدة . بإسكان الأرض » إن الرب دعا هنا المذلين والحزانى إلى الفرح والتسابيح لأنه سيخلصهم « طل أعشاب » شبه اليهود بعشب قد يبس من عدم الرطوبة ، ثم نزل عليه المطر أى نعمة الله فانتعش (تسقط الأخيلة) معنى هذه الجملة كمعنى الجملة فى أول الآية (تحيا أمواتك) أى هي إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية »[7] .

---

(1) التوراة السامرية ص ١٤ ، ١٥ تحقيق الدكتور السقا .

(2) مزامير ١٦ : ١٠ — ١١ .

(3) مزامير ١٧ : ١٥ .

(4) مزامير ٤٩ : ١٥ .

(5) مزامير ٧٣ : ٢٤ — ٢٥ .

(6) أشعياء ٢٦ : ١٩ .

(7) السنن القويم فى تفسير العهد القديم ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا فى تفسيره ، يقول : « الحياة من الموت هنا كناية عن نهضة قومية ورجوع روحى معا ، يغفر خطاياهم . قال البعض إن هذه قيامة جسدية حرفية قيامة أموات ، لكن قيامة الأموات نوعان :

النوع الأول : الذين فعلوا الصالحات يخرجون إلى قيامة الحياة .

النوع الثانى : الذين فعلوا السيئات يقومون إلى قيامة الدينونة . يقول « استيقظوا » أى كانوا نائمين كعظام فى التراب ، لكنها ستقوم ، « والأرض تسقط الأخيلة ،أى تلفظ الأموات »(1) .

والنص على ظاهره يتحدث عن البعث « تحيا أمواتك » ولا أدرى لماذا حرفه صاحب السنن القويم ، وناشد حنا فى تفسيره عن بعث الأموات ، إلى بعث اليهود القومى ؟ وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود ، فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة ، وتقوم دولتهم ، وينتصرون على أعدائهم ، وبعد ذلك الانتصار والعودة القومية يبعثون للآخرة ، باعتبارهم أبناء الله وأحباءه ، ويعتبرون أن العودة القومية التى تسبق الحياة الأخرى ، من المميزات لهم عن بقية الأمم . يقول « سعديا الفيومى » : « ألسنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيى جميع الموتى فى دار الآخرة للمجازاة ؟فأى شيء لمنكر أن يكون فضّل هذه الأمة مدة زيادة يحيى فيها موتانا قبل دار الآخرة ، حتى يصل حياتهم تلك بحياةِ الآخرةِ ؟ وأى شيء السبب المانع من ذلك والدافع له ؟ أو ليس هو عدلا يعوض كل ممتحن حسب محنته ؟ وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة .؟ »(2) فعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية فتلك العودة يتبعها مباشرةً البعث الأخروى .. وأرى أن النص بظاهره يشير إلى البعث الأخروى ، أما إشارته إلى العودة القومية ، فبتأويل كما رأينا فى تفسير السنن القويم ، وناشد حنا .

ونص دانيال الذى أورده قاموس الكتاب المقدس هو : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى »(3) .

يقول ناشد حنا : « وقد أخذت الآية أيضا على أنها قيامة أموات حرفية وأنها قيامة

---

(1) اشعياء مفصلا آية آية ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ جـ ١ ناشد حنا .

(2) الأمانات والاعتقادات سعديا الفيومى ص ٢٢٩ .

(3) دانيال ١٢ ــ ٢ .

عامة ، البعض يذهبون إلى الحياة الأبدية ، والبعض الآخر إلى جهنم ،لكن المقصود هنا بالراقدين فى تراب الأرض اليهود المشتتون سيجمعهم الرب ، بعضهم يرجع رجوعا قوميا فقط كالذين فى دولة إسرائيل الآن ، والبعض الآخر يرجعون رجوعا قوميا وروحيا فهؤلاء للحياة الأبدية أى الملك الألفى »(١) .

ونص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروى كما رجحنا فى نص أشعياء ، بدليل أن قوله « وكثيرون من الراقدين » لا يمكن أن يشير إلى البعث الأخروى ، لأن البعث الأخروى عام وشامل . يقول صاحب الديانات والعقائد « ولئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التى هى العودة إلى الحياة فليست البعث الذى يتم فى اليوم الآخر ، بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا هم الراقدين جميعا ، بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون ، وإذا كانت اليقظه غير عامة شاملة فليست بعثا لليوم الآخر » (٢) .

أما نص حزقيال : « أيتها العظام اليابسة ، اسمعى كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ، هأنذا أدخل فيكم روحا فتحيون ، وأضع عليكم عصبا ،وأكسيكم لحما ، وأبسط عليكم جلدا ، وأجعل فيكم روحا ، فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب » (٣) .

يقول رشاد فكرى ، فى تفسيره لسفر حزقيال : « هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمتعون بالبركات الإلهية ، فالموضوع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية ، لكن عمل الله فى إسرائيل لكى يحيا مرة أخرى كأمة » (٤). ونفس المعنى الذى ذهب إليه رشاد فكرى ذكره مؤلفو قاموس الكتاب المقدس . وإن كنت أرى أن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث ، والحياة بعد الموت « أدخل فيكم روحا فتحيون ، وأضع عليكم عصبا ، وأكسيكم لحما ، وأبسط عليكم جلدا » (٥) .

هذه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك « وتعلمون أنى أنا

---

(١) أشعياء مفصلا آية آية — ناشد حنا ج ١ ص ٢٤٥ .

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور جـ ٢ ص ٢٤٣ — أحمد عبد الغفور عطا الطبعة الأولى ١٩٨١ — مكة المكرمة..

(٣) سفر حزقيال ٣٧ : ٤ — ٧ .

(٤) تفسير حزقيال ص ٣٢١ ، ٣٢٢ — رشاد فكرى — مكتبة كنيسة الأخوة . وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩ .

(٥) حزقيال ٣٧ : ٤ — ٧ .

الرب » ، ولا أدرى لماذا عدَل مفسرو النصارى عن القول بأن نص حزقيال يشير إلى البعث الأخروى ، ورجحوا دلالة النص على البعث القومى السياسى ، ونحن هنا نستأنس بآراء مفسرى النصارى فقط ، لأن آراء النصارى ليست ملزمة لليهود .

وهناك اتجاه آخر يذهب إلى أن الإشارات السابقة فى أسفار الأنبياء تشير إلى البعث الأخروى ، وأن الاعتقاد بالآخرة لم يكن له وجود قبل عصر الأنبياء . ورد فى علم اللاهوت الكتابى « أن الاعتقاد بالآخرة مثله مثل التوحيد فى العهد القديم ، كلاهما من اختراع الأنبياء ، وهذا معناه أنه لم يكن هناك توحيد أخلاق قبل عصر الأنبياء ، فإنه لم يكن قبل ذلك وجود للاعتقاد بالآخرة » (١) .

ولكن هذا الاتجاه يذهب إلى أن اليهود تأثروا بعقيدة اليوم الآخر من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية ، يرى مؤلف تراث العالم القديم أنه حتى « عشية النفى كانت الأمة مسئولة عن خطايا أعضائها ، وكان البرىء والمذنب على السواء ينالهما الجزاء الذى يقع على المجتمع ، ثم حدث مع النفى تغير ، وأصبحت مطالب الفرد فى عداله « يهوه » تلح إلحاحا يطرد ازديادا لإرضائها ، وقد رأينا أن مفكرين كمؤلف سفر أيوب جاهد على غير طائل للوصول إلى جواب عن المسألة ، لقد كانت وطأة الاضطهاد فى عهد أنطيوخوس هى التى فرضت الاعتقاد فى البعث على العقِل اليهودى ، ولقد كان قاصرا قبل ذلك الوقت على أقلية صغيرة ، تأثرت فيما يُرَجَّحْ بالاتصال بالأفكار الزرادشتية فى عهد الحكم الفارسى ، وأن النصوص الواردة فى العهد القديم التى تشير إليه قليلة ومتأخرة » (٢) .

ويذهب إلى هذا الرأى أيضا — تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس ، وبابل — جرهاردوش فوس بقوله : « إن الإيمان العبرانى كما أنه تأثر فى أمورٍ كثيرة بالمعتقدات السائدة . تأثر أيضا فيما يختص بالآخرة » (٣) .

يقول الدكتور كامل سعفان : « وإذا كان دانيال قد أشار إلى يوم البعث والجزاء بقوله « كثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الأبدية ، وهؤلاء إلى

(١) علم اللاهوت الكتابى جـ ٢ ص ٤٤٣ — تأليف جرهاردوش فوس — ترجمة الدكتور عزت زكى الناشر — دار الثقافة ١٩٨٢ .

(٢) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ تأليف ز . ح — دى بورج ترجمة زكى الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .

(٣) علم اللاهوت الكتابى جـ ٢ ص ٤٤٦ .

العار للازدراء الأبدى » فهذا دليل على ما أصاب من تحريف أو تزييف »[1] . ولقد ذكرنا من قبل كيف استدل بعضُ الباحثين بنص دانيال على أنه إشارة إلى البعث القومى ، لأن البعث الأخروى عام وشامل ، ونص دانيال فيه « كثيرون من الراقدين في التراب » ولعل أصلها الصحيح قبل التحريف « **الكثيرون الذين رقدوا فى تراب الأرض** » ويكون المعنى حينئذ مشيراً إلى البعث الأخروى ، ولكن اليهود مارسوا عملية التحريف والتبديل فى نصوص الأسفار .

ويذهب الدكتور كامل سعفان إلى احتمال آخر ، وهو التأثر بالفرس فى عقيدة البعث والجزاء ، يقول عن أسباب التحريف فى النصوص : « إنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية زمن الأسر الطويل ، وإبان الاتصال بدولة الفرس فى عهد قورش ، وهو احتمال يؤكده العبث بالأصل السماوى »[2] . وسوف نناقش عملية التأثر تلك عند عرضنا لرأى صاحب قصة الحضارة .

يقول « وول ديورانت » :

« ولم تبن فكرة البعث فى خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء فى أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض ، ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس ، أو لعلهم أخذوا شيئا منها عن المصريين ، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية »[3] .

يقول الأستاذ « عبد الكريم الخطيب » فى تعليقه على عبارة « ديورانت » الأخيرة :

« هكذا يقول ديورانت ونحن نخالفه فى هذا ، فإن شريعة موسى لا شك قد حملت إلى بنى إسرائيل صورة واضحة عن البعث والحساب ، والجنة والنار ، وإن يكن بنو إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة فى عهد من عهودهم فإنهم حين جددوا العهد والتمسوا الحياة الآخرة فيه كان أقرب شىء إليهم هو ما فى شريعة موسى المكتوبة فى الصحف أو المحفوظة فى بعض الصدور ، فذلك أقرب إليهم بلا شك من أن يلتمسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى ، التى تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة للديانات الموسوية »[4]

---

(١) اليهود تاريخا وعقيدة ص ١٦١ .
(٢) نفسه .
(٣) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ — وانظر تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٨ — ٩٩
(٤) الله والإنسان ص ٢٥٥ .

والحق ما ذهب إليه الأستاذ « الخطيب » فإنه مهما كان التحريف فى عهد من عهود اليهود فإن إحتمال رجوعهم إلى شريعة موسى أقرب من رجوعهم إلى غيرهم من الأمم الوثنية ، وإذا كانت الإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء المتأخرين محتملة كما رأينا ، أو يُزْعَمْ أن اليهود تأثروا فيها بغيرهم من الأمم الوثنية ؛ فإننا نستطيع أن نجد بعض الأدلة على البعث بطريق غير مباشرة . هذه الأدلة تتضح من عدة نماذج لإحياء الموتى كمعجزات للأنبياء[١] .

وبعد أن استعرضنا الإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء عن البعث ، نجد أنها لا تقدم صورة مسهبة ومفصلة تتناسب مع الأصل العقائدى الهام الذى يتمثل فى الاعتقاد باليوم الآخر .

وإذا أردنا أن نحدد بدقةٍ أوجهَ الإتفاق وأوجه الاختلاف بين ما ورد فى العهد القديم وما ورد فى القرآن الكريم . فإن **أوجه الاتفاق** تتمثل فى :

أولا : أن أصل فكرة البعث مبثوثة فى العهد القديم كإشارات مجملة ، ولا تعطى تصورا مفصلا عن الآخرة وما فيها .

ثانيا : أن بعض الإشارات كالتى وردت فى سفرى أشعياء وحزقيال تتفق بوجه من الوجوه مع بعض ما ورد فى القرآن الكريم من قيام الناس لله رب العالمين .

أما أوجه الاختلاف : فتتمثل فى

أولا : أن العهد القديم لا يقدم تفصيلا تذكر ، كالتى يذكرها القرآن الكريم ، من إرهاصات يوم القيامة ، ونسف الجبال ، وتبديل الأرض غير الأرض والسموات ، كما لا يشير إلى نفخ الصور ، كما تحدث القرآن الكريم ، وتحدثت بعض النصوص فى الأناجيل .

ثانيا : أن العهد القديم لا يقدم أى تصور مفصل عن خروج الناس من القبور سراعا ، ولا عن كيفية بعثهم ونشرهم يوم القيامة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة الأصلية التى أنزلها الله على موسى والكتب التى نزلت على الأنبياء من بعده .

ويدلنا أيضا أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى يُرجَعُ إليه ويُحْتَكَمُ له عند

---

(١) سنتحدث عن هذه الحالات تفصيلا عند مبحث الاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود .

الاختلاف بين ماورد فى الكتب السابقة وبين ما فى القرآن ، وصدق الله إذ يقول ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] .

الاتجاه الثالث : عرض النصوص التى تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية :

يتمثل هذا الاتجاه فى عرض النصوص التى تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية التى تتحدث عن العقائد اليهودية . وتجدر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد « لأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين ، خصوصا بعد عودتهم من سبى بابل »[2] . وإن كنت لم أعثر على نصوص من التلمود تتحدث عن البعث وكيفية ؛ فإن هذا لا يعنى أن التلمود لم يتحدث عن البعث وكيفيته ، وعذرى فى ذلك أن التلمود من الكتب النادرة الوجود . يقول الأستاذ « شوقى عبد الناصر » : « إن التلمود ومعناه كتاب تعليم اليهود وآدابهم ، فهو من أندر الكتب الموجودة فى عالمنا على الإطلاق ، وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه فى العالم أجمع أكثر من خمس نسخ »[3] .

وإذا تركنا التلمود فإننا نجد أن مفكرى اليهود وعلماءهم يقرون بالبعث والقيامة . يقول سعديا الفيومى : « إن إحياء الموتى الذى عرفنا ربنا أنه يكون فى دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه »[4] وبين السبب فى ذلك بقوله : « لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان ، وسبب تشريفه الطاعة ، وثمرتها الحياة الدائمة فى دار الجزاء »[5] ويواصل حديثه عن البعث قائلا : « ورأينا إحياء الموتى ، ولا شاهد يدفعه ، لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم ، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم ، ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شىء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شىء لا من شىء »[6] .

وموسى بن ميمود اليهودى يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند اليهود . وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا . يقول ابن ميمون : « أنا أؤمن[7]

---

(1) الحجر ٩ .
(2) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠ ، ٩١ .
(3) بروتوكولات حكماء صهيون وتعليم التلمود ص ١ ، ٢ .
(4) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ .
(5) نفسه ص ٢١٣ .
(6) نفسه ص ٢١٣ .
(7) انظر الفكر اليهودى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١٥٧ وما بعدها ويذهب الدكتور ظاظا إلى أن موسى بن ميمون تأثر بالمسلمين فى عقيدة الآخرة .

إيمانا كاملا بقيامة الموتى ، فى الوقت الذى تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن ، وإلى أبد الآبدين »[1] .

وعقيدة الآخرة نجدها مبثوثة فى ثنايا كتب اليهود ، إذ يعبرون بأن الغرض الأسمى نيل السعادة فى الآخرة . جاء فى كتاب شعار الخضر فى الأحكام الإسرائيلية قول مؤلفه :« إن جُلَّ قصد شريعتنا الإلهية هو أن ينال الإنسان السعادة الأبدية » [2] .

وجاء فى مقدمة كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء :« رزقنا الله الممات على حفظه وحب هذا النبى العظيم » أى موسى عليه السلام ، « وحشرنا فى زمرته ،ولا جعلنا من المبعودين فى هذه الدار من أمته المحرومين فى الآخرة من شفاعته » [3] .

ومن فرق اليهود فرقة الكوستانية ، وهى فرقة من فرق اليهود المتأخرة ، تقر بالآخرة ، والثواب والعقاب [4] ، ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الفرق اليهودية تنكر البعث والآخرة ، ومن هذه الفرق الصدوقيين « نسبة إلى صدوق أو صادوق بمعنى صادق ، رئيس الكهنة أيام داود وسليمان ، ومن عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابين . فسُمى أنصاره وخلفاؤه صدوقيون ، أو بمعنى أصح صادقيون ، وكانوا ضد تقليد الآباء ، على عكس الفريسين خصومهم ، ومالوا إلى الفلسفة اليونانية ، ومدافعة الشر وأنكروا وجودَ الملائكةِ والروح ، ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب فى الجسد ،بدعوى أن النفس تموت مع الجسد ، وأن النص التوارتى يخلو من أى إشارة إلى معاد وحساب » [5] .

ونلاحظ أن عدم إيمان الصدوقيين بالقيامة راجع إلى عدم إيمانهم بالتعاليم الشفوية كالتلمود الذى يعتقده سائر اليهود غيرهم ، ولما كانت التوراة لم تتحدث عن القيامةِ فقد تمسكوا بها ، ورفضوا التلمود وتعاليم الآباء الشفوية ، بما فيها من ذكر للبعث والقيامة . وهناك بعضُ الفرقِ اليهودية التى تنكر البعث والقيامة فى الآخرةِ وتؤمن بأن الثواب والعقاب

---

(١) نقلا عن الفكر الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .

(٢) شعار الخضر فى الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائيق ص ٧ تعريب مراد فرج مطبعة الغرائب بمصر ١٩١٧ .

(٣) نقلا عن مقدمة يقظة أولى الاعتبار ص ١٢ . (٤) الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ ص ٤٨ .

(٥) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ الدكتور عبد المنعم الحنفى دار المسرة ـــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠ وانظر الفكر الإسرائيلى أطواره ومذهبه ص ٢٥٩ وانظر عبقرية المسيح للعقاد ص ٢٢ ـــ نشر كتاب اليوم ١٩٥٣ وانظر دينونة البشر العامة ص ٥١ ، ٥٢ .

فى الدنيا ، من هذه الفرق الدوستانية . يقول الشهرستانى : « الدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب فى الدنيا » (١) .

تعقيب على البعث فى التصور اليهودى :

بعد عرضنا للاتجاهات الثلاثة التى مرت يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية :

أولا : أن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والآخرة ، وما يسبقها من نفخ فى الصور وما يصاحبها ، من نسف للجبال ، وتبديل للأرض غير الأرض والسموات ، وما يقع فيها من حساب وجزاء ، وجنة ونار ، يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة ، بعد موسى عليه السلام . لأن أمور البعث والآخرة أنزلها الله على موسى فى التوراة مفصلة .

يقول تعالى ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون** ﴾ (٢) .

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التى جعلتهم يتعلقون بالدنيا ومتاعها ، كتموا ما أنزل الله فى التوراة ، من ذكر للآخرة وما فيها ،وبقيت صوره مضطربة ، ليس لها ما يسندها من نصوص مكتوبة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت .. ومن هنا نفسر كراهية اليهود للموت وما بعده ، لئلا يشغلوا بالآخرة عن الدنيا ومتاعها التى سيطرت عليهم سيطرة تامة . يتضح ذلك فى التوراة الحالية المحرفة .

ولقد تحداهم القرآن الكريم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين فى إيمانهم بالله وما أعده لهم .

ثانيا : أن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة ، ولكن تلك الإشارات لا تعطى تفصيلات مناسبة عن اليوم الآخر ، تتناسب مع ذلك الركن العقائدى الهام ، خاصة وأن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا ، من أمور الزراعة والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم ، وأيضا أمور الحرب والقتال وغير ذلك من الأمور التى تعتبر أقل أهمية من الآخرة التى كان يجب أن تحتل مكانةً كبيرةً فى أسفارِ

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل جـ ٢ ص ٤٨ .

(٢) الأنعام ١٥٤ .

اليهود ، ولكن التحريف والتبديل سبب كثيراً من المفارقات عند اليهود .

ثالثا : إن علماء النصارى شاركوا اليهود فى التحريف للنصوص ، فإنْ كنا ذهبنا إلى أن اليهود حرفوا النصوص الواردة فى العهد القديم عن الآخرة وما فيها ، بكتمانها وعدم إثباتها ؛ فإن النصارى أيضا شاركوا فى التحريف بتأويل البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر فى أسفار الأنبياء ، بصرفها عن البعث الأخروى إلى البعث القومى السياسى ، بالرغم من صراحة بعض النصوص كنص أشعياء وحزقيال . ونحن نتعرض للنصارى ومشاركتهم فى التحريف وإن كان التعقيب على البعث عند اليهود ، وذلك لأن النصارى تعتقد فى قدسية العهد القديم ، ويستدلون بنصوصه فى تصوير كافة عقائدهم (١) . وهذا ما جعلنا نعلق على مسلك النصارى فى تأويل نصوص العهد القديم ، مع علمنا بأن تفسيراتهم ليست ملزمة لليهود ، وإنما نستأنس بما قيل حول النصوص ، لا أكثر من ذلك .

رابعا : أن التلمود وتعاليم الآباء الشفوية كانت مصدرا من أهم المصادر لدى اليهود فى تصورهم للآخرة ، وما فيها من بعث للأموات وثواب وعقاب .

خامسا : أن اليهود باستثناء بعض الفرق ـــ كالصدوقيين ـــ يقرون بالبعث على نحو ما ورد فى أسفار الأنبياء المتأخرة . والتلمود والتعاليم الشفوية التى يدعون انتقالها عن الآباء الذين كانوا قبل موسى وبعده .

سادسا : أن اليهود على عهد النبي ﷺ كانوا يؤمنون بالآخرة .

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أو ياأبا القاسم ، إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ،وسائر الخلق على إصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك . أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ ، تعجبا بما قال الحبر تصديقا له ،ثم قرأ : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ (٢)

* * *

---

(١) لسنا فى مجال مناقشة النصارى فى ادعائهم قدسية العهد القديم . مع أنهم يخالفون كثيرا من الأمور الواردة فيه .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥١٥ ـــ طبعة عيسى الحلبى .

المبحث الخامس

الحشر بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : الحشر فى التصور الإسلامى

للحشر كما ورد فى القرآن الكريم أربعة أنواع : حشران فى الدنيا ، وحشران فى الآخرة . وسنتحدث بإيجاز عن نوعى الحشر فى الدنيا ، ثم نفصل نوعى الحشر فى الآخرة ، فنذكر تعريف الحشر ، وعمومه للإنس والجن والحيوان والطير ، وسماءه وأرضه ، وكيفيته وذكر العرق يوم القيامة فى الحشر ، وحشر المؤمنين إلى الجنة ، وحشر الكاذبين إلى النار .

الحشر فى الدنيا :

أول نوع من أنواع الحشر فى الدنيا : هو ما ذكره الله عز وجل فى قوله تعالى ﴿ **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** ﴾[1] والمقصود من الآية أن الله أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب لأول الحشر ، أى فى أول حشرهم إلى الشام ، وكانوا من سبط من اليهود لم يصبهم جلاء قط ، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ، وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام ، وآخر حشرهم يوم القيامة . ويقول ابن عباس : من شك أن الحشر فى الدنيا فليقرأ هذه الآية ، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم : « اخرجوا » . قالوا إلى أين ؟ قال : « إلى أرض الحشر » . قال قتادة : هذا أول الحشر (٢) .

النوع الثانى فى الدنيا : الحشر الذى يكون قبل يوم القيامة ، والذى يعتبر من علامات الساعة ، وفيه أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، تبيت معهم حيث

(١) الحشر ٢ .

(٢) أبو السعود جـ ٤ : ٧٠١ / ٧٠٢ والتذكرة للقرطبى جـ ١ ص ٢٤٢ .

باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف منهم ، وهذا الحشر هو الذى ورد عنه الخبر فيما رواه البخارى عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « يحشر الناس على ثلاث طرائق ، راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، ثلاثة على بعير ، أربعة على بعير ، عشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا »(١) . والعلماء مختلفون حول هذا الحشر ، هل هو فى الدنيا أو فى الآخرة ؟

فذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذا الحشر ، الحشر فى الآخرة . وحجتهم أن الحشر إذا أطلق فى عرف الشرع يراد به الحشر من القبور ما لم يخصصه دليل ، كما فى الحديث السابق ، وأيضا أن بقية الناس التى تحشرهم النار قول لم يرد فيه توقيف ، وليس لأحد أن يحكم على أهل الشقوة بتسليط النار عليهم فى الدنيا (٢) . ويحتج من يذهب من العلماء إلى أن هذا الحشر فى الآخرة بأن التقسيم فى الحديث للناس ، إشارة إلى التمثيل فى سورة الواقعة ، ويرون أن قوله ﷺ : « يحشر الناس على ثلاث طرائق » إشارة إلى الأبرار والذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وإشارة إلى الكفار . فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه ، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء ، والأبرار يُحملون النجائب ، والراهبون على الأبعرة ، والفجار تسوقهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا (٣) . هذا رأى من ذهب من العلماء إلى أن الحشر الوارد فى حديث أبى هريرة مقصود به الحشر فى الآخرة .

وفريق اخر من العلماء ذهب إلى أن الحشر الوارد فى الحديث حشر فى الدنيا وليس فى الآخرة ، وحجتهم فى ذلك أن الحشر فى الآخرة على خلاف الصورة التى ورد بها الحديث من الركوب على الإبل والتعاقب عليها ، وإنما حشر الآخرة هو ما ورد فى حديث ابن عباس ، بأن الناس يحشرون حفاة عراة ، واستدل هذا الفريق من العلماء على أن هذا الحشر فى الدنيا بأن النار التى تحشرُ الناسَ والتى ورد بها الخبر ليست نار الآخرة ، وإنما هى كناية عن الفتنة التى تفتن الناس قبل يوم القيامة ، وهذه النارُ مثل قوله تعالى ﴿ **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله** ﴾ (٤) ونميل إلى أن الحشر الوارد فى حديث أبي هريرة

---

(١) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٨ / ٣١٩ / ٣٢٠ .
(٢) نفسه ص ٣١٨ .
(٣) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٢٤٣ .
(٤) المائدة ٦٤ .

حشر فى الدنيا لا فى الآخرة ، لأنه قد ورد فى نفس الحديث أن النار تحشرهم وتقيل معهم حيث قالوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا ، وليس فى الآخرة صباح ولا مساء . وقد رجح ابن حجر هذا الرأى فى الفتح ، يقول : « يبعد غاية البعد أن يحتاج من يساق إلى الموقف إلى الجنة ، إلى التعاقب على الأبعرة ، فرُجحَ أن ذلك إنما يكون قبل البعث . والله أعلم » (١) .

الحشر فى الآخرة :

حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث إلى الموقف ، وهو فى اللغة : الجمع ورد فى مختار الصحاح : حَشَرَ الناسَ جمعَهُمْ ، وبابه ضرب ونصر ، ومنه يوم الحشر (٢) . وفى الاصطلاح عند علماء التوحيد : « سوقهم جميعا ـــ أى المخلوقات ـــ إلى الموقف ، وهو الموضع الذى يقفون فيه من الأرض المقدسة المبدلة التى لم يعص الله عليها ، لفصل القضاء بينهم ، لا فرق فى ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك ، وبين من لا يجازى كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون » (٣) يقول السعد فى شرح المقاصد : « المعتمد فى إثبات حشر الأجساد دليل السمع ، والمفصح عنه غاية الإفصاح من الأديان دين الإسلام ، ومن الكتب « القرآن » ، ومن الأنبياء محمد عليه السلام »(٤) .

وهذا الحشر يكون للمخلوقات كلها يقول الله تعالى ﴿ **وما من دابةٍ فى الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه إلا أممٌ أمثالُكُمْ ما فرطنا فى الكتابِ من شىءٍ ثم إلى ربِّهمْ يُحشرون** ﴾ (٥) يروى الترمذى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها : حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء » (٦) .

وهذا الحديث يدل على حشر البهائم يوم القيامة وإعادتها ، كما يعادُ أهل التكليف . وقد اختلف أهل التأويل فى حشر الحيوانات والطيور المذكور فى آية الأنعام ، فعن ابن عباس أن موت البهائم حشرها ، وقال آخرون : الحشر فى هذا الموضع يعنى به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة ، واستدلوا بما ورد عن أبي هريره فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ثم إلى ربهم**

(١) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢١ .
(٢) مختار الصحاح ص ١٣٧ .
(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ .
(٤) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٦ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٧٨ ، جـ المسايرة فى علم الكلام ص ١٤٢ .
(٥) الأنعام ٣٨ .
(٦) تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى جـ ٧ ص ١٠٤ .

يحشرون ﴾ قال : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم ، والدواب ، والطير ، وكل شيء ، ويبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول كوني ترابا ، فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا . واستدلوا أيضا بما ورد عن النبي ﷺ ، عن أبي ذر قال : بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون فيم انتطحتا ؟ » قالوا : لا ندرى . قال : « لكن الله يدرى وسيقضى بينهما »(١) .

وبعد أن يستعرض الإمام الطبرى آراء القائلين بالحشر ، والقائلين بأن الحشر بالنسبة للحيوانات والطيور يعنى به الموت ، يذهب إلى أن « الصواب من القول عندى أن يقال إن الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائرٍ محشورٌ إليه ، وجائز أن يكون معنيا به الحشرات جميعا ، ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ولا فى خبر النبي ﷺ أى ذلك المراد فى قوله : ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ إذا كان الحشرُ فى كلام العرب الجمع ، من ذلك قوله تعالى ﴿ والطيرَ محشورة كل له أواب ﴾(٢) يعنى مجموعة ، فإذا كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعا خلقه إليه يوم القيامة وجامعهم بالموت ، كان أصوب القول فى ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها ، وأن يقال كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعدَ الفناء ، وبعد بعثِ القيامة ، ما دام الله قد عمَّ بقوله ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ولم يخصص حشراً دون حشر » (٣) .

والذى أميل إليه هو أن الحشر فى الآخرة عام يشمل جميع المخلوقات لقوله تعالى ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ولقوله تعالى ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ (٤) وفى تفسير هذه الآية وردَ أن معنىَ حشرِ الوحوش جمعها وبعثها للقصاص . قال قتادة : « يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص ، فإذا قضى بينهما ردت ترابا ، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه » (٥) . ولا معنى لصرف الحشر فى آية الأنعام وآية التكوير إلى الموت ، لأن اللغة تثبت أن الحشر بمعنى الجمع ، وسياق الآية الأخيرة يبين أنها فى معرض الحديث عن القيامة وأهوالها ، والرسول ﷺ أخبر أن هناك قصاصا بين

---

(١) انظر الطبرى جـ ٥ ص ١١٩ / ١٢٠ ، وانظر ابن كثير جـ ٢ ص ١٣١ ، والبغوى جـ ٢ ص ٩٥ .

(٢) ص ١٩ .

(٣) الطبرى . بتصرف . جـ ٥ ص ١١٩ / ١٢٠

(٤) التكوير ٥ .

(٥) أبو السعود جـ ٤ ص ٨٣٧ .

الحيوانات يوم القيامة ، ومعلوم أن الحساب بعد الحشر .

أرض الحشر فى الآخرة :

إن أرض المحشر التى يحشر الله الخلق إليها يوم القيامة تكون غير أرض الدنيا ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ (١) الآية فيها دليل على أن الأرض يوم القيامة سوف تبدل ، وكذلك السماوات ، وتبديل الأرض قد يكون بالذات ، أى أن الأرض ذاتها تبدل ، كقوله تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ (٢) وكقوله تعالى ﴿ **وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل** ﴾ (٣) وإلى هذا الرأى ذهب جماعة من العلماء . (٤) وهذا الرأى يؤيده ما رواه البخارى بسنده عن سهل بن سعد قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى » . قال سهل أو غيره : ليس فيها معلم لأحد . قال الخطابى : العفر بياض ليس بالناصع ، وليس فيها معلم لأحد : أى ليس فيها علمٌ لأحدٍ ، أى أنها مستوية ، والحديث يدل على أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة ، والحكمة فى ذلك أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق ، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذى يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم ، وليكون تجليه سبحانه على عباده على أرض تليق بعظمته ، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده ، فناسب أن يكون المحل خالصا له وحده (٥) .

وذهب بعض العلماء إلى أن تبديل الأرض والسماء يوم القيامة يكون بالصفات لا بالذات ، ومعنى تبديل صفات الأرض سير الأرض عن جبالها ، وتفجر مجاريها ، وتسويتها ، فلا يرى فيها عوجا ولا أمتا ، وتبديل السماء بانتثار كواكبها ، وكسوف شمسها ، وخسوف قمرها ، وانشقاقها ، وكونها أبوابا ، كما فى قوله تعالى ﴿ **وفتحت السماء فكانت أبوابا** ﴾ (٦) .

---

(١) إبراهيم ٤٨ . (٢) النساء ٥٦ . (٣) سبأ ١٦ .

(٤) انظر الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٣٨٤ وأبو السعود جـ ٣ ص ٢٠٨ / ٢٠٩ .

(٥) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٥ .

(٦) النبأ ١٩ ــ انظر الكشاف جـ ٣ ص ٣٨٤ وأبو السعود جـ ٣ ص ٢٠٨ / ٢٠٩ .

ويستدل العلماء بأن صفات الأرض هى التى تبدل بما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدَ الأديم ، وحُشِرَ الخلائق » . ويستدلون بما ورد عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ﴾ قال : « يزاد فيها ، وينقص منها ، ويذهب آكامها وجبالها وأودِيتها وشجرها »(١) .

ويمكن الجمع بين القائلين بتبديل الذات وتبديل الصفات بأن تبديل الصفات يكون عند نفخ الصور وقيام القيامة ، وهذا يكون فى أرض الدنيا ، أما أرض الحشر فى الآخرة فتكون بتبديل الذات ، كما نطقت بذلك الآية ، ودلت عليها الأحاديث النبوية . وما يقال عن الأرض يقال عن السماء . وقد نقل ابن حجر الخلاف فى تبديل السماء فقال : « واختلف فى السموات أيضا ، فقيل : إنها إذا طويت تكور شمسُها وقمرُها وسائر نجومها ، وتصير تارة كالمهل ، وتارة كالدِّهان . وأخرج البيهقى فى البعث من طريق السدى عن مرة عن ابن مسعود قال : « السماء تكون ألوانا كالمهل والدهان ، وواهية ، وتشقق ، فتكون حالا بعد حال » وجمع بعضهم بأنها تنشق أولا فتصير كالوردة ، وكالدهان ، والمهل ، وتكور الشمس ، والقمر ، وسائر النجوم ، ثم تطوى السموات ، وتضاف إلى الجنان » (١) .

وبعد أن بينا آراء العلماء فى تبدل الأرض والسموات يوم القيامة ، يُطرح هذا التساؤل : أين يكون الناس عند تبدل الأرض غير الأرض ؟

وقد سألت السيدة عائشة رسولَ الله ﷺ هذا السؤال . روى الإمام مسلم بسنده عن عائشه قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : « على الصراط » (٢) وفى رواية الترمذى « على جسر جهنم » وروى مسلم من حديث ثوبان مرفوعا « يكونون فى الظلمة دون الجسر » .

يقول صاحب الفتح : « جمع البيهقى بين هذه الأحاديث بأن المراد بالجسر الصراط ، وفى قوله ﷺ على الصراط مجازا ، لكونهم يجاوزونه ، لأن فى حديث ثوبان زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها ، وكان ذلك عند الزجرة التى تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى

---

(١) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٦ .
(٢) فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٧ .
(٣) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥١٧.

أرض الموقف ، ويشير إلى ذلك قول الله تعالى ﴿ **كلا إذا دكت الأرض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾ »(1) .

كيفية الحشر فى الآخرة :

ونعنى بكيفية الحشر الصفة التى يكون الناس عليها أثناء حشرهم وسوقهم إلى الموقف للحساب . وقد وردت الأحاديث التى تبين الكيفية التى يحشرُ الناسُ عليها يوم القيامة ، من كونهم حفاةً عراة غرلا . فقد روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول : « إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا » (2) .

والحديث فيه دلالة على أن الناس سيحشرهم الله يوم القيامة حفاة ، عراة من الملابس ، غرلا جمع أغرل ، وهو الأقلف ، ومعناه كما قال ابن عبد البر : « يحشر الآدمى عاريا ، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد ، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف » (3)
وروى البخارى بسنده عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة عراة غرلا » . قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضُهم إلى بعض ؟ فقال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذاك »(4) .

وروى الترمذى والبخارى عن ابن عباس قال : قام فينا النبى ﷺ يخطب فقال : « إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ الآية ، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل ، وإنه سيجاء برجال من أمتى ، فيؤخذون ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابى ، فيقول الله إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، كما قال العبد الصالح ﴿ **وكنت عليهم شهيدا ما دمتُ فيهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **الحكيم** ﴾ . قال : فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم »(5) .

هذه الأحاديث فيها الدلالة على أن الناس يوم القيامة يحشرون حفاة عراة غرلا ، أى ترد عليهم القلفة ، وهى الجلدة التى يقطعها الخاتن من الذكر ، ولكن وردت بعض

---

(1) الفجر ٢١ ، ٢٢ وانظر فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٧ بتصرف .
(2) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢١ .
(3) نفسه ص ٣٢٢ / ٣٢٣ .
(4) نفسه ص ٣٢٥ .
(5) نفسه ٣٢٣ / ٣٢٤ وانظر تحفة الأحوذى شرح الترمذى جـ ٧ ص ١٠٧ / ١٠٨ / ١٠٩ .

الأحاديث تبين أن المؤمنين يحشرون في أكفانهم يوم القيامة . وهذا بظاهره يعارض الأحاديث المتقدمة من كون الناس فى الحشرِ حفاة عراة . يقول القرطبى فى التذكرة : « وقد عارض هذا الباب ، أى حشر الناس حفاة عراة ، ما روى أبو داود فى سننه عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ، لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد ، فلبسها ، وقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الميت يبعث فى ثيابه التى دفن فيها » ، وذهب إلى ذلك أبو حامد الغزالى فى كتابه « كشف علوم الآخرة »(١) . والحديث الذى رواه أبو داود قال عنه ابن حجر : صححه ابن حبان . وللعلماء فى الجمع بين حديث أبى داود وغيره عدة طرق ، فابن حجر يذهب إلى أن البعض يحشر عاريا ، والبعض يحشر كاسيا ، ويكون المؤمنون هم الذين يكتسون فى الحشر ، أو أن الجميع يحشرون عراة ، ثم يكسى الأنبياء ، فأول من يكسى من الأنبياء إبراهيم عليه السلام (٢) . والقرطبى — فى التذكرة — يذهب إلى أن الناس جميعا يحشرون عراة بنص الأحاديث ، أما من يبعث فى ثيابه التى دفن فيها فهو الشهيد فقط ، ويذكر القرطبى أن هذا ما ذهب إليه أكثر العلماء ، ويرجح القرطبى هذا الرأى بقوله : « ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قول الحق ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ وقوله ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ ؛ ولأن الملابس فى الدنيا أموال ، ولا مالَ فى الآخرة ، زالت الأملاك بالموت ، وبقيت الأموال فى الدنيا ، وكل نفسٍ يومئذ فإنما يقيها المكاره ما وجب لها بحسن عملها ، أو رحمة من الله مبتدأة من الله عليها »(٣) . وأُرجح ما ذهب إليه العلماء ، ورجحه القرطبى من حشر الناس حفاةً عراة ، وأن الذين يحشرون بثيابهم هم الشهداء ، لفضلهم ومنزلتهم عند الله . وأيضا لأن الأحاديث فى حشر الناس حفاة عراة قد وردت من أكثر من طريق ، بعكس حديث أبي داود ، الذى لم تتوافر له الطرق المتعددة التى توفرت لأحاديث حشر الناس حفاة عراة .

صفة العرق يوم الحشر :

من الأشياء التى تصاحب الحشر يوم القيامة العرق الذى يعم الخلق إلا من رحم

---

(١) التذكرة للقرطبى جـ ١ ٢٥٥ / ٢٥٦ .

(٢) انظر فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢٢ .

(٣) التذكرة للقرطبى جـ ١ ص ٢٥٦ / ٢٥٧ .

الله ، وقد وردت أحاديث عدة عن العرق وصفته يوم القيامة ، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعينَ ذراعا ويلجْمُهمْ حتى يبلغ آذانهم »(١) .

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم أن النبي ﷺ قال : « يوم يقوم الناسُ لربِ العالمين ، حتى يغيب أحدُهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه »(٢) وروى الترمذي عن سليم بن عامر ، أخبرنا المقداد صاحبُ رسول الله ﷺ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمسُ من العبادِ ، حتى يكون قدر ميل أو اثنتين » قال سليم بن عامر : لا أدرى أى الميلين عَنَى ، أمسافة الأرض أم الميل الذى يكحل به العين ؟ قال : « فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق بقدر أعمالهم : فمنهم من يأخذه إلى عقبه ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من يأخذه إلى حقوية ، ومنهم من يلجم إلجاما فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه أى يلجم إلجاما(٣) .

والذى يتأمل ما ورد فى تلك الأحاديث يعلم عظم الهول فيها . الميل فى حديث الترمذى إما أن يكون الميل الذى يكتحل به ، وإما أن يكون المراد به الفرسخ والمسافة ، وقد ذهب بعض العلماء إلى ترجيح أن المراد بالميل الفرسخ ، وكفى فى ذلك فى تعذيب وإيذاء من أراد الله يوم الحشر ، ولا يعترض بأنه إذا كان العرق يلجم البعض ، ويكون كالبحر ، فكيف يصل إلى كعب الآخر ؟ ويجوز أن يخلق الله ارتفاعا فى الأرض تحت أقدام البعض ، أو يمسك الله تعالى عرق كل إنسان بحسب عمله ، فلا يصل إلى غيره منه شيء ، كما أمسك جرية البحر لموسى عليه الصلاة والسلام والأولى ألا يعترض على ذلك بعقل ، ولا قياس ، ولا عادة ، وإنما يؤخذ بالقبول ، ويدخل تحت الإيمان بالغيب(٤) . يقول الإمام الغزالى : « فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم ، وفيهم من ينادى فيقول : رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار ، وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا ، فإنك واحد منهم ، ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق ، واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى حاجة مسلم وتحمل مشقة

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) نفسه ص ٨٠٤ جمع وترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

(٣) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ١٠٥ / ١٠٦ ومسلم جـ ٤ ص ٢١٦١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٤) انظر فتح البارى جـ ١١ ص ٣٣٢ / ٣٣٣ وتحفة الأحوذى جـ ٧ ص ١٠٥ / ١٠٦ .

فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء من الخوف فى صعيد القيامة ، ويطول فيه الكرب ، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة ، فإنه يوم عظيم شدته طويل مدته »(١) ومعلوم أن هذا العرق وما يصاحبه ، وإن كانت الأحاديث تدل بظاهرها على العموم ؛ فلقد دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض ، وهم الأكثر ، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله ، فأشدهم فى العرق الكفار ، ثم أصحاب الكبائر ، ثم من بعدهم ، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار(٢) .

الحشر إلى الجنة والحشر إلى النار :

هذا هو الحشر الثانى بالنسبة للآخرة ، والرابع بالنسبة لأنواع الحشر عامة التى عدها العلماء (٣) . وإن كنت أميل إلى أن هذا الحشر ضمن حشر الآخرة ، ولا يعتبر رابعا بالنسبة لأنواع الحشر عامة ، ولا ثانيا بالنسبة للحشر فى الآخرة .

وعلى هذا تكون أنواع الحشر التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ثلاثة : اثنان فى الدنيا ، وواحد فى الآخرة ، ومن ضمنه حشر المتقين وحشر الكفار . والقرآن الكريم يعرض صورا مختلفة لحشر المؤمنين ، والكافرين ، وبينت السنة كيفية حشر المؤمن والكافر يوم القيامة .

فعن حشر المتقين يقول الله تعالى ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا** ﴾ (٤) .

وذكر المتقين بلفظ التبجيل ، و هو أنهم يجمعون إلى ربهم الذى غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته ، وهم كالوفد وهم قادمون على خير موفود إليه ،إلى دار كرامته ورضوانه (٥) . روى الإمام أحمد بسنده عن معاوية بن حيدة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم محشرون رجالا وركبانا ، وتجرون على وجوهكم » (٦) .

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٩٥٦ طبعة دار الشعب .

(٢) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٣٢ .

(٣) انظر التذكرة للقرطبى جـ ١ ص ٢٤٢ / ٢٤٥ وفتح البارى جـ ١١ ص ٣١٧ وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣

(٤) مريم ٨٥ .

(٥) ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٧ ، الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٥٧٤ .

(٦) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٣ / ٥ .

وعن حشر الكافرين يقول الله عز وجل ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما** ﴾ (١) والآية تدل على أن الكافر يحشر يوم القيامة على وجهه وهو أعمى وأبكم وأصم . وقد سئل رسول الله ﷺ عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة . روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك ، أن رجلا قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : « أليس الذى أمشاه على رجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ »(٢). ولا يستغرب الإنسان كيف يمشى الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ لأن الآخرة فيها من العجائب والغرائب ما لا يتصوره الإنسان . يقول الإمام الغزالى : « فى طبع الآدمى إنكار كل ما لم يأنس به ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشى على غير رجل ،والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من يشاهد ذلك . فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا ، فإنك لو لم تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها » (٣) .

وقد وردت آيات فى القرآن الكريم فى حشر الكفار ظاهرها التعارض ، إذ أن الله عز وجل مرة يذكر عن الكفار وحشرهم أنهم يكونون عميا وبكما وصما ،ومرة يذكر أنهم يتعارفون فيما بينهم ، يقول تعالى ﴿ **ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم** ﴾ (٤) ويذكر أيضا قولهم ﴿ **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا** ﴾ (٥) وكلامهم مضاد للصمم ، والبكم معا . وفى آية أخرى يذكر سؤالهم وتبكيتهم ، يقول تعالى ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ (٦) والسؤال لابد فيه من سماع منهم وجواب ، وفى آية أخرى يقول ﴿ **ونحشر المجرمين يومئذ زرقا** ﴾ (٧) أى زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال . وهذا ينافى العمى ، وفى آية أخرى يقول ﴿ **فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾ (٨) ويقول فى آية أخرى ﴿ **يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون** ﴾ (٩) ، والنسلان ، والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه ، كما

---

(١) الإسراء ٩٧ . (٢) مسلم جـ ٤ ص ٢١٦١ .
(٣) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٩٥٦ ــ طبعة دار الشعب .
(٤) يونس ٤٥ . (٥) يس ٥٢ .
(٦) الأعراف ٦ . (٧) طه ١٠٢ .
(٨) يس ٥١ . (٩) المعارج ٤٣ .

يقول القرطبى فى التذكرة (١) .

ويوفق القرطبى فى التذكرة بين الآيات التى وردت فى حشر الكفار ، والتى ظاهرها التعارض ، فيقول : « إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالتهم حالة واحدة ، ولا موقفهم ، ولا مقامهم واحدا ، ولكن لهم مواقف وأحوالا ، واختلفت الأخبار عنهم ؛ لاختلاف مواقفهم وأحوالهم . وجملة ذلك أنها خمسة أحوال : الأولى حال البعث من القبور ، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب ، والثالثة حال المحاسبة ، والرابعة حال السوق إلى دار الجزاء ، والخامسة حال مقامهم فى الدار التى يستقرون فيها .

الحالة الأولى :

فأما حال البعث من القبور فإن الكفار يكونون كاملى الحواس والجوارح ، لقول الله تعالى ﴿ **يتعارفون بينهم** ﴾ (٢) وقوله ﴿ **يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا** ﴾ (٣) وقوله ﴿ **فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ (٤) وقوله ﴿ **كم لبثتم فى الأرض عدد سنين** ﴾ إلى قوله ﴿ **ترجعون** ﴾ (٥) .

الحالة الثانية :

حال السوق إلى موضع الحساب ، وهم أيضا فى هذه الحال بحواس تامة ، لقوله عز وجل ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ (٦) . ومعنى فاهدوهم أى دلوهم ، ولا دلالة لأعمى أصم ، ولا سؤال لأبكم ، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار ، وأسماع ، وألسنة ناطقة (٧) .

الحالة الثالثة :

ويبين الحالة الثالثة بقوله : « والحالة الثالثة ، وهى حالة المحاسبة ، وهم يكونون فيها

---

(١) التذكرة جـ ١ ص ٢٥٠ .
(٢) يونس ٤٥ .
(٣) طه ١٠٣ .
(٤) الزمر ٦٨ .
(٥) المؤمنون ١١٢ — ١١٥ .
(٦) الصافات ٢٢ — ٢٤ .
(٧) التذكرة جـ ١ ص ٢٥١ .

أيضا كاملى الحواس ، ليسمعوا ما يقال لهم ، ويقرؤا كتبهم الناطقة بأعمالهم ، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعوها ، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون ﴿ **ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ (١) . وأنهم يقولون لجلودهم لم شهدتم علينا ، وليشاهدوا أحوال القيامة ، وما كانوا مكذبين فى الدنيا به من شدتها ، وتصرف الأحوال بالناس فيها » .

الحالة الرابعة :

وهى السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم ، لقوله تعالى ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم** ﴾ (٢) ويحتمل أن يكون قول الله تعالى ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام** ﴾ (٣) إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق (٤) .

الحالة الخامسة :

حالة الإقامة فى النار ، وهذه الحالة تنقسم إلى بدءٍ ومآل ، فبدؤها أنهم قطعوا المسافة التى بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكما وصما إذلالًا لهم ، تمييزا عن غيرهم ، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار ، وماأعد الله لهم فيها من عذاب ، ويعاتبوا ملائكة العذاب ، وكل ماكانوا به مكذبين ، فيستقروا فى النار ناطقين سامعين مبصرين ، ولهذا قال الله تعالى ﴿ **وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى** ﴾(٥)

وقال ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾(٦)وقال ﴿ **كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضِعْفاً من النار قال لكلٍ ضِعفٌ ولكن لا تعلمون . وقالت أولهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾ (٧) وقال ﴿ **كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا**

---

(١) الكهف ٤٩ .
(٢) الإسراء ٩٧ .
(٣) الرحمن ٤١ .
(٤) التذكرة جـ ٢ ص ٢٥١ .
(٥) الشورى ٤٥ .
(٦) الأنعام ٢٧ .
(٧) الأعراف ٣٨ ــ ٣٩ .

بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزّل الله من شيء ﴾ (١) . وأما العقبى والمآل فإنهم إذا قالوا ﴿ **أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾(٢). فقال الله تعالى ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ (٣) وكتب عليهم الخلود بالمثل الذى يضرب لهم ، وهو أن يؤتى بكبش أملح ، ويسمى الموت ، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار ، وينادوا : ياأهل الجنة خلود فلا موت ، وياأهل النار خلود فلا موت ـــ سلبوا فى ذلك الموقف أسماعهم (٤) .

وهكذا يوفق « القرطبى » بين الآيات التى قد يتعارض بعضها مع البعض ظاهرا ، فيبين أن لكل آية وجها وموقفا خاصا بها . وبهذا يزول التعارض بين ظاهر الآيات وبعضها مع البعض الآخر .

ثانيا : الحشر فى التصور النصرانى

لم أعثر فى المصادر التى رجعت إليها عند النصارى على أى تصور لهم عن الحشر وأحوال الناس فيه ، وصفة العرق فيه ولا على شيءمن الأشياء التى تحدث عنها القرآن الكريم ، وفصلها الرسول ﷺ . ويبدو أن النصارى لا يفرقون بين البعث والحشر ؛ لأن الحشر لم يرد عندهم ، ولم يخصص بذكر فى العهدين القديم والجديد ، والنصوص التى وردت ـــ خاصة فى الأناجيل وأعمال الرسل ـــ تصور بعث الناس من القبور عند سماع صوت ابن الإنسان ، كما يقول « لوقا » فى إنجيله ، وعند سماع صوت الملائكة كما يقول « متى » فى إنجيله .

ورد فى الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل « متى » : « متى جاء ابن الإنسان فى مجده فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجمع أمامه جميع الشعوب ،فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء »(٥) .

وورد فى إنجيل لوقا : « لاتتعجبوا ، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (٦) .

---

(١) الملك ٨ ، ٩ .
(٢) المؤمنون ١٠٨ .
(٣) المؤمنون ١٠٨ .
(٤) التذكرة للقرطبى جـ ١ ، ص ٢٥١
(٥) متى ٢٥ / ٣٤ .
(٦) لوقا ٥ / ٢٨ .

ماهى حالتهم أثناء الخروج ، وما هى صفتهم ؟ لا تحدثنا نصوص الأناجيل عن صفة الذين يبعثون إلى الدينونة .

وورد فى رسائل بولس : « الراقدون بيسوع يحضرهم الله أيضا معه » (١) « الله الذى يقيم الأموات » (٢) ولا يدلى بولس بأى تصريح فى رسائله عن صفتهم وحالتهم أثناء الوقوف أمام الله يوم القيامة .

ورد فى رؤيا يوحنا اللاهوتى قوله : « ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله » (٣).

هذه النصوص التى عرضناها لا تذكر الحشر ، أو بتعبير أدق يبدو أن النصارى لا يفرقون بين البعث ، والحشر ، ويعبرون عنه بالقيامة أو الدينونة أو البعث (٤) .

وكانت صورة الحشر التى بينها القرآن الكريم ، وفصلها الرسول ﷺ مثار طعن من بعض النصارى على الإسلام ، وكانوا يجادلون علماء الإسلام فى تفصيلات الحشر التى وردت فى السنة .

ورد فى كتاب الانتصارات الإسلامية لنجم الدين الطوفى ، شبهة أحد النصارى وسخريته من الأحاديث التى وردت عن حشر الناس حفاة عراة ، وأيضاً حشر البهائم والجمادات يوم القيامة ، ويسخر النصرانى من الحديث الذى ورد فيه « يحشر الناس حفاة عراة غرلا » وحديث أبى هريرة « إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فداؤك من النار » (٥) .

ثم يقول النصرانى مستبعداً ومستنكراً : « فانظر إلى هذه الأحاديث ، وماتضمنته من الأخبار ، وكيف أخبر عن حشر الحشرات والبهائم والعيدان ، وأن الله يقضى بينهن ، وكيف تمشى الجمال والبقر على الناس » (٦) .

---

(١) رسالة تسالونيكى ٤ / ١٤ .
(٢) رسالة تسالونيكى الثانية ١ / ٩ .
(٣) رؤيا يوحنا ٢٠ / ١٣ .
(٤) علم اللاهوت ميخائيل مينا ص ١٣٤ / ١٨١ .
(٥) الانتصارات الإسلامية ـــ نجم الدين الطوفى ١٩٣ .
(٦) الانتصارات الإسلامية نجم الدين الطوفى ١٩٣ .

ويجيب الطوفى على النصرانى من وجهين :

أحدهما : « إن كل هذا ممكن لا شك فى إمكانه ، وقد أخبر به الصادق ، فيجب قبوله » (١)

ثانيهما : « إنه ليس عندك فى إنكاره إلا كونه لم يذكر فى كتابك ونحوه »(٢).

والحق ماذهب إليه نجم الدين الطوفى ؛ لأن حديث حشر الناس حفاة عراة ورد فى أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى ، فقد رواه الإمام البخارى عن ابن عباس والإمام مسلم عن قتيبة (٣)ورواه الترمذى فى جامعه عن ابن عباس (٤)وقد اتفقت الأمة على قبول مارواه الإمام البخارى ومسلم لصحة نسبته إلى الرسول ﷺ . وجامع الترمذى من الكتب الصحاح . وقد ورد فيه الحديث أيضا ، وأما اقتصاص الحيوانات من بعضها يوم القيامة فتحقيقاً للعدل يوم القيامة ، وأما حديث أبى هريرة « إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فداؤك من النار » ؛ فليس فى ذلك ظلم للنصارى ،والعلماء قد شرحوا الحديث شرحاً بيّن مقصد الرسول ﷺ فى ذلك ، واليهود والنصارى قد سنوا سننا سيئة ، فإذا اتبعهم فيها أحد المؤمنين كان عليه وزر الاتباع ، وعليهم وزر الابتداع ، فإذا كان يوم القيامة غفر الله ذنب المؤمن فعفا عنه وبقيت سيئات اليهود والنصارى الذين سنوا السنن السيئة فحملوا وزر الابتداع لتلك السنن السيئة (٥) ويصف الطوفى ماعند اليهود والنصارى بأنه محرف ، إذ الأصل أن الأشياء التى طعن فيها النصرانى من الحشر وغيره موجودة عندهم ، ولكنهم حرفوها ، وبدلوها ، يقول الطوفى : إن « أصول الدين الإسلامى مشتركة بين سائر الأديان ، لقوله تعالى ﴿ **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ (٦) ولكن ذلك بُدِّل وغُيِّر فى كتبكم ، لتطاول العهد ، واعتوار اللغات والألسنة عليه (٧) . ونحن مع نجم الدين الطوفى فى أن النصارى قد حرفوا وبدلوا كثيراً مما فى كتبهم ، ومما بدلوه وحرفوه مايتصل بالآخرة ، ولكن لسنا معه فى أن التفصيلات والفروع كانت موجودة عند النصارى واليهود كما فى الإسلام فالأصول واحدة والفروع مختلفة .

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢١ / ٣٢٢ .

(٤) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ١٠٨ .

(٥) انظر فتح البارى جـ ١١٠ ص ٢٢٥ .

(٦) الشورى .

(٧) الانتصارات الإسلامية ص ١٩٧ .

ثالثاً : الحشر فى التصور اليهودى

فى المصادر المتاحة والتى رجعت إليها[1] لم أجد أى إشارة عن الحشر وأحوال الناس فيه بالتفصيل ، وهذه المصادر تعتبر قليلة ، ولكن عذرى فى ذلك ندرة العثور على كتب يهودية ، لأن اليهودية كما نعلم ليست ديانة مبشرة ، وهم لا ينشرون دينهم خارج بنى جنسهم ؛ لاعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأثناء البحث عثرت على نص لأحد علماء اليهود ، وهو سعديا الفيومى فى كتابه الأمانات والاعتقادات ــ هذا النص ورد فيه كلمة الحشر ، فى معرض حديث المؤلف عن الآخرة ، وفيه يذكر أن كل من لا يعتقد بالبعث فغير محشور فى جملة الأمة ــ أى أمة اليهود ــ والنص هو : « كل من لايعتقد إحياء الموتى فى دار الدنيا فغير محشور فى جملة الأمة »[2] . والعبارة « غير محشور فى جملة الأمة » . هل يقصد بها الحشر الأخروى ؟ أو يقصد بها غير داخل فى جملة الأمة ؟ هذا محتمل وهذا محتمل ، ولكن الذى أرجحه الاحتمال الأول ، أى حشر الآخرة ؛ لأن كلام سعديا الفيومى قبل هذا النص كان عن التدليل على وقوع البعث وإحياء الناس بعد الموت . وكما أوضحنا عند الحديث عن البعث عند اليهود ، فإن الإشارات عن اليوم الآخر ترد قليلة فى العهد القديم ، هذا فضلا عن التفصيلات فى الآخرة والحشر والحساب والجنة والنار .

وهذا يدل :

أولا : على كمال الإسلام ، بإحاطته بالكليات والجزئيات عن اليوم الآخر .

ثانيا : على التحريف والتبديل الذى لحق بالتوراة وأسفار الأنبياء ، لأن اليهود حرفوا ماجاء عن الآخرة فى التوراة ؛ لأن الأصول عند جميع الرسل واحدة ، وتلك الأصول قد حرفها اليهود . أين ماورد عن الآخرة فى التوراة من مثل قوله تعالى ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم**

---

(١) العهد القديم ، انظر تنقيح الأبحاث لابن كمونه ص ٢٤ / ٣٤ التلمود أصله وتسلسله ص ٩٠ / ١٤٣ التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩ / ٨٥ السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ١ ص ٥٠ ، جـ ٥ ص ٢١١ الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندرى ص ٣٠٤ / ٣١٧ قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ ــ اليهود تاريخا وعقيدة ص ١٦١ أديان العالم حبيب سعد ١٩٤ / ١٩٥ التوراة السامرية ٣٩٢ / ٣٩٣ قاموس الكتاب المقدس ٧٤٨ / ٧٤٩ تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٨ / ٩٩ ــ الأمانات والاعتقادات .

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٩ .

وموسى ﴾(1) فإيثار الآخرة على الدنيا موجود فى صحف موسى عليه السلام ، ولا نجد لهذه التعاليم أى أثر فى التوراة الحالية . وأيضا قوله تعالى ﴿ **أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وإبراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى** ﴾(2) .

* * *

---

(1) الأعلى ١٦ ــ ١٩ .

(2) النجم ٣٦ ــ ٤٢ .

المبحث السادس

صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : صحائف الأعمال فى التصور الإسلامى

من مشاهد يوم القيامة صحائف الأعمال ، وهى من السمعيات التى وردت فى القرآن الكريم ، وأخبر عنها الرسول ﷺ . وصحائف الأعمال عبارة عن الكتب التى كتبت فيها الملائكة مافعله العباد فى الدنيا(١) . وهذه الصحف هى التى سيحاسب الإنسان على أساس مافيها من الأعمال ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . يقول صاحب المقاصد : « من السمعيات تطاير الكتب ، والدليل عليها قول الله تعالى ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** ﴾(٢) ويقول تعالى ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾(٣) ويقول صاحب المواقف عن هذه الآية : « قد ثبت بها قراءة الكتب »(٤) ويذكر صاحب مطالع الأنظار أن سائر السمعيات ــ ومنها تطاير الكتب ــ الأصل فى إثباتها أنها ممكنة فى أنفسها ، والله تعالى قادر على كل هذه الأشياء ، والصادق أخبر عن وقوعها ، فيكون هذا مفيدا للعلم بوجودها ، ويذهب الجوينى إلى أن العقول لا تحيل شيئا من هذه السمعيات ، والدلالة ثابتة على القطع بالميزان والحوض والكتب التى يحاسب عليها الخلائق(٥) .

والقرآن الكريم يذكر الصحف التى كتبت فيها الحسنات والسيئات للعبد فى الدنيا بقوله تعالى ﴿ **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون** ﴾(٦) أى مثبوت فى صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا (٧) . وهذه الصحائف هى التى يعبر عنها القرآن فى بعض الآيات بالكتاب ، كما فى قوله تعالى ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر**

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٢ .
(٢) الإسراء ١٣ .
(٣) الانشقاق ٧ ، ٨ .
(٤) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٥٣ .
(٥) انظر مطالع الأنظار لأبى الثناء شمس الدين الأصفهانى ص ٤٦٤ والإرشاد للجوينى ص ٣٧٩ .
(٦) الأنبياء ٩٤ .
(٧) أبو السعود جـ ٣ ص ٥٣٥ .

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾(١) أى أن صحائف الأعمال وضعت إما فى أيدى أصحابها يمينا وشمالا، وإما فى الميزان ،وهذه الصحائف لاتغادر صغيرة ولا كبيرة إلا حواها ، ووجدوا ماعملوا حاضرا ، أى مسطورا(٢) ، والله لا يظلم أحدا يوم القيامة لأن كل إنسان سوف يلزمه كتابه يوم القيامة ، وهذا الكتاب مسطور فيه كل شىء فعله الإنسان من الحسنات والسيئات . يقول تعالى **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾** (٣) والطائر هنا هو ماطار عنه من عمله من خيرٍ أو شرٍ ، وهو يُلزم به ، ويُجازى عليه ، كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، والمقصود من الآية الكريمة أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ، ويكتب عليه ليلا ونهارا ، صباحا ومساءً (٤) . وصحف الأعمال التى يعبر عنها القرآن الكريم بالكتاب تسجل كل الأشياء على الإنسان ، مصداقًا لقوله تعالى **﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾** (٥). ويقول تعالى **﴿ وإنَّ عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾** (٦) .

وهذه الصحف يأخذها الإنسان بيمينه إن كان من الصالحين ويحاسب على أساسها حساباً يسيراً ، ويأخذها الطالح بشماله ، ويحاسب على أساسها حساباً عسيراً ، يقول تعالى **﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾** (٧) **﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه ﴾**(٨) ، وهذه الصحف سوف تنشر يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، مصداقاً لقوله تعالى **﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾**(٩) ويقرأ كل إنسان صحيفته يوم القيامة ، لا فرق بين الذى يعرف القراءة والذى لا يعرف ، ومنهم من لم يقرأ صحيفته ذهولا ودهشة ، لاشتمالها على القبائح (١٠) وهذه الصحف حين تنشر لا يملك أحدٌ أن يقدم عذراً أو يجادل عن نفسه . روى الإمام أحمد بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله

---

(١) الكهف ٤٩ .
(٢) أبو السعود جـ ٣ ص ٣٨٥ / ٣٨٦ .
(٣) الإسراء ١٣ ، ١٤ .
(٤) انظر ابن كثير جـ ٣ ص ٢٧ .
(٥) ق ١٨ .
(٦) الانفطار ١٠ ـــ ١٢ .
(٧) الانشقاق ٧ ، ٨ .
(٨) الحاقة ٢٥ ، ٢٦ .
(٩) التكوير ١٠ .
(١٠) تحفة المريد ص ٢٢٤ .

ﷺ : « يعرَضُ الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ، ومعاذير ، وأما الثالثة فعند تطاير الصحف فى الأيدى ، فآخذ بيمينه ، وآخذ بشماله (١) والمراد أن الناس يدفعون عن أنفسهم ، ويقولون لم يبلغنا الأنبياء ، ويحاجون الله تعالى ، ولكن عند تطاير الصحف يسكتُ الجميعُ ، ويأخذ أهل السعادة صحفهم بأيمانهم ، وأهل الشقاوة بشمائلهم (٢) .

ثانياً : صحائف الأعمال فى التصور النصرانى

الثابت أن النصارى يعتقدون أن الحساب عن كل صغيرة وكبيرة ، وعن الأقوال والأفعال ورد فى قاموس الكتاب المقدس « وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح ، فهو الديان الذى يقف أمامه جميع البشر ، لكى يعطوا حساباً عن أعمالهم فى الجسد ، خيراً كانت أم شراً (٣) . وهذه الأعمال التى يحاسب عليها النصارى — كما يعتقدون — مسجلةٌ فى أسفار ، لذلك فإن الدينونة عند النصارَى ستكون بموجب أسفار (٤) ، وهذه الأسفار هى التى وردت الإشارة إليها فى سفر الرؤيا « ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله ، وانفتحت أسفار ، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة . ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم » (٥) . فالنص فى رؤيا يوحنا بين أن هناك أسفاراً فيها الأعمال الخيِّرة والشريرة ، يحاسبون على أساسها ، ويعتقد النصارى أن « أول أسفار الدينونة الكتاب المقدس كما قال السيد المسيح : الكلام الذى تكلمت به هو يدينك فى اليوم الأخير » (٦) . ويفسرُ صاحب الكنز الجليل نص يوحنا . بأن كلام الإنسان هو الذى يدينه يوم القيامة . ويستدرك المفسر بقوله : « وهذا لا ينفى أن المسيح لا يدينه ، إنما يبين أن الدينونة لا تكون عن الهوى ، بل بمقتضى الكلام الذى تكلم به المسيح سابقاً ، وتسليم المحكوم عليه بأنه سمعه فيقابل سيرته به ، ويدين نفسه ، ويشهد بعدل الله الديَّان ، وأنزل الكلام هنا بمنزلة شخص يشهد ويقضى ، ويكون هو وضمير الخاطىء على وفاق فى الحكم على الخاطىء ، لرفضه المسيح ، فيصمت ولا يفوه بكلمه (٧) . والذى يفهم من كلام المفسر أن كلام

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند جـ ٤ ص ٤١٤ .

(٢) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى جـ ٧ ص ١١١ / ١١٢ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٢ .

(٤) دينونة البشر العامة ص ٥٢ .

(٥) رؤيا يوحنا ٢٠ : ١٢ / ١٣ .

(٦) يوحنا ١٢ — ٤٨ ، دينونة البشر العامة ص ٥٢ .

(٧) الكنز الجليل جـ ٣ ص ٢١٥ / ٢١٦ .

الإنجيل سيكون حجة على النصرانى يوم القيامة ، لأنه سيسلم بأنه قد سمعه ، ويطابق كلام الإنجيل مع ضمير الخاطىء ، فى أنه رفض تعاليم المسيح ، وهذا حجة عليه ، والسفر الثانى هو الضمير (١) . وردَ فى أعمال الرسل « لذلك أنا أيضاً أدرب نفسى ، ليكون لى ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (٢) .

والنص الذى أمامنا يفسره صاحب الكنز الجليل بقوله :« الذى له ضمير بلا عثرة هو الذى لا يفعل شيئاً مخالفاً لحكم الضمير ، لأن الضمير السيء سيحاسب الإنسان عليه » (٣) والشيء الأساسى الذى يسجل على الإنسان فى اعتقاد النصارى الكلام . ورد فى متى « كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين لأنك بكلامك تبرر ، وبكلامك تدان » (٤) . يقول مفسر الإنجيل : « إن كلام الناس دليل واضح على صفاته ، فذلك كان من جملة ما يحاسب الله عليه يوم الدين ، كما أفاد المسيح خلافاً لزعم الأكثرين ، بأنه لا حساب على الكلام ؛ إذ لا طائل تحته . والكلام الذى يقصده المسيح الغير نافع عموماً ، وليس معنى أن الحساب مقصور على الكلام بدون نظر إلى الأعمال . بل المراد أن الكلام من جملة ما يحاسب عليه الإنسان » (٥).

ثالثاً : صحائف الأعمال فى التصور اليهودى

يعتقد اليهود فى الحساب يوم القيامة ، وهذا الحساب يتم على أساس ما قدمه الإنسان من خير أو شر ، وهذا الحساب سيكون بموجب أسفار . ورد فى دانيال فى إحدى رؤاه . « كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام ، لباسه أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقى ، وعرشه لهيب نار ، وبكراته نار ، نار جرى وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه ، وربوات ربوات وقوف قدامه ، فجلس الدِّين وفتحت الأسفار » (٦) . وورد فى المشنة الأولى ــ أى المتن الذى يكوِّن شرحها التلمود ــ « ربى قال : ما هى الطريق القويمة التى يجدر بالإنسان اختيارها ؟ هى تلك التى تمجد سالكها ، وترفع مقامه بين الناس . احرص على الفرض الخفيف حرصك على الفرض الثقيل ، لأنك لا تعلم قيمة أجر الفروض ، واحسب خسارة الفرض بجانب أجره وملذة المعصية بجانب قصاصها .

(١) دينونة البشر العامة ص ٥٢ / ٥٣ .
(٢) أعمال الرسول ٢٤ / ١٦ .
(٣) الكنز الجليل جـ ٤ ص ٣١٥ .
(٤) متى ١٢ : ٣٧ / ٣٨ .
(٥) انظر الكنز الجليل بتصرف جـ ١ ص ١٩٧ / ١٩٨ .
(٦) دانيال ٧ : ٩ / ١١ .

تأمل فى ثلاثة أمور فلا تصل إلى المعصية : اعلم ما فوقك ، عين ترى ، وأذن تسمع ، وكل أعمالك محصية فى سفر .[1] وفى شرح هذه المشنة ورد « وكل أعمالك محصية فى سفر . قد جسم بعضهم هذه الفكرة لدرجة أنه قال : إن روح الإنسان تصعد فى كل مساء أمام عرش الديان ، تكتب بيمينها ما تكون قد اقترفته أو أحسنت فى يومها ، وتغالى بعضهم فقال : إن كل معصية يرتكبها الإنسان فى دنياه توجد شيطاناً ، يصعد أمام كرسى الديان ، ويهتف دائماً : أنا خلقت من معصية فلان ابن فلان الذى ارتكبها فى اليوم الفلانى » [2] ونص المشناة وشرحها بيّن أن الأعمال التى يفعلها الإنسان تسجل عليه كل يوم فى سفر ،إلى أن تأتى يوم القيامة فتشهد عليه هذه الأعمال . وهناك اعتقاد ورد فى التلمود بأن روح الإنسان تصعد فى وقت نومه إلى السماء ، وتكتب أعمالها اليومية خيرها وشرها ، لتحاسب عليها بعد الوفاة [3] . وسعديا الفيومى فى الأمانات والاعتقادات يقول : « إن لله كتباً ودواوين ، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين [4] .

وورد فى أسفار الأنبياء ما يستنبط منه أن الكلام مسجل على الإنسان ، وسيحاسب عليه يوم القيامة . ورد فى سفر الأمثال « الموت والحياة فى يد اللسان ، وأحباؤه يأكلون ثمره » [5] . وورد فى المزامير « لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها كلها » [6] وورد فى المزامير أيضا « اجعل يارب حارسا لفمى احفظ باب شفتى » [7] وهذه الأقوال يستنبط منها أن الكلام الذى يتحدث به الإنسان يعلمه الله ، وهو مسجل عليه ، وسيحاسب عليه يوم القيامة .

تعقيب على صحائف الأعمال بين الإسلام والنصرانية واليهودية :

بعد عرضنا لصحائف الأعمال بين الأديان الثلاثة يمكن أن نخرج بالنتائج التالية :

أولا : أن الإسلام يتفق مع النصرانية واليهودية فى أن أعمال الإنسان وأقواله تسجل عليه ، ليحاسب عليها يوم القيامة .

---

(١) التلمود وأصله وتسلسله ص ٩٠ .
(٢) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠ / ٩١ .
(٣) نفسه ص ٩٠ .
(٤) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٦ .
(٥) أمثال ١٨ — ٢١ .
(٦) المزامير ١٣٨ / ٤ .
(٧) المزامير ١٤١ / ٣ .

ثانيا : أن الحساب يوم القيامة سيكون بموجب تلك الصحائف التى سجلت فيها أقوال الإنسان وأعماله ، وأن الإنسان سيكون شهيداً على نفسه بأنه فعل وقال .

ثالثا : أن هناك جزئيات اختص بها التصور الإسلامى مثل أخذ الإنسان الصالح صحيفته بيمينه وأخذ الطالح صحيفته بشماله .

وهذه الجزئية غير واردة فى التصور النصرانى و اليهودى .

وأيضا نجد فى التصور اليهودى صعود الروح وقت النوم ،لتسجل أعمالها وأقوالها اليومية .

وهذه الجزئية غير واردة فى التصور الإسلامى ،الذى يبين أن كل إنسان موكل به ملكان لتسجيل كل شىء عليه . يقول تعالى ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ (١)

وهذه الجزئية أيضا غير واردة فى التصور النصرانى .

وبالجملة فإن الأصل التى تستند إليه صحائف الأعمال موجود فى التصور الإسلامى والتصور النصرانى ، مع الاختلاف فى بعض الجزئيات التى وردت عند المسلمين والنصارى واليهود .

* * *

---

(١) ق ١٨ .

المبحث السابع

الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : الحساب فى الإسلام

الحساب لغة : العد . واصطلاحا : توقيف الله الناس على أعمالهم ، خيرا كانت أو شرا ، قولا كانت أو فعلا ، تفصيلا بعد أخذهم كتبهم ، ويكون للمؤمن والكافر إنسا وجنا ، إلا من استثنى منهم (١) .

والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع (٢) عند أهل السنة .

والمعتزلة تثبت الحساب ، وتستدل عليه بقول صاحب الأصول الخمسة · « الحساب مما لا يجوز إنكاره فقد قال تعالى: ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا** ﴾ (٣) نجد أن محاسبة الله تعالى إيانا لا تجرى على حد ما تجرى المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين » (٤) .

والقرآن الكريم يعرض الحساب ويركز على عدة حقائق منها :

أولا : أن الله هو الذى يتولى الحساب . يقول الله تعالى ﴿ **لله مافى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ (٥) ويقول الله عز وجل ﴿ **إن الله كان على كل شىء حسيبا** ﴾(٦) ويقول الله تعالى ﴿ **إنَّ إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم** ﴾ (٧) .

وهذه الآيات إخبار من الله سبحانه وتعالى بأنه سيحاسب الخلق على أعمالهم ، ويجازيهم بها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وهذا الحساب سوف يكون سريعا : يقول الله تعالى ﴿ **والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب** ﴾ (٨) ويقول الله تعالى

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٦ . (٢) نفسه . (٣) الانشقاق ٧ — ٩

(٤) الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٣٦ (٥) البقرة ٢٨٤ . (٦) النساء ٨٦

(٧) الغاشية ٢٥ ، ٢٦ . (٨) الرعد ٤١ .

﴿ **ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب** ﴾ (١)

والله عز وجل يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة ، كما قال جل وعلا ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة** ﴾ وقوله جل جلاله ﴿ **وما أمرنا إلا واحدةٌ كلمح بالبصر** ﴾ (٢) ، ولا غرابة فى سرعة حساب الله للناس يوم القيامة ، فكما يرزقهم فى وقت واحد يحاسبهم أيضا فى وقت واحد .

ثانيا : نفى قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة :

القرآن الكريم بعد أن يثبت أن الله هو الذى يتولى الحساب يوم القيامة يثبت أن الرسول ﷺ لا يحاسب أحداً من الخلق يوم القيامة . يقول الله تعالى ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾ (٣) .

وقوله تعالى ﴿ **ما عليك من حسابهم من شىء** ﴾ كقوله تعالى ﴿ **إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون** ﴾ وذلك أنهم طعنوا فى دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شىء ، بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله فى أعمالهم ، على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فلا يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين ، وإن كان لهم باطن غير مرضى فحسابهم عليهم ، لازم لهم ، لا يتعداهم إليك ، كما أن حسابك عليهم ، لا يتعداك إليهم ، كقوله ﴿ **ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى** ﴾ (٤) .

ويقول الله تعالى ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ (٥) ومعنى الآية أن الله أرسل رسوله ، ليبلغ للناس رسالة الله ، وقد فعل ما أمره ، أما الحساب والجزاء فعلى الله ، إذ أنه المحاسب والمجازى ، لا أحد سواه (٦) .

ثالثا : كيفية الحساب :

يقول الله تعالى ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسبُ حسابًا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا . وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا . ويصلى**

(١) إبراهيم ٥١
(٢) القمر ٥٠ ، انظر ابن كثير جـ ٤ ص ٧٥ .
(٣) الأنعام ٥٢
(٤) الإسراء ١٥ ، انظر الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٢٢ .
(٥) الرعد ٤٠
(٦) ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢٠

سعيرا ﴾[1] وهذه الآية سألت عنها أم المؤمنين عائشةُ رسولَ الله ﷺ . فقد روى البخارى ومسلم ـــ واللفظ لمسلم ـــ عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من حُوسِبَ يومَ القيامة عذب » فقلت : أليس قد قال الله عز وجل ﴿ **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ ؟ فقال : « ليس ذاك الحساب ، إنما ذاك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » . وروى الترمذى عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول. « من نوقش الحساب هلك » قلت : يا رسول الله ، إن الله يقول : ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ قال : « ذاك العرض »[2] . والسيدة عائشة ـــ كما وضح فى حديث مسلم والترمذى ـــ قد ظنت أن هناك تعارضا بين قول الرسول وبين الآية ، ولكن لا تعارض ، حيث أن الحساب فى الآية معناه العرض ، أى عرض أعمال المؤمن عليه يوم القيامة ، ثم عفو الله عنه وإدخاله الجنة .

أما مناقشة الحساب التى ذكرها الرسول ﷺ وبيّن أن العذاب مرتبط بها فللعلماء وجوه فيها :

الوجه الأول :

أن نفس مناقشة الحساب ، وعرض الذنوب ، والتوقيف على قبيح ما سلف ، والتوبيخ ـــ تعذيب .

الوجه الثانى :

أن الإنسان يفضى إلى العذاب ، إذ لا حسنة للعبد إلا من عند الله ؛ لإقداره عليها ، وتفضله عليه بها وهدايته لفعلها ، ولأن الخالص لوجه الله قليل[3] . وهذا الوجه الأخير مال إليه النووى فى شرحه لهذا الحديث ، إذ يقول « إن التقصير غالب فى العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ، ودخل النار ، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء »[4] .

---

(١) الانشقاق ٧ ـــ ١٢ .

(٢) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ١١٢ .

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٣٨ / ٣٣٩ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ، ١٨ ص ٢٠٨ / ٢٠٩

أهم العناصر التى يدور حولها الحساب يوم القيامة للمؤمنين والكافرين :

أولا : المؤمنون :

إن العناصر التى يدور حولها الحساب يوم القيامة هى الأقوال والأفعال . أما حديث النفس ، والهم على السيئات ، فإن الله لايؤاخذ الإنسان عليها ،وإن كان يثيب على الهم بالحسنة ، ويجازى عليها . يقول الله تعالى ﴿ **لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير** ﴾(١) ، وهذه الآية حين نزلت شق ذلك على الصحابة ، إذ أنها تفيد أن الله يوم القيامة يحاسب الإنسان على ما أبداه وفعله وما أخفاه ولم يفعله . روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : لما أنزلت على رسول الله ﷺ ﴿ **لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير** ﴾ قال : اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ، ثم بركوا على الرُكَبْ فقالوا : أىْ رسول الله ،كُلفْنَا من العمل ما نطيق الصلاة ، والصيام ، والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ، ولا نطيقها . قال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ، سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : ﴿ **سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ (٢) » فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى . فأنزل الله عز وجل ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ قال : نعم ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ قال : نعم ﴿ **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** ﴾ قال : نعم ﴿ **واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ قال : نعم . (٣) ومعنى هذا أن الحديث يفيد أن الله عز وجل قد نسخ الآية الأولى ـــ التى تفيد محاسبة الإنسان على ما فعله وما همَّ به ـــ بالآية الثانية ـــ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ـــ ومن العلماء من ذهب إلى أن الآية ليست منسوخة ، وإنما هى محكمة ، واختار ابن جرير ذلك ، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المُعاقبة ، وأنه تعالى قد يحاسب ، ويعاقب ، وقد يحاسب ويغفر ،بحديث

---

(١) البقرة ٢٨٤ .

(٢) البقرة ٢٨٥ .

(٣) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٦٥ .

النجوى ، وعلى هذا تكون الآية الأولى عامة ، والآية التى بعدها خاصة (١) . وسواء أكانت الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية أم الآية الأولى عامة ، والثانية خاصة ؛ فإن الله عز وجل لا يحاسب الإنسان على ما هم به ولم يفعله ، ويكون الحساب على ما كسب الإنسان .

وقد وردت الأحاديث التى تفيد ذلك . فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ،ما لم يتكلموا أو يعملوا » (٢) .

وروى البخارى ومسلم — واللفظ له — عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّنَ ذلك ، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » (٣) .

وهذه الأحاديث تبين تخفيف الله على عباده ورحمته بهم يوم القيامة ، وأنه لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوه من السيئات . أما الهم بالأعمال السيئة وعدم اقترافها فإن الله عز وجل يكتبها لهم بحسنة . وإنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة ؛ لأن إرادة الخير سبب إلى العمل ، وإرادة الخير خير . ولا يجوز أن يقال : ما دامت إرادة الخير خيراً (٤) فلماذا لا تضاعف الحسنة التى يأخذها الإنسان على إرادةَ الخير ، مع أن الله تعالى يقول ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ (٥) ويحاسبُ على ذلك ؟ فإن الآية تعنى عمل الجوارح ؛ فالحسنة التى يأتيها الإنسان بجوارحه هى التى تضاعف ، وأما الحسنة التى لا تضاعف والتى أخبر عنها الحديث فهى مأخوذة على النية للفعل الحسن ، أو الترك للفعل السيىء (٦) . واستشكل بأن عمل القلب إذا اعتبر فى حصول الحسنة فكيف لم يعتبر فى حصول السيئة ؟ وأجيب بأن ترك عمل السيئة التى وقع الهمُ بها يكفرها ؛ لأنه قد نسخ قصده السيئة ، وخالف هواه (٧) .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٦٦ طبعة الحلبى .

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٦٧ .

(٤) فتح البارى جـ ١١ ص ٢٧٢ .

(٥) الأنعام ١٦٠ .

(٦) نفسه .

(٧) نفسه .

وقد ورد فى حديث النجوى أن الله عز وجل يعرض على المؤمن سيئاته ،ويذكره بها ، ثم يعفو عنها .

روى البخاري بسنده عن صفوان بن محرز المازنى قال : بينما أنا أمشى مع ابن عمر رضى الله عنهما آخذا بيده ، إذ عرض رجلٌ ، فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ فى النجوى ؟ فقال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن الله يدنى المؤمن ،فيضع عليه كنفه ، ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم ، أى ربٍّ .حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد ﴿ **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾ »(١) . وهـذا من فضل الله العـظيم على هذه الأمـة ؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحدٌ الجنة ؛ لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات (٢) .

ثانيا : الكافرون :

يسأل الله عز وجل الكافر يوم القيامة محاسباً إياه ،فيتنصل الكافر من كفره ومن ذنوبه . يقول الله تعالى ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ (٣) ويقول تعالى ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ (٥) .

وروى البخارى بسنده عن أنس بن مالك أن النبىَّ ﷺ كان يقول : « سيجاء بالكافرِ يومَ القيامة ، فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً ،أكنتَ تفتدى به ؟ فيقول نعم . فيقال له : قد سئلتَ ما هو أيسرُ من ذلك »(٦) والذى طلبه الله من الكافر هو أن يوحده ولا يشرك به شيئا يقول ابن حجر : « فمراد الحديث : أردت منك حين أخذتُ الميثاق ، فأبيتَ إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك . ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٦٦ .
(٢) انظر فتح البارى جـ ٨ ص ٢٧٢ / ٢٧٦ .
(٣) الأنعام ٢٢ — ٢٤ .
(٤) يٓس ٦٥ .
(٥) النور ٢٤ .
(٦) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٣٩ / ٣٤٠ .

هنا الطلب ، والمعنى أمرتك فلم تفعل ، لأنه سبحانه وتعالى لا يكون فى ملكه إلا ما يريد » (١) .

وروى الترمذي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال : « سيجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَجٌ فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله : أعطيتك وخولتك وأنعمتُ عليك ، فماذا صنعت ؟ فيقولُ جمعتُه وثمرته وتركته أكثرَ ماكان ، فارجعنى آتك به كله . فيقول له : أرنى ما قدمتَ فيقولُ : رب ، جمعتُه وثمرتُه فتركتُه أكثرَ ما كان ، فارجعنى آتك به كله . فإذا عبد لم يقدم خيرا ، فيُمضى به إلى النار » (٢) . والبذج بفتح الباء هو ولد الضأن ، وتشبيه ابن آدم بهذا كناية عن صغره وذلته وحقارته بين يدى رب العزة . وقول ابن آدم : « فارجعنى آتك به كله » موافق لقوله تعالى ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموتُ قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ (٣) وبعد أن يسأله الله عز وجل يجده عبداً لم يقدم خيرًا فيمضى به إلى النار (٤) .

وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالعبد يومَ القيامة ، فيقول له : ألم أجعل لك سمعاً وبصرًا ومالاً وولداً ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتُك ترأسُ وتربَعُ ، فكنتَ تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول : لا . فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى » (٥) . وهذا الحديث مصداق لقوله تعالى ﴿ **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ (٦) .

ومعنى « وتركتك ترأس وتربع » أى ترأس قومَك وتكون رئيسا عليهم ، وتربَعُ أى تأخذ رُبَعَ الغنيمة ، وكانت العادة أن الأمراء يأخذون من الغنائم الربع ،ويسمونه المرباع ،وكان ذلك فى الجاهلية (٧) .

---

(١) نفسه ص ٣٤٠ .
(٢) تحفة الأحوزى ج ٧ ص ١١٣ — ١١٤ .
(٣) المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠ .
(٤) تحفة الأحوزى شرح جامع الترمذى جـ ٧ ص ١١٤ / ١١٥ .
(٥) نفسه جـ ٧ ص ١١٥ .
(٦) الأعراف ٥١ .
(٧) انظر تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ١١٥ والتذكرة جـ ١ ص ٣٤٢ / ٣٤٣ .

من يدخلون الجنة بغير حساب :

لقد ذكر الله تعالى الحساب فى القرآن الكريم على نحو ما ذكرنا ، وجاءت الأحاديثُ بذلك ، وجاء فى كتبِ السنةِ أحاديثُ تفيدُ أن كثيرًا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ، وعلى هذا فالناس يوم القيامة ثلاث فرق ، فرقة تحاسب حسابا يسيراً ، وفرقة لا تحاسب أصلا ، وفرقة تحاسب حساباً عسيراً ، منهم المؤمن والكافر (١) وقد تحدثنا عن حساب المؤمنين والكافرين ، ونتحدث هنا عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

روى البخارى بسنده عن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ : « عُرِضَتْ عليَّ الأمم فأجدُ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبى يمر وحده . فنظرت فإذا سوادٌ كثير . قلت : يا جبريل هؤلاء أمتى ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير ، قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب . قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتتوون ، ولا يسرْقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون . » فقام إليه عُكَاشة بن مِحْصَن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « اللهم اجعله منهم » . ثم قام رجل آخر ، قال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « سبقك بها عُكَاشَة (٢) .

وروى البخارى بسنده عن سهل بن سعد قال : قال النبى ﷺ : « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا ، أو سبعمائة ألف ـــ شك فى أحدهما ـــ متماسكين ، آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخلَ أولهم وآخرَهم الجنة ، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر » (٣) .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا زمرة واحدة منهم على صورة القمر » (٤) . وهذه الأحاديث تدل على دخول طائفة من أمة محمد ﷺ الجنةَ بغير حساب ، وتدل أيضا على أن هناك وراء التقسيم المذكور فى سورة الانشقاق أصنافا أخرى من أمة محمد ﷺ تدخل الجنة بغير حساب ، ولا يحاسبون أصلا ، والعدد المذكور فى تلك الأحاديث مختلفٌ حولَه ، هل هو على ظاهره ، أو أريد به مجرد التكثير ؟ .

---

(١) انظر التذكرة للقرطبى جـ ١ ص ٣٤٣ . (٢) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٤٢ / ٢٤٧ .
(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٤٨ / ٣٤٩ . (٤) رواه مسلم جـ ١ ص ١١١ .

فذهب بعض العلماء إلى أن المقصود العدد على ظاهره . وحجتهم فى ذلك أن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، قد ورد بهم الخبر من أكثر من طريق . وذهب آخرون إلى أن العدد فى الأحاديث مراد به التكثير ، لأن هناك أحاديث أخرى تدل على الزيادة على العدد المذكور ، منها ما رواه الترمذى بسنده عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألفٍ سبعون ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات ربى » (١).

يقول ابن حجر فى التوفيق بين الرأيين : « إن أول من يدخل الجنة هؤلاء السبعون الذين بالصفة المذكورة ، ومعنى المعية فى قوله فى الروايات الماضية مع كل ألف سبعون ألفا أو مع كل واحد منهم سبعون ألفا يحتمل أن يدخلوا بدخولهم ، تبعا لهم ، وإن لم يكن لهم مثل أعمالهم ، ويحتمل أن يراد بالمعية مجرد دخولهم الجنة بغير حساب ، وإن دخلوها فى الزمرة الثانية أو ما بعدها ، وهذا أولى » (٢) ولا شك أن السبعينَ ألفا ـ إذا استثنينا الأنبياء ـ أفضل من غيرهم ، من الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وحوسبوا حسابا يسيرا ،ولعلهم من السابقين الأولين على الأقل (٣).

والأحاديث التى وردت فى دخول طائفة من أمة محمد ﷺ الجنة بغير حساب تخص عموم الحديث الذى رواه الإمام مسلم عن أبى برزة « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه » . فهذا الحديث عام وهو مخصوص بمن يدخل الجنة بغير حساب .

يقول ابن حجر : « فى سياق حديث أبى برزة إشارة إلى الخصوص ، وذلك أنه ليس كل أحد عنده علم يسأل عنه ، وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم وبمن له مال ؛دون من لا مال له ومن لا علم له ، وأما السؤال عن الجسد ، والعمر فعام ويخص من المسئولين من ذكر ـ أى من يدخل الجنة بغير حساب ، ومن يدخل النار بغير حساب ـ » (٤)

---

(١) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ١٢٩ وانظر فتح البارى جـ ١١ ص ٣٤٦ .

(٢) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٤٨ .

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٠١ ـ الدكتور موسى لاشين ـ الطبعة الثانية ـ دار التراث العربى .

(٤) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٤٩ بتصرف .

ثانيا : الحساب عند النصارى

يعتقد النصارى فى الحساب والجزاء لكل البشر ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء الدينونة . ورد فى قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة دان ــ دين ــ دينونة ما نصه : « تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسبِ أعمالهم » (١) . وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح فهو الديان الذى يقف أمامه جميع البشر لكى يعطوا حسابا عن أعمالهم فى الجسد خيرا كانت أم شرا (٢) وهذه الدينونة عامة وشاملة (٣) وحكم هذه الدينونة نهائى ولا يقبل النقض ولا الاستئناف وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها . ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدى (٤) .

تولى المسيح الحساب :

يعتقد النصارى أن المسيح هو الذى يتولى الحساب والجزاء . ورد فى علم اللاهوت النظامى « أن المسيح هو الديان كما قال الآب . لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن (٥) وقال بطرس : « المسيح هو المعيَّنُ من الله دياناً للأحياء والأموات » (٦) ، وقال بولس : « إن الله قد أقام يوما هوفيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عينَه مقدمًا للجميع إيمانًا ، إذ أقامه من الأموات » (٧) والنص يشير إلى أن الله قد عينَّ يوماً للحساب ، قد عيَّن الله له رجلاً ليدين المسكونة أى الأرض كلها بالعدل . ونلاحظ أن علم اللاهوت يطلق على مهمة الديَّان بأنه رجل . وسنلاحظ أن هناك تناقضا صريحا فى كون المسيح ديانًا . ورد فى إنجيل يوحنا « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء ، لأن الآب لا يدينُ أحدًا ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (٨) وردَ فى نفس الإنجيل « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن

---

(١) متى ١ : ١٥ ، متى ١٢ / ٣٦ ، أعمال الرسل ١٧ / ٣١ وعبرانيين ٩ / ٢٧ ، رساله بطرس الثانية ٢ / ٩ ، ٣ /

(٢) متى ٢٥ : ٣١ / ٣٢ ، ٢٦ / ٦٤ ، يوحنا ٥ / ٢٢ ، أعمال الرسل ١٧ / ٣١ ، وجد ٢ : ١٦ ، كورنثوس الثانية ٥ / ١٠ .

(٣) يوحنا ٥ : ٢٨ / ٢٩ رومية ٤ : ١٠ / ٢٢ وكورنثوس الثانية ٥ : ١٠ ، رومية ٢٠ / ١٢ / ١٣ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٢ .

(٥) يوحنا ٥٠ / ٢٢ / ٢٣ إلى ٢٧ .

(٦) أعمال الرسل ١٠ / ٣٤ ــ ٤٤ .

(٧) علم اللاهوت النظامى ص ١٢٠٥ .

(٨) يوحنا ٥ : ٢١ / ٢٣ .

أيضا أن تكون له حياة فى ذاته ،وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضا لأنه ابن الإنسان (١) . هذان النصان اللذان يثبتان أن المسيح هو الذى يتولى الحساب يتناقضان مع نص ثالث فى إنجيل يوحنا « أما أنا فلست أدين أحدا ،وإن كنت أدين فدينونتى حق ، لأنى لست وحدى ، بل أنا والآب الذى أرسلنى » (٢) . وكما نرى فإن النص الأول ينفى عن الآب الدينونة لأحد ، ولكن المسيحَ وحده هو الذى يدين ؛ لأن الآب أعطى كل الدينونة للابن والنص الثانى يقرر ما ذكره النص الأول .

أما النص الثالث فينفى فى بدايته الدينونة عن المسيح ، ثم بعد ذلك يثبتها له ، ولكنه يدينُ مع الآب الذى أرسله . وهذا تناقض واضحٌ وصريحٌ بيْنَ نصين فى إنجيل واحدٍ ، ويحاول القديس توما اللاهوتى أن يحل التعارض بين نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه تارة أخرى ، فيقول « إن وظيفة الدينونة وإن نسبت للثالوث الأقدس إلا أنها تنسب للابن بوجه أخص ، وذلك لأن الدينونة لكى يكون قضاؤها عادلا لابد لها من ثلاثة أمور : أولها السلطان ، ثانيها الاستقامة ، ثالثها الحكمة ، وعن الحكمة على وجه الخصوص يصدر فعل الحكم ، ولأن الابن هو حكمة الآب فمن ثم ينسب للابن سلطان الحكم نسبة خصوصية » (٣) والنص يثبت أن المسيح لكونه استجمع خصالا ليست عند غيره وخاصة الحكم فهو الذى يدين الناس يوم القيامة . ومعنى هذا النص أن المسيح عنده من الحكمة أكثر من الآب . ولذلك أخذ سلطان الحكم . وسيكون أكثر عطفا ورحمة من الله على الخلق يوم القيامة . هكذا يقول النصارى « إن اتحاد الأقنوم الثانى تبارك اسمه بطبيعة الإنسان مع كونه ابن الله الأزلى يؤهله لأن يكون ديانا للبشر ، كما أن اختبار ضعفاتهم مما يملأ قلوبهم ثقة واطمئنانا بأن دينونتهم سوف تكون فى أقصى حدود العطف والرحمة » (٤) وهذا يتناقض مع ما ورد فى نص إنجيل يوحنا ، والذى فيه أن المسيح يقول : « لست أدين أحدا » ، ويقول : « إن كنت أدين مع أبى » ، ويتناقض مع ماورد فى رسالة بولس إلى رومية « فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس »(٥) .

---

(١) يوحنا ٢٥ : ٢٧ / ٢٨ .
(٢) يوحنا ١٨ : ١٥ / ١٦ .
(٣) نقلا عن علم اللاهوت لميخائيل مينا ص ١٤٦ — ٤٧ .
(٤) نفسه ص ١٤٦ .
(٥) رسالة بولس إلى رومية ٢ — ١٦ .

الحساب لكل البشر :

يعتقد النصارى أن الحساب لكل البشر . ورد فى علم اللاهوت النظامى « أما الذين يقومون فى الدين فهم كل أفراد الجنس البشرى بلا استثناء ، وليس كما زعم بعض المبتدعين فى أوائل الديانة المسيحية أن الصالحين وحدهم هم الذين يقومون فى يوم الدين لينالوا جزاء طوبانية أجسادهم » (١) ويفند زعم من قال بأن الحساب للأبرار فقط بمقولة « إن القيامة عامة وليست خاصة ، بل تشمل الجميع أشرارا كانوا أم أخيارا ، هؤلاء للحياة الدائمة سعادتها ، وأولئك للدينونة المؤذية تعاستها » (٢) .

أما قول صاحب المزمور : « إن الأشرار لا يقومون فى الدين » فمعناه أنهم لا يقومون قيامة الحياة ، لكونهم لم يماثلوا الصديقين بالإحادة عن الشر واصطناع الخير الناتج من قبلهما هذه السعادة ، فهم يقومون للمحاكمة والدينونة ، لا للتبرئة والمكافأة » (٣) .

أقسام البشر عند الحساب :

يعتقد النصارى أن البشر طبقات يوم الحساب . يقول القديس غريقريوس الكبير : « إن البشر فى القيامة على أربعة أقسام — وتدعى هذه الأقسام : طبقات القائمين فى ذلك اليوم من الأبرار والأشرار — فالطبقة الأولى : طبقة الذين يدينون ولا يدانون . والطبقة الثانية : طبقة الذين يدانون ويخلصون . الطبقة الثالثة : الذين يدانون ويهلكون . الطبقة الرابعة : طبقة الذين لا يدانون ويهلكون » (٤) ويشرح ميخائيل مينا حقيقة كل طبقة ، فالطبقة الأولى هم كبار القديسين كالرسل ، وهم الذين يختص بهم قول المسيح : « متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا ، وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » (٥) . والطبقة الثانية يبين حقيقتهم ميخائيل مينا بقوله : « هم الذين غسلوا ثيابهم التى تدنست بالخطايا بدم حمل الله الذى بلا عيب ، ورحضوها بدموع التوبة الحارة ، فأصلحوا فساد أعمالهم بأفعالهم الصالحة ، ولا سيما أعمال الرحمة . فظفروا برحمة الديَّان » (٦) . « وأصحاب الطبقة الثالثة هم المؤمنون الخطاة ، الذين دنسوا

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٤٧ وانظر تاريخ الأقباط ص ٢٥٠ / ٢٥١ .
(٢) نفسه وانظر إنجيل يوحنا ٥ — ٢٨ ، متى ٢٥ : ٣٢ ودانيال ١٢ : ٢ .
(٣) نفسه ص ١٤٧ / ١٤٨ دينونة البشر العامة ص ٥٧ / ٥٩ .
(٤) نقلا عن علم اللاهوت لميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٤٩ .
(٥) متى ١٩ / ١٧ . (٦) نفسه ص ١٤٩ / ١٥٠ .

قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم أولئك الذين يقرون بأنهم يعرفون الله ، وهم بمقتضى أعمالهم به كافرون . وأصحاب الطبقة الرابعة فهم الذين لم يؤمنوا ، كالوثنيين ، فهؤلاء لا يحتاجون إلى دينونة وحساب ، يظهر به حق هلاكهم ، موسومٌ فى جباههم ، بسبب عدم الإيمان وقبولهم ناموس الرب » (١) .

ونلاحظ أن هناك شبه اتفاق بين هذه الطبقات يوم الحساب فى التصور الإسلامى والتصور النصرانى ، إذا استثنينا الطبقة الأولى ، الذين يعتقد النصارى أنهم يُحَاسِبُونَ ولا يُحَاسَبُون ، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ينفيان عن أى أحدٍ القيام بمحاسبة الخلق يوم القيامة ؛ لأن حساب الناس يوم القيامة يختص بالله وحده ، الذى خلقهم ورزقهم وأماتهم وأحياهم ، ثم يحاسبهم ويجازيهم . أما الطبقة الثانية عند النصارى وهم الذين يدانون ويخلصون فهم كمن يحاسب حسابا يسيرا . والطبقة الثالثة ، وهم الذين يحاسبون ويهلكون ، فهم كمن يحاسبون حسابا عسيرا ، ويدخلون النار من المؤمنين والكفار . وأما الطبقة الرابعة ، وهم الذين لا يدانون ويهلكون ، وهم الكفار ، فهم كالذين قال الله عنهم فى القرآن الكريم ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام** ﴾ (٢) .

وإن القول بأن المسيح هو الديَّان قال به « البطارقة والمطارنة والأساقفة فى بلد قسطنطينة ، بمحضر من ملكهم ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا » (٣)وجاء فى اتفاقهم أن المسيح « وُلِدَ من مريم البتول ، وصُلِبَ أيام بيلاطس ، ودُفِنَ ثم قام فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعدّ للمجىء تارة أخرى ؛للقضاء بين الأموات والأحياء » (٤) . ومن عجيب الأمر أن القس إبراهيم لوقا يستدل على أن المسيحَ هو الديَّان يوم القيامة بما رواه الإمام البخارى فى صحيحه :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« والذى نفسى بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد » (٥) .

---

(١) متى ص ١٤٩ / ١٥٠ . (٢) الرحمن ٤١ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ ص ٥٢ بهامش الفصل .

(٤) نفسه وانظر هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ١٦٨ .

(٥) رواه الإمام البخارى جـ ٤ ص ٢٧ ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .

يقول القس : « روى البخارى قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا » ويعلق القس على الحديث بقوله : « فهذا الحديث ناطق بأن المسيح سيأتى ديَّاناً عادلاً ، وهذا ما يعلنه الوحى الإلهى فى الإنجيل المقدس .قال المسيح « لأن الآب لا يدينُ ، بل أعطى كل الدينونة للابن » [1] وفى ختام سفر الرؤيا « وها أنا آتى سريعا وأجرتى معى ، لأجازى كل واحدٍ كما يكونُ عمله » [2].

ويستنتج من حديث البخارى أن « الإسلام كما يُرى فى الحديث السابق قد تكلم عن المسيح كديانٍ عادل رهيب ، فصادق بذلك على صحة المعتقد المسيحى فيه ، ووافق قول الإنجيل الطاهر » [3] ويستنتج القس من حديث البخارى الدلالة على لاهوت المسيح ، فيقول « فالإسلام قد نسب للمسيح هذا الحق . فما هو إلا شهادة منه على صدق العقيدة المسيحية عن لاهوت المسيح » [4]. ومع وضوح بطلان هذا الاستنتاج وكون الحديث هادما لعقيدة النصارى أصلا ؛ فإننا سوف نناقش القس فيما ذهب إليه عند التعقيب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية مناقشة مفصَّلَة .

ثالثا : الحساب عند اليهود

ورد فى سفر الجامعة : « افرح أيها الشاب فى حداثتك ، وليسرك قلبك فى أيام شبابك واسلك فى طريق قلبك وبمرأى عينيك ،واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة ، فانزع الغم من قلبك ،وابعد الشر عن لحمك ، لأن الحداثة والشباب باطلان » [5]. وورد فيها : « فلتسمع ختام الأمر كله ، اتق الله ، واحفظ وصاياه ، لأن هذا هو الإنسان كله ؛ لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى وإن كان خيراً أو شرا » [6]. وعلماء اليهود يقررون أن الله هو الديَّان والمحاسب يوم القيامة . وورد فى التلمود ما نصه « إن كل معصية يرتكبها الإنسان فى دنياه توجد شيطانًا يصعدُ أمام كرسى الديَّان ويهتف دائما : أنا خلقتُ من معصية فلان ابن فلان ، ارتكبها فى اليوم الفلانى » [7].

---

(١) يوحنا ٥ ــ ٢٢ .
(٢) رؤيا يوحنا ٢٢ / ١٢ .
(٣) المسيحية فى الإسلام ــ القس إبراهيم لوقا ص ١٤٧ ــ الطبعة الثانية دار النشر القبطية .
(٤) نفسه ص ١٤٧ .
(٥) سفر الجامعة ١١ : ٩ / ١٠ .
(٦) سفر الجامعة ١٢ : ١٣ / ١٤ .
(٧) التلمود أصله وتسلسله وآدابه .

وكما سبق عند الحديث عن البعث عند اليهود ، فهناك نص فى سفر التثنية من التوراة العبرية يشير إلى أن الله هو المجازى ، ولكنه مختلف حوله ، هل الجزاء فى الدنيا أو فى الآخرة ، ولقد رجحنا ما رأيناه هناك (1)

ولكن التوراة السامرية فيها نص صريحٌ على أن الله هو الذى يتولى الحساب والجزاء ، وهذا النص هو : « أليس هو مجموعا عندى فى خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم ، إذ قريب يوم تعنتهم ، وتسرع المستعدات إليهم ، إذ يدين الله وعن عبده يصفح » (2) .

ويعلق اليهود على النص السابق بقولهم : « إن قوله « إلى يوم الانتقام والمكافأة » يدل بوضوح وصراحة على قيامة الناس من القبور للقاء الله ، فيجزيهم على أعمالهم فى الحياة الآخرة » (3) .

وأسجل العذر عن عدم عثورى على نصوص كافية عن تفصيلات الآخرة بوجه عام — ومن ضمنها الحساب — فى المصادر اليهودية المتاحة .

تعقيب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية :

بعد استعراض النصوص الدالة على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية تبين أن :

أولا : يقرر القرآن الكريم أن الله هو الذى يتولى الحساب والجزاء يوم القيامة وأن الله سريع الحساب ، كما يرزق الخلق جميعا فى وقت واحد يحاسبهم فى وقت واحد ، وأن حساب الله للإنسان يتم على أساس ما هو مسطور فى كتاب الإنسان من قول أو فعل أما مايهم به الإنسان من السوء فإن الله لا يحاسبه عليه ، بل يثيبه إذا لم يترجم هذا الهم السيء إلى فعل .

ثانيا : ينفى القرآن الكريم عن الرسول ﷺ حسابه لأحد من الناس يوم القيامة ، إذ لا سلطان على الخلق إلا الله .

(1) انظر ص ١٤٢ وما بعدها من هذا البحث .

(2) سفر التثنية من التوراة السامرية ٣٤ / ٣٦ .

(3) التوراة السامرية ص ٣٩٢ / ٣٩٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .

ثالثا : أن القرآن الكريم أشار إلى بعض أصناف الناس حين الحساب ، فمن الناس من يحاسَب حسابًا يسيرًا ، ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا ، وبقية الأصناف تحدثت عنها السنة النبوية ، فبينت أن هناك أناسا يدخلون الجنة بغير حساب ،وأن أعمالهم فى الدنيا هى التى جعلتهم يستحقون فضل الله ، ويتميزون عن بقية الخلق بدخول الجنة بغير حساب .

رابعا : أثناء عرضنا للحساب عند النصارى تبين لنا أن تصورهم للحساب يوم القيامة يتفق مع التصور الإسلامى فى بعض النقاط ، ويختلف فى البعض الآخر ، فيتفق التصور النصرانى مع التصور الإسلامى فى أن جميع البشر سيقفون أمام الله ساعة الحساب ، ويتفقان أيضاً فى الذين يُحاسَبُونَ وَيَنْجُونَ ، وفى الذين يُحَاسَبُونَ فَيَهْلَكُونَ ، وفى الذين يدخلون النار بغير حساب .

ولكن التصور الإسلامى يختلف تماما مع التصور النصرانى فيمن يحاسبون الخلق يوم القيامة ، فبينما ينفى القرآن الكريم الحساب عن أى مخلوق مع الله يوم القيامة ـــ يعتقد النصارى أن المسيح هو الذى يتولى الحساب لحكمته ولعطفه ورحمته . ولا يكتفون بذلك ، بل يجعلون تلاميذ المسيح الاثنى عشر يجلسون معه ليدينوا أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر . وما ذهب إليه النصارى يتعارض مع نصوصهم ، كما رأينا فى نصوص إنجيل يوحنا التى تثبت الحساب تارة للمسيح وحده ، وتارة تنفى على لسان المسيح كونه ديَّانًا ، ومرة ثالثة تثبت أنه يدين مع الآب . ومرة رابعة تثبت أنه يدين مع التلاميذ ، ومرة خامسة يثبت بولس أن الله هو الذى يدين فقط[1] وهذا الاضطراب مرجعه فى نظرى يرجع إلى أمرين : الأول : التحريف الذى لحق بالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام . الثانى : اعتقاد النصارى فى ألوهية المسيح وبنوته لله مع ما فى ذلك من الاضطراب .

خامساً : خطأ ما ذهب إليه القس إبراهيم لوقا ، من استشهاده بالسنة على كون المسيح هو الذى سيحاسب الناس فى الآخرة ، والحديث الذى استدل به القس حجة على النصارى لا لهم ، ونص الحديث الذى حرفه القس هو « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد »[2] .

---

(١) انظر ص ١٨٨ : ١٩٠ .

(٢) صحيح البخارى جـ ٢ ص ٢٧ ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .

والقس المذكور قد استدل بفقرة واحدة من الحديث ، واستنبط منها أن المسيح هو الذى سيدين الناس يوم القيامة ، مع أن ذلك الحكم الذى سيعطيه الله للمسيح سيكون فى الدنيا لا الآخرة . ونحن نعتقد أن المسيح سينزل فى آخر الزمان ليدين الخارجين عن الإسلام ، ويحكم بشريعة محمد ﷺ ، ويقضى على كل مظاهر الوثنية التى من بينها تقديس الصليب الذى يعظمه النصارى . والحديث صريحٌ فى كسر ذلك الصليب الذى يقول عنه القس المذكور « إن المسيحية منذ نشأتها كانت ولا تزال كقائد الملة لا ترى فى الصليب ما يدعو إلى الخجل ، بل على العكس كانت ترى فيه موضوع الافتخار ، ولذلك اتخذته شعاراً وعلامة لها » (١) .

ولو أن القس المذكور عرض حديث البخارى وناقش ما فيه ، لكان له عذر . أما أن يجد الحديث صريحاً فى هدم أهم معتقدات النصارى ، ثم يحرف الكلم عن مواضعه ــ ليستدل على أن الحديث فيه دلالة على اعتقاد النصارى فى أنه هو الذى يحاسب الناس ويجازيهم فى الآخرة ــ ، فهذه مخالفة لأبسط قواعد البحث العلمى والأمانة العلمية .

سادساً : إن الإشارات التى ذكرت فى العهد القديم يستدل منها على أن الله هو الذى يتولى الحساب والجزاء ، وهذا ما يتفق مع التصور الإسلامى ، ولكن الإشارات التى وردت عن الحساب فى العهد القديم عابرة ، ولا تعطى صورة تفصيلية عن الحساب وطبقات الناس ، كما فى الإسلام أو فى النصرانية .

* * *

(١) المسيحية فى الإسلام ص ٢١٧ .

المبحث الثامن

الصراط فى التصور الإسلامى

الصراط لغة : الطريق الواضح ، مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه ، لأنه يبتلع المارة (١) .

وفى الشرع : « جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون »(٢) .

والصراط ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .

أولاً : القرآن الكريم :

يقول الله تعالى ﴿ **فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون** ﴾ (٣) .

ويقول تعالى ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً** ﴾ (٤) روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا : « الورود المرور على الصراط » رواه السدى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ(٥) . وعن أبى الأحوص عن عبد الله قوله ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ (٦) قال : « الصراط على جهنم مثل حد السيف »(٧) .

ويقول صاحب المقاصد « ويشبه أن يكون المرور عليه » أى الصراط « هو المراد بورود كل أحد النار ما قال تعالى ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ (٨) .

ثانياً : السنة النبوية :

روى الإمام « البخارى » بسنده عن « أبى هريرة » حديثاً طويلاً جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال :« فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٦ .

(٢) نفسه .

(٣) يس ٦٦ .

(٤) مريم ٧١ .

(٥) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٦) مريم ٧١ .

(٧) ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٢ وأبو السعود جـ ٣ ص ٤٣٨ .

(٨) مريم ٧١ وانظر المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحدٌ إلا الرسل . وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ،وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان . هل رأيتم شوك السعدان ؟ » قالوا نعم . قال : « فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى ، تخطف الناس بأعمالهم ،فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو » (١) .

وهذا الحديث يبين أن « عصاة المؤمنين يسقطون فى النار ،ولا خلاف بين العلماء فى سقوط من لم تشملهم رحمة الله من مرتكبى الكبائر . اللهم إلا ما قيل عن غلاة المرجئة ، من أنه لا يضر مع الإيمان شىء ، وأنه لا يدخل النار أحد من الموحدين .وهو قول واضح البطلان » (٢) .

روى « الشيخان » بسندهما عن أبى « سعيد الخدرى » حديثاً طويلاً جاء فيه : « ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم » قلنا : يا رسول الله . وما الجسر ؟ قال : « مدحضة مَزِلَّةٌ عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة ، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، المؤمن عليه كالطرف ، وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، وناج مخدوش ، ومكدوس فى نار جهنم ، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً ،فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق ، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ، وإذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا . فيقول الله تعالى : « اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ... الحديث » (٣) .

ثالثا : الإجماع :

والصراط أجمعت عليه الأمة . يقول صاحب الجوهرة : « اتفقت الكلمة عليه فى الجملة ، أى بقطع النظر على إبقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة » (٤) .

رأى المعتزلة فى الصراط :

يتهم صاحب المقاصد المعتزلة بوجه عام والقاضى « عبد الجبار » بوجه خاص أنه

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ١٤٦ . (٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٣) صحيح البخارى جـ ٤ ٢٨٥ ــ ٢٨٦ وانظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٦٧ ــ ١٦٨ واللفظ للبخارى

(٤) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٧ وانظر الأصول الخمسه للقاضى عبد الجبار ص ٧٣٧ ، ٧٣٨ وانظر المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ وانظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ينكر الصراط . يقول « السعد » : « وأنكره القاضي عبد الجبار وكثير من المعتزلة ، زعماً منهم أنه لا يمكن الخطو عليه ، ولو أمكن ففيه تعذيب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة » [1].

والحق أن ما ذهب إليه صاحب المقاصد فيه تجاوز للحقيقة ، لأن القاضي عبدالجبار يثبت الصراط ، ويعترض على ما ذهب إليه بعض مشايخ المعتزلة من أنه عبارة عن الأدلة الدالة على الطاعات . يقول القاضي عبد الجبار :

« من جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده الصراط ، وهو طريق بين الجنة والنار ، يتسع على أهل الجنة ، ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه . وقد دل عليه القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ [2] ويعرض القاضي عبد الجبار رأى بعض مشايخ المعتزلة فى الصراط ولا يقرهم عليه . يقول « وقد حكى فى الكتاب عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التى من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة ، والأدلة الدالة على المعاصي التى من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار . وذلك مما لا وجه له ، لأن فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره ، وقد كررنا القول فى أن كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى المجاز » [3] .

هذا هو رأى القاضي عبد الجبار فى الصراط . رأينا كيف أنه يثبته ويأخذ على بعض مشايخ المعتزلة تأويله . وهذا ما دعانا إلى أن نقول إن صاحب المقاصد كان متجاوزاً للحقيقة حينما زعم أن القاضي عبد الجبار ينكر الصراط .

* * *

---

(١) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٢) الفاتحة ٦ ، ٧ وانظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٧ .

(٣) انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٨ .

المبحث التاسع

الميزان فى التصور الإسلامى

من مشاهد يوم القيامة الميزان ، ويكون بعد الحساب .يقول القرطبى فى التذكرة : « قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ؛ لأن الوزن للجزاء ،فيكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ، لكون الجزاء بحسبها . قال الله تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا** ﴾ »(١) .

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . والدليل عليه قوله تعالى ﴿ **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** ﴾ (٢) .

وقول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان »(٣) يقول السعد : « ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان ، عملابالحقيقة لإمكانها ، وقد ورد فى الحديث تفسيره بذلك »(٤) .

ويقول ابن تيمية حين سئل عن الميزان : « الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى ﴿ **فمن ثقلت موازينه** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾ وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان »(٥) . والميزان كما يقول الإمام الغزالى « حق ، وقد دلت عليه قواطع السمع ، وهو ممكن فوجب التصديق به »(٦) .

والقاضى عبد الجبار من المعتزلة يثبت الميزان ، ويرد على ما يذهب إلى المقصود بالميزان العدل . يقول : « أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى فى محكم كتابه ، قال الله

---

(١) الأنبياء ٤٧ ، التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٣٧٣ .

(٢) الأعراف ٨ ، ٩ .

(٣) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٣ – ٢

(٤) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٥) فتاوى ابن تيمية الكبرى جـ ٤ ص ٣٠٢ .

(٦) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٨٢ / ١٨٣ .

تعالى : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (١) ويقول : لم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول من المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره ، على ما يقوله بعض الناس ؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل فى قوله تعالى ﴿ **وأنزلنا معهم الكتاب والميزان** ﴾ فذلك على طريق التوسع والمجاز ، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز » (٢) . ويرد بذلك القاضى عبد الجبار على بعض علماء المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها ، فكيف إذا زالت وتلاشت ، بل المراد به العدل الثابت فى كل شيء(٣) . وإذا كان الأمر على ما ذهب إليه هؤلاء المعتزلة من أن الميزان المقصود به العدل ؛ لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى فدلّ على أن المراد به الميزان المعروف الذى يشتمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا (٤) . يقول ابن حزم : « نقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد (٥) .

وقد وردت آيات فى القرآن الكريم بصيغة الجمع للميزان يوم القيامة وآيات أخرى بالإفراد ، ولا تعارض فى ذلك ؛ لأنه من الممكن أن يقال : إن لكل عاقل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله . وجاء القرآن الكريم بالوزن تارة فى قوله تعالى ﴿ **والوزن يومئذ الحق** ﴾(٦) وبالموازين تارة فى قوله تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾(٧) وقيل : لفظ الجمع للتعظيم ، وإنما الميزان الكبيرُ واحد إظهاراً لجلالة الأمر وعظمة المقام (٨) .

كيفية الميزان :

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الموزون الكتب التى اشتملت على أعمال العباد ، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر . وقيل بل تُجْعَل الحسنات أجساماً نورانية والسيئات أجساماً ظلمانية (٩) .

وهناك بعض الأحاديث التى تبين أن الرجلَ يوزنُ مع عمله ،وأخرى تفيدُ أن العملَ

---

(١) المؤمنون ١٠٢ .
(٢) الأصول الخمسة ص ٧٣٥ بتصرف .
(٣) انظر المقاصد جـ ٢ ص ١٦٤
(٤) الأصول الخمسة ص ٧٣٥ .
(٥) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٤ ص ٥٤ .
(٦) الأعراف ٨ .
(٧) الأنبياء ٤٧ وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٤ .
(٨) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .
(٩) نفسه وانظر تحفة المريد ص ٢٢٥ .

نفسَهُ هو الذى يوزن .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا إن شئتم ﴿ فلا نقيمُ له يوم القيامة وزنا ﴾ (١) .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « توضعُ الموازينُ يوم القيامة ، فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان » قال : « فيبعث به إلى النار » قال : « فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول : لا تعجلوا فإنه قد بقى له ، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل فى كفة حتى يميل به الميزان » (٢) ، ويعلق ابن كثير على هذا الحديث بقوله : « فيه فائدة جليلة وهو أن العامل يوزن مع عمله » (٣) .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطرُ الإيمان والحمد لله تملأ الميزان » (٤) فقوله « الحمد لله تملأ الميزان » فيه دلالة على أن الأعمال تجسدُ يومَ القيامة ، وتجعلُ ذاتاً يوضع فى الميزان (٥) .

ويمكن أن نجمع بين تلك الروايات بأن الموازين تثقل بالكتب . قال ابن عمر : « توزن صحائف الأعمال » وإذاً فالصحف أجسام ، فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة أعماله بإدخاله الجنة (٦) .

ويكون وزن الكافر يوم القيامة على سبيل التحقير له والذلة ، بأنه لا يساوى شيئاً ، وأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد الذى استنبط منه ابن كثير أن العاقل يوزن مع عمله فهذا خاص بأحد المؤمنين يوم القيامة إظهاراً لفضل « لا إله إلا الله » يوم القيامة عند الله .

من توزن أعمالهم يوم القيامة ؟ :

الميزان يكون للمؤمنين والكفار يوم القيامة ، ويستثنى من المؤمنين من يدخلون الجنة

(١) الكهف ١٠٥ والحديث رواه الإمام مسلم جـ ٤ ص ٢١٤٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباق .
(٢) رواه الإمام أحمد جـ ٢ ص ٢٢١ / ٢٢٢ . (٣) النهاية فى الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٤ .
(٤) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٢٠٣ . (٥) انظر النهاية فى الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٦ .
(٦) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٣٧٧ والاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ١٨٢ .

بغير حساب . يقول القرطبى : « الميزان حق ، ولا يكون فى حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام : « فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه » (١) . ويؤخذ من هذا أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا توزن لهم أعمال ؛ لعلم الله عز وجل بصلاحهم وثقل أعمالهم . أما ما جاء عن الكفار فى قوله تعالى ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ (٢) . فيقول ابن حزم بعد أن أورد الآية السابقة : « وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن ، لكن أعمالهم شائلة ، وموازينهم خفاف ، فقد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول ﴿ **ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون** ﴾ إلى قوله ﴿ **فكنتم بها تكذبون** ﴾ (٣) فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم ، والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك » (٤) والذى ذهب إليه ابن حزم هو الحق ﴿ **ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾ (٥) فهذا إخبار من الله تعالى بأن الكفار تخف موازينهم ؛ لأنهم لا ثواب لهم ، وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين يوم القيامة ، أى لا ينفعهم شىء فى ميزانهم .

فائدة الميزان :

إن وزن الأعمال يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين والكفار أن تجعل علامة لأهل السعادة إذا كانت موازينهم ثقيلة ، وتكون علامة لأهل الشقاوة الذين خفت موازينهم . وفى الميزان تعريف للعباد بما لهم وما عليهم وإقامة للحجة عليهم . وإظهار لعدل الله عز وجل يوم القيامة ، وفيه بيان للطف الله ببعض الناس يوم القيامة حين يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته .

والميزان له فائدة تتعلق بالمكلفين ، وهذه الفائدة هى تنبيه المكلفين إلى أداء الواجبات وترك المنكرات ، إذا علموا أن أعمالهم ستعرض عليهم وتوزن على رؤوس الأشهاد يوم القيامة (٦).

---

(١) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٣٧٥ . (٢) الكهف ١٠٥

(٣) المؤمنون ١٠٢ ـــ ١٠٥ .

(٤) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٥٤ والتذكرة جـ ٢ ص ٣٧٣ وتحفة المريد ٢٢٥ .

(٥) الأعراف ٩ .

(٦) انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٨٢ والأصول الخمسة ص ٧٣٦ وتحفة المريد ص ٢٢٦

عدم وجود الميزان والصراط فى التصور النصرانى واليهودى :

لم يتحدث العهد القديم وأيضاً العهد الجديد عن الميزان أو الصراط . وفى المصادر التى رجعت إليها لم أعثر على أى إشارة عن الميزان أو الصراط ، لا عند اليهود(١) ، ولا عند النصارى(٢) .

ويبين القرافى ذلك بقوله : « كثر التنبيه على أحوال الآخرة فى شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شىء فى القرآن أكثر من ذكر البعث » (٣) .

يقول : « فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق فى المحشر من الوقائع وما يكون فى القبور قبل ذلك وما علم منه فإنه عُلِمَ من أخبار هذه الأمة » (٤) .

* * *

(١) انظر على سبيل المثال . الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومى . وانظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث وانظر التلمود تاريخه وتعاليمه وانظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم وانظر التلمود تسلسله وآدابه .

(٢) فى لقاء للباحث مع الأنباغريغوريوس ـــ أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى والثقافة القبطية أكد عدم وجود الميزان والصراط عند النصارى ـــ انظر على سبيل المثال : قاموس الكتاب المقدس ، علم اللاهوت النظامى ، علم اللاهوت الكتابى ، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية .

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٦ بهامش الفارق بين المخلوق والخالق .

(٤) نفسه ص ١٠٨ .

المبحث العاشر

الحوض فى التصور الإسلامى

من الأشياء التى ينفرد بها الإسلام عن النصرانية واليهودية : الحوض الذى يشرب منه المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ .

والحوض ثابت بالكتاب والسنة .

فمن الأمور السمعية الحوض (١) قال تعالى ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر** ﴾ (٢) وفى سبب نزول سورة الكوثر أورد الإمام ابن كثير حديثاً عن أنس بن مالك قال :

أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً فرفع رأسه مبتسماً . إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه أنزلت عليّ آنفاً سورة » فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ حتى ختمها فقال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خيرٌ كثير ، ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب ، يختلج العبد منهم ، فأقول يا رب إنه من أمتى ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الإمام أحمد(٣) .

يقول الأشعرى فى الإبانة : « وأنكرت المعتزلة الحوض ، وروى عن النبى ﷺ من وجوهٍ كثيرة ، وروى عن أصحابه بلا خلاف »(٤) .

والإمام الجوينى فى « لمع الأدلة » يذكر أن كل ما جوزه العقل وورد به الشرع وجب القضاء بثبوته ، فمما ورد به الشرع الصراط والميزان والحوض(٥) .

ولقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الحوض وعظم قدره . روى الإمام مسلم

---

(١) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .
(٢) الكوثر ١ — ٢ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٥٦ .
(٤) الإبانة للأشعرى ص ٧٥ .
(٥) لمع الأدلة لإمام الحرمين عبد الملك الجوينى . تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ص ١١٢ / ١١٣ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة .

بسنده عن أبى حازم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » قال أبو حازم : فسمع النعمانُ بن أبى عيَّاش وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال : هكذا سمعت سهلاً يقول ؟ قال : فقلت نعم ، قال : وأنا أشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته يزيد فيقول : « إنهم منى . فيقال إنك لا تدرى ما عملوا بعدك . فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدى » (١) .

والحديث يدل على أن رسول الله ﷺ يقف على الحوض ، وسيرد عليه أقوام من أمته ، ولا يستطيعون أن يقتربوا من الحوض أو يشربوا منه ، فيسأل رسول الله ﷺ عنهم ، فيقال له إنهم بدلوا وغيروا بعدك فيوافق رسول الله ﷺ على بعدهم . وقد وردت أحاديث أخرى تبين عظم قدر الحوض .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى مليكة قال : قال عبد الله بن عمرو بن العاص : قال رسول الله ﷺ : « حوض مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من الوَرِق (٢) ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا » (٣) .

وروى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » (٤) . ويقول كمال الدين بن الهمام : « ومن السمعيات الكوثر . وهو حوض الرسول ﷺ ، يكون له يوم القيامة ، يرده الأخيار ، ويذاد عنه الأشرار . وردت به الأخبار الصحاح فوجبَ قبوله والإيمان به » (٥) . وحول ورود الأحاديث الصحيحة عن الحوض فإن ابن حجر ينقل عن القرطبى قوله : « مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيَّنا محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الأحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العلم القطعى ، إذ روى ذلك عن النبى ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين ، منهم فى الصحيحين ما ينيف على العشرين وفى غيرهما بقية ذلك ، مما صح نقله واشتهرت رواته ، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من

---

(١) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٣١٦ طبعة عيسى البابى الحلبى .

(٢) الفضة .

(٣) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٢١٧ .

(٤) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٩٩ .

(٥) المسايرة فى علم الكلام ص ١٥٠ .

التابعين أمثاهم ، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف » (١) .

وقد اختلف العلماء حول الحوض . هل هو قبل الصراط أو بعدَه . فيرى القرطبى فى التذكرة أن الحوض قبل الصراط والميزان . وذهب آخرون إلى أنه بعد الصراط والميزان . وحجة القرطبى أن كون الحوض قبل الصراط مما يقتضيه الموقف يوم القيامة ؛ لأن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم (٢) . وذهب القاضى عياض إلى أن الحوض بعد الصراط ؛ لأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار ؛ لأن ظاهر حال من لا يظمأ ألا يعذب بالنار (٣) . وأميل إلى أن الحوض بعد الصراط . لما رواه الإمام أحمد والترمذى عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى . فقال : « أنا فاعل » فقلت : أين أطلبك ؟ قال : « اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط » قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : « أنا عند الميزان » قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : « أنا عند الحوض » (٤) . فهذا الترتيب من النبى ﷺ هو الذى نميل إليه ؛ لأنه مادام أن الذى يشرب منه لا يظمأ أبدا فلابد وأن يكون من المؤمنين الناجين من النار .

عدم وجود الحوض فى التصور النصرانى واليهودى :

فى المصادر التى رجعت إليها لم أعثر على ذكر للحوض فى التصور النصرانى أو اليهودى ، وهذا مما جعلنى أكتب فى بداية البحث : الحوض مما اختصت به أمة محمد ﷺ .

* * *

(١) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٩٣ .

(٢) التذكرة جـ ٢ ص ٣٦٢ .

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٩٢ / ٣٩٣ .

(٤) نفسه جـ ١١ ص ٣٩٢ .

المبحث الحادى عشر

الشفاعة بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً : الشفاعة فى التصور الإسلامى

عرف البيجورى الشفاعة بأنها « الوسيلة والطلب » (١) وفى العرف بأنها « سؤال الخير من الغير للغير »(٢) . ويدل على ثبوتها كما يقول صاحب المقاصد : النص والإجماع . (٣) والدليل عليها قوله تعالى ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ (٤) وقوله عز وجل ﴿ **وكم من ملك فى السموٰت لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ (٥) وقوله تعالى ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ (٦) يقول ابن كثير : « وهذا من عظمته وكبريائه عز وجل ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة » (٧) .

ويقول تعالى ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا** ﴾ (٨) ويستدل ابن حزم بهذه الآية على أن الله تعالى نص على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له الرحمن فيها ورضى له قولاً . ويقرر أنه لا أحد أولى بذلك من محمدٍ ﷺ لأنه أفضل ولِد آدم عليه السلام (٩) .

ويوفق ابن حزم بين الآيات التى تثبت الشفاعة فى القرآن الكريم والآيات التى تنفيها بقوله : « صحت الشفاعة بنص القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فصح يقيناً أن الشفاعة التى أبطلها الله عز وجل هى غير الشفاعة التى أثبتها عز وجل ، وإذ لا شك فى ذلك فالشفاعة التى أبطل الله عز وجل هى الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون فى النار » (١٠) ويوفق القرطبى بين الآيات التى تبين خزى من دخل النارَ يومَ القيامةِ وبين الآيات التى تثبت الشفاعة والأحاديث التى تدل على الشفاعة للعصاة لإخراجهم من

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٣٦ .
(٢) نفسه .
(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٧٥ .
(٤) البقرة ٢٥٥ .
(٥) النجم ٢٦ .
(٦) الأنبياء ٢٨ .
(٧) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٠٩ .
(٨) طه ١٠٩ .
(٩) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٥٣ .
(١٠) نفسه .

النار بقوله : « إن قال قائل : كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول ﴿ **إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾[1] . ويقول ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾[2] ويجيب بأن الآية الأولى معناها — كما قال أنس بن مالك — أن معنى ﴿ **من تدخل النار** ﴾ من يخلد ، وبهذا قال سعيد بن المسيب فإن الآية جاءت خاصة فى قوم لا يخرجون من النار ، بدليل قوله تعالى فى آخر الآية ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ أى الكفار . ويبين القرطبى الوجه الثانى للآية بأننا إذا قدرنا أن الآية فى العصاة من الموحدين فيحتمل أن يكون الخزى بمعنى الحياء ، ولهذا الاحتمال وجه عند أهل المعانى ، ويكون خزى المؤمنين فى استحيائهم فى دخول النار من بين سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها ، أما خزى الكافرين فهو هلاكهم فى النار من غير موت ، أما المؤمنون العصاة فيموتون فى النار . فافترقوا فى الخزى والهوان عن الكفار ؛ لأن عصاة المؤمنين يخرجون من النار بشفاعة من أذن الله له فى الشفاعة ، والآية الثانية وهى قوله تعالى ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه** ﴾ فيذهب القرطبى إلى أن معناها — أن الله لا يعذب رسوله ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب الله عصاة المؤمنين فإن الله يخرجهم من النار بشفاعة الرسول ﷺ[3]

وقد وردت الأحاديث التى تبين شفاعة الرسول ﷺ فى عصاة المؤمنين ، وأجمع المسلمون على تلك الشفاعة[4] لرسول الله ﷺ يوم القيامة . ومن الأحاديث التى وردت فى الشفاعة ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، وتدنو الشمسُ فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ، ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم فيأتون آدم . فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد

---

(١) آل عمران ١٩٢ .

(٢) التحريم ٨ وانظر التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ١٤٤ .

(٣) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٤١٤ / ٤١٥ .

(٤) الإبانة للأشعرى ص ٧٤ .

بلغنا ؟ فيقول ادم : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكورا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ـــ وذكر كذباته ـــ (١) نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى ﷺ ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسى نفسى . أذهبوا إلى عيسى ﷺ . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ـــ ولم يذكر له ذنباً ـــ نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد . فيأتون فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده والثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحدٍ قبلى ، ثم قال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول : يارب أمتى أمتى . فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب

---

(١) الكذبات الثلاث ، التى وردت فى الأحاديث من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث مرات ، اثنتين فى ذات الله قوله : إنى سقيم وقوله : بل فعله كبيرهم هذا . وواحدة فى شأن سارة حين قدم مصر وقال لملكها : إنها أختى وليست زوجتى . هذه الكذبات تحدث عنها العلماء كثيرا وخلاصة ما قيل فيها أن تلك الأحاديث إن كانت منقولة بطريق الآحاد فمردودة ، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصى إلى الأنبياء وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة . انظر فى هذا الموضوع بالتفصيل كتاب قصص الأنبياء للنجار . ص ١٠٩ / ١٢٣ ففيه عرض لكل الآراء فى هذه القضية .

الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » (١) .

وهذا الحديث يدل على الشفاعة العظمى للإراحة من هول الموقف ، والشفاعة للذين يدخلون الجنة بغير حساب . وصاحب هذه الشفاعة محمد ﷺ لا يشاركه فيها أحد من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين والشهداء . وكيفيتها كما مر فى حديث أبى هريرة أن ينطلق محمد ﷺ تحت العرش فيقع ساجداً يثنى ويحمد الله ، حتى يأذن له فى الشفاعة لإراحة الناس من الموقف (٢) وحديث أبى هريرة السابق يدل على نوعين من أنواع الشفاعة :

النوع الأول : الشفاعة من هول الموقف .

والنوع الثانى : إدخال قوم الجنة بغير جساب .

ويؤيد حديث أبى هريرة السابق فى الشفاعة لمن يدخلون الجنة بغير حساب . مارواه الترمذى بسنده عن محمد بن زياد الألهانى قال : سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لاحساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى » (٣) والحثيات جمع حثية بفتح الحاء ، وهى تستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير _ (٤) وحديث الترمذى مبين لمن يشفع فيهم رسول الله ﷺ فيدخلون الجنة بغير حساب .

وهناك أنواع أخرى من الشفاعة يشترك فيها الأنبياء ، والملائكة ، وعباد الله الصالحين ، فقد روى الإمام مسلم بسنده فى حديث طويل ، عن شفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فوالذى نفسى بيده مامنكم من أحد بأشد مُنَاشَدَةً لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٣ / ١٠٤ طبعة الحلبى .

(٢) انظر فتح المنعم ـــ شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٤٢ .

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ ٧ ص ١٢٩ الطبعة الثامنة ١٣٨٧ ـــ ١٩٦٧ .

(٤) نفسه .

لإخوانهم الذين فى النار . يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون . فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم . فتحرم صورهم على النار ، فيُخْرِجُونِ خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرةٍ من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا » . وكان أبو سعيد الخدرى يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيما** ﴾ (١) « فيقول الله عز وجل : شفِعَ الملائكةُ شفِعَ النبيون وشَفِعَ المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما ، لم يعملوا خيرا قط ، قد عادوا حمما ، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل » (٢) .

وهذا الحديث يبين أن المؤمنين يشفعون لإخوانهم العصاة يوم القيامة ، ويأذن الله لهم بأن يخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرةٍ من خير . ويبين الحديث أن الله عز وجل يأذن للملائكة والأنبياء والمؤمنين فى الشفاعة ، إلى حد أنهم لا يجدون أحدا فيه خير قد بقى فى النار . وهنا يقول الله تبارك وتعالى : شَفِع الملائكة وشَفِع النبيون وشَفِع المؤمنون ولم يبْقَ إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما .

وهنا قد يثار هذا التساؤل . كيف يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط ؟ ويجيب القاضى عياض عن هذا التساؤل فيقول : « هؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان ، وهم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم . وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان ، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله عليهم دليلًا عليه ، وتفرد الله عز وجل بعلم ماتكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان ، وضرب بمثال الذرة المثل لأقل الخير ، فإنها أقل المقادير » (٣) .

---

(١) النساء ٤٠ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٤ طبعة الحلبى .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ٢٢ .

والذى ذهب إليه القاضى عياض موافق لما رواه الإمام مسلم فى حديث طويل عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ يقول : « يارب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله . قال : ليس ذاك ، أو قال : ليس ذاك إليك ، ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخرجن من قال لا إله إلا الله »(١) ومعنى ذلك أن الله يتفضل على من قال لا إله إلا الله فيخرجه من النار من غير شفاعة أحد (٢) .

وهناك أحاديث أخرى تبين شفاعة المؤمنين للعصاة يوم القيامة :

روى الترمذى بسنده عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع لعصبة ، ومنهم من يشفعُ للرجلِ حتى يدخلون الجنة » (٣) .

والحديث يبين أن بعضَ أفراد من أمة محمد ﷺ كالعلماءِ والشهداءِ والصالحين من يشفع للفئام أى الجماعة من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة والعصبة للرجل حتى يدخلوا الجنة جميعاً (٤) .

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ يتميز عن جميع الأنبياءِ والمرسلين بالمقام المحمود عند الله يوم القيامة .

روى البخارى بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَن قال حين يسمعُ النداءَ اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة » (٥) .

وفسر بعض الصحابة المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى لإراحة الناس من هول الموقف يوم القيامة . روى البخارى بسنده عن آدم بن على قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ، كل أمة تتبع نبيهَا ، يقولون : يافلان اشفع . حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام

---

(١) نفسه جـ ٣ ص ٦٤ . (٢) نفسه ص ٦٥ .
(٣) تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى جـ ٧ ص ١٣١ / ١٣٢ .
(٤) نفسه ص ١٢٩ / ١٣٠ . (٥) فتح البارى جـ ٨ ص ٣٢٢

المحمود »[1]

وذهب الجمهورُ إلى أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة . وبالغ الواحدى فنقل فيه الإجماع[2] . ولا يستشكل بأن هناك غيره ﷺ ممن يأذن الله لهم بالشفاعة ، كالأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين كما مر ، لأن شفاعة هؤلاء جميعا تأتى بعد شفاعة النبى ﷺ فى إراحة الناس من كرب الموقف ؛ والتى لم ينلها أحدٌ غيره ﷺ . أما الشفاعة للمذنبين فى الخروج من النار ورفع درجات المؤمنين فى الجنة وإدخال قوم الجنة بغير حساب فهذا مما يشترك فيه ﷺ مع غيره . يقول ابن حجر فى الفتح بعد أن يعرض آراء العلماء فى المقصود بالمقام المحمود : « ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة ، فإن إعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه ، وكلامه بين يديه ، وجلوسه على كرسيه ، وقيامه أقرب من جبريل ، كل ذلك صفات للمقام المحمود ، الذى يشفع فيه ليقضى بين الخلق ، وأما شفاعته فى إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك »[3] .

وإذا كانت أمة الإسلام قد أجمعت على الشفاعة لرسول الله ﷺ عند الله يوم القيامة فى إسقاط العقاب عن المذنبين وازدياد النعيم لأهل الجنة[4] ، فإن المعتزلة قد خالفت الأمة فى كون الشفاعة لإسقاط العقاب عن المذنبين ، وأثبتوها فى زيادة النعيم لأهل الجنة .

يقول القاضى عبدالجبار من المعتزلة : « لاخلاف بين الأمة فى أن شفاعة النبى ﷺ ثابتة للأمة ، وإنما الخلاف فى أنها تثبت لمن ؟ »[5] . فهو يقرر أنه لا خلاف بين الأمة فى ثبوت الشفاعة ، وإنما الخلاف على ثبوتها لمن ؟ . وقد مرَّ أنه لا خلاف عند أهل السنة حول ثبوت الشفاعة للمذنبين بإسقاط العقاب عنهم وللمؤمنين برفع درجاتهم . أما عند المعتزلة فهى قاصرة على التائبين من المؤمنين . يقول القاضى عبد الجبار من المعتزلة : « فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين »[6] وفائدة الشفاعة إذن هى رفع مرتبة الشفيع ، والدلالة على منزلته من المشفوع[7] وينفى القاضى عبد الجبار الشفاعة عن مرتكب الكبيرة من المسلمين بقوله : « دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام ، فكيف يخرج

---

(١) نفسه . (٢) نفسه جـ ١١ ص ٣٥٧ .

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٥٨ / ٣٥٩ .

(٤) الإبانة عن أصول الديانة للأشعرى ص ٧٤ ــ الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ والأربعين فى أصول الدين ص ٤١٩ للإمام الرازى .

(٥) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨ . (٦) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨ .

(٧) نفسه ص ٦٨٩ .

الفاسق من النار بشفاعة النبى عليه السلام والحال ماتقدم ؟ ومما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ **واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا** ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿ **ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع** ﴾[2] فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة »[3] .

ويفند أهل السنة ماذهب إليه المعتزلة من أن الشفاعة لا تكون للعصاة ، وإنما لرفع درجات المؤمنين فى الجنة ، بأن المؤمنين إذا كانوا بالجنة موعودين ، وبها مبشرين ، والله عز وجل لا يخلف وعده ، فإن الشفاعة لا يكون لها معنى ؛ لأن هؤلاء المؤمنين لا يجوز عند المعتزلة ألا يدخلهم الله الجنة ــ طبقا لأصولهم التى تقرر أن المؤمنين استحقوها بأعمالهم واستوجبوها على الله ــ وإذا كان الله لا يظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلما على حسب اعتقادهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإن كانت الشفاعة فى رفع درجات المؤمنين فى الجنة ؛ فإن الله قد وعدهم ذلك والله يقول ﴿ **ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله** ﴾[4] والله عز وجل لا يخلف وعده ، فإذا كانت الشفاعة قاصرة على رفع درجات المؤمنين فى الجنة فيكون معنى ذلك أنه إنما يشفع إلى الله عز وجل عندهم فى أن لا يخلفَ وعدَه ، وهذا مغايرٌ لما يقررونه فى أصولهم [5] ويخلص الأشعرى إلى أن الشفاعة المقبولة تكون « فيمن استحق عقابا أن يوضع عنه عقابه ، أو فيمن لم يعده شيئا أن يتفضل به عليه » [6] .

أما الآيات التى يستدل بها القاضى عبد الجبار على نفى الشفاعة عن مرتكب الكبيرة من مثل قوله تعالى ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً** ﴾[7] . وقوله تعالى ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾[8] .

فالجواب : أن الآية الأولى إذا صح الاستدلال بها على نفى الشفاعة ، فإنها تنفى الشفاعة بوجه عام ، مع أن المعتزلة يقررون ثبوت الشفاعة لرفع درجات المؤمنين [9] والمقصود نفى الشفاعة عن الكفار .

---

(١) البقرة ٤٨ .
(٢) غافر ١٨ .
(٣) الأصول الخمسة ص ٦٨٩ .
(٤) فاطر ٣٠ .
(٥) انظر الإبانة للأشعرى ص ٧٤ .
(٦) نفسه .
(٧) البقرة ٤٨ .
(٨) غافر ١٨ .
(٩) الأربعين فى أصول الدين ص ٤٢٢ .

أما الآية الثانية فإن الإمام الرازى يجيب عليها من وجهين :

الأول : أن كل عاقل يعلم أنه ليس فى الوجود أحدٌ يطيعه الله تعالى ، فلا يكون فى حمل الآية على ماذكرتم فائدة .

الثانى : أن الشفيع دون المشفوع إليه ، لأنه لو كان فوقه يسمى آمرا أو حاكما ولا يسمى شفيعا ، فلفظ الشفيع أفاد كونه دون الله تعالى ، فلم يكن حمل قوله « يطاع » على من فوقه ، فكان المراد أنه ليس لهم شفيع يجاب (١) . وإن ماذهب إليه المعتزلة من عدم الشفاعة للمذنبين مخالف لما ورد عن رسول الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته .

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (٢) . أى « الشفاعة التى وعد بها الله محمدا ﷺ لأهل الكبائر ، وذلك بوضع السيئات عنهم والعفو عن الكبائر » (٣) .

ثانيا : الشفاعة فى التصور النصرانى

يقول الأنبا يؤانس : « هناك شركة عامة بين الأحياء على الأرض والمنتقلين إلى السماء وعلى رأسهم القديسون والشهداء ، شركة كاملة ، فنحن نتشفع بهم ونتصل بهم بطرق ووسائل شتى ، ونَتَلَقى على أثر ذلك معوناتهم » (٤) ونلاحظ أن الشفاعة التى يتحدث عنها النصارى تكون فى الدنيا وليست فى الآخرة وعلماؤهم يقررون ذلك .

وورد فى علم اللاهوت النظامى « ليس فى الدهر الآتى توبة ولا غفران ولا تغيير حال ، وقد ورد فى مَثَلِ مخلصنا فى الغنى ولعاذر (٥) ، الذى علم استحالة العبور من جهنم إلى السماء » (٦). ويذكر ميخائيل مينا أن « خطيئة الخاطىء دائمة إلى الأبد ؛ لأنه يستحيل أن تمحى وتغفر متى ولج صاحبها جهنم وهو مثقل بها ، حيث أن خطيئته تستمر معه إلى الأبد » (٧)

وورد فى كتاب « الكهنوت » تحت عنوان « الوقت الذى يمارس فيه المسيح خدمة

---

(١) نفسه .
(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٢١٣ .
(٣) تحفة الأحوذى بشرح الترمذى جـ ٧ ص ١٢٧ .
(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ١٦ .
(٥) لوقا ١٦ ـــ ٩ / ٣١ .
(٦) علم اللاهوت النظامى ١٢١٥ .
(٧) علم اللاهوت ميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٥٤ .

الشفاعة » مانصه : « إن المسيح لا يمارس هذه الخدمة الشفاعة بعد انتقال المؤمنين الحقيقيين إلى العالم الآخر ، حتى كان يجوز الظن أنه يمكن أن يكون الغرض منها نقل أرواح الذين أخطأوا على الأرض من كل عذاب الآخرة أو بعضه ، بل إنه ـــ له المجد ـــ يمارس شفاعته لأجلهم وهم لا يزالون على الأرض ، لأنه ليس هناك مجال لتغيير مصير الناس بأية وسيلة من الوسائل بعد انتقالهم من العالم الحاضر ، لأنه ليس هناك مجال للتوبة والشركة مع الله إلا فى هذا العالم »(١).

كل هذه الأقوال تؤكد أن الشفاعة عند النصارى تكون فى الدنيا لا فى الآخرة ، وهذا ماأكده لنا الأنبا غريقريوس أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى بالكنيسة القبطية فى مقابلة شفوية . والشفاعة التى يعتقدها النصارى تكون بالمسيح ، وبأمه ، وبالملائكة ، والقديسين . ومما يثبت شفاعة المسيح فى الدنيا ماورد فى رسالة بولس للعبرانيين : « فمن ثمَّ يقدر أن يخلص إلى التمام الذى يتقدمون به إلى الله ، إذ هو حى فى كل حين يشفع فيهم » (٢) . ويعلق القس إبراهيم لوقا على النص السابق بقوله : « فشكرا لله لأجل المسيح الشفيع العظيم ، الذى بشفاعة ذبيحته المقدسة يستطيع كل خاطىء أثيم يرجع إلى الله ويؤمن به من كل قلبه أن ينال تطهير خطاياه » (٣).

ويرجع اعتقاد النصارى فى شفاعة المسيح لأنه كما يزعمون « قدم ذاته كفارة عن خطايا العالم أجمع بذبيحته نفسه » (٤).

وأما شفاعة مريم العذراء فإن النصارى متفقون على شفاعتها لهم ، وتكفيرها للخطايا والذنوب عنهم ، وهم يرددون فى صلواتهم الدعاء لها وطلب شفاعتها ، ومن أدعيتهم فى الصلوات : « أيتها العذراء القديسة والدة الله أمى وشفيعتى ، إنى أضع ذاتى تحت ذيل حمايتك ، وأنطرح بكل اتكال فى حضن رحمتك ، فكونى ياأم الجود مَلْجَئى فى احتياجى ، وتعزيتى فى أتعابى ، وشفيعتى عند ابنك المجد اليوم ، وفى كل أيام حياتى ، ولا سيما عند ساعة موتى آمين » (٥) وهذا نص صريح عند النصارى فى أنهم يتشفعون بالعذراء مريم عند

---

(١) الكهنوت ص ١٢٠ / ١٢١ تأليف عوض سمعان ـــ الناشر دار الثقافة ـــ الطبعة الثانية .

(٢) رسالة بولس إلى العبرانيين ٧ / ٢٥ ، رؤيا يوحنا ٢ / ٢ .

(٣) المسيحية فى الإسلام ص ١٤٧ . (٤) نفسه .

(٥) علم اللاهوت النظامى ـــ ص ٧٩٧ نقلا عن كتاب صلوات ص ١٨ / ٢٤٦ طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت ١٨٨٢ ـــ نشر كنيسة مارجرجس بالإسكندرية .

ابنها الإله كما يزعمون ، وابنها يشفع للنصارى عند الله . وهذا يبين إلى أى حد يتناقض النصارى فى عقائدهم ، فهم يتشفعون بالمسيح عند من ؟ عند الله . ويتشفعون بأمه عند من ؟ عند ابنها الإله . ياله من تناقض مع بدهيات العقل حين يشفع إله عند إله . يقول القمص تادرس يعقوب بأننا نهتم بالعذراء ونطلب شفاعتها (١) .

والذى ذهب إليه النصارى من شفاعة العذراء مريم يؤكد ماذكره ابن القيم من أن النصارى يتشفعون بالعذراء ، ويسألونها الشفاعة إذ « يقولون فى دعائهم : ياوالدة الإله اشفعى لنا . وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ، ويسألونها مايسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة » (٢) .

ويعتقد النصارى أيضا فى شفاعة القديسين فى الدنيا لغفران الخطايا ونجدة المتعثرين منهم . يقول الأنبا يؤانس : « إن الاتصال بالسماء ومن فيها سهل وميسور ، وماعليك إلا أن تنادى القديس : ياست ياعذراء ، ياأم النور ، ياملاك ميخائيل ، يامارجرجس ، يا مارمينا (٣) وفى التو واللحظة يصل نداؤنا إلى أسماعهم ويهبون لنجدتنا »(٤) .

وفى الرسالة التى بعث بها أحد القساوسة إلى أبى عبيدة الخزرجى ، يذكر هذا القسيس سلطان المطارنة عند الله بقوله : « جعل الله فى أيدى المطارين مالم يجعله فى يد أحد وذلك أن كل مايفعلونه فى الأرض يفعله الله فى السماء ، فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات ويغفون عن السيئات ، وبأيديهم صلاح الأحياء والأموات » (٥) .

ولنا عدة ملاحظات على الشفاعة عند النصارى منها :

أولا : أنها فى الدنيا لا فى الآخرة . وهى تجعل للبشر سلطانا كبيرا مع الله ، إذ أن القديسين يكون لهم مالله من قضاء الحاجات ، وذلك واضح تماما من نص الأنبا يؤانس الذى يذكر أن القديسين هم الذين يفعلون كل شيء بدلا عن الله ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا . ونص الرسالة التى بعث بها أحد القساوسة لأبى عبيدة الخزرجى بَيَّنَ أن الله تابع للمطارنة والقساوسة فى أفعالهم ، فكل مايفعلونه فى الأرض يفعله الله فى السماء ،

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتى ص ١٤ .
(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٦٢ .
(٣) أسماء لبعض القديسين عند النصارى
(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ١٥ / ١٦ .
(٥) بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى ص ٧٧ تحقيق الدكتور عبد الغنى شامة ــ الناشر مكتبة وهبة ــ الطبعة الثانية .

وفضلا عن ذلك فإنهم يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات ، وبيدهم صلاح الأحياء والأموات . وهذه سلطة كاملة للقساوسة والقديسين ، وليست من الشفاعة في شيء ، إذ أن هؤلاء يتحولون من كونهم واسطة إلى كونهم مصدر الإجابة ، وقضاء الحاجات . يبدأ النصرانى بالسؤال وينتهى الأمر عند هذا الحد ، ليجيب القديس على مايطلبه النصرانى من غفران الخطايا والفوز بالجنة والنجاة من النار . فالقديس هنا ليس شفيعاً ولكنه واسطة حائلة بين العبد وربه .

أما فى الإسلام فإن الله عز وجل يأمر الجميع أن يتجهوا إليه ، ويبين الله عز وجل أن غفران الخطايا والعفو عن الذنوب بيده وحده ، ولا يملك أحد سواه هذا الأمر . يقول تعالى ﴿ **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون**﴾(١) فهذه الآية تبين أن الله وحده هو الذى يقبل التوبة عن عباده ، وأنه وحده الذى يعفو السيئات . ونبّه الله عباده أن من فعل منهم معصية فعليه أن يتوجه إليه بالتوبة ، والاستغفار وينفى عن أى كائن غفران الخطايا والذنوب . يقول الله تعالى ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون** ﴾(٢) هذه الآية صريحة فى عدم غفران الذنوب لأحد إلا الله سبحانه وتعالى .

ثانيا : وضح لنا من خلال عرضنا لنصوص علماء النصارى أنهم لا يعتقدون بالشفاعة فى الآخرة ، لأنهم لا يفرقون بين الذنوب كبيرها وصغيرها ، فعندهم أن « المؤمنين الخطاة الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم كافرون » (٣) .

وهؤلاء الخطاة يعتقد النصارى أنهم يدانون فيهلكون ، لأن الذى يدخل النار فى اعتقادهم لايخرج منها أبدا . ورد فى علم اللاهوت النظامى « أنه فى الدينونة يتعين نصيب الأبرار والأشرار تعينا لا يتغير ، ويحكم بمكانهم الأبدى ، وهذا واضح من كلمات مخلصنا الرهيبة فى قوله : « فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية » (٤) ، وورد فى « متى » أن أبدية العذاب وأبدية النعيم يتمسك به النصارى حرفيا، ولايفرقون بين الخطايا

---

(١) الشورى ٢٥ .   (٢) آل عمران ١٣٥ .

(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٤٩ / ١٥٠ بتصرف يسير .

(٤) علم اللاهوت النظامى ص ١٢١٢ ، متى ٢٥ / ٤٦ .

الكبيرة والذنوب الصغيرة لأن « خطيئة الخاطىء دائمة إلى الأبد ، لأنه يستحيل أن تمحى وتخرج متى ولج صاحبها جهنم وهو مثقل بها ، وحيث أن خطيئة الخاطىء تستمر معه إلى الأبد فالجودة الإلهية تقضى باستمرار عذابها إلى الأبد [1]. وهم يرون أن استمرار العذاب الأبدى للخاطىء ليس فيه منافاة للعدالة الإلهية ويقررون أنه ليس هناك « من ظلم أو جور بل هو عين العدل والإنصاف » [2] وإذا كان هذا هو العدل فإننا نقول : وأين الرحمة التى سبقت عدل الله ؟ إذ أن الرحمة التى خص الله بها نفسه فى الآخرة تقتضى أن يرحم الله العصاة الذين ارتكبوا بعض الذنوب فى الدنيا وعُذبوا بسببها ، بأن يخرجوا من النار ليدخلوا الجنة بالشفاعة لهم ، ولكن النصارى يصرون على أن من مات بخطيئة فهو فى النار خالدا فيها ، ولذلك لا قيمة للشفاعة يوم القيامة عندهم ، وكل مايفعله المسيح « أن يبكى على آخرة الأشرار غير التائبين ، ومع ذلك يتركهم لنصيبهم العادل »[3] .

أما عن كيفية غفران الخطيئة لمن أخطأ من النصارى فتكون فى الدنيا بالتوبة وتقديم الدعوات والصلوات والصدقات ، وتكون بالاعتراف أمام الكاهن ، والاعتراف كما عرفه علماء الكنيسة هو « الإقرار بما قاله الإنسان وفعله فيما مضى والآن ، وبحسب الوضع الشرعى هو اعتراف الإنسان للكاهن المسلم له الاعتراف بخطاياه وذنوبه وجرائره وكبائره ومعاصيه وقبح شهواته وسهواته وغفلاته ، وماعتمده من ذلك جميعه بأفكاره الردية وأمانيه الكاذبة وأقواله المباينة للبيعة والمعاندة للشريعة » [4] وفائدة هذه الاعترافات هى « الحصول على غفران الخطايا والسلام الداخلى ، لأنه كم يوجد قبل الاعتراف فى نفس الخاطىء من الضيقة وانحصار القلب والغم الشديد ، وتشويش الضمير والنقل غير المحتمل ، وأما بعد الاعتراف فكم يوجد فى نفسه من السكون والراحة والسلامة والتعزية العظيمة والسرور الباطن » [5] ونلاحظ أن الاعتراف يتجاوز الظاهر إلى الباطن ، حتى السهو ، حتى الغفلة ، حتى الأمانى الكاذبة ، وبعد الاعتراف نلاحظ أن للكاهن سلطة كاملة إذ بيد هذا الكاهن قبول التوبات وصلاح الأحياء والأموات . وهذه السلطة فيما أعتقد هى التى دفعت النصارى إلى الاكتفاء باللجوء إلى الكهنة والأحبار والرهبان . وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم**

---

(١) علم اللاهوت ميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٥٤ / ١٥٥ .

(٢) نفسه . (٣) علم اللاهوت النظامى ص ١٢١٢ .

(٤) علم اللاهوت . ميخائيل مينا جـ ٢ ص ٢٨٧ / ٢٨٨ .

(٥) علم اللاهوت . ميخائيل مينا جـ ٢ ص ٢٨٩ .

أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلٰها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾(١) .

ولقد روى الإمام أحمد والترمذى ، أن عدىَّ بن حاتم الطائى دخل على رسول الله ﷺ — وفى عنق عدى صليب من فضة — وهو يقرأ هذه الآية ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** ﴾ قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال : « بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » (٢) .

وهنا نرى إلى أى حد تغفر الخطايا والذنوب للعصاة من النصارى فى الدنيا ، وأن ماعند النصارى ليس من الشفاعة فى شىء ، لأن المشفوع له والشفيع إنما يتجه إلى الله فى جميع الحالات ، وهذا هو المقرر فى الإسلام ، أما عند النصارى فإن المشفوع له يتجه إلى الكاهن بالاعتراف وطلب المغفرة . ويزعم النصارى أن الكاهن يجيبه ويكفر عنه خطاياه ، وليس فى الإسلام شىء من هذا القبيل .

ثالثا : الشفاعة فى التصور اليهودى

فى المصادر اليهودية التى أتيح لنا الرجوع إليها لم نعثر على التصور اليهودى للشفاعة يوم القيامة .. وكنا نأمل أن نصور الشفاعة من واقع ماكتبوه ، أو ماهو مسطور فى العهد القديم ، ولكن لم نجد شيئا فى المصادر التى رجعنا إليها . وإن كنا نجد إشارات فى القرآن الكريم تبين أن اليهود يعتقدون — وهم فى الدنيا — أنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودات . ويعتقدون أيضا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فهم ليسوا كبقية الناس يوم القيامة . ومن خلال الآيات القرآنية يمكن أن نعطى تصورا ما عن ادعائهم عدم المكث فى النار إلا فترة قليلة ، وتكذيب الله لهم فى ذلك . يقول الله تعالى ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهده فلن يخلف الله وعده أم تقولون على الله مالا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾(٣) ويقول تعالى ﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك**

(١) التوبة ٣١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى ص ١٣٧ جـ ٢ .

(٣) البقرة ٨٠ ، ٨١ .

السموٰات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ (١) وهذا الزعم من قبيح أقوالهم وأفعالهم ، وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أياما قليلة ، وهذا الجزم لا سبيل إليه بالعقل البتة ، لأن الله يفعل مايريد ، ولا طريق إليه من جهة النص ، لأن الله لا يحابى قوما لجنسهم ولا لنسبهم ، ولذلك كذبهم الله بقوله ﴿ **قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالاتعلمون** ﴾ ويروى عنهم أنهم يعذبون أربعين يوماً ، عدد عبادتهم العجل ، ثم ينادى : أخرجوا كل مختون من بنى إسرائيل .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أنهم زعموا أنهم وجدوا مكتوبا فى التوراة أن مابين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، وأنهم يقطعون فى كل يوم مسيرة سنة فيكملونها ، ولقد كذبهم الله بقوله ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ (٢) .

فأبطل الله حجتهم على وجه أعم شامل لهم ولسائر الكفار ، كأنه قال بل تمسكم وغيركم دهراً طويلا ، وزمانا مديدا لا كما تزعمون » (٣) .

وأما أقوالهم نحن أبناء الله وأحباؤه فهذا محض افتراء منهم ، لأنه إن صح ما زعموا فلأى شىء يعذبهم الله يوم القيامة بالنار أياماً معدودات ، كما كذبوا وقالوا ذلك ، وهذا ينافى دعوى القرب التى يدعيها اليهود والنصارى .

وعن ابن عباس : أتى رسول الله ﷺ نعما بن آصى وبحرى بن عمرو وشاش بن عدى — وهم من اليهود — فخوفهم رسول الله من الله ، وحذرهم من نقمته ،فقالوا : ماتخوفنا يامحمد ؟ والله نحن أبناءالله وأحباؤه . وقالت النصارى ذلك قبلهم ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية (٤).

* * *

(١) المائدة ١٨ .

(٢) البقرة ٨١ .

(٣) انظر الفخر الرازى جـ ٣ ص ١٥٨ / ١٦٠ وروح المعانى جـ ٢ ص ٣٠٤ / ٣٠٥ والكشاف جـ ١ ص ٢٩٢ / ٢٩٣ والمنار جـ ٣ ص ٢١٩ / ٢٢٠ .

(٤) روح المعانى للألوسى جـ ٦ ص ١٠٠ / ١٠١ .

المبحث الثانى عشر

الجنة والنار بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : فى التصور الإسلامى

أ ـــ الجنة :

نتحدث عن الجنة كواقعة من واقعات يوم القيامة ، والنعيم الذى يلاقيه المؤمنون فيها . والحديث عن الجنة يشمل عدة حقائق عن الجنة منها :

أنها مخلوقة الآن ومعدة للمؤمنين :

يقول الله تعالى ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين** ﴾(١) ويقول عز وجل ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾(٢) وهاتان الآيتان ـــ وغيرهما فى القرآن كثير ـــ يدلان على أن الجنة مخلوقة الآن ، وأنها معدة للمتقين ، وأيضا على سعة الجنة . والمراد من أن عرضها كعرض السماء والأرض أنها كناية عن السعة ، إذ لو جعلت السمٰوات والأرضون طبقا طبقا ، بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من أجزاء ، ثم وُصِلَ بعضُها ببعضٍ طبقاً واحداً لكان ذلك مثل عرض الجنة ، وهذا غاية فى السعة . وخص العرض بالذكر دون الطول لأنه إذا كان العرض على تلك السعة ؛ فالظاهر أن الطول يكون أعظم . ونظير هذا قوله تعالى ﴿ **بطائنها من إستبرق** ﴾ فإذا كانت البطائن من إستبرق ـــ وهى عادة أقل من الظهارة ـــ فكيف تكون الظهارة ! قال القفال : ليس المراد بالعرض ههنا ماهو خلاف الطول ، ولكن هو عبارة عن السعة ، كما تقول العرب بلاد عريضة أى واسعة عظيمة ، والأصل فيها أن مااتسع عرضه لم يضق وماضاق عرضه دق ، فجعل العرض كناية عن السعة على حد قول العرب : أعرض فى المكارم إذا توسع فيها . والمراد من السمٰوات ، السموات السبع والأرضون السبع . فعن ابن عباس من طريق السدى أنه

---

(١) آل عمران ١٣٣ .

(٢) الحديد ٢١

قال : تقرن السموات السبع والأرضون السبع ، كما تقرن الثياب بعضُها ببعض ، فذاك عرض الجنة ، ولا يقال أين هى ، مادام عرضُها السمواتُ والأرضُ ؟ لأنه قد ورد فى الخبر أنها فوق السموات وتحت العرش . حين سئل أنس بن مالك عن مكانها(١) .

وهذه الآية كانت مثارا للتساؤل عند بعض أهل الكتاب . يقول ابن كثير : « وقد روينا فى مسند الإمام أحمد بن حنبل أن هرقل كتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض . فأين النار ؟ فقال النبى ﷺ : « سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار »(٢) .

ويعلق الرازى على هذا بقوله : « والمعنى والله أعلم أنه إذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب ، فكذا الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل »(٣) . وكلام الرازى على سبيل الاستئناس ، والأولى من ذلك أن نفوض العلم لله لأنها من الغيبيات التى يجب أن نؤمن بها على ماورد فى السمع .

وأما دلالة الآيتين على خلق الجنة . فقد ذهب أهل السنة إلى أن الجنة مخلوقة لأن قوله : ﴿ **أعدت** ﴾ . إخبار عن الماضى ، فلابد أن يكون ذلك قد دخل فى الشىء الموجود(٤) . يقول شارح المواقف مستدلا على خلق الجنة : لنا وجهان :

الأول : قصة آدم وحواء وإسكانهما فى الجنة ، وإخراجهما عنها بالزلة على ما نطق به الكتاب .

الثانى : قوله تعالى فى صفتها ــ أى الجنة ــ ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾. ويستدل بالسنة على خلقهما الآن فيقول : ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها شيئا كثيراً مما يدل على وجودها دلالة ظاهرة(٥) .

ومن الأحاديث التى أشار إليها شارح المواقف مارواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا إذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ذخرا بله ما أطلعكم الله عليه » ثم

---

(١) انظر الفخر الرازى جـ ٩ ص ٥ ــ ٧ وروح المعانى للألوسى جـ ٤ ص ٥٦ / ٥٧ .

(٢) ابن كثير جـ ١ ص ٤٠٤ .

(٣) الفخر الرازى جـ ٩ ص ٦ .

(٤) الرازى جـ ٩ ص ٤ .

(٥) شرح المواقف بتصرف جـ ٢ ص ٤٤٥ .

قرأ : ﴿ **فلا تعلم نفسٌ ماأخفى لهم من قرة أعين** ﴾ »[1] . ومعنى بله ماأطلعكم الله عليه أى دع عنك ماأطلعكم الله عليه ، فالذى لم يطلعكم عليه أعظم ، وكأنه أضرب عنه استقلالا فى جنب مالم يطلع عليه »[2] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ، قال الله للجنة : إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى »[3] وبهذا الحديث وغيره استدل ابن كثير على أن الجنة والنار مخلوقتان معدتان لأصحابهما . كما نطق بذلك القرآن : وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ ... ويُرجِع ابن كثير السبب فى زعم بعض العلماء أن الجنة والنار لم تخلق بعد إلى أنهم لم يطلعوا على الأحاديث المتفق على صحتها فى الصحيحين ، وذكر منها الحديث السابق ، والأحاديث الدالة على رؤية الرسول ﷺ للجنة ليلة الإسراء والمعراج[4] .

ويذكر صاحب المقاصد إجماع المسلمين على خلق الجنة قبل ظهور المخالفين ، وذلك للآيات الصريحة التى وردت فى ذلك . مثل قوله تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى** ﴾[5] وكقوله فى الجنة ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾ ﴿ **أعدت للذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين** ﴾[6]وهذه دلائل ثابتة من الكتاب والسنة ، دلائلها واضحة على أن الجنة مخلوقة الآن ومعدة للمتقين[7] . وماعرضناه هو مذهب أهل السنة الذين أجمعوا على أن الجنة مخلوقة الآن .

رأى المعتزلة فى خلق الجنة :

يذهب علماء المعتزلة إلى أن الجنة لم تخلق بعد ، إذ لو كانت مخلوقة لفنيت ؛ لقول الله تعالى ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾[8] يقول القاضى عبدالجبار : « ربما قيل فى قوله تعالى ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار** ﴾[9] : أليس فيه الدلالة على

---

(١) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٠ .

(٢) انظر مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ١٦٦ .

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٨٦ — ٢١٨٧ .

(٤) النهاية فى الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٣٩٢ / ٣٩٣ .

(٥) النجم ١٣ / ١٥ .

(٦) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦١ وانظر الإرشاد للجوينى ص ٣٧٨ .

(٧) شرح الطحاوية ص ٣٧١ .

(٨) القصص ٨٨ .

(٩) الرعد ٣٥ .

أن الجنة مخلوقة الآن ، وذلك بخلاف ماتقولون ؟ وجوابنا أن جنة الخلد والثواب ليست بمخلوقة الآن ، لفنيت[1] إذا أفنى الله تعالى العالم ، فكان لا يكون أكلها دائما . فدل ذلك على أنه تعالى يخلقها فى الآخرة فيدوم أكلها »[2] .

والذى ذهب إليه القاضى عبد الجبار يفنده صاحب المواقف بقوله : « إن المراد بالآية أكلها دائم ، أى بدلًا ، أى كلما فنى منه شىء جىء ببدله فإن دوام أكلٍ بعينه غير متصور ، لأن الإنسان إذا أكل شيئاً من الجنة فقد فنى ذلك الشىء ، ودوام أكله على سبيل البدل لا ينافى هلاكه »[3] . ويمكن أيضا تخصيص الجنة من الفناء والهلاك ، والمراد من قول الله : ﴿ **كل شىء هالك إلا وجـــه** ﴾ ، ﴿ **كـل من عليها فان** ﴾ أن المراد كل شىء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك ، والجنة خلقت للبقاء لا للفناء[4] وذلك جمعا بين الأدلة أى التى تثبت الفناء والتى تثبت خلق الجنة[5] ووجودها الآن ؛ ويرد صاحب مطالع الأنظار على القاضى عبد الجبار ومن ذهب مذهبه من المعتزلة القائلين بعدم خلق الجنة الآن ؛ بأنه لا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن عدم دوامها ، لقوله تعالى ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ ؛ لأن معنى الآية أن ماسوى الله معدوم فى حد ذاته ، وبالنظر إلى ذاته من حيث هو مع قطع النظر عن موجده ، لأن كل ماسواه ممكن ، والممكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود ، فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجودا ، وليس معنى الآية أن ماسوى الله تعالى يطرأ عليه العدم ، ولذلك فلا يلزم من كون الجنة مخلوقة الآن طريان العدم عليها[6] .

ومما يستدل به القاضى عبد الجبار أيضا على عدم خلق الجنة قوله تعالى ﴿ **ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار** ﴾[7] يقول : « كيف يصح ذلك ، والجنة ماخلقت بعد ولا دخلوها » . ويجيب بقوله : « جوابنا أن التقرير فى ذلك ، أنه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ أنى سأُكلف الناس ، فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، فعند ذلك ينادى أهلُ الجنة أهلَ النارِ ، وليس كلُ ما كُتِبَ فى اللوح المحفوظ ينزله الله تعالى إلى

---

(١) لعلها لو كانت مخلوقة لفنيت حتى تستقيم العبارة .

(٢) تنزيه القرآن عن الطاعن للقاضى عبد الجبار ص ٢٠٤

(٣) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٣٧٣

(٥) مقالات الإسلاميين للأشعرى جـ ٢ ص ١٦٧ / ١٦٨ والمسايرة فى علم الكلام ص ١٥٣ .

(٦) انظر مطالع الأنظار لأبى الثناء شمس الدين الأصفهانى مع متنه طوالع الأنوار للقاضى البيضاوى ص ٤٤٩ / ٤٥٠ بدون تاريخ ولا ناشر .

(٧) الأعراف ٤٤ .

الرسول ﷺ (١)

ونلاحظ أن القاضى عبد الجبار يؤول النصوص الواردة فى خلق الجنة والنار مخالفا بذلك الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على خلق الجنة ونعيمها الآن وإعدادها للمتقين من عباده عز وجل .

وتبقى هنا جزئية أخرى وهى : هل الجنة التى أعدها الله للمتقين هى الجنة التى أسكن الله آدم فيها ، أو هى جنة فى الأرض كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء ؟ يقول الله عز وجل ﴿ **وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾(٢) والذين يذهبون إلى أنها الجنة التى أعدها الله للمتقين فى الآخرة يستدلون بما رواه الإمام مسلم بسنده عن طاوس قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى : ياآدم أنت أبونا خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومنى على أمر قدره الله علىَّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟ فقال النبى ﷺ : فحج آدم موسى فحج آدم موسى » (٣) .

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تحاج آدم وموسى ، فحج آدمُ موسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة . فقال آدم : أنت الذى أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته ؟ قال : نعم . قال : فتلومنى على أمر قدر علىَّ قبل أن أخلق ؟ » (٤) . ووجه الاستدلال أن الجنة التى أسكن الله فيها آدم لو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من البساتين ، فلم يخرجوا من الجنة (٥) . ولو كانت جنة آدم بستانا فى الأرض لكان غيره من بساتين الأرض يعوض عنه (٦) . واستدلوا أيضا بقول الله تعالى ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾(٧) . ووجه الاستدلال بالآية من وجهين :

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن بتصرف ص ١٤٧ . (٢) البقرة ٣٥ .

(٣) رواه الإمام مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٢ ـــ ٢٠٤٣ طبعة الحلبى .

(٤) رواه الإمام مسلم جـ٤ ص ٢٠٤٣ طبعة الحلبى .

(٥) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢١ الناشر مكتبة المتنبى القاهرة .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٣٤٩ الناشر مكتبة ابن تيمية ـــ الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ .

(٧) الأعراف ٢٤ .

الوجه الأول : من لفظة ﴿ **اهبطوا** ﴾ فإنه نزول من علو إلى سفل .

الوجه الثانى : قوله ﴿ **ولكم فى الأرض مستقر** ﴾ عقب قوله ﴿ **اهبطوا** ﴾ فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض . ثم أكد بعد ذلك هذا بقوله فى سورة الأعراف بقوله تعالى ﴿ **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾[1] .

ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج[2] . وذلك يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون ، وانما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة[3] ويستدلون أيضا على أن فيها الخلد من قول الله تعالى ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾[4] وهذا لا يكون فى الدنيا أصلا . يقول ابن قيم الجوزية : « إن الرجل لو كان فى أطيب منازل الدنيا لا بد وأن يعرض له شيء من ذلك . وقابل الله بين الجوع والظمأ والعرى والضحى ، فإن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر . والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر . فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الباطن والظاهر ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى ، وهذا شأن ساكن جنة الخلد »[5] .

ومن أدلتهم على أن جنة آدم هى جنة الخلد : أنها تأتى فى القرآن الكريم على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبى والرسول والكتاب ، والبيت ونحوها ، ولا يطلق ذلك إلا على معهود ، ولا تطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد[6] . والجنة جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع كقوله ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ وغير ذلك فى القرآن كثير . ولا جنة يعهدها المخاطبون يعرفونها إلا جنة الخلد ، التى وعد الرحمن عباده بالغيب . وإذا أريد التعبير عن جنة غير جنة الخلد ، فإنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض . كقوله تعالى ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب** ﴾[7] فإنها هنا نكرة ؛ وكقوله تعالى ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك** ﴾[8] فإنها هنا مقيدة بالإضافة . وكقوله تعالى ﴿ **إنا بلوناهم كما بلونا**

(١) الأعراف ٢٥ .
(٢) حادى الأرواح ص ٢٢
(٣) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٣٤٨.
(٤) طه ١١٤ ، ١١٥ .
(٥) حادى الأرواح ص ٢٢ .
(٦) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩ والكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٢٥٦ / ٢٥٧ والفخر الرازى جـ ٣ ص ٤ .
(٧) الكهف ٣٢ .
(٨) الكهف ٣٩ .

أصحاب الجنة ﴾[1] فإنها هنا مقيدة بأنها جنة فى الأرض ، ويفهم هذا من السياق[2]. كانت هذه أدلة الذين ذهبوا إلى أن الجنة التى أسكنها الله لآدم هى جنة الخلد .

وهناك فريقٌ آخر من العلماء يذهب إلى أن الجنة التى أسكن الله فيها آدم وزوجه ليست جنة الخلد . وأدلتهم باختصار تتلخص فى :

أن الله عز وجل قد أخبر على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله عز وجل بصفات عديدة ، ومحال أن يصف الله شيئاً بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة ، مثل وصف الجنة بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها وخلد فيها ، وآدم لم يقم بها ولا خلد فيها ، وجنة الخلد لا تكليف فيها ولا أمر ولا نهى فيها ، وهى دار سلامة لا محل ابتلاء ، والله عز وجل أخبر عن جنة الخلد بأنها لا لغوٌ فيها ولا تأثيم ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغواً ولا كذاباً ، وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس ، وسماها الله تعالى مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه . قال تعالى ﴿ **وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين** ﴾[3] .

ويفند أهل السنة حجج من ذهبوا إلى أنها ليست جنة الخلد ، بالرد على كل حجة أثاروها :

فبالنسبة للذين يزعمون أن جنة آدم ليست جنة الخلد لأنها لو كانت لما جاز دخولها قبل يوم القيامة . فيجاب بأن المراد بدخولها يوم القيامة الدخول المطلق والاستقرار الدائم فيها ، أما الدخول العارض فيمكن أن يقع قبل يوم القيامة . والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ دخل الجنة ليلة الإسراء والمعراج ، وأن أرواح المؤمنين الشهداء فى البرزخ فى الجنة .

وأما الاحتجاج بسائر الوجوه من النصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا حق لا شك فيه . ولكن هذا يكون إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة . كما يدل عليه سياق الآيات ، وهذا لاينفى أن تلك الأمور حدثت لآدم ، ولكنها تصير إلى ما أخبر الله عنها من علم وجود

(١) القلم ١٣ .

(٢) الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٦٩ وحادى الأرواح ص ٢٤ .

(٣) لأعراف آية ٢١ وانظر الفخر الرازى جـ ٣ ص ٤ وحادى الأرواح ص ٢٥ / ٢٩ وفى الأخير عرض كامل للأدلة كلها .

النصَبِ واللغو وغير ذلك . فلا تنافى بين الأمرين .

وأما ما ذهبتم إليه من أن جنة الخلد لا تكليف فيها ولا ابتلاء . وجنة آدم أمره الله فيها ونهاه وابتلاه فجوابه من وجهين :

الأول : أنها لن تكون دار تكليف حين يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

الثانى : أن التكليف فيها ليس بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من صلاة وصيام وجهاد ، وإنما كان نهياً عن شجرة إما بنوعها ، وإما بعينها وهذا لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد . كما أن كل واحد محجورٌ عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار التكليف بامتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات ، فلا دليل عليه ، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم(1) .

والحق ما ذهب إليه أهل السنة فى أن جنة الخلد هى الجنة التى أسكن الله فيها آدم لذكرها فى القرآن الكريم معرفة ، ولدلالة الأحاديث على ذلك ، مثل حديث احتجاج موسى على آدم عليه السلام . وإلى هذا ذهب جمع من العلماء(2) وهذا هو الذى فطرَ اللهُ عليه الناس ، صغيرهم وكبيرهم ، ولم يخطرْ بقلوبهم سواه ، وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعا(3) .

عدد الجنة ودرجاتها :

الجنة : البستان ومنه الجنات . والجنة : إسم لدار الخلد ،وهى مشتملة على جنان كثيرة ، مرتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان(4) . وعدد الجنات التى يتمتع فيها المؤمنون يوم القيامة أربع ، وهذا العدد هو الذى ورد فى القرآن الكريم ونطقت به السنة . يقول الله عز وجل فى سورة الرحمن (5) ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ وعدَّدَ الله صفات هاتين الجنتين فذكر أنهما ﴿ **ذواتا أفنان . فيهما عينان تجريان . فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾ وذكر أن المؤمنين فيها ﴿ **متكئين على فرشٍ بطائنُها من إستبرق وجنى الجنتين دان** ﴾ وذكر الله عز وجل أن ﴿ **فيهن قاصرات**

---

(1) انظر بالتفصيل حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٣٢ / ٣٣ / ٣٤ .

(2) انظر شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥ والفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩ وحادى الأرواح ص ٢٥ ومجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٣٧٤ .

(3) مختار الصحاح ص ١١٤ .

(4) الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٢٥٧ .

(5) الرحمن ٤٦ ـــ ٧٦ .

الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ وبعد أن ذكر الله هاتين الجنتين وعدد صفاتهما قال تعالى ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ وعدد أوصافهما بقوله تعالى ﴿ **مدهامتان** ﴾ وقال ﴿ **فيهما عينان نضاختان** ﴾ وقال ﴿ **فيهما فاكهة ونخل ورمان** ﴾ وقال ﴿ **فيهن خيْرات حسان** ﴾ وقال ﴿ **حورٌ مقصورات فى الخيام** ﴾ وقال ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ وقال ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان** ﴾ والجنتان الأوليان تختلفان عن الاخريين ، إذ أن الله عز وجل قال عن الأوليين ﴿ **ومن دونهما** ﴾ ودون تستخدم فى اللغة نقيض فوق وهو تقصيرٌ عن الغاية(١) . وهى إما أن تكون دوناً فى الشرف والمنزلة ، وإما أن تكون دوناً فى المكان . وذهب الزمخشرى إلى أن الأخريين دون الأوليين فى الشرف والمنزلة : يقول عن الجنتين الأخريين : فإن قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما ؟ قلت : مدهامتان دون ذواتا أفنان ، ونضاختان دون تجريان ، وفاكهة دون من كل فاكهة ، وكذلك صفة الحور المتكأ(٢) . والرازى يذهب إلى أن الجنتين الأخريين دون الأوليين فى المكان ، كأنهم فى جنتين ويطلعون من فوق على جنتين أخريين دونهما ، واستدل بقوله تعالى . ﴿ **لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيةٌ تجرى من تحتها الأنهار** ﴾(٣) ونرجح أن الجنتين الأخريين دون الأوليين فى المنزلة والشرف وذلك لأمرين :

الأمر الأول : لأن أوصاف الجنتين الأخريين تختلف عن صفات الأوليين ، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وفهم الزمخشرى ذلك .

الأمر الثانى : ما ورد فى الصحيح أن فى الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، وسيأتى الحديث عن ذلك .

وقد رجح ابن قيم الجوزية أن الجنتين الأوليين يمتازان عن الأخريين بعشر صفات :

الأولى : أنه ذكر فى الأوليين بأنهما ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما .

الثانية : أنه فى الأوليين قال ﴿ **فيهما عينان تجريان** ﴾ ، وفى الأخريين قال : ﴿ **فيهما عينان نضاختان** ﴾ والنضاخة هى الفوّارة . والجارية أفضل من النضاخة ؛لأنها تتضمن الفوران والجريان .

---

(١) مختار الصحاح ٢١٦ .

(٢) الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٥٠ .

(٣) الزمر ٢٠ — تفسير الرازى جـ ٢٩

الثالثة : أنه وصف الأوليين بأن فيهما ﴿ **من كل فاكهة زوجان** ﴾ وقال فى الأخريين ﴿ **فيهما فاكهة ونخلٌ ورمان** ﴾ ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل وأفضل .

الرابعة : أنه قال فى الأوليين ﴿ **متكئين على فرشٍ بطائِنها من استبرق** ﴾ وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها . وقال فى الأخريين ﴿ **متكئين على رفرف خضرٍ وعبقرى حسان** ﴾ وفسر الرفرف بالمحابس والبسط . وعلى كل قول لم يصف الأخريين بما وصف فُرش الأوليين .

الخامسة : أنه قال فى الأوليين ﴿ **وجنى الجنتين دان** ﴾ أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك فى الأخريين .

السادسة : أنه قال فى صفة نساء الأوليين ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، وذلك يتضمن أيضاً قصر نظر أزواجهم عليهن ، وقال فى الأخريين ﴿ **حورٌ مقصوراتٌ فى الخيام** ﴾ ومن قصرت طرفَها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرتْ بغيرها .

السابعة : أنه فى الأوليين وصف نساءَهن بالياقوتِ والمرجان فى صفاءِ اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها .

الثامنة : أنه قال سبحانه فى الجنتين الأوليين ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ وهذا يقتضى أن أصحابَهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسعة : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءا لمن خاف مقام ربه وهذ يدل على أنهما أعلى ، فرتب الجزاءَ المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم بعد ذلك جنتى أصحاب اليمين .

العاشرة : أنه قال عن الأوليين : ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ والسياق يدل على أنه نقيض فوق . فإن قيل كيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين ــ كما ذكرنا ــ كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ، ولأصحاب

اليمين الجنتان اللتان دونهما»(1).

ودلت السنةُ أيضاً على أن عدد الجنات أربع ، لا أكثر من ذلك ؛ لما رواه الشيخان والترمذى واللفظ لمسلم عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن »(2)وهذا يدل دلالة واضحة على أنهم أربع ، أما ما جاء عن أسماء الجنات فى القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : جنات المأوى نزلا ــ جنات الفردوس ــ وجنات عدن ــ ودار السلام ــ ودار المقامة ــ ودار الخلد ــ وجنات النعيم ــ المقام الأمين ــ مقعد صدق . فتلك كلها أسماء لها باعتبار صفاتها . ومسماها واحد(3) . يقول الحليمى فى منهاج الدين : « إنما منعنا أن نجعل كل واحدة من العَدْنِ ، والمأوى ، والنعيم جنة سوى الأخرى ؛ لأن الله تعالى إن كان سمى شيئاً من هذه الأسماء جنة فى موضع ، فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم فى موضع آخر . فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة عن جنة ، ولكنها للجنان أجمع ، وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعا »(4) . وقد اتضح لنا من الكتاب والسنة أن عدد الجنات أربع ؛ لما ذكره الله عز وجل فى سورة الرحمن ؛ ولما ورد عن رسول الله ﷺ من أنهما أربع : جنتان من فضة وجنتان من ذهب .

درجات الجنة :

ونعنى بالدرجات هنا المنازل التى ينزلها الله لعباده المتقين فى الجنة ، فكما أن الناس يتفاوتون فى الإيمان والعمل الصالح فهم يتفاوتون أيضاً فى منازلهم عند الله عز وجل . ولقد تحدث القرآن الكريم عن درجات الناس ومنازلهم فى الآخرة . يقول الله عز وجل ﴿ **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمةً وكان الله غفوراً رحيما** ﴾(5) ويقول تعالى ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكَر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت**

(1) انظر حادى الأرواح لابن قيم الجوزية ص 71 / 72 والفخر الرازى جـ 29 ص 130 .
(2) صحيح مسلم جـ 1 ص 191 طبعة الحلبى ــ وتحفة الأحوذى جـ 7 ص 232 .
(3) حادى الأرواح ص 65 . (4) التذكرة للقرطبى جـ 2 ص 597 . (5) النساء 95 ، 96 .

عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقًا لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾[1] .

ويقول تعالى ﴿ انظر كيف فضلنا بعضَهم على بعضٍ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾[2] وأغلب المفسرين على أن تلك الدرجات مقصودٌ بها منازل الآخرة ، ودرجات الجنة[3] . ومما يدل على أن الجنة درجات والمؤمنون يتفاضلون فيها حسب إيمانهم وأعمالهم ، ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُرىَّ الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » . قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : « بلى : والذى نفسى بيده . رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »[4] .

ويستدل ابن حجر بهذا الحديث على أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم فى الفضل ، إلى حد أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم ، ومعنى ذلك أنهم فى العلو كدرجة النجم فى السماء حين يراه الناس على الأرض .

ويدل أيضاً على درجات الجنة ما رواه الترمذى بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، وفيها تفجر أنهارُ الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون عرشُ الرحمنْ . فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس »[5] .

والحديث صريح فى أن الجنة درجات وأن فى الجنة مائة درجة ، وهذه الدرجات متباعدة جداً لدرجة أن ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، وأن الفردوس أعلى تلك الدرجات لأنها تحت عرش الرحمنْ ، ومنها تتفجر أنهار الجنة . وهذا الحديث الذى بيَّن درجات الجنة موافق تماماً لقوله تعالى ﴿ وللآخرة أكبرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضيلا ﴾[6] .

---

(١) الأنفال ٢ ــ ٤ . (٢) الإسراء ٢١ .

(٣) انظر الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٤٧٦ والفخر الرازى جـ ١٥ ص ١٢٤ والألوسى جـ ٩ ص ١٦٨ .

(٤) البخارى ومسلم جـ ٢ ص ٥٣١ .

(٥) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٣٧ . (٦) الإسراء ٢١ .

وقوله ﷺ « ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » موافق للحديث السابق والذى فيه أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق .

أبواب الجنة وخزنتها :

يقول الله تعالى ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[1] .

ويقول تعالى ﴿ **هذا ذكرٌ وإن للمتقين لحسنَ مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب** ﴾ [2] والأبواب المفتحة فى الجنة تدل على التكريم والحفاوة من خزنة الجنة . وفى الآية الأخيرة وجوه تدل على التكريم كما يقول الرازى :

الأول : أن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام ، فيدخل محفوفاً بالملائكة على أعز حالٍ وأجملِ هيئة

الثانى : أن هذه الأبواب كلما أرادوا فتحها فتحتْ لهم ،وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم .

الثالث : أن المراد من فتح الابواب وصف تلك المساكن بالسعة ومسافرة العيون فيها ومشاهدة الأحوال الطيبة[3] ، وفيه أن أهل الجنة إذا دخلوا ظلت أبواب الجنة مفتحةً عليهم ، وأما النار فإن أهلها إذا دخلوها أغلقت عليهم لقوله تعالى ﴿ **إنها عليهم مؤصدة . فى عمد ممددة** ﴾ [4] وقوله تعالى ﴿ **حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها** ﴾ يقول القرطبى : قال جماعة من أهل العلم هذه واو الثمانية ، فللجنة ثمانية أبواب[5] . ويدل على أن أبواب الجنة ثمانية ، ما رواه الإمام البخارى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » . وقال النبى ﷺ : « من أنفق زوجين دُعِى من باب الجنة »[6] .

---

(١) الزمر ٧٣ . (٢) ص ٤٩ ، ٥٠ . (٣) الفخر الرازى جـ ٢٦ ص ٢١٨ / ٢١٩ .
(٤) الهمزة آية ٨ ، ٩ وانظر حادى الأرواح ص ٣٩ .
(٥) نفسه ص ٣٨ وانظر التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٥٤٨ .
(٦) فتح البارى جـ ٦ ص ٢٥٣ .

وروى الإمام مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال : أدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ فيُحسِنُ وضوءه إلا وجبت له الجنة » . قال : فقلت : ما أجودَ هذه . فإذا قائل بين يدى يقول : التى قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال : إنى قد رأيتك جئتَ آنفاً قال : « ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء »[1] فهذه الأحاديث تدل على أن للجنة أبواباً ، وأن بعض الأعمال تسوغ الدخولَ من بابٍ بعينه كالريان ، وبعض الأعمال تسوغ للمؤمن أن يدخلَ من أى الأبواب أراد . وعن اتساع أبواب الجنة روى الترمذى بسنده عن سالم بن عبد الله أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثاً . ثم إنهم يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول »[2] .

ووجه الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث الأخرى التى تثبت أن للجنة ثمانية أبواب أن سائر الأمة سوف تدخلُ من هذا الباب ، وأن بقية الأبواب هى للممتازين بالأعمال الصالحة كالصدقة والجهاد ، والصوم ، والحج ، وغير ذلك من الأعمال .

ومما يدل على سعة أبواب الجنة ما رواه مسلم فى حديث الشفاعة الطويل وفيه « فيقال : يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . والذى نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى »[3] ودلالة الحديث على أن أبواب الجنة فى منتهى الاتساع ، فإن الراكبَ المُجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً يقطع هذه المسافة فى زمن ليس باليسير [4] .

خزنة الجنة :

إن للجنة خزنة أى مؤتمنين على الجنة ، لا يدخلها أحدٌ ، إلا بعد أن يفتح خزنتها أبوابَها . والخزنة جَمْعُ خازن كحافِظ وحَفَظَة . والخازن هو المؤتمن على الشىء [5] .

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١١٨ . (٢) تحفة الأحوذى جـ ١ ص ٢٥٨ .
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٣ / ١٠٤ طبعة الحلبى .
(٤) حادى الأرواح ص ٤٣ . (٥) نفسه ص ٧٥ .

وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر الخزنة فى قوله تعالى ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ (١) وورد ذكر الخازن فيما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرتُ ، لا أفتح لأحدٍ قبلك » (٢) .

الجنة جزاء للمؤمنين :

تكثر الإشارة فى القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل أعد الجنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وأشار رسول الله ﷺ إلى ذلك فى أحاديث كثيرة . يقول الله عز وجل ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون** ﴾(٣) ويقول تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾(٤) ومعظم آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة . ووردت الأحاديث التى تفيد ذلك .

فقد روى الإمام مسلمٌ بسنده عن موسى بن طلحة عن أبى أيوب قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار . قال : « تعبدُ الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل ذا رحمك » . فلما أدبر قال رسول الله ﷺ : « إن تَمَسَّكَ به دخل الجنة » (٥) .

وروى مسلم بسنده أيضاً عن أبى هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلنى على عمل إذا عملته دخلتُ الجنة . قال : « تعبد الله لاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » . قال والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبدا ولا أنقص منه . فلما ولى قال النبى ﷺ : « من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهلِ الجنة فلينظر إلى هذا » (٦) وهذه الأحاديث مع آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان والعمل الصالح لدخول الجنة .

---

(١) الزمر ٧٣ .
(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠٥ .
(٣) البقرة ٨٢ .
(٤) هود ٢٣ .
(٥) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٥ / ٢٦ .
(٦) صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٦ .

وقد وردت أحاديث أخرى تبين أن مطلق الإيمان فقط يدخل الإنسان الجنة . من تلك الأحاديث ما رواه الإمام مسلم بسنده عن المعرور بن سويد قال : سمعت أبا ذر يحدث عن النبى ﷺ ، أنه قال : « أتانى جبريل عليه السلام . فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق »(1) .

وروى مسلم أيضا عن أبى ذر قال : أتيتُ النبى ﷺ وهو نائمٌ عليه ثوب أبيض ، ثم أتيته فإذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فجلست إليه ، فقال : « ما من عبدٍ قال لا إلٰه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ثلاثاً ثم قال فى الرابعة : « على رغم أنف أبى ذر » قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبى ذر(2) .

وهذه الأحاديث تبين أن الشهادتين تدخلان الإنسان الجنة ، حتى وإن زنى وإن سرق . والعلماء مختلفون فى ذلك ، وسوف نعرض للآراء بالتفصيل عند الحديث عن الخلود فى النار ، ومذاهب العلماء فى هذا . والذى يهمنا هنا أن نثبت رأىَ أهل السنة فى أن من آمن وعَمِلَ صالحاً ، أدخله الله الجنة ، ليس على سبيل الاستحقاق والوجوب ، وإنما على سبيل الفضل والرحمة ، وأن من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ومات على كبيرة من غير توبة ؛ فهو فى مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه . إلا أن أهل السنة يقطعون بأن من شهد الشهادتين ومات على كبيرة ولم يتب ؛ فإن الله لن يخلده فى النار ، بل يخرج من النار ويدخل الجنة ، لا بطريق الوجوب ، وإنما بمقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة . ويستدلُ أهل السنة على ذلك بوجوه منها : الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة ، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقا ، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب . أو بدونه وهو مسألة العفو التام . فإن الله عز وجل قال ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره** ﴾(3) وقال تعالى ﴿ **ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة** ﴾(4).

واستدلوا بالأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ ــ مثل : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » ومثل قوله ﷺ : « من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ،وإن زنى وإن

(1) نفسه جـ ١ ص ٥٢ .
(2) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٢ .
(3) الزلزلة ٧ .
(4) غافر ٤٠ .

سرق »[1] .

وأيضا النصوص المشعرة بالخروج من النار كقوله تعالى ﴿ **النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله** ﴾[2] وكقوله تعالى ﴿ **فمن زُحْزِحَ عن النار وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فاز** ﴾[3].

أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة :

مادمنا قد تحدثنا عن أن الجنة مأوى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ، وللمؤمنين الذين نطقوا بالشهادتين ، فلنكمل حديثنا ببيان حكم أطفال المسلمين وأطفال المشركين وأهل الفترة .

أولا : أطفال المسلمين :

يقول الله تعالى ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[4].

روى الإمام مسلم عن أبى هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاءٍ »[5] ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم ﴿**فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾[6] يقول النووى : « أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة ، لأنه ليس مكلفا ، وتوقف فيه البعض »[7] والفطرة المذكورة فى الآية والحديث مراد بها الإسلام . وهذا هو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى ﴿ **فطرت الله التى فطر الناس عليها** ﴾ مراد بها الإسلام[8] ومادام الطفل قد مات على الفطرة ، أى على

---

(1) مسلم .
(2) الأنعام ١٢٨ .
(3) آل عمران ١٨٥ انظر فى رأى أهل السنه المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٧ / ١٦٨ . وشرح المواقف للايجى جـ ٢ ٤٤٥ ـــ ٤٤٧ ـــ وانظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٢١٨ : ٢٢٠ وفتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٩٢ : ٤٩٥ ـــ وسنتعرض بالتفصيل لرأى المعتزلة وأهل السنة فى الخلود فى النار .
(4) الروم ٣٠ .
(5) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٨ .
(6) الروم ٣٠ .
(7) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٠٧ .
(8) فتح البارى جـ ٣ ص ١٩٢ ـــ ١٩٣

الإسلام ، فقد أصبح من أهل الجنة . وبالغ ابن كثير فنقل الإجماع ورفع الخلاف بين العلماء فى كون أطفال المسلمين فى الجنة . يقول : « لا خلاف بين العلماء أنهم من أهل الجنة ، وهذا هو المشهورُ بين الناس ونقطع به »[1] ونحن مع ابن كثير فى أن كونهم فى الجنة هو المشهورُ بين الناس ، ولسنا معه فى أنه لا خلاف بين العلماء فى ذلك ، فقد توقف بعض العلماء فى ذلك وحجتهُم فى ذلك ، مارواه مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت : توفى صبىٌّ ، فقلت : طوبى له ! عصفورٌ من عصافير الجنة . فقال رسول الله ﷺ : « أولا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار ، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهـلاً » [2] . وقد أجاب العلماء على من توقف فى كونهم من أهل الجنة بناء على هذا الحديث بأن الرسول ﷺ لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع[3] ويذكر البيهقى فى الاعتقاد وابن حزم فى الفِصَلْ أن الرسول ﷺ قال هذا قبل أن ينزل قوله تعالى ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وماألتناهم من عملهم من شىء** ﴾[4] فلما نزل ذلك وأكرم الله أمة محمد بإلحاق ذرية المؤمن به وإن لم يعملوا عمله ، وجاءت الأخبار تدل على ذلك أى على دخولهم الجنة . [5]

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة : إنه قد مات لى اثنان ، فما أنت محدثى عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة ». أى صغارهم « يتلقى أحدهم أباه — أو قال أبويه — فيأخذ بثوبه أو قال بيده ، كما آخذ أنا بصنعة ثوبك هذا » أى بطرف « فلا يتناهى — أو قال لا ينتهى — حتى يدخله الله وإياه الجنة » [6] .

وهذا نص صريح فى أن أطفال المسلمين فى الجنة . أما الحديث الذى احتج به من توقف فيهم وهو حديث عائشة « عصفور من عصافير الجنة »[7] . فلا حجة لهم فيه ،

---

(١) مختصر ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧١ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٩ / ٤٦٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٠٧ / ٢٠٨ .

(٤) الطور ٢١ .

(٥) الاعتقاد والهداية إلى طريق الرشاد ص ١٦٦ / ١٦٧ للإمام أبى بكر أحمد بن حسين البيهقى — تحقيق أحمد عصام الكاتب — منشورات دار الآفاق الجديدة — الطبعة الأولى ١٩٨١ .

(٦) مسلم جـ ٢ ص ٤٤٨ .

(٧) انظر ص ٢٣٨ من هذا البحث .

كما يقول ابن حزم ؛ لأن الرسول ﷺ قال ذلك قبل أن يوحى ، إليه فلما أوحى إليه بأنهم فى الجنة ذكر أنهم دعاميص الجنة ــ أى صغارهم ــ وهناك بعض الأشياء التى قالها الرسول ﷺ قبل أن يُعلمَهُ الوحىُ بغيرها . منها ماقاله لعثمان بن مظعُون : « وماأدرى وأنا رسول الله مايفعل بى » ، وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النارَ من شَهِدَ بدراً[1] وهذا مانميل إليه ، لأن أطفال المسلمين ماتوا على الفطرة ، ولم يفعلوا شرا حتى يجازوا عليه ، ولدلالة الأحاديث على ذلك .

ثانيا : أطفال المشركين :

إذا كان هناك شبه اتفاق بين العلماء على أن أطفال المسلمين إذا ماتوا فهم فى الجنة ؛ فإن العلماء اختلفوا فى أطفال المشركين . فذهبت طائفة إلى أنهم فى النار ، وطائفة ثانية إلى التوقف فى حكمهم ، وطائفة ثالثة إلى امتحانهم يوم القيامة ، وطائفة رابعة إلى أنهم فى الجنة . وسنعرض لآراء العلماء ونرجح مانراه على ضوء النصوص الواردة فى القرآن الكريم و الراجحة من أحاديث الرسول ﷺ .

الطائفة الأولى :

ذهبوا [2] إلى أنهم فى النار تبعا لآبائهم . واستدلوا بقول الله تعالى حاكيا على لسان نوح ﴿ **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا . إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفَّارا** ﴾ [3] واستدلوا أيضا بما روى عن أم المؤمنين خديجة أنها سألت رسول الله ﷺ عن أولادها منه ﷺ فقال : « هم فى الجنة » وسألته عن أطفالها من غيره ﷺ فقال : « فى النار » فأعادت السؤال فقال ﷺ : « إن شئت أسمعتك تضاغيهمْ » [4] ويفند ابن حزم حجة هؤلاء فيذكر أن قول نوح عليه السلام ليس على إطلاقه ، فإنه لم يقل ذلك على كل كافر ، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة ؛ لأن الله تعالى أخبره بأنه ﴿ **لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ [5] فعندئذ أيقن نوح أنه لن

---

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٣ / ٦٤ .

(٢) منهم **الأزارقة** أتباع نافع بن الأزرق من الخوارج . انظر الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل لابن حزم جـ ٢ ص ١٢٧

(٣) نوح ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٨ .

(٥) هود ٣٦ .

يؤمن من قومه أحد فدعا عليهم . ولو كان الكفار لا يلدون إلا الكفار فماذا يقال فى كبار الصحابة . فمع كون آبائهم كفاراً إلا أنهم كانوا من السابقين الأولين . ويفند ابن حزم قول الذين استدلوابحديث أم المؤمنين خديجة ، فيقول : إنه خبر ساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير (١) .

الطائفة الثانية :

توقفوا فى حكمهم ولم يقطعوا بدخولهم الجنة أو النار . واستدلوا بما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن أطفالِ المشركين ، من يموت منهم صغيرا . فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » (٢) .

وبما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال : « الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين » (٣) ومعنى الحديث كما قال ابن قتيبة : الله أعلم بماكانوا عاملين لو أبقاهم ، فلا تحكموا عليهم بشيء (٤) . ومال البيهقى إلى ذلك ، يقول عن حكمِ أولاد المشركين : إن حكمهم فى الآخرة بيانه فى آخر الخبر وهو قوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، فحكمهم فى الآخرة موكول إلى علم الله عز وجل (٥) . ويرد ابن حزم على هذه الطائفة ، بأن قوله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين قبل أن يوحى إليه أنهم فى الجنة (٦) .

الطائفة الثالثة :

ذهبت إلى أن أولاد المشركين سوف يمتحنون يوم القيامة (٧) بمعنى أن يكلفهم الله بأمر وينهاهم ، فإذا أطاعوه أدخلهم الجنة ، وإذا عصوه أدخلهم النار . واستدلوا بخبر عن رسول الله ﷺ : « إذا كانَ يومُ القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولًا فى عرصَة القيامة فمن أجابَه أدخلَه الجنة ومن عصاه أدخله النار » .

فهنالك يظهر فيهم ماعلمه الله سبحانه ويجزيهم على ماظهر من العلم — وهو إيمانهم أو كفرهم — وذهب إلى ذلك ابن تيمية واعتبر أن هذا « أجود ماقيل فى أطفال المشركين

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦١ — ٦٣ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٥٩ .

(٣) فتح البارى جـ ٣ ص ١٩٠ .

(٤) فتح البارى جـ ٣ ص ١٩١ .

(٥) الاعتقاد للبيهقى ص ١٦٥ .

(٦) ابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ .

(٧) المقاصد للسعد جـ ٦ ص ١٦٨ .

وعليه تتنزل جميع الأحاديث » (١) . ويُرَدُّ على ابن تيمية ومن ذهب مذهبه بأن الحديث الذى يستدلون به على الامتحان للأطفال فى الآخرة صح فى حق المجانين وأهل الفترة .

يقول ابن حزم : « هذا القول باطل ؛ لأن الأثر الذى فيه هذه القصة إنما جاء فى المجانين وفيمن لا يبلغه ذكر الإسلام » (٢) وذكر ابن حجر فى الفتح أنه « قد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة » (٣) .

الطائفة الرابعة :

ذهبت إلى أن أطفال المشركين فى الجنة . واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ **وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ (٤) .

ومعلوم أن الأطفال لم يبعث الله إليهم رسولا . ويستدلون بقوله تعالى ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ (٥) والطفل لم يكتسب إثماً حتى يعذب (٦) .

ويُستدل على أن أطفال المشركين فى الجنة بما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « كل مولودٍ يولدُ على الفطرة . فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء » (٧) . وذهب البخارى إلى أن أطفال المشركين فى الجنة يقول ابن حجر : « وقد جزم فى تفسير سورة الروم بما يدل على اختيار القول الصائر إلى أنهم فى الجنة » (٨) ورجح النووى ماذهب إليه البخارى ، وذكر أن الصحيح الذى ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة (٩) ، واستدل بقول الله تعالى ﴿ **وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾(١٠) .

وبما رواه البخارى بسنده عن سمرة بن جندب وفيه قول الرسول ﷺ : « فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء ، فيها شجرة عظيمة ، وفى أصلها شيخ وصبيان » وفى نهاية الحديث « والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان من حوله أولاد

(١) مجموع الفتاوى جـ ٤ ص ٢٤٦ ٢٤٧ .
(٢) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ .
(٣) فتح البارى جـ ٣ ص ١٩١ .
(٤) الإسراء ١٥ .
(٥) المدثر ٣٨ .
(٦) انظر الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص٣٧٧ / ٣٧٨ .
(٧) فتح البارى جـ ٣ ص ١٩٢ / ١٩٣ / ١٩٤ .
(٨) نفسه جـ ٣ ص ١٩٠ .
(٩) مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٠٨ .
(١٠) الإسراء ١٥ .

الناس » [1] ودلالة الحديث أن أولادَ الناس ـــ وهو اسم جنس يشمل المؤمن والكافر ـــ حول إبراهيم عليه السلام فى الجنة ، والفطرة فى الحديث معناها الإسلام كما هو معروف عند السلف [2] .

وانتصر ابن حزم للرأى القائل بأن أطفال المشركين فى الجنة ، وفند أدلة الذين توقفوا فى أمرهم ، والذين ذهبوا إلى أنهم فى النار ، والذين قالوا بامتحانهم يوم القيامة . يقول : وجدنا الله تعالى قد قال ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [3] وقال ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾ [4] نص الله تعالى على أنه فطر الناس على الإيمان ، وأن الإيمان هو صبغة الله تعالى ، وقال الله تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾ [5] .

وقال تعالى ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ [6] يقول ابن حزم : فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان ، وأن الأصل فى كل واحد هو الإيمان ، وكل مؤمن فهو فى الجنة .

وقال تعالى ﴿ **فأنذرتكم ناراً تلظى . لا يصلاها إلا الأشقى . الذى كذب وتولى** ﴾ [7] . وليست هذه صفة الصبيان ، فصح أنهم لا يدخلون النار . ولا دار إلا الجنة ، ويقول : صح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففى الجنة ، ولا يحل لأحد تعدى ماصح بالقرآن والسنن [8] . والحق ماذهب إليه ابن حزم ، فهو الذى تعضده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهو الذى يتفق مع روح الإسلام .

---

(١) فتح البارى جـ ٣ ص ١٩٥ / ١٩٦ .

(٢) انظر فتح البارى جـ ٣ ص ١٩٢ / ١٩٣ ومسلم بشرح النووى ـــ ١٦ ص ٢٠٨ .

(٣) الروم ٣٠ .

(٤) البقرة ١٣٨ .

(٥) الأعراف ١٧٢ .

(٦) الحجر ٤٢ .

(٧) الليل ١٤ ـــ ١٦ .

(٨) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٤ / ٦٥ .

أهل الفترة :

ونقصد بأهل الفترة الذين لم تبلغهم رسالة الإسلام سواء قبل بعثة الرسول ﷺ ، أو بعد بعثته ﷺ ، والمشهور أنهم لا يعذبون لعموم قوله تعالى ﴿ **وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾[1] وهذا ماعليه أهل الكلام من الأشاعرة ، وأصحابُ الأصول والشافعيون من الفقهاء ، أن أهل الفترة لا يعذبون . وأطلقوا القول فى ذلك . فإن قيل : قد صح عذاب جماعة من أهل الفترة فقد أجيب بأن أحاديثهم آحاد ، لا تعارض القطع بعدم التعذيب قبل البعثة ، أو يجوز أن يكون التعذيب مقصورا على من غيّر وبدل من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع . كما فعل عمرو بن لحى [2] وهو أول من أطلق السائبة .

وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُمتَحنون ، بمعنى أن يكلفهم الله يوم القيامة ويأمُرهم وينهاهم ، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، واستدلوا ببعض الأخبار التى وردت عن رسول الله ﷺ فى ذلك . منها مارواه البزار عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « الهالك فى الفترة والمعتوه والمولود . يقول الهالك فى الفترة : لم يأتنى كتاب . ويقول المعتوه : رب لم تجعل لى عقلا أعقِلُ به خيراً ولا شراً . ويقول المولود : ربِ لم أدْرِكْ العقلَ . فترفع لهم نار فيقال لهم : ردوها . قال : فيردها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل ، فيقول : إياى عصيتم ، فكيف لو أن رسلى أتتكم » [3] .

ومارواه معاذ بن جبل ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك فى الفترة وبالهالك صغيرا . فيقول الممسوخ : يارب لو آتيتنى عقلا ماكان من آتيته عقلا بأسعد منى . وذكر فى الهالك فى الفترة والصغير نحو ذلك ، فيقول الربُ عز وجل : إنى آمركم بأمر فتطيعونى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : اذهبو اذهبوفادخلوا النار . قال : ولو دخلوها ماضرتهم ، فتخرج عليهم قوابص ، فيظنون أنها قد أهلكت ماخلق الله من شىء ، فيرجعون سراعا ، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك . فيقول الربُ عز وجل : قبل أن أخلقكم علمت ماأنتم عاملون ، وعلى علمى خلقتكم ، وعلى علمى

---

(١) الإسراء ١٥ .

(٢) روح المعانى للألوسى جـ ١٥ ص ٣٦ / ٤٠ .

(٣) ابن كثير جـ ٣ ص ٣٠ .

تصيرون . فتأخذهم النار » (١) وهذه الأخبار وردت من طرق متعددة (٢). كما جاء فى الإصابة . يقول ابن حجر : « قد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الجاهلية من طرق صحيحة » (٣) . وحكى البيهقى فى الاعتقاد بأن ذلك هو الصحيح . والبعض رد هذه الأخبار بناء على أن الامتحان فى الآخرة لا يجوز ؟ لأن الآخرة دار جزاء ولا تكليف فيها . ويفند ابن كثير هذا الرأى بقوله : لا شك أن الآخرة دار جزاء ، ولا ينافى التكليف فى عرصاتها قبل دخول الجنة والنار ، وقد قال تعالى ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون** ﴾ (٤) وقد ثبت فى الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة ، وأن المنافقين لا يستطيعون ذلك . ولا تُرَدّ هذه الأخبار بحجة أنهم كيف يدخلون النار وليس ذلك فى وسعهم ؟ فليس هذا يمنع صحة الحديث ، فإن الله يأمر عباده بالمرور على الصراط ، وليس دخولهم النار بأعظم من المرور على الصراط .

وقد ثبت فى السنة أن الدجَّال الذى يأتى قبل قيام الساعة معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع الذين يدركونه أن يشربَ أحدُهم من الذى يرى أنه نار ، فإنه يكون عليه برداً وسلاماً ، فهذا نظير ذاك (٥) .

ونرجح الرأى القائل بأن أهل الفترة يمتحنون فى الآخرة لصحة الأحاديث الواردة فى ذلك . وهذا أفضل مايجبُ أن تُحمَل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فى أهل الفترة ومن فى حكمهم . كالذين لم تبلغهم دعوة الإسلام إطلاقا ، ولم يسمعوا عن القرآن ولا عن الرسول ﷺ .

نعيم الجنة :

مما يذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة النعيم الذى يتنعم به أهل الجنة ، الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ، وفيها الأزواج المطهرة ، وفيها رضوان الله الذى يحله على المؤمنين فى الجنة . يقول الله تعالى ﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** ﴾ (٦) .

---

(١) نفسه ..
(٢) روح المعانى للألوسى جـ ١٥ ص ٤١ .
(٣) فتح البارى جـ ١٣، ص ١٩١
(٤) القلم ٤٢ .
(٥) ابن كثير جـ ٣ ص ٣١ والاعتقاد للبيهقي ص ١٧ وما بعدها .
(٦) آل عمران ١٥ .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** ﴾(١) وهذه الآية وماقبلها دلت على كمال النعيم والسرور ، لأن مجامع اللذات تكون فى المسكن ، والمطعم ، والمنكح ، فذكر الله عز وجل المسكن بقوله ﴿ **جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ والمطعم بقوله ﴿ **كلما رزقوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الذى رُزِقنا من قبل** ﴾ ، والمنكح بقوله ﴿ **ولهم فيها أزواجٌ مطهرة** ﴾ ثم أكمل الله هذا النعيم على عباده فى الجنة برفع الخوف ، والحزن من زوال هذه الملذات (٢) فقال ﴿ **وهم فيها خالدون** ﴾ وأكمل النعيم بالبقاء والخلود ، ثم بإحلال الرضوان على المؤمنين فى الجنة . ويشرح رسول الله ﷺ نعيم أهل الجنة فى الطعام والشراب فيما رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله . قال : قال رسول الله ﷺ : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون ، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك ، يُلْهِمُونَ التسبيحَ والحَمْدِ كما تُلْهَمُونَ النَّفس » (٣) .

ولا غرابة فى طعام أهل الجنة وشرابهم مع عدم بولهم وتغوطهم . ويذكر القرآن الكريم أيضا عن طعامهم أن لهم ﴿ **فاكهةٌ مما يتخيرون . ولحمِ طير مما يشتهون** ﴾(٤) وأخبر رسول الله ﷺ عن طير الجنة ولذتها . روى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ ماالكوثر ؟ فقال : « ذاك نهر أعطانيه الله — يعنى فى الجنة — أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر : إن هذه لنعامة . فقال رسول الله ﷺ « أكَلَتُها أنعمُ منه »(٥) قال الترمذى هذا حديث حسن . ومعنى أنها ناعمة أى سمان مترفة . وسُئِلَ رسول الله ﷺ عن أول طعام أهل الجنة فقال فيما رواه مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن يهوديا سأل الرسول ﷺ عن أول الناس إجازة . قال : « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : وماتحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد النون » قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها »(٦) .

---

(١) البقرة ٢٥ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٣) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٣ .

(٤) الواقعة ٢٠ ، ٢١ .

(٥) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٥٠ .

(٦) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢ .

وأما شراب أهل الجنة . فإن القرآن الكريم عدّدَ أصنافاً شتى من الشراب لأهل الجنة ، فهم يشربون ﴿ **من كأس كان مزاجها كافورا . عيناً يشرب بها عبادُ الله يفجرونها تفجيرا** ﴾(١) والأبرار يوم القيامة ﴿ **يُسْقَوْنَ من رحيق مختوم . ختامه مسكٌ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون** ﴾(٢) .. ومعنى الرحيق المختوم أن الأبرار يشربون من شراب مختوم عليه ، تكريما له بالصيانة ، على ماجرت العادة من ختم ما يكرم أو يصان ، وهناك خمر آخر منه الأنهار التى ورد ذكرها فى قوله تعالى ﴿ **وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين** ﴾ إلا أن هذا الرحيق المختوم أشرف وأطيب وألذ من أنهار الخمر المشار إليها ، والمعنى لذاذة المقطع وذكاء الرائحة مع طيب الطعم . والتسنيم علمٌ لعين فى الجنة ، إما لأنها أرفع شراب فى الجنة وإما أنها تأتى للأبرار من فوقهم . قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم ، لأنه يشربه المقربون صرفاً . ويمزج لأصحاب اليمين »(٣) .

وأما مساكن أهل الجنة فإن القرآن الكريم يذكر عن تلك المساكن أنها طيبة . يقول الله تعالى ﴿ **ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم** ﴾(٤) .

وتحدث الرسول ﷺ عن تلك المساكن الطيبة ـــ فيما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ ـــ قال : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولُها ستون ميلًا ، للمؤمن فيها أهلون يطوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهم بعضاً »(٥) .

وروى الترمذى بسنده عن النعمان بن سعد عن على قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لغرفاً يُرى ظهورُها من بطونها وبطونُها من ظهورِها ». فقام إليه أعرابى فقال: لمن هى يانبى الله ؟ قال : « هى لمن أطابَ الكلامَ ، وأطعمَ الطعامَ ، وأدامَ الصيامَ ، وصلىَّ لله بالليل والناس نيام »(٦) .

وعن زوجات أهل الجنة ذكر الله عز وجل أن للمؤمنين أزواجاً مطهرة ـــ من الحيض

---

(١) الإنسان ٥ ، ٦ .
(٢) المطففين ٢٥ : ٢٨ .
(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٣١ ص ٩٩ / ١٠٠ وحادى الأرواح ص ١٢٩ / ١٣٠ .
(٤) الصف ١٢ .
(٥) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٤ .
(٦) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٣١ .

والاستحاضة وجميع الأقذار ـــ يقول الله تعالى ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون . يلبسون من سندسٍ وإستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين** ﴾[1] ويقول عز وجل عن تلك الحور ﴿ **حورٌ مقصوراتٌ فى الخيام** ﴾[2] .

عن ابن عباس : الحور فى كلام العرب البيض . وكذا قال قتادة .وقال مجاهد : الحور العين التى يحار فيهن الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه فى كبدِ إحداهُن مِن رقة الجلْدِ وصفاءِ اللون[3] . ومعنى مقصورات فى الخيام أى وصفهن الله بصفات النساء المخدرات المصونات ، وذلك أجمل فى الوصف . ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن نساء الملوك وغيرهن من النساء المصونات لا يُمْنَعْنَ أن يخرجن إلى البساتين وغيرها ، فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ، ويعرض لهن الخروج مع الخدم للتنزه[4] .

وعن صفة الحور العين ورد قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »[5] .

وروى البخارى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « الروحة والغدوة فى سبيل الله أفضلُ من الدنيا ومافيها . الحورُ العين وصفتهن يحارُ فيها الطَرْفُ ، شديدةُ سوادِ العيْنِ ، شديدة بياضِ العينِ ، وزوجناهم بحور أنكحناهم »[6] ومعني يحار فيها الطرف : أى يتحير . ومعنى زوجناهم بحور أنكحناهم : أى جعلناهم أزواجاً أى اثنين اثنين ؛ كما تقول زوجت النعل بالنعل ، والمعنى جعلنا ذكران أهل الجنة أزواجا بحور من النساء[7] . وقد وردَ عن رسول الله ﷺ أن المؤمن يعطى قوة مائة رجل من الرجال فى الجماع . روى الترمذى بسنده عن أنس عن النبى ﷺ قال : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » . قيل : يارسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة »[8] والقوة هنا كناية عن الجماع كعشرين أو ثلاثين أو مائة . والمعنى أن المؤمن لو

(1) الدخان ، 51 : 54 .
(2) الرحمن ٧٢ .
(3) حادى الأرواح ص 150 .
(4) نفسه ص 154 .
(5) صحيح مسلم جـ 4 ص 2178 ـــ 2179 .
(6) فتح البارى جـ 6 ص 11 .
(7) نفسه .
(8) تحفة الأحوذى جـ 7 ص 241 .

أراد ذلك لأعطى القوة[1] .

التزاور بين أهل الجنة :

من ألوان النعيم فى الجنة التزاور الذى يكون بين المؤمنين فى الجنة . ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك التزاور وتحدث عنه الرسول ﷺ مبينا أن هذا التزاور من تمام النعمة والمتعة على المؤمنين فى الجنة . يقول الله تعالى ﴿ **ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين . فَمَنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم . إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم** ﴾[2] . وهذا التزاور بين المؤمنين إشارة إلى أنهم يعلمون ماجرى عليهم فى الدنيا ويذكرونه ، فتزداد لذة المؤمنين ، حيث يرون أنفسهم قد انتقلوا من سجن الدنيا إلى جنة الآخرة ، وهذا أعظم نعيم بالقياس إلى الدنيا وشقائها[3] . وروى الترمذى حديثا طويلا عن رسول الله ﷺ يبين زيارة المؤمنين بعضهم لبعض وزيارتهم لربهم فى الجنة ، وما يعود عليهم من النعيم والمتع فى ذلك .

روى الترمذى بسنده عن سعيد بن المسيب ؛ أنه لقى ابا هريرة ، فقال أبو هريرة : اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . فقال سعيد : أفيها سوق ؟ قال : نعم أخبرنى رسول الله ﷺ ، « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ،ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم — ومافيهم من دنِّى — على كثبان المسك والكافور ،مايرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً » . قال أبو هريرة : قلت : يارسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال : « نعم . هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ » قلنا : لا . قال : « كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول للرجل منهم يافلان بن فلان . أتذكرُ يومَ قلت كذا وكذا .فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا . فيقول : يارب أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه . فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرتْ عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط . ويقول ربنا : قوموا إلى ماأعددت لكم من

---

(1) نفسه . (2) الطور ٢٤ — ٢٨ .

(3) الفخر الرازى جـ ٢٨ ص ٢٥٤ / ٢٥٥ .

الكرامة ، فخذوا ماشتهيتم . فنأتى سوقا ، قد حفت به الملائكة ، فيه مالم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، فيحمل إلينا مااشتهينا ، ليس يباع فيها ولا يشترى ،وفى ذلك السوق ، يلقى أهل الجنة بعضُهم بعضاً ، قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه ــ وما فيهم دَنِّى ــ فيروعه مايرى عليه من اللباس ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ماهو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحدٍ أن يحزَن فيها ، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجُنا ، فيقلن : مرحباً وأهلاً ، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه . فيقول : إنا جالسنا اليومَ ربَّنا الجبار ، ويحق لنا أن ننقلبَ بمثل ماانقلبنا »(١) والحديث يدلُ على تزاور المؤمنين بعضهم ببعض فى الجنة وزيارةِ ربهم لهم ،ومايلاقونه من نعيم ولذة فى هذا التزاور . ويدل أيضا على نزع الغل والحَزَنْ من صدورهم فى الجنة ورضا كل واحدٍ منهم بمنزله الذى أنزلهُ إليه فيه ، وهذا الرضا من ألوان النعيم الذى ينعم الله به أولياءه فى الجنة .

أدنى أهل الجنة منزلة :

من فضل الله عز وجل على المؤمنين فى الجنة أن يوسع لهم فى العطاء ، وقد روت لنا السنة أدنى أهل الجنة منزلة ، وكيفَ أن له مثل ملك من ملوك الدنيا عشر مرات . روى الإمام مسلمٌ بسنده عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول الله ﷺ قال : « سأل موسى ربَه ماأدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجىء بعدما أدخل أهل الجنةالجنة ، فيقول : أى رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له :أترضى أن يكون لك مثل ملكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيتُ رب . فيقول : لك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال فى الخامسة : رضيت رب . فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك مااشتهت نفسك ، ولذت عينك . فيقول : رضيت رب . قال : رب فأعلاهم منزلةً ؟ قال : أولئك الذين غرسْتُ كرامتهم بيدى . وختمت عليها فلم تر عيْنٌ ، ولم تسمع أذنٌ ، ولم يخطر على قلب بشر . قال ومصداقه فى كتاب الله عز وجل ﴿ **فلا تعلم نفسٌ ماأخفى لهم من قرة أعين** ﴾(٢) والحديث بيّن أدنى أهل الجنة منزلة . والملك الذى يعطيه الله له . ويبين أيضا المكانة التى يصل إليها أعلى الناس منزلة يوم القيامة . فالنعيم وصل إلى درجة أنه لا يعبر عنه فى الدنيا وإنما يعرفونه فى الآخرة ، ليزدادوا نعيما فوق نعيمهم .

(١) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٥٩ / ٢٦٣ .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٨ .

وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة منزلة الذى كان له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء » [١] وهذا العدد للمبالغة فى الكثرة ويقصد بالزوجة هنا من الحور العين ، ولا تعارض بين حديث الترمذى والأحاديث الأخرى التى تثبت أن لكل مؤمن زوجتين من الحور العين ، لأنه إما أن يراد لكل واحد من السرارى زيادة على الزوجتين هذا العدد ، وإما أن يراد أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد . والأحاديث الصحيحة ورد فيها أن لكل من أهل الجنة زوجتين وليس فى الصحيح من الأحاديث زيادة على ذلك [٢] ومعنى تنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء . الجابية قرية بالشام وصنعاء باليمن تشبه دمشق فى كثرة الماء والشجر والمسافة بينهما طويلة والمعنى أن فسحة القبة وسعتها طولاً وعرضاً وبعد ما بين طرفيه كما بين الموضعين » [٣] .

رؤية الله فى الجنة :

من أكبر ألوان النعيم الذى يمن الله به على عباده المؤمنين فى الجنة : أن يرى المؤمنون ربهم فى الجنة . وسنشير إلى ذلك سريعاً [٤] ، يقول الله تعالى ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة** ﴾[٥] ويقول تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[٦] .

يقول الإمام الأشعرى « الزيادة . النظر إلى الله عز وجل ولم يُنْعِم الله عز وجل أهل جناته بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له . وقال عز وجل ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ [٧] قيل النظر إلى الله عز وجل . وقال ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ [٨] وإذا لقيه المؤمنون رأوه » [٩] .

ووردت أحاديث متعددة عن الرسول ﷺ فى إثبات الرؤية ــ يقول عنها الأشعرى : إنها وردت من طرق مختلفة عدد رواتها أكثر من عدد رواة خبر الرجم ، ومن عدد من روى

(١) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٨٤ .
(٢) حادى الأرواح ص ١٦٠ .
(٣) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٨٤ .
(٤) ستتحدث فى مبحث خاص عن رؤية الله فى الآخرة مبينين أدلة المجوزين وأدلة المانعين ــ بالتفصيل إن شاء الله .
(٥) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .
(٦) يونس ٢٦ .
(٧) ق ٣٥ .
(٨) الأحزاب ٤٤ .
(٩) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٩ .

عن النبى ﷺ أنه قال : « لا وصية لوارث » ، وأكثر من عدد رواة الحديث الذى فيه : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها » (١) . ويقصد الأشعرى بذلك أننا كما نعتقد بهذه الأحاديث فى أحكام الدين والحلال والحرام فينبغى أن نعتقد بأحاديث الرؤية فى إثبات رؤية الله فى الآخرة . وهو يرد بذلك على المعتزلة الذين ينفون الرؤية ، ويؤولون الآيات القرآنية ويردون الأحاديث فيها . ومن الأحاديث الصحيحة التى تثبت الرؤية للمؤمنين فى الجنة ما رواه الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمَنْ ينظر إلى جناته وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ (٢) .

ورؤية المؤمنين لله عز وجل لون من ألوان النعيم الذى يتمتع به المتقون يوم القيامة ، ومن ألوان النعيم الذى يتنعم به المؤمنون : إحلال الرضوان عليهم يوم القيامة (٣) .

خلود الجنة ونعيمها وأهلها :

أجمع أهل السنة على أن الجنة باقية ونعيمها لا يزول وأهلها كذلك . يقول الإمام الأشعرى : « أجمع أهل الإسلام جميعا - إلا الجهم - (٤) أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له » (٥). وينقل صاحب المقاصد الإجماع على خلود أهل الجنة فى الجنة (٦) .

والبغدادى فى أصول الدين ينقل الإجماع عن أهل السنة وكل من سلف من أخيار الأمة على دوام بقاء الجنة (٧) . ويستدل أهل السنة على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التى تثبت بقاء الجنة ودوام نعيمها وخلود أهلها . من هذه الآيات قوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** ﴾ (٨) .

وقوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس**

---

(١) نفسه .
(٢) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٧٠ .
(٣) سنتحدث بالتفصيل فى مبحث خاص عن النعيم المادى والروحانى لأهل الجنة إن شاء الله .
(٤) سنتعرض لحجته ومن ذهب مذهبه من أن نعيم أهل الجنة زائل .
(٥) مقالات الإسلاميين جـ ٢ ص ١٦٧ / ١٦٨ .
(٦) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٧) أصول الدين للبغدادى ص ٢٣٩ .
(٨) البينة ٧ ، ٨ .

نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾(١) . ويستدلون بقوله تعالى ﴿ **وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموٰات والأرض إلا ماشاء ربك عطاءً غير مجذوذ ﴾**(٢) .

والسلف مختلفون فى هذا الاستثناء . فقيل : معناه إلا مدة مقامهم فى الموقف ، وقيل : إلا مدة مقامهم فى القبور . وقيل : إن هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله . وقيل فى هذا الاستثناء : معناه أنهم باقون فى الجنة مدة دوام السموٰات والأرض إلا ماشاء الله أن يزيدهم عليه على مدة العالم . ومن المفسرين من ذهب إلى أنَّ « إلا » بمعنى لكن ، فيكون الاستثناء منقطعا . ورجحه ابن جرير وقال : إن الله تعالى لا خلف لوعده . ومنهم من ذهب إلى أن الاستثناء فى الآية مراد به الإعلام للخلق جميعا بأن خلود المؤمنين فى الجنة فى مشيئته لأنهم لا يخرجون عن مشيئته ، ولا ينافى ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود ،ونظائره فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ﴾**(٣)ومثل قوله تعالى ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾**(٤) وهذا معناه أن الأمور كلها بمشيئةِ الله ماشاء كان ومالم يشأ لم يكنْ . ومن العلماء من ذهب إلى أن قوله تعالى ﴿ **إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ آيةمحكمة**(٥)

نلاحظ أن الآراء كلها ـــ التى اختلفت فى معنى الاستثناء ـــ اتفقت على أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً ، وأن الاستثناء إما فى الفترة قبل أن يدخلوا الجنة ، وتلك الفترة فى الوقت وخلافه ، ما شاء الله لهم ألا يكونوا فيها فى الجنة ، وإمّا أن يكون استثناء ذكره الله ولم يفعله ليعلم عباده أن الأمر كله بيد الله . كما قال الله للرسول ﷺ ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾**(٦) .

ولم يختم الله على قلب رسوله ﷺ . ويؤيد أبدية أهل الجنة فيها فى قوله تعالى ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾**(٧) .

---

(١) الكهف ١٠٧ ، ١٠٨ .
(٢) هود ١٠٨ .
(٣) الإسراء ٨٦ .
(٤) الشورى ٢٤ .
(٥) انظر شرح الطحاوية ٣٧٣ / ٣٧٤ وحادى الأرواح ٢٤٢ / ٢٤٣ / ٢٤٤ وروح المعانى للألوسى جـ ١٢ ص ١٤٢ / ١٤٦ .
(٦) الشورى ٢٤ .
(٧) الدخان ٥٦ .

وقد دلت السنةُ على خلودِ أهلِ الجنة فى الجنة . فقد روى البخارى بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجْعَل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى منادٍ : ياأهل الجنة لا موت ، وياأهل النار لا موت . فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم . ويزدادُ أهلُ النار حزناً إلى حزنهم »(١).

وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد يرفعه قال : « إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح ، فيوقف بين الجنة والنار فيذبح ، وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار »(٢) .

وعلق القرطبى على الأحاديث التى تثبت ذبح الموت فيقول : « إن الموت معنى وهو لا ينقلب حيواناً ، بل يخلق الله أشخاصاً من ثوابِ الأعمال ، وكذلك الموتُ يخلق الله كبشاً يسميه الموت ، ويلْقى فى قلوبِ الفريقين أن هذا هو الموت ، ويكون ذبحه دليلًا على الخلود فى الدارين »(٣) . وذكر آخرون بأنه لا مانع أن ينشيء الله من الأعراض أجساداً يجعلها مادة لها كما ثبت فى الصحيح أن سورة البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان يوم القيامة(٤) . والأولى فى هذا أن نتوقف عن تفسير هذه الأشياء ولا نعترض عليها ، ولكن نفوض الأمر لله فى كيفية ذبح الموت وخلاف ذلك . قال الترمذى : « والمذهب عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم — مثل سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ووكيع ، وغيرهم — أنهم قدروا هذه الأشياء وقالوا : نروى هذه الأحاديث ، ولا يقال كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ولا تفسر ولا تتوهم »(٥) .

ومن الأحاديث التى تثبت خلود أهل الجنة مارواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة جردٌ ، مُرْدٌ كحلى ، لا يفنى شبابهم ، ولا تبلى ثيابهم »(٦) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المعتزلة يوافقون أهل السنة فى بقاء الجنة ونعيمها وخلودِ

(١) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٥١ .
(٢) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٧٨ .
(٣) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٥٢٨ .
(٤) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٧٨ / ٢٧٩ .
(٥) نقلا عن التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٥٢٨ .
(٦) تحفة الأحوذى جـ٧ ص ٢٤٦ .

أهلها ، وجمهورهم يقولون بدوام النعيم لأهل الجنة .

ورد فى كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار قوله : « ربما قيل فى قوله تعالى ﴿ **خالدين فيها مادامت السمٰوات والأرض إلا ماشاء ربك** ﴾[1] إن ذلك الاستثناء يدل على انقطاع العقاب . فكيف يصح ذلك مع قولكم بالخلود ؟ وجوابنا : أن المراد أوقات الموقف للمحاسبة ، قبل دخول النار ، وعلى هذا الوجه ذكر الله تعالى فى السعداء مثل ماذكره فى الأشقياء فقال : ﴿ **وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السمٰوات والأرض** ﴾[2] وهذا يدل على أن جمهور المعتزلة يقول بدوام الجنة ونعيم أهلها ... ولكن بعضاً منهم ذهب إلى فناء نعيم أهل الجنة .

يقول ابن حزم : « اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لافناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار وعذابها، إلا الجهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف »[3] ويذكر ابن قيم الجوزية أن ما ذهب إليه جهم بن صفوان ليس له فيه سلف قط من الصحابة ، ولا من التابعين ، ولا أحد من أئمة الإسلام ، ولا قال به أحدٌ من أهل السنة[4] . ويعرض ابن حزم ما قاله أبو الهذيل من أن « الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون ، وهم فى ذلك أحياء متلذذون أو معذبون »[5] وبيَّن ابن تيمية السبب الذى جعله يقول بذلك لأنه يعتقد امتناع وجود ما لا يتناهى[6] .

والذى ذهبَ إليه الجهمُ وأبو الهذيل لا سند له من كتاب ولا سنةٍ . ثم ما الفرق بين الحركة والسكون ؟ لأنه وإن فر من الحركات لاعتقاده امتناع وجود ما لا يتناهى ، فإنه لازم له فى مُدَدِ سكونِ أهل الجنة وتنعمهم . لأنه مقر بأنهم يبقون ساكتين منَعَّمِينَ بالضرورة ، فإن للسكون والنعيم مدداً تعد كما تعد الحركه وغيرها .

ولو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحا لكان أهل الجنة فى عذاب دائم ، وهذا غاية

---

(1) هود ١٠٨ .
(2) هود ١٠٨ وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ١٨٤ .
(3) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩ / ٧٠ .
(4) حادى الأرواح ص ٢٤٤ / ٢٤٥ .
(5) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٦٩ / ٧٠ والملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٥٨ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٠٢ / ١٠٣ .
(6) نقلا عن حادى الأرواح ص ٢٤٥ .

النكد والشقاء بعكس ما أعده الله لأهل الجنة[1] .. ولن نتوسع فى هذه المسألة لعدة أسباب منها :

أولا : أن القائلين بذلك خالفوا إجماع المسلمين ،وليس معهم سندٌ كافٍ من كتاب اللهِ أو سنةِ رسوله .

ثانيا : أن المعتزلةَ أنفسهم لا يقولون بما قاله أبو الهذيل . بل إن بعض علماء المعتزلة قد كفره بسبب هذه المقالة . يذكر البغدادى فى « الفَرْق بين الفَرِق » أن لجعفر بن حرب ــ وهو المشهور فى زعماء المعتزلة ــ كتابًا سماه توبيخ أبى الهذيل ،وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهريين . فمن فضائح أبى الهذيل قوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شىء . ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى أهل الجنة خامدين لا يقدرون على شىء[2] .

ويذكر البغدادى أيضا أن المعروف من المعتزلة « بالمردار » رد على أبى الهذيل فى هذه المسألة فقال : يلزمه إذا كان ولى الله عز وجل قد تناول بإحدى يديه الكأس وبالأخرى بعض التحف ثم حضرَ وقت السكون الدائم أن يظل ولى الله عز وجل على هيئة المصلوب »[3] وهذا ينافى النعيمَ المقيمَ الذى أعده الله لأوليائه ووعدهم به .

ثالثا : يرى الخياط فى كتابه الانتصار ــ وهو من أصول المعتزلة ــ أن أبا الهذيل لم يقل بفناء نعيم أهل الجنة . وإنما الذى قال بذلك هو جهمُ بن صفوان ــ وحكى ابن الراوندى مقالته على أنها مقالة أبى الهذيل .

يقول صاحب كتاب الانتصار : « وأبو الهذيل كان يزعم أن أكل أهل الجنة وشربهم وجماعهم وتزاورهم وجميع لذاتهم باقية مجتمعة فيهم لا تفنى ولا تنقص ولا تزول ولا تبيد ، وإنما الذى حكاه صاحب الكتاب « يقصد ابن الراوندى » قول جهم ،لأن جهما كان يزعم أن اللهَ يفنى الجنةَ والنارَ وما فيهما ويبقى وحده »[4] .

وينفى الخياط هذهَ المقالةَ عن أبى الهذيل قائلا :« وهذا كذب على أبى الهذيل ــ

---

(١) انظر الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٧٠ وحادى الأرواح ص ٢٤٦ / ٢٤٧ .

(٢) الفرق بين الفرَق للبغدادى ص ١٠٢ / ١٠٣ . (٣) نفسه .

(٤) كتاب الانتصار ص ١٨ تأليف أبى الحسين بن عثمان الخياط المعتزلى المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧ .

يقصد القول بفناء نعيم الجنة — وهو عنده كفر بالله تعالى ، لأن الله جل ذكره يقول ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾[1]،ويقول ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾[2]،» فإن كان ما ذكره الخياط صوابا فنجزم بأن أحدا لم يقل بفناء نعيم الجنة من المعتزلة . وإن كان دفاعًا عن أبى الهذيل ، ونفيا للتهم عنه ؛ فإن جمهور المعتزلة قالوا بما قاله أهل السنة من بقاء الجنة ونعيمها وخلود أهلها .

ب — النار فى التصور الإسلامى :

النار هى الجزاء الذى أعده الله تعالى للكافرين ، والمنافقين ، والعصاة من الجن والإنس على السواء ، وقد أكثر الله عز وجل من ذكرها فى القرآنِ الكريم وذكر صفاتها وعذابِ أهلِها ؛ حتى يتقى الناسُ عذابها وذل ومهانةْ أهلها . وهناك جملة حقائق يذكرها القرآن الكريم والرسولُ ﷺ عن النار وعذابها منها :

أنها مخلوقة الآن ومعدة لأهلها :

يقول الله تعالى ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾[3]وهذه الآية وغيرها كثيرٌ فى القرآن الكريم يدل على أن النار الموصوفة معدة للكافرين ، ويدل على أنها مخلوقة ، لأن قوله تعالى ﴿ **أعدت للكافرين** ﴾ صريح فى أنها مخلوقة ومعدة الآن[4].

وينقل شارح المقاصد الإجماع على خلق الجنة والنار من جمهور المسلمين خلافا للمعتزلة ، ويستدل على أن النار مخلوقة ومعدة الآن بقوله تعالى ﴿ **أعدت للكافرين** ﴾ وقوله ﴿ **وبُرِّزت الجحيم للغاوين** ﴾[5]«والتعبيرُ عن المستقبل بلفظ الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى ﴿ **ونفخ فى الصور** ﴾[6] وقوله ﴿ **ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار** ﴾[7]خلاف الظاهر فلا يعدل إليه بدون قرينة »[8]. ويفندُ شارح المقاصد حجة من تمسك بأنها لو كانت مخلوقة الآن لفنيت إذا أفنى الله العالم — أخذاً من قوله

---

(1) الرعد ٣٥ .
(2) المائدة ١١٩ وانظر الانتصار للخياط ص ١٨ .
(3) البقرة ٢٤ .
(4) الرازى جـ ٢ ص ١٤١ ، ١٤٦ .
(5) الشعراء ٩١ .
(6) الزمر ٦٨ .
(7) الأعراف ٤٤ .
(8) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦١ .

تعالى . ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾[1] ـــ بتخصيص النار من الهلاك ، جمعا بين الأدلة التى تثبت خلق الجنة والنار والأدلة التى تثبت هلاك كل شيء[2].

ويُستَدَل بالسنةِ على خلقِ النار بما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجت النار والجنة ، فقالت هذه : يدخلنى الجبارون والمتكبرون . وقالت هذه : يدخلنى الضعفاءَ والمساكين . فقال الله عز وجل لهذه أنتِ عذابى أعذبُ بكِ من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها »[3] .

وإن خلق النار وإعدادها هى والجنة كما صرح بذلك القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة[4] .

أما من يذهب إلى أن النار لم تخلق بعد ـــ وهم المعتزلة ـــ فإن حجتهم فى عدم خلق النار الآن وإعدادها هى نفس حجتهم فى عدم خلق الجنة وقد عرضنا شبهتهم والرد عليها[5] عند الكلام عن خلق الجنة وإعدادها الآن للمتقين .

سعة جهنم وبُعْد مقرها :

يقول الله عز وجل ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** ﴾[6] .

ومعنى الآية أن الله عز وجل جعل للكفار نارا هائلة وأحاط بهم سرادقها ، وهو الحاجز الذى يكون حول الفسطاطِ ، يحيط بهم من جميع الجوانب ، فلا يستطيعون أن يتخلصوا منها ؛ لأنها محيطة بهم من كل جانب[7] . ويوضح الرسول ﷺ سعتها وعظم قعرها ، فيما يرويه مسلم عن أبى هريرة قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبى ﷺ : « تدرون ما هذا ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا حجر رُمِيَ به فى النار منذ سبعينَ خريفا ، فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها »[8].

(1) القصص ٨٨ .
(2) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦١ .
(3) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٦ .
(4) النهاية فى الفتن جـ ٢ ص ٣٩٣ .
(5) لا مجال لتكرار شبهة المعتزلة فى عدم خلق النار فقد عرضنا تفنيد شارح المقاصد والمواقف عليهم وأيضا صاحب مطالع الأنظار . عند الحديث عن خلق الجنة وإعدادها انظر ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ .
(6) الكهف ٢٩ .
(7) التفسير الكبير للرازى جـ ٢١ ص ١٢٠ وروح المعانى للألوسى جـ ١٥ ص ٢٦٧ / ٢٦٨ .
(8) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٥ .

وهذا الحديث يدل على عمقها وبُعْدِ قعرها .

وروى الإمام مسلم بسنده عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ مع كلِ زمامٍ سبعون ألف ملك يجرونها »(١) .

وإذا كانت النار هكذا عظيمة فإن الله عز وجل يجعل أجساد أهلها كبيرة كذلك ، حتى يذوقوا العذاب الأليم . وقد ذكر الله عز وجل أن جلودهم كلما نضجت بدلهم جلودا غيرها يقول الله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودُهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما** ﴾(٢) .

ويذكرُ رسول الله ﷺ أن مقعدَ الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام .

روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحدٍ ، وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة »(٣) ومعنى الحديث أن الله يزيد فى أعضاء الكافر زيادة فى إيلامه وتعذيبه ، والبيضاء اسم جبل ، ومعنى مقعده أى مكان قعوده ، والربذة : مكان يبعد عن المدينة مسيرة ثلاث ليال(٤) ويؤيد هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة مرفوعا قال : « ضرس الكافر مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة ، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار » . قال المنذرى : الجبار ملك باليمن له ذراع معروف(٥) . وإخبار الرسول ﷺ بهذه الأشياء دلالة على العذاب الأليم والمهين الذى أعده الله لأهلها .

أبواب جهنم وخزنتها :

ورد فى القرآن الكريم عدد أبواب جهنم ، يقول الله تعالى ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾(٦) ويقول عز وجل ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين** ﴾(٧) وحمل بعض العلماء بعض صفات

---

(١) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٥ .
(٢) النساء ٥٦ .
(٣) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٩٨ / ٢٩٩ .
(٤) نفسه ص ٢٩٩ .
(٥) نفسه ص ٢٩٩ .
(٦) الحجر ٤٣ ، ٤٤ .
(٧) الزمر ٧٢ .

جهنم على أنها أبواب لها ، مثل لظى ، والحطمة ، الجحيم ، السعير ، وسقر . يقول القرطبى : ذُكِرَ عن بعض أهل العلم فى قول الله تعالى ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾[1] أى من الكفار والمنافقين والشياطين ، وبين الباب والباب خمسمائة عام . **والباب الأول** : يسمى جهنم ؛ لأنه يتجهم فى وجه الرجال والنساء فيأكل لحومهم . **والباب الثانى** : يقال له لظى نزاعةً للشوى يدعو من أدبر وتولى عن التوحيد . **والباب الثالث** : يقال له سقر لا يبقى ولا يذر من جسم الكافر شىء . **والباب الرابع** : يقال له الحطمة ، وهى تحطم العظام وتحرق الأفئدة . وهى ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر . **والباب الخامس** : يقال له الجحيم . **والباب السادس** : يقال له السعير ، وإنما سمى السعير ؛ لأنه يسعر بهم ، وفيه جُب الحزن الذى تستعيذ الخلائق من حره . **الباب السابع** : يقال له الهاوية : من وقع فيه لم يخرج منه أبدا »[2] .

وأما عن خزنة جهنم فإن القرآن الكريم أشار إليهم بقوله تعالى ﴿ **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين** ﴾[3] .

وذهب معظم المفسرين إلى أن التسعةَ عشر هم خزنة جهنم . وحكى الواحدى عن المفسرين أن خزنة جهنم تسعة عشر : مالك ومعه ثمانية عشر ، أعينهم كالبرق ، وأنيابهم كالصياصى ، وأشعارهم تمس أقدامهم ، يخرجُ لهبُ النارِ من أثوابهم ، ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة ، يسع كف أحدِهم مثل ربيعة ومضر ، نُزِعَتْ منهم الرأفة والرحمة ، يأخذ أحدُهم سبعين ألفا فى كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم[4] .

وينقل ابن كثير أثرا مروياً عن رسول الله ﷺ : أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال : الله ورسوله أعلم . فجاء رجل فأخبر النبى ﷺ ، فأنزل الله ساعتئذ ﴿ **عليها تسعةَ عشر** ﴾ فأخبر أصحابه[5] . وما أخبر الله

---

(١) الحجر ٤٤ .

(٢) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٤٦٣ / ٤٦٤ ويقظة أولى الاعتبار ص ١٢٣ / ١٢٤ .

(٣) الزمر ٧١ . (٤) الرازى جـ ٣٠ ص ٢٠٣ .

(٥) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٧٠ / ٥٧١ .

عز وجل من جعل عدتهم فتنة للذين كفروا ؛ لأن الكفارَ حينَ سمعوا أن خزنة النار تسعة عشر قال أبو جهل : يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرةٍ منكم لواحدٍ منهم فتغلبونهم . وقال أبو الأُشد بن أسيد بن كلدة وكان شديد البطش : أنا أكفيكم سبعة عشر واكفونى أنتم اثنين . فلما سمع المسلمون ذلك قالوا للكفار : ويحكم لا تقاس الملائكة بالسجانين والحداد[1] .

وأما ما ورد فى قوله تعالى ﴿ **وَنَادَوْا يا مالك لِيَقْضِ عَلَيْنَا ربك قال إنكم ماكثون** ﴾[2] . فإنه نداء لواحد وليس لمجموع الخزنة ، ووجه الجمع بين عليها تسعة عشر وبين نداء أهل النار لمالك — فقط — أن مالكا هو رئيس الخزنة ، وهم ثمانية عشر ، وهو التاسع عشر لهم . وفى ندائهم طلبُ للراحة بالموت ، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿ **قال إنكم ماكثون** ﴾ قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال لهم ذلك . أى لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها[3] .

دركات جهنم :

يقول الله تعالى ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[4] هذه الآية تدل على أن النار دركات سبعة ، أى طبقات . كما أن الجنة درجات ، ويقال للنار دركات ، وللجنة درجات ؛ لأن العرب تستعمل لكل ما سفل درك ولكل ما علا وارتفع درج[5] . وقد ذكر العلماء الطائفة المختصة بكل دركٍ من أدراكِ النار ، قالوا : الأعلى لعصاةِ المسلمين ، والثانى للنصارى ، والثالث لليهود ،والرابع للصابئة ، والخامس للمجوس ، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين . ويعلق القرطبى على هذه التحديدات بقوله : « وقع فى كتاب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح »[6] والأولى التفويض والتحديد لله رب العالمين ، ما دام لم يذكر القرآن الكريم شيئا عن تحديد دركاتها وأهلها ، ولم يحدث الرسول ﷺ عن شىء من هذا .

---

(١) الفخر الرازى جـ ٣٠ ص ٢٠٣ / ٢٠٤ ومختصر ابن كثير ص ٥٧١ .

(٢) الزخرف ٧٧ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٩٦ / ٢٩٧ .

(٤) النساء ١٤٥ .

(٥) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٤٦١ .

(٦) نفسه .

صفة النار ووقودها :

يصف القرآن الكريم النار بصفات رهيبة مخوِفَة ، منها أنها نارٌ تلظى . يقول الله عز وجل ﴿ فأنذرتكم نارًا تلظى . لا يصلها إلا الأشقى . الذى كذب وتولى ﴾(١) ومعنى تلظى أى توهج كما قال مجاهد(٢) . وهى نار موقدة ، يقول الله تعالى ﴿ كلا لَيُنْبَذَنَّ فى الحُطَمَةِ . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة ﴾(٣) وإضافة النار هنا لله للتفخيم ، أى هى نار لا كالنيران ، ولذلك فهى لا تخمد أبدا ؛ لأنها موقدة بأمر الله وقدرته(٤) . ويذكر الرسول ﷺ أنها أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة(٥) . بل ويذكر رسول الله ﷺ أن نار الدنيا جزءٌ من سبعين جزءا من حر جهنم . روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « ناركم هذه التى يوقد بنو آدم جزءٌ واحدٌ من سبعين جزءا من حر جهنم » قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : « فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها »(٦) . والمراد من الجمع هنا المبالغة فى الكثرة لا العدد الخاص . ومعنى أنها لكافية أن نار الدنيا كافية فى الآخرة لتعذيب أهل النار ، ولكن الرسول ﷺ قال : « ولكنها . فضلت على نيران الدنيا كلهن » أى حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءا من نار جهنم . مثل حرها أى مثل حرارة ناركم فى الدنيا(٧) .

وهى نار حامية يقول تعالى ﴿ وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية ﴾(٨) يقول أبو السعود : الهاوية من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها . والنار الحامية دليل على أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية ، وهذا القدر كاف فى التنبيه على قوة سخونتها(٩) .

وهذه أوصافٌ كلها تبين شدة العذاب الذى يتعذب به أهل النار يوم القيامة .

أما عن وقودها ، فإن القرآن الكريم يذكر أنها توقد بالناس والحجارة يقول الله عز

---

(١) الليل ١٤ — ١٦ .
(٢) ابن كثير جـ ٤ ص ٥٢٠ .
(٣) الهمزة ٤ — ٦
(٤) الفخر الرازى جـ ٣٢ ص ٩٤ .
(٥) رواه الترمذى عن أبى هريرة بتحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣١٦ .
(٦) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣١٤ / ٣١٥ .
(٧) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣١٤ / ٣١٥ .
(٨) القارعة ٨ — ١١ .
(٩) انظر أبو السعود جـ ٤ ص ٨٩٩ والفخر الرازى جـ ٣٢ ص ٧٤ .

وجل ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾(١) ويقول تعالى عن المشركين ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾(٢) ويحذر المؤمنين من النار وعذابها يقول تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾(٣) ومعنى وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن سائر النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة ، وهى لإفراط حرها تتقد بالحجارة ، وقرن الله عز وجل الناس بالحجارة لأنهم قرنوا أنفسَهم فى الدنيا ،حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دون الله ، فيكونون حطبا للنار ، وهو ما تذكى به ، فيكونون وقودا للنار ومعذبين بها فى الوقت نفسه(٤) . ومعنى آخر تحتمله الآية وهو أن الناس فى النار كالحجارة فى مهانتها وفى رخصها وفى القذف بها دون اعتبار ولا عناية . يقول الأستاذ سيد قطب : « وما أفظعها نارا هذه التى توقد بالحجارة ! وما أشد عذابها هذا الذى يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة ! وكل ما بها وما يلامسها فظيع رهيب »(٥) .

أصناف العذاب لأهلها :

ثياب أهل النار وسلاسلهم :

يقول الله تعالى ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم . يصْهَر به ما فى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق** ﴾(٦) ومعنى قطعت لهم ثيابٌ من نار :أى فُصِّلَتْ لهم مقطعات من النار ، وعن سعيد بن جبير : هو النحاس ، وهو من أشد الأشياء حرارة إذا حمى ، ويصب من فوق رؤسهم الحميم ، وهو الماء الحار فى غاية الحرارة ، يذيب ما فى بطونهم من الفم والأمعاء ، ومع كل هذا يُضْرَبُونَ بمقامعَ من حديدٍ ، كلما أرادوا الخروج منها من غم أعيدوا فيها ، وعن الفضيل بن عياض : « والله ما طمعوا فى الخروج، إن الأرجل لمقيدة وأن الأيدى لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها »(٧) .

---

(١) البقرة ٢٤ . (٢) الأنبياء ٩٨ . (٣) التحريم

(٤) الرازى جـ ٢ ص ١٤٠ / ١٤٢ والتذكرة القرطبى جـ ٢ ص ٤٩٢ .

(٥) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٨ / ٣٦ .

(٦) الحج ١٩ ــ ٢٢ . (٧) ابن كثير جـ ٣ ص ٢١٢ / ٢١٣ .

وعن سلاسل وأغلال أهل النار قال الله تعالى عمّن أوتي كتابه بشماله ﴿ **خذوه فغلّوه . ثم الجحيم صلّوه . ثم في سلسلة ذرْعها سبعون ذراعا فاسلُكوه** ﴾(١) .

وقال عز وجل ﴿ **إن لدينا أنكالا وجحيماً . وطعاما ذا غصةٍ وعذاباً أليما** ﴾(٢)والسلسلة التى يُسْلَكُ فيها من لا يؤمن بالله العظيم ، هذه السلسلة عظيمة القدر ، وهذا ما جعل بعضُ المفسرين يحمل العدد فيها على الوصف بالطول البعيد ، و لا لغرض التقديرُ بهذا المقدار .

وعن ابن عباس : تدخل السلسلة من دبره ، وتخرج من حلقه ، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه ، وتقديم السلسلة على السلك معناه التهويل والتفظيع من شأنها ، كأنه قال : لا تسلكوه إلا فى هذه السلسله ، لأنها أفظع من سائر السلاسل(٣).

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن رصاصة مثل هذه »وأشار إلى مثل الجمجمة « أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها »(٤) وهذا يؤيد أن العددَ المذكور فى السلسلة للكثرة(٥) لا العدد فقط . وعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٌ قال : « إن حلقة من السلسلة التى قال الله ﴿ **ذرعها سبعون ذراعا** ﴾ إن حلقةً منها مثل جميع حديدِ الدنيا »(٦) والأنكال المذكورة فى قوله تعالى ﴿ **إن لدنيا أنكالاً وجحيماً** ﴾ هى القيد واحدة نكل وهو القيد الثقيل(٧) .

طعام أهل النار وشرابهم :

يتحدث القرآن الكريم عن طعام أهل النار فيذكر أن الزقوم هو طعامهم . يقول الله تعالى ﴿ **أذلك خيرٌ نُزلا أم شجرة الزّقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رُءوسُ الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم** ﴾(٨). ويقول عز وجل ﴿ **إن شجرةَ الزقوم** .

---

(١) الحاقة ٣٠ ، ٣٢ . (٢) المزمل ١٢ ، ١٣ . (٣) الرازى جـ ٣٠ ص ١١٤ / ١١٥
(٤) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣١٣ / ٣١٤ والرازى جـ ٣٠ ص ١١٤ .
(٥) نفسه ص ٣١٤ والرازى جـ ٣٠ ص ١١٤ . (٦) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٤٨٢ .
(٧) الرازى جـ ٣٠ ص ١٨١ والكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ١٦٨ .
(٨) الصافات ٦٢ — ٦٧ .

طعام الأثيم . كالمهل يغلى فى البطون . كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾(١) . ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون . لآكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم ﴾**(٢) . ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً . إلا حميماً وغساقاً ﴾**(٣) ويقول تعالى ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع ﴾**(٤) هذه الآيات تقرر أن طعام أهل النار الزقوم والضريع . يقول القرطبى : « إن شجرة الزقوم أصلها فى الباب السادس ، وإنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، فلابد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها »(٥) .

ويصف الرسولُ ﷺ الزقوم بقوله : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدتْ على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه »(٦) .

والضريعُ الذى جعلَهُ اللهُ لهُمْ طعاماً ، نوع من الشوك اللاطىء بالأرض ، ترعاه الإبل وهو أخضر ، ويسمى الشبرق ، فإذا جنى صار اسمه الضريع ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سام(٧) .

وأما شراب الحميم فإن رسول الله ﷺ يقول عنه : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم ، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما فى جوفه حتى يمرقه من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان »(٨) ومعنى يسلت ما فى جوفه أى يقطع ويمسح ، من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام . وهو المشار إليه فى قوله تعالى ﴿ **يُصَهر به ما فى بطونهم والجلود ﴾**(٩) والغسَّاق الذى يشرب منه أهل النار هو ما يسيل من صديد أهلِ النارِ وغسالتهم . وقيل ما يسيل من دموعهم ، وقال عنه النبى ﷺ فيما يرويه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل

---

(١) الدخان ٤٣ — ٤٩ .
(٢) الواقعة ٥١ — ٥٥ .
(٣) النبأ ٢٤ ، ٢٥ .
(٤) الغاشية ٦ ، ٧ .
(٥) التذكرة للقرطبى جـ ٢ ص ٥٠٣ .
(٦) رواه الترمذى جـ ٧ ص ٣٠٧ .
(٧) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٨٦٩ .
(٨) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٠٢ / ٣٠٣ .
(٩) الحج ٢٠ .

الدنيا »[1] والغساق هو المشار إليه فى قوله تعالى ﴿ **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا . إلا حميما وغساقا** ﴾[2] وفى قوله تعالى ﴿ **هذا فليذوقوه حميم وغساق** ﴾[3]. عن ابن عباس الغساق : صديدُ أهل النار[4] . و عن ابن عمر فى معنى الغساق : لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب أنتنت أهل المشرق . وقيل الغساق الذى لا يستطاع من شدة برده وهو الزمهرير[5] .

أكثر أهل النار :

وردت أحاديث تفيد أن أكثر أهل النار من النساء ، وذلك لنقصان عقلهن ودينهن . روى البخارى بسنده عن عمران عن النبى ﷺ قال : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء »[6] .

وإنما كان أكثر أهل النار النساء لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة ، لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن[7] .

وروى مسلم بسنده عن حارثة بن وهب أنه سمع النبى ﷺ قال : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ » قالوا : بلى . قال : « كل عتل جَوَّاظٍ مستكبِرٍ »[8] .

وروى مسلمٌ أيضا عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تحاجت النار والجنة . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين »[9] ومعلوم أن الله عز وجل ينادى النار قائلا : هل امتلأت ؟ فَتَرُدُّ المزيد .

يقول الله عز وجل ﴿ **يوم نقول لجهنمَ هل امتلأتِ فتقول هل من مزيد** ﴾[10] وهذه الآية بيان لقول الله تعالى ﴿ **لأملأن جهنّم من الجنّةِ والناسِ أجمعين** ﴾[11].

يقول الرازى : « قول الله تعالى ﴿ **هل من مزيد** ﴾ فيه وجهان :

الأول : أنه لبيان استكثارها الداخلين ، كما أن من يضرب غيره ضربا مبرحا أو

---

(1) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٦١
(2) النبأ ٢٤ ، ٢٥ .
(3) ص ٥٧ .
(4) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٦١ .
(5) يقظة أولى الاعتبار .
(6) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٥٠ / ٣٥١
(7) مسلم جـ ٢ ص ٥٣٨ .
(8) نفسه .
(9) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٢٨٦ ط . الحلبى .
(10) ق ٣٠ .
(11) السجدة ١٣ .

يشتمه شتما قبيحا يقول المضروب : هل بقى شيء آخر ، ويدل عليه قوله لأملأن ؛ لأن الامتلاء لابد أن يحصل فلا يبقى فى جهنم موضعٌ خالٍ حتى تطلبَ المزيدَ .

الثانى : هو أنها تطلب الزيادة . ولو قال قائل : كيف يفهم هذا مع قوله تعالى لأملأن ؟ فقد أجاب الرازى على ذلك من وجوه .

أحدها : أن كلام جهنم هل من مزيد قبل أن تملأ ، وفيه أن جهنم تتغيظ على الكفار فتطلبهم ، ثم يبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين ، فتطلب جهنم امتلاءها لظنها بقاء أحدٍ من الكفار خارجا .

ثانيها : أن تطلب جهنم أولا سعة فى نفسها ، ثم مزيدا فى الداخلين . لظنها بقاء أحدٍ من الكفار .

ثالثها : أن الملء له درجات ، فإن الكيل إذا ملىء من غير كبس صح أن يقال : ملىء وامتلأ فإذا كبس يسع غيره . فكذلك جهنم ملأها الله تنفيذًا لوعده ثم تطلب زيادة تضييقا للمكان عليهم وزيادة فى التعذيب »(1) .

والرأى الثالث هو الذى تستريح إليه النفس فإنها تملأ ، أولا ثم تطلب المزيد ؛ لتضيِّق على الكفار مكانهم فيزدادون ألما وعذابا مع عذابهم . وهذا يتناسب مع قوله تعالى ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيدٍ سمعوا لها تغيظا وزفيرا . وإذا أُلقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثُبورا** ﴾(2) .

وقد ورد فى صحيح مسلم أن النار لن تمتلىء حتى يضع الجبار قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض(3) .

خلود الكفار فيها أبدا :

يفرق القرآن الكريم والسنة النبوية بين صنفين من أهل النار :

الصنف الأول :

هم الكفار الذين ماتوا على كفرهم ، وهؤلاء مخلدون فى النار أبدا ، لا يقضى عليهم

---

(1) الفخر الرازى جـ ٢٨ ص ١٧٤ . (2) الفرقان ١٢ ، ١٣ .

(3) الحديث فى صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣٦ .

فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، وهم الذين قال الله عنهم ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما** ﴾[1] . وقال تعالى ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور** ﴾[2] ولا خلاف بين المسلمين فى خلود الكفار فى نار جهنم أبدا ، يقول شارح المقاصد : « أجمع المسلمون على خلود الكفار فى النار »[3] .

وعن التأبيد والخلود فى النار يقول الله تعالى ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾[4] ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا . خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا** ﴾[5] . ويقول تعالى ﴿ **إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا** ﴾[6] .

يقول ابن كثير بعد أن أورد الآيات الثلاث السابقة : « فهذه ثلاث آيات فيهن الحكم عليهم بالخلود أبدا ، ليس لهن رابعة مثلهن فى ذلك »[7] .

والصنف الأول كما قلت لا خلاف بين العلماء فيه إنما الخلاف فى الصنف الثانى .

الصنف الثانى :

عصاة المؤمنين ، وقد اختلف المسلمون فيمن مات مرتكبا كبيرة ولم يتب عنها :

أولا : الأشاعرة :

يرى علماء الأشاعرة أن من مات من المسلمين مرتكبا كبيرة ولم يتب عنها فهو فى مشيئة الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه ، وهم لا يقطعون بالعفو ولا بالعقاب ، ولكنهم يقطعون بعدم الخلود فى النار على فرض العقاب . ويستدل علماء الأشاعرة بالآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة بعد أخذ نصيبهم من النار ثم الخروج منها

---

(١) النساء ٥٦ .
(٢) فاطر ٣٦ .
(٣) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٤) الجن ٢٣ .
(٥) الأحزاب ٦٤ ، ٦٥ .
(٦) النساء ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٧) النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٨ .

للجنة . وهناك آيات كثيرة يستدلُ بها الأشاعرة على ذلك منها قوله تعالى ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يَرَهُ . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ **ومن عمِلَ صالحًا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾(٣) ومعلومٌ أن صاحبَ الكبيرة بإيمانه وسائر ما يكون له من الحسنات مستحق للثواب(٤) على أصول المعتزلة — على طريقة مجاراة الخصم من شارح المواقف — ويستدل الأشاعرة أيضا بالأحاديث الدالة على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . روى الإمام مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنةَ حقٌ وأن النارَ حقٌ أدخله الله من أى أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاء »(٥) .

ومثل قوله ﷺ : « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » ويستدل الأشاعرة أيضا بالنصوص المشعرة بالخروج من النار ، مثل قوله تعالى ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز** ﴾(٦) وقوله تعالى ﴿ **النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم** ﴾(٧).

ومثل قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النارِ النارَ ، ثم يقول : انظروا من وجدتم فى قلبه مثقالَ حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجوه . فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا ، فيلقون فى نهرِ الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية » (٨) ويعلق شارح المقاصد على هذه الأحاديث بقوله : « وخبر الواحد وإن لم يكن حجة فى الأصول ، ولكن يفيد التأييد والتأكيد بتعاضد النصوص »(٩).

---

(١) الزلزلة ٧ ، ٨ .
(٢) غافر ٤٠ .
(٣) الرحمن ٦٠ .
(٤) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٧ .
(٥) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٣٣ .
(٦) آل عمران ١٨٥ .
(٧) الأنعام ١٢٨ .
(٨) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٥ .
(٩) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨ .

ومما يستدل به الأشاعرة : الإلزام على طريقة المعتزلة ، ذلك أنه لو أن إنسانا عبد الله مائة عام وواظب على الإيمان والعمل الصالح ، وصدر عنه فى أثناء ذلك أو بعده جريمة كشرب الخمر . فلا يحسن من الحكيم أن يعذبه على ذلك أبد الآبدين . ومن وجوه الاستدلال أن المعصية متناهية زمانًا وقدراً وأما الكفر فغير متناهى ، والخلودِ فى النارِ عذابٌ على أشد الجنايات وهو الكفر ، فيجب أن تتميز التى هى دون الكفر بالخروج من النار[1] .

ثانيا المعتزلة :

يرى المعتزلة أن الفاسقَ مخلدٌ فى النار ويعذَبُ فيها أبدَ الآبدين ودهر الداهرين[2] ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها** ﴾[3] وتقرير الدليل عندهم أن الله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها ، والعاصى إسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً ، فيجب عليهما ، ولو أراد أحدهما دون الآخر لبينه[4] . ويفند شارح المقاصد حجتهم فى هذه الآية ؛ بأن العموم غير مراد فى الآية للقطع بخروج التائب وأصحاب الصغائر وصاحب الكبيرة من النار[5] .

ويستدلون أيضا بقوله تعالى ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾ [6] وهذه الآية إستدل جمهور المعتزلة بها على أن فساق أهل الصلاة مخلدون فى النار ، وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار ما داموا لم يتوبوا ، وقالوا إن هذا العموم أقوى فى الدلالة على المطلوب من سائر العمومات ؛ لأن سائر العمومات ما جاء فيها لفظ أبدا . ويجيب الرازى على ما تعلق به المعتزلة من وجوه .

أحدهما : أن تخصيص العموم بالواقعة التى لأجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور ، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق فإن اليمين يقيد بتلك الساعة ، حتى أنها لو خرجت فى يوم آخر لم تطلق .

---

(1) انظر شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٧ / ١٦٨ وشرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٦ / ٤٤٧ .

(2) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٦٦ .

(3) النساء ١٤ .

(4) نفسه ص ٦٥٧ .

(5) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٦٨ .

(6) الجن ٢٣ .

فهنا أجرى الحديث فى التبليغ عن الله تعالى : ثم بعد ذلك قال :. ومن يعص الله ورسوله ، أى من يعص الله فى تبليغ رسالاته وأداء وحيه فإن له نار جهنم خالدا فيها أبدا .

ثانيها : أن معنى يعص الله ورسوله لابد وأن يعصيه فى سائر الذنوب وبجميع أنواع المعاصى ، والذى يفعل ذلك هو الكافر ، فالآية مختصة بالكافر على هذا التقدير(١) .

ومما يستدل به المعتزلة قوله تعالى ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها** ﴾(٢) .

ويرد الأشاعرة على ذلك بأن المراد بالخلود المكث الطويل ، وعلى فرض أنه الخلود الدائم فيكون المراد من القتل على وجه الاستحلال ، أو بأن الوصف بالإيمان يكون خاصاً بمن قتل المؤمن لإيمانه(٣) .

وبعد عرضنا لأدلة الأشاعرة والمعتزلة نرجح ما ذهب إليه الأشاعرة ، من عدم الخلود فى النار لعصاة المؤمنين الذين ارتكبوا بعض الذنوب أو حتى الكبائر ولم يتوبوا ،وذلك لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا ما عدا الشرك بالله .

يقول الله تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما** ﴾(٤) ولدلالة الآيات القرآنية على أن من آمن وعمل صالحا سيدخل الجنة ، وأن آيات الوعد مؤكدة ، وأما آيات الوعيد فغير مؤكده .

يقول الله تعالى ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا** ﴾(٥)فقوله وعد الله حقا إنما ذكره للتأكيد ، ولم يقل فى شىء من القرآن وعيد الله حقا ، وأما قوله تعالى ﴿ **ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد** ﴾(٦). فهذه الآية بإجماع المفسرين فى حق الكفار(٧) .

وللأحاديث الكثيرة التى تثبت الشفاعة لعصاة المؤمنين فيخرجون من النار روى

---

(١) الفخر الرازى جـ ٣٠ ص ١٦٥ / ١٦٦ . (٢) النساء ٩٣ .
(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ض ١٦٨ / شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٧ .
(٤) النساء ٤٨ . (٥) النساء ١٢٢ .
(٦) ق ٢٩ . (٧) الأربعين فى أصول الدين للرازى ص ٤٠١ .

الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »(١)

ثانياً : الجنة والنار عند النصارى

أ ـ الجنة عند النصارى :

ورد فى قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة : أنها الفردوس الأصلى الذى رتبه الله للإنسان قبل سقوطه ،(٢) ووضع فى وسطه شجرة الحياة ، وأطلقت الكلمة على كل بستان فى قصور الملوك(٣) . وورد أيضا تحت كلمة جنات : أنها بساتين معدة للانشراح واللذات ، وفيها جنات الملك سليمان(٤) ، وفيها سواقى وينابيع(٥) .

ونلاحظ أن قاموس الكتاب المقدس ربط شجرة الجنة بالبستان الذى يملكه الملوك وهى معدة للإنشراح واللذات ، وفيها جنات الملك سليمان وفيها سواقى وينابيع . كل هذه الصفات تطلق على البساتين فى الأرض ، ولكن قاموس الكتاب المقدس لم يشرْ من قريب أو بعيدٍ إلى أنها المكان الذى يتمتع فيه الصالحون من النصارى فى الآخرة .

وبالرغم من عدم إشارة النصارى إلى الجنة ونعيمها الحسى فى الآخرة إلا أننا سنعرض فيما يلى بعض النصوص التى تتحدث عن الجزاء فى الآخرة ، المتمثل فى الطعام والشراب والنكاح فى الجنة(٦) وبالرغم من ادعاء النصارى بأن نعيم الأبرار يتمثل فى « اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله ، ورؤية الله هى الخير الأعظم الفائق كل خير ، الذى يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه ، بل هى سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتى تتجه كل أشواق قلبه إليه » (٧) .

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٢١٣ .
(٢) سفر التكوين ٢ : ١٠ ، ١٣ : ١٠ .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ .
(٤) سفر الجامعة ٢ : ٥ ونشيد الإنشاد ٤ : ١٣ .
(٥) سفر العدد ٢٤ / ٦ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٦ .
(٦) سنعرض هنا النصوص من الكتاب المقدس التى تثبت الجزاء المعد للصالحين من النصارى فى الآخرة . ونترك مناقشة حسية هذه النصوص أو معنويتها للفصل الذى نتحدث فيه عن حسية النعيم والعذاب وروحانيتهما بين المسلمين والنصارى واليهود .
(٧) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٤ .

فعن الطعام والشراب :

ورد فى إنجيل يوحنا ما نصه : « اعملوا لا للطعام البائِد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان ، لأن الله الآب قد ختمه »(١) .

وورد فيه أيضا قولهم للمسيح : « آباؤنا أكلوا المنَّ فى البرية ، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء »(٢) .

فهذه النصوص تبين أن فى الآخرة طعاماً باقياً يعطيه المسيح للمؤمنين به .

والنص الثانى يبرز على لسان المسيح أن هناك خبزاً فانياً أكله آباء من يتحدث معهم المسيح ، ولكن من يطيعه ويؤمن به يأكل الخبز الحقيقى عند الله . ووعد المسيح لهم بالطعام فى الآخرة مكافأة لهم يبِّن كيفَ أن الإنجيل تحدث عن الطعام فى الجنة . وهناك نص آخر فى إنجيل لوقا يثبت الطعام والشراب فى الآخرة . ورد فى لوقا : « وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتى ، وتجلسوا على كراسى ، تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر » (٣) .

والنصارى تعتقد أن هذا الملكوت فى الآخرة ، وأن الدينونة بعد انقضاء العالم(٤) والنص يثبت أن هناك طعامًا وشرابًا على مائدة المسيح للذين يؤمنون به .

وعن الشراب :

ورد فى إنجيل متى : « وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ، وأقول لكم : إنى من الآن لا أشربُ من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم الذى أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى »(٥) .

وهذا نص صريح فى أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيشرب معهم خمراً من نتاج

---

(١) إنجيل يوحنا ٦ : ٢٧ / ٢٨ .

(٢) إنجيل يوحنا ٦ : ٣١ / ٣٢ .

(٣) إنجيل لوقا ٢٢ ــ ٢٩ / ٣٠ .

(٤) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٤٦٤ ، جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(٥) إنجيل متى ٢٦ ــ ٢٧ / ٣٠ .

الكرمة فى الآخرة . وهذا النص يبين أن فى الجنة شرباً للخمر ــ كما صرح المسيح بذلك على مافى إنجيل متى الحالى .

وأيضا نص لوقا « وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى » (١) نص صريح أيضا على أن هناك شرابا فى الجنة .

النكاح :

ومن بين ثنايا نصوص الأناجيل نستخرج بعض النصوص التى تثبت الزواج فى الجنة ، وملكية الصالح فى الآخرة لأشياء كثيرة من البيوت والحقول .

ورد فى متى : « كل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية »(٢) .

وهذا نص صريح فى أن نعيم الآخرة يشبه نعيم الجنة مع الاختلاف ، وكان المسيح يرغبهم فى ماعند الله ، بأن من ترك منهم فى الدنيا بيوتا فله بدلا منها مائة ضعف ، وله حياة أبدية ، والمئة ضعف والحياة الأبدية لا تكون إلا فى الجنة .

وأيضا من ترك حقولا فى الدنيا فله بدلا منها مائة ضعف ، ومن ترك زوجة ، فله مائة زوجة ــ بنص الأناجيل مائة ضعف ــ وله الحياة الأبدية .

وكما ترى فإن النص صريح فى النكاح والملكية فى الآخرة ، بالرغم من أن إنجيل متى يصرح بأنه لا زواج يوم القيامة يقول : « لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله فى السماء »(٣) .

هذه النصوص التى تتحدث عن الطعام والشراب والقصور والزواج فى الآخرة يؤولها النصارى إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية فى الآخرة . وسنتعرض لأرائهم بالتفصيل عند الحديث عن روحانية النعيم وحسيته وكذا العذاب .

وعن كون الجنة مخلوقة ومعدة :

ورد فى إنجيل متى : « ثم يقول الملكُ للذين عن يمينه : تعالوا يامباركى أبى ، رثوا

---

(١) لوقا ٢٢ ــ ٢٩ .
(٢) إنجيل متى ١٩ : ٢٩ .
(٣) متى ٢٢ : ٣٠ .

الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » (1) وهذا النص يوضح أن الجنة ــ التى يطلق عليها النصارى أحيانا اسم الملكوت ــ معدةٌ منذ خَلْقِ الدنيا ، ويدعوه المسيح ليرثوها ــ جزاءا على أعمالهم ــ ويعتقد النصارى أن النفوس الصالحة فى الفردوس الآن مع المسيح . ورد فى أعمال الرسل قول بولس : « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدا »(2) ونفس المعنى ورد فى رسالة كورنثوس الثانية « وَنُسَرّ بالأَوْلى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب »(3) .

إذا كنا قد عرضنا بعض النصوص التى تثبت النعيم الحسى فى الجنة من الطعام والشراب والنكاح ، فإن هذه النصوص وإن كانت ثابتة فى الأناجيل إلا أن النصارى يؤولونها وعندهم أن النعيم المقيم يتمثل فى الحياة الأبدية ، وهذه الحياة فى تصورهم « مصرحٌ بها فى الكتاب فى غاية الوضوح فقيل والأبرار إلى حياة أبدية(4) ، ولكى لا يهلك كل من يؤمن تكون له الحياة الأبدية »(5) ، وهذه الحياة الأبدية تكون بالمسيح كما يزعمون « لأن أجرة الخطيئة هى موت ، وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح ربنا يسوع »(6) ، ويعتقدون أيضا أن النعيم الكامل الذى لا شىء سواه فى الجنة يكون برؤية وجه الله الكريم ؛ لأن التمتع بمشاهدته تملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة ، فتبقى مسحورة ببهائه الرائع لا ترتوى مدى الأبدية(7) .

مصير الأطفال الذين يموتون صغارا :

يشير علماء النصرانية إلى مصير الأطفال الذين يموتون قبل أن يُنَصَّروا بالتعميد إشارات عابرة . فقد ورد فى علم اللاهوت النظامى ــ وهو يمثل فرقة البروتستانت ــ أن « جميع الأطفال الذين يموتون قبل سن التكليف والبُلْه أيضا ــ أى الخارجين عن دائرة المسئولية الأدبية ــ ينالون الخلاص بالنعيم بالمسيح ، بتخصيص فوائد كفارته به ، فيتجددون ويدخلون فى حال الخلاص حالا بعد الموت »(8) .

وإذا كان البروتستانت قد قطعوا بالخلاص بالنسبة للأطفال الصغار والبُلْه الذين لم

---

(1) متى 25 : 34 .
(2) أعمال الرسل 20 ــ 25 .
(3) كورنثوس الثانية 5 : 1 / 10 .
(4) متى 25 : 46 .
(5) علم اللاهوت النظامى ص 1225 .
(6) نفسه وانظر رسالة رومية 6 : 23 .
(7) شرح التعليم المسيحى جـ 6 ص 233 .
(8) علم اللاهوت النظامى ص 1170 .

يدركوا شيئا ، فإن الأرثوذكس يرون أن هناك اختلافاً بين العلماء في مصيرهم ، ففريق من اللاهوتيين رأى « أنهم يكونون في حال متوسط بين الراحة ، أي أنهم لا يعذبون ، لأنهم لم يفعلوا شيئا يستحقون عليه العذاب ، ولا يتنعمون التنعيم كله ، لأنهم لم يقتبلوا العماد الذي هو شرط أساسي للنجاة من العقاب والحصول على مجد الخلود »(١) .

هذا الفريق يرى أنهم لا ينعمون النعيم الكامل ، ولا يعذبون ، لعدم استحقاقهم العذاب وبعض اللاهوتيين نفى عنهم النعيم المتوسط ، ونفى عنهم العذابَ أيضاً ، قال الفريق الآخر : « إنهم يُعْدَمُونَ حقاً مشاهدة الله إلى الأبد بسبب الخطيئة الأصلية ، إلا أنهم لا يتعذبون في النيران الأبدية » (٢) ومراد هذا الفريق أنهم لا يشاهدون الله ؛ لأن الخطيئة التي وُلِدُوا وارثين إياها من آدم لا تمكنهم من رؤية الله والتنعم بذلك . وفي ذات الوقت لا يعذبون لعدم اقترافهم بالفعل الآثام . وينقل صاحب علم اللاهوت عن القديس غريقريوس قوله : « إن الأطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون ، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعودية لم يخطئوا خطيئة شخصية ، ولا يستحقون كرامة ولا قصاصا »(٣) .

ونلاحظ أن هذه الأقوال والآراء لا يستدل أصحابها بفقرات من الأناجيل وأعمال الرسل ، وإنما هي عبارة عن اجتهادات واستنباطات (٤) .

خلود النعيم للأبرار :

يعتقد النصارى في أبدية النعيم بالنسبة للأبرار . ورد في علم اللاهوت النظامي : « أبدية تلك الحال مصرح بها في الكتاب في غاية الوضوح ، فقيل : والأبرار إلى حياة أبدية »(٥) ويستدل علم اللاهوت النظامي بما ورد في متى ويوحنا الذي ورد فيه « الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية »(٦) .

ومما ورد في يوحنا أيضا « ولأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية » (٧) ومما ورد في أعمال الرسل : « وآمن جميع الذين كانوا

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٥) علم اللاهوت النظامي ص ٢٢٤ .
(٦) يوحنا ٥ : ٢٤ .
(٧) يوحنا ٦ : ٤٠ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ .

معينين للحياة الأبدية » (١) ويستدل بنصوص كثيرة جداً على أبدية حال الأبرار في النعيم (٢) ويتحدث ميخائيل مينا عن خلود النعيم للأبرار بقوله : « إنه ثابت غير متناه ؛ لأن ثبات السعادة هو شرط ضرورى لكمالها ؛ لأن السعادة متى حصلت مجهولة الثبات حصل فى قلب مالكها خوف فقدها ، ومن هذا الخوف يتولد الحزن الذى هو ضد السعادة الكاملة . ولن يكون هناك مرضى ولا موت ولكن إشراق وبهاء غير منقطع » (٣) .

ب ـ النار فى التصور النصرانى :

ورد فى قاموس الكتاب المقدس عن النار ما نصه « فى العهد الجديد أعطيت الهاوية معنى جهنم ، أى أرض اللعنات والرجاسات ومسكن العذاب الأبدى (٤) ، ومسكن العقاب للخطاه(٥) ، والهاوية كمركز لكل أنواع العقاب »(٦) ونلاحظ أن جهنم كما هى عند المسلمين مكان للعذاب كذلك يعتقد النصارى . يقول القس كارل ويلمز عن جهنم بأنها « المكان الذى يعذب فيه المخطئون من النصارى » . وسواء كانت نيران جهنم حقيقية أو لم تكن فإن جهنم نفسها حقيقة واقعة ، وإذا كانت النار تشبيهاً مناسباً للعقاب فى جهنم فما أشد هول ورعب هذا العقاب (٧) ويعتقد النصارى أيضاً أن الأشرار مصيرهم النار فى الآخرة . ورد فى متى « ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين ، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (٨) والعذاب فى جهنم يكون بالنار والكبريت ورد فى سفر الرؤيا « إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضاً سيشربُ من خمر غضب الله المصبوب صرفاً من كأس غضبه ، ويعذب بنار وكبريت » (٩) .

وهناك تألم من النار وبكاء وصرير للإنسان . ورد فى متى « والعبد البطال اطرحوه

---

(١) أعمال الرسل ١٣ : ٤٨ .

(٢) رسالة تسالونيكى الثانية ٢ : ١٠ وعبرانيين ٥ : ٩ ، ١٢ ، ٢٥ ، رؤيا يوحنا ٢٢ / ٥ .

(٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١١٦ بتصرف .

(٤) متى ١٨ : ٨٠ .

(٥) رؤيا يوحنا ٩ : ١١ ، ١١ : ٧ ، ٢٠ : ٣٠ .

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ .

(٧) الأمور المتيقنة عندنا ص ١٩٦ كارل ولمز الكبير . الناشر المجمع العام لكنائس الله .

(٨) متى ٢٥ : ٤١ .

(٩) رؤيا يوحنا ١٤ : ١٩ / ١١ .

إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (١) .

وكما يكون العذاب بالنار والكبريت كما ورد فى الأناجيل التى بأيدى النصارى فإن هناك عذاباً معنوياً يتمثل فى غضب الله . ورد فى رسالة بولس إلى أهل رومية ما نصه « وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شديد وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر » (٢) وواضح من النص أن النصارى تعتقدُ فى أن غضب الله يُعْتَبَرُ عذاباً من ألوان العذاب الذى يؤلم الأشرار فى الآخرة .

وورد فى رؤيا يوحنا الجمع بين العذاب الحسي والمعنوى ، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى (٣)

والنص يوضح أن الأشرار وفاعلى الإثم يعذبون فى بحيرة من نار وكبريت ، وما هم فيه من العذاب يعتبر موتاً ثانياً معنوياً لا حسياً ، إذ يعتقد النصارى أن العذاب فى النار يكون أبدياً . ونفس الجمع بين العذاب الحسى والمعنوى نجده فى رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى « فى نار ولهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب من مجد قوته » (٤) النار واللهيب للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون الإنجيل والهلاك الأبدى من وجه الرب .

وإذا كانت نصوص الأناجيل تجمع بين العذاب الحسى والمعنوى ؛ فإن كثيراً من النصارى لا يقولون بالنار الحسية ، ويغلبون العذاب المعنوى المتمثل فى غضب الله والهلاك الأبدى والموت الثانى وخلافه (٥) .

والبعض الآخر منهم يذهب إلى أنها نار حقيقية ؛ لأن تكرار ذكر النار فى النصوص الإلهية هو دليل واضح على حقيقة وجودها ، وذكر النار لم يختلف وصفه فى الأسفار الإلهية ، فإذن يجب أن نفهمه على حرفه (٦) .

---

(١) متى ٢٥ : ٣٠ .
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية ١ : ٨ / ٩ .
(٣) رؤيا يوحنا : ٢١ : ٨ / ٩ .
(٤) رسالة تسالونيكى الثانية ١ : ٨ / ٩ .
(٥) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٢٢٥ وانظر دراسات فى علم الاسخاطولوجيا ص ٢٦ / ٢٧ / ٢٩ / ٣٠ سنزيد الأمر وضوحاً عند الحديث عن النعيم والعذاب بين الواقع المادئ والتأويل الروحانى بين الإسلام والنصرانية واليهودية .
(٦) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٠٨ / ١٠٩ بتصرف

أبدية العذاب :

يعتقد النصارى أن العذاب الذى يتعذب به الأشرار أبدى ولا نهاية له . وعندهم أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً إذ أن « حال الأشرار لا تتغير (١) ، وأنه لا رجاء للهالكين مطلقا» (٢)ويستدل النصارى بنصوص كثيرة على أبدية العذاب بالنسبة لمن دخلوا النار إذ « لا نهاية لقصاص الأشرار ، وأنه لا توبة حقيقية ولا إصلاح فى العالم الأخير » (٣) ويستدل علم اللاهوت النظامى بأن تعبير المسيح بالعذاب الأبدى والهلاك الأبدى ست مرات تدل على أنه لا نهاية له ، كما يتضح من استعمال لفظة أبدى نحو ستاً وستين مرة فى العهد الجديد ، منها إحدى وخمسون إشارة إلى حياة الأبرار وغبطتهم ، وفى إثنتين الإشارة إلى مجد الله ، والباقى إلى أمور أخرى (٤) ويلفت علم اللاهوت النظامى النظر إلى نص فى إنجيل متى ، وهو عن مصير الأبرار والأشرار ، فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية (٥) ويعلق على هذا النص بقوله : « استعملت العبارة مرتين : الأولى للإشارة إلى عذاب الأشرار ، والثانية إلى حياة الأبرار . فإذا قلنا إن المقصود من الإشارة إلى عذاب الأشرار عونه بلا نهاية ، فكذلك أيضاً حياة الأبرار بلا نهاية (٦) وهناك عبارات أخرى تدل على ذلك (٧) .

وما ذهب إليه علم اللاهوت النظامى يؤكده ميخائيل مينا بقوله : « لا يغرب عن الأذهان أن العذاب المخلد والهلاك الأبدى والعقوبات الدائمة والاستغراق فى النيران الجهنمية لهى كغيرها من الأسرار العسيرة الفهم فى الديانة المسيحية ، ومع ذلك فنحن ملزمون بتصديقها ، والإيمان بها ؛ لأن نصوصاً إلهٰية كثيرة أيدتها وأثبتتها » (٨) . ومع اعتراف ميخائيل مينا بأن العذاب الأبدى من الأسرار العسيرة الفهم إلا أنه يحاول تعليل ذلك العذاب الأبدى ، وكيف أن خلوده لا يضاد العدل الإلهٰى ، بل يوافقه تمام الموافقة ، فبالرغم من أن ارتكاب الخطيئة كان قصيراً إلا أن حب الخطيئة غير متناه ، لأن الخاطىء

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص . ١٢٢ . (٢) نفسه وانظر متى ٢٦ : ٢٤ / ٢٥ .
(٣) نفسه ١٢١٢ .
(٤) انظر علم اللاهوت النظامى ص ١٢١٨ / ١٢١٩ بتصرف .
(٥) متى : ٢٥ : ٤٦ . (٦) علم اللاهوت النظامى ص ١٢١٩ .
(٧) انظر يوحنا ٣ : ٢٦ ، متى ١٨ : ٨ ، ٢٥ : ٤١ ، مرقص ٣ : ٢٩ ، رسالة تسالونيكى الثانية ١ / ٩ .
(٨) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٣ / ١٥٤ .

يتمنى أن يحيا بلا انتهاء ، وحيث أنه مات فى خطيئته فهو بالطبع كان يرغب فعلهـا إلى الأبـد إن اتفق له أن يحيا إلى الأبد (١) . وقد أوضحنا فى مبحث الشفاعة كيف أن النصارى لا يفرقون بين الكبائر والصغائر مادام الإنسان لم يعترف على خطاياه ، وكيف أنهم لا يعتقدون فى الشفاعة فى الآخرة .

ثالثاً : الجنة والنار فى التصور اليهودى

أ ـــ الجنة :

ورد فى قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس : « الفـردوس الأصلى الـذى رتبـا الله للإنسان قبل سقوطه (٢) ، ووضع فى وسطـه شجـرة الحيـاة ، وأطلـقت الكلمـة على كل بستان فى قصور الملوك » (٣) .

وورد فيـه تحت كلمـة جنـات : « جنـات بساتين معـدة للانشراح واللـــذات ، منها جنات الملك سليمان (٤) وفيها سواقى وينابيع (٦) ، وكانت هذه الجنات مصونة لكى لا يدخلها الغريب »(٥) .

والملاحظة التى نسجلها هنا ـــ كما سجلناها عند الحديث عن الجنة فى تصور النصارى ـــ هى أن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذى يثاب فيه الصالحون يوم القيامة ، واليهود يعترفون بذلك ، ويعتبرون أن خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضرو (٧) .

وإذا كان العهد القديم لم يتحدث عن الثواب للصالحين فى الآخرة فلدينا بعض النصوص فى التلمود التى تتحدث عن جزاء الصالحين يوم القيامة

فعن مساحة الجنة ورد فى التلمود « مساحة مصر أربعمائة ميل طولاً وعرضاً ، وأرض الموريين تكبر مصر ستين مرة ، والمعمورة تكبر أرض مصر ستين مرة ، والجنة تكبر المعمورة ستين مرة »(٨) .

---

(١) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٥٤٠ / ١٥٠٥ .
(٢) سفر التكوين ٢ : ١٠ ، ١٣ : ١٠ .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥
(٤) سفر الجامعة ٢ : ٥ ونشيد الإنشاد ٤ : ١٣ .
(٥) عدد ٢٤ : ٦ وجامعة ٢ : ٥
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٥ ـــ ٢٧٦ .
(٧) انظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث لابن كمونة ص ٤٠ : ٤٢ .
(٨) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨

وعن نعيم الجنة جاء فيه « الجنة ليست مثل هذه الأرض ، لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس ، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق السكينة » (١) .

يقول سعديا الفيومى مؤكداً النص السابق : « نقلوا لنا — أى الآباء — أن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور ، وليس مع ذلك طعامٌ ولا شرابٌ ولا غشيان ولا تناسل ولا شرى ولا بيع ولا سائر الأمور التى فى الدنيا ، وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل » (٢) .

ويقول : « دار الآخرة إذ لا غذاء فيها ولا تكسب ، فلا معنى لرياض ولا لنبات ولا للأنهار ولا للجبال ولا للأودية ولا شىء من هذه » (٣) .

ولكن إذا كان علماء اليهود يقررون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب فقد كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا مدى صدقه ﷺ .

روى الإمام مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعنى ؟ فقلت : ألا تقول رسول الله ؟ فقال اليهودى : إنما ندعـوه باسمه الـذى سماه به أهلـه فقـال رسول الله ﷺ : « إن اسمى محمـد الـذى سمانى به أهلى » فقال اليهودى : جئت أسألك . فقال رسول الله ﷺ : « أينفعك شىء إن حدثتك » قال : أسمع بأذنى . فنكتَ رسول الله ﷺ بعود معه ، فقال : « سل » فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرضُ غير الأرضِ والسموٰات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم فى الظلمة دون الجسر » . قال : فمن أولُ الناس إجازة ؟ قال : « فقراء المهاجرين » . قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد النون » قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » . قال فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلا » قال : صدقت (٤) .

ونحن نجدُ من خلال أسئلة اليهودى لرسول الله ﷺ أنه يسألُ عن الجنة وطعام

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ . (٣) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .

(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢ — طبعة عيسى البابى الحلبى .

أهلها وشرابهم ، وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودى صدقت ؛ لأن إجابة الرسول كانت موافقة لما يعتقده ، فهل كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يعتقدون فى النعيم الحسى فى الجنة ؟ من الجائز ، ويكون حديث التلمود والأمانات والاعتقادات يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . هذا جائز أيضاً أو هو التبديل والتحريف الذى مارسه اليهود على اختلاف العصور للكتب التى أنزلها الله على أنبيائه ؟

ونقرر هنا حقيقة هامة وهى أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو خبر لا نسخ فيه ولا يحتمل إلا الصدق ، وعليه فيكون نعيم الجنة الذى أخبر الله به موسى هو نفسه الذى أخبر به عيسى ، وهو الذى صدق الرسول ﷺ فيه .

ولكن اليهود والنصارى حرفوا وبدلوا ، وكان نعيم الجنة وعذاب النار مما حرفوا فيه ، أوَلَمْ يقولوا ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾(١) .

وقولهم هذا أكبر دليل على تحريفهم ، ولذلك كذبهم الله وقال ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾(٢) .

وسوف نثبت من خلال التوراة والأناجيل وجود النعيم الحسى فى الجنة ، وذلك عند الحديث عن الجنة والنار بين الواقع الحسى والتأويل الروحانى عند النصارى واليهود .

ب ــ النار عند اليهود :

صور كُتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان مظلم تحت الأرض(٣) ، وله أبواب ، (٤) وهو مكان مظلمٌ مخيف ، سكانه يشعرون ، ولكنهم فى وجود بليد جامد(٥) ، تذهب إليه نفوس الجميع ، (٦) فيه القصاص(٧) .

ومع أن التوراة قد خلت ــ كما سبق أن أوردنا ــ من الحديث عن الثواب والعقاب ؛ فإن التلمود تحدث عن بعض أوصاف الجحيم الذى يعذب فيه العصاة .

---

(١) البقرة ١١١ .
(٢) البقرة ١١٢ .
(٣) سفر العدد ١٦ : ٢٠ ــ ٣٣ .
(٤) أشعياء ٢٨ : ١٠ .
(٥) صموئيل الثانى ٢٢ : ٦ ، مزامير ٦ : ٥ .
(٦) تكوين ٣٧ : ٣٥ .
(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٠ .

فمن الحاخامات من يرى أن الجحيم له ابوب ثلاثة : باب فى البرية ، وباب فى البحر ، وباب فى أورشليم ، ويعلم التلمود أيضاً أن نار جهنم لا سلطان لها على مذنبى بنى إسرائيل ، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء الحاخامات ، ولكن بعض الحاخامات قالوا : إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم ، ويمكثون فيها اثنى عشر شهراً وسوف تحرق روحهم ، وسوف تثير الرياح أجزاءهم تحت نعال الصالحين (١) .

وورد فى التلمود أيضاً « يعلم الشيوخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع أى شخص مختون من الدخول بينما يسقط غير المختونين فى قرار الجحيم » (٢) .

ونظراً لاعتقاد اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم لا يمكثون فى النار أبدا ، وإنما هى فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة . ورد فى التلمود « أن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد ، فالأبرار ينعمون به بعد الوفاة مباشرة ، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذى حكم به عليهم ؛ لأن القصاص الأبدى لم يُفْرَضْ سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتضليل الأمة »(٣) .

وهذا الرأى مع سابقه يصوره القرآن الكريم بقوله ﴿ **ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون** ﴾(٤) .

يقول صاحب تفسير المنار عن الآية : « قال « الأستاذ الإمام » : والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها ، أتكالاً على اتصال نسبهم بالأنبياء ، واعتماداً على مجرد الانتساب إلى الدين ، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف فى نجاتهم ، ومن استخف بوعيد الدين زاعماً أنه خفيف فى نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتماً تزول حرمة الأوامر والنواهى فى نفسه ، فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة ، ويتهاون فى الطاعات المحتمة ، وهكذا شأن الأمم عندما تفسق عن دينها وتنتهك حرماته ، ظهر فى اليهود ثم فى النصارى(٥) .

* * *

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩ .

(٢) فضح التلمود تعاليم الحاخامية السرية ص ٩٨ بقلم الاب أى بى برانتيس إعداد زهدى الفاتح ـــ الناشر دار النفائس ١٩٨٣ .

(٣) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ١٤٣ .   (٤) آل عمران ٢٤ .

(٥) تفسير المنار جـ ٣ ص ٩ : ٢٠ ، ٢٢ الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

المبحث الثالث عشر

رؤية الله تعالى بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولاً : رؤية الله فى التصور الإسلامى

وقوعها :

إن أعظم درجات النعيم فى الآخرة يتمثل فى رؤية المؤمنين لربهم عز وجل . وقد ثبتت رؤية الله عز وجل بالقرآن والسنة والإجماع ، ونتحدث عن الرؤية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

يقول الله تعالى ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة** ﴾[1] . يقول ابن كثير : « ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة** ﴾ من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾ أى تراه عيانا ، كما روى البخارى فى صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها »[2] .

ويقول ابن حزم : « ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين ، لاحرمنا الله ذلك بفضله »[3] .

ويدلل الإمام البيجورى على وقوع الرؤية بقوله :« فالرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى ، لأن البارى سبحانه وتعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يرى ، فالبارى عز وجل يصح أن يرى »[4] .

ويحكم بوجوبها شرعاً فى الآخرة بقوله : « وواجبة شرعا فى الآخرة ، كما أطبق عليه أهل السنة بالكتاب والسنة والإجماع »[5] .

وابن قيم الجوزية فى كتابه « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » ينقل الإجماع على رؤية

---

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ .

(٣) الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٣ .

(٤) البيجورى على الجوهرة ص ١٣٩

(٥) نفسه .

الله تعالى فى الآخرة يقول : « اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون »(١) .

وتعتبر الرؤية « هى الغاية التى شمر إليها المشمرون ، وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون ، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم »(٢) .

ويستدل ابن القيم بأدلة كثيرة من القرآن الكريم على وقوع الرؤية فى الآخرة للمؤمنين(٣) ومما يستدل به قوله عز وجل ﴿ **هم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** ﴾ قال الطبرانى : قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل ، وقاله من التابعين زيدُ بن وهب وغيره(٤) .

ويستدل أيضاً بقول الله تعالى ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾(٥)

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ، ولم يسمعوا كلامه — كانوا أيضاً محجوبين عنه . وقد احتج بهذه الحجة الشافعى نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبرانى وغيره عن المزنى قال : سمعت الشافعى يقول فى قوله عز وجل ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة(٦) .

ومما يستدل به على وقوع الرؤية فى الآخرة من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾(٧) .

يقول ابن كثير : « قد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبى بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعبد الرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدى ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم من السلف والخلف ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ »(٨) .

---

(١) حادى الأرواح ص ١٩٦ لابن قيم الجوزية — الناشر مكتبة المتنبى بالقاهرة .
(٢) نفسه .
(٣) انظر حادى الأرواح من ص ١٩٧ — ٢٠٤ .
(٤) نفسه ص ٢٠١ .
(٥) المطففين ١٥ .
(٦) حادى الأرواح ص ٢٠١ .
(٧) يونس ٢٦ .
(٨) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤ .

ونكتفى بهذا القدر من الاستدلال بالقرآن الكريم على وقوع الرؤية فى الآخرة للمؤمنين .

الرؤية من السنة :

روى الإمام مسلم بسنده عن يزيد الليثى أن أبا هريرة أخبره ، أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا يارسول الله . قال : « هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله . قال : « فإنكم ترونه كذلك » (١) .

يقول صاحب فتح المنعم نقلا عن النووى : « تظاهرت أدلة الكتاب والسنه وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة للمؤمنين ، ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ ، وآيات القرآن فيها مشهورة »(٢) .

ونكتفى بما رواه الإمام مسلم ؛ لكثرة الأحاديث الدالة على رؤية الله فى الآخرة . يقول ابن القيم : « وأما الأحاديث عن النبى ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة »(٣) وإذا اكتفينا بهذا القدر من الاستدلال بالكتاب والسنة على وقوع الرؤية فإننا نجد أن رؤية الله فى الآخرة قد احتلت مكاناً بارزاً فى الفكر الإسلامى .

يقول الإمام المحاسبى عن فرحة المؤمنين برؤية ربهم فى الآخرة : « فتوهم بعقلك نور وجوههم ، وما يداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم ، وسمعوا كلام حبيبهم وأنيس قلوبهم وقرة أعينهم ورضا أفئدتهم وسكن أنفسهم ، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم ، فنظروا إلى من لا يشبهه شيء بأبصارهم ، فبلغوا ذلك غاية الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة ، فما ظنك بنظرهم إلى العزيز الجليل الذى لا تقع عليه الأوهام ولا تحيط به الأذهان ولا تكيفه الفكر ولا تحده الفطن »(٤) .

والإمام الغزالى يذكر فى « الإحياء » أنه لا ينبغى أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى . (٥) وابن سينا من الفلاسفة يرى أن اللذة العظمى تكون فى رؤية الله

---

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٩١ طبعة عيسى البابى الحلبى ورواه الإمام أحمد انظر ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤ .
(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤٣٨ .
(٣) حادى الأرواح ص ٢٠٥ وانظر ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ .
(٤) التوهم ص ٤٨ .
(٥) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٥ / ٣٠ .

والنظر إليه . يقول : « فالسعادة الأخروية عند تخلص النفس عن البدن وآثار الطبيعة وتجرده كامل اللذات ناظراً نظراً عقلياً إلى ذات من له الملك الأعظم ، والروحانيين الذين يعبدونه وإلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه ، واللذة الجليلة عند ذلك ، والشقاوة الأخروية عند ضد ذلك »[1] .

كيفية الرؤية :

يقول الإمام البيجورى شارح جوهرة التوحيد : « قوله « بالأبصار » ظاهره أن الرؤية بالحدق فقط وهو أحد اقوال ثلاثة .

ثانيها : أنها بجميع الوجوه لظاهر قوله تعالى ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة** ﴾[2] .

ثالثها : أنها بكل جزء من أجزاء البدن »[3] .

ويستدرك قائلاً : « ولكن بلا تكيف للمرئى بكيفيةٍ من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك »[4] .

والذى ذكره الإمام البيجورى « هو ما عليه أهل السنة والجماعة » يقول الإمام النووى عن كيفية الرؤية : « مذهب أهل الحق أن الرؤية قوةٌ يجعلها الله تعالى فى خلقه ، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ، ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك »[5] ويقول : « ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة ، تعالى الله عن ذلك ، بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمونه لا فى جهة »[6] .

ومن أعظم ما قيل عن كيفية الرؤية فى الآخرة ما ذكره الإمام الغزالى بقوله : « إن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين فى الآخرة ، فاعلم أن الناس قد اختلفوا فى ذلك ، وأهل البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه ، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ، ومن يشته رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق فى عينه

---

(١) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ١١٨ تحقيق د. سليمان دنيا ــ الناشر دار الفكر العربى ١٩٤٩ .

(٢) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) البيجورى على الجوهرة ص ١٤٠ .

(٤) نفسه .

(٥) فتح المنعم جـ ٢ ص ٤٣٨ .

(٦) نفسه .

أو فى جبهته ، بل يقصد الرؤية ولذتها ، سواء كان ذلك بالعين أو بغيرها ، فإن العينَ محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له ، والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة ، فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين ، هذا فى حكم الجواز ، فأما الواقع فى الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع . والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يُخْلَقُ فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة فى الشرع مجريا على ظاهره »(١) .

الرؤية عند المعتزلة :

مما تجدر الإشارة إليه أن المعتزلة تنكر الرؤية ،ويستدلون على نفيها بالسمع والعقل .

يقول القاضى عبد الجبار مستدلاً على نفيها بقول الله تعالى ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾(٢) : « ووجه الدلالة فى الآية هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قُرِنَ بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر ، ونجد فى ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته ، وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى فى حال من الأحوال »(٣) .

ويفند ابن حزم حجة الإستدلال بقوله تعالى ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ بقوله : « هذا لا حجة لهم فيه ، لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك ، والإدراك عندنا فى اللغة معنى زائد على النظر والرؤية ، وهى معنى الإحاطة وليس هذا المعنى فى النظر والرؤية .

فالإدراك منفى عن الله تعالى على كل حال فى الدنيا والآخرة ، برهان ذلك قول الله تعالى : ﴿ **فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معى ربى سيهدين** ﴾(٤) ففرق الله عز وجل بين الإدراك والرؤية فرقا جلياً ؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله ﴿ **فلما تراءى الجمعان** ﴾ وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم ، فصحت منهم الرؤيا لبنى إسرائيل ، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم ﴿ **كلا إن معى ربى سيهدين** ﴾ فأخبر الله تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بنى إسرائيل ولم يدركوهم ، ولا شك أن ما نفاه

---

(١) المحبة والشوق والأنس والرضا ص ٤٥ للإمام الغزالى ــ الطبعة الأولى ١٩٦١ طبعة البابى الحلبى .

(٢) الأنعام ١٠٣ .
(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣ .

(٤) الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

الله تعالى عز وجل فهو غير الذى أثبته ، فالإدراك غير الرؤية ، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ »[(١)] .

ويؤول المعتزلة قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ لينفوا الرؤية . يقول الزمخشرى : « الوجه عبارة عن الجملة ، والناضرة من نضرة النعيم ، « إلى ربها ناظرة » تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ ﴿ إلى الله تصير الأمور ﴾ ﴿ وإلى الله المصير ﴾ ﴿ وإليه ترجعون ﴾ ﴿ عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ،ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد ، فى حشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم ، لأنهم الآمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاختصاصه بنظرهم إليه ، ولو كان منظوراً إليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذى يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى ، تريد معنى التوقع والرجاء ، والمعنى أنهم يتوقعون النعمة والكرامة من ربهم ، كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه »[(٢)]

ويرد على الزمخشرى صاحب كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بقوله : « ما أقصر لسانه عند هذه الآية ! فكم له يدندن ويطيل فى جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق ، فلما فغرت هذه الآية فاه صنع فى مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول ، لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى ، وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ، ولا يؤثر عليه غيره ، ولا يعدل به عز وعلا منظوراً سواه ، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شىء ، ونحن نشاهدُ العاشق فى الدنيا إذا أظفرتَّه برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظة ، ولم يؤثر عليه غيره ، فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم »[(٣)] .

ويستدل المعتزلة بشىء آخر على نفى الرؤية وهو أن « إلى » فى قول الله تعالى

---

(١) الفصل جـ ٣ ص ٢ ، ٣ وانظر الإبانة لأبى الحسن الأشعرى ص ١٢ — ١٦ بدون ناشر ولا طبعة .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ١٩٢ .

(٣) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال . بهامش الكشاف جـ ٤ ص ١٩٢ مؤلفه الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير السكندرى .

﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ (١) ليست حرفا ، ولكنها اسم وهى مفرد الآلاء بمعنى النعم . يقول ابن حزم : « واعترض بعض المعتزلة وهو « أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى » فقال : إن « إلى » ها هنا ليست حرف جر ، لكنها اسم ، وهى واحدة الآلاء وهى النعم ، فهى فى موضع مفعول ، ومعناه نعم ربها منتظرة »(٢) .

ويرد ابن حزم على الجبائى بقوله : « وهذا بعيدٌ » أى تفسير إلى بمعنى النعمة لوجهين :

أحدهما : أن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمةفإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن تنتظر ما قد حصل لها وإنما تنتظر ما لم يقع بعد .

والثانى : تواتر الأخبار عن النبى ﷺ ببيان أن المراد بالنظر هو الرؤية ، لا ما تأوله المتأولون »(٣) .

الأدلة العقلية عند المعتزلة على نفى الرؤية :

يستدل القاضى عبد الجبار على نفى الرؤية بالعقل بما يسمى عنده بدلالة المقابلة ، وتحريرها : أن الواحد منا راء بحاسة ، والرائى بالحاسة لا يرى الشىء إلا إذا كان مقابلاً أو حالاً فى المقابل أو فى حكم المقابل ، وقد ثبت أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلاً أو حالاً فى المقابل أو فى حكم المقابل »(٤) .

ويُرد على ما ذهب إليه القاضى عبد الجبار بأنه « لا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة ، تعالى الله عن ذلك ، بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمونه لا فى جهة »(٥) .

وهناك أدلة كثيرة ذكرها القاضى عبد الجبار على نفى الرؤية بطريق العقل رأينا من غير المفيد ذكرها(٦) .

وبعد أن استعرضنا الأدلة على وقوع الرؤية فى الآخرة من الكتاب والسنة وإجماع العلماء نرى أن ما ذهب إليه المعتزلة من عدم وقوع الرؤية ، مستندين إلى التأويل للآيات

---

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣ . (٢) الفصل جـ ٣ ، ص٢ ، ٣ .
(٣) نفسه ص ٣ وانظر ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠ . (٤) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٨
(٥) فتح المنعم جـ ٢ ص ٤٣٨ وانظر البيجورى على الجوهرة ص ١٤٠
(٦) انظر شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٠ ــ ٢٦١ .

الصريحة فى جواز الرؤية ، والأدلة العقلية التى استعرضنا بعضاً منها ، نجد أنه لا يصح التعويل على ما استندوا إليه . ونعتقد ما اعتقده أهل السنة من جواز الرؤية فى الآخرة . وأنها من أكبر النعم التى يُنْعِمُ الله بها على المؤمنين فى الجنة .

ثانياً : رؤية الله فى التصور النصرانى

يتفق النصارى على اختلاف فرقهم على أن السعادة فى السماء تكون برؤية الله فى الآخرة ، يقول الآب « ميشيل متيم » السعادة فى السماء بمشاهدة وجه الله الكريم(١) ، فالله هو الجمال نفسه والتمتع بمشاهدته يملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة ،فتبقى مسحورة ببهائه الرائع ، لا ترتوى مدى الأبدية من هذه الرؤية السعيدة ، ويزيدها غبطة أنها متأكدة أن لا نهاية لسعادتها أبداً ، ويخبرنا القديس بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس(٢) أنه لما اختطف إلى السماء سمع كلمات لا يجوز أن يتلفظ بها ، وشاهد ما لم يقع عليه عين ، وسمع ما لم تسمعه أذن ، وتمتع بما لم يخطر على قلب الإنسان (٣) .

ونفس المعنى يذكره الآب « روبير كليمان » اليسوعى بقوله : « أعظم سعادة يتمتع بها الأبرار هو مشاهدة الله وجهاً لوجه ، متحدين به فى محبة أبدية »(٤) .

والاتحاد بالله والشركة معه هى السعادة الأساسية للنصارى فى الآخرة ، يقول « دونالد ديمارى » : « الشركة مع الله هى أساس السماء »(٥) . ويذكر « ميخائيل مينا » أن نعيم الأبرار هو عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله ، ورؤية الله هى الجزاء الأعظم الفائق كل خير ، الذى يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه ، بل هى سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتى إليه تتجه كل أشواق قلبه (٦) .

بعد استعراض آراء النصارى نجدُ أن هناك اتفاقاً على رؤية الله فى الآخرة . وسوف نناقش النصارى فى الله الذى يرى ، هل هو الله الذى خلق السموات والأرض أو هو المسيح الذى يؤلهه النصارى ؟ أو هو الثالوث المتمثل فى الآب والابن والروح القدس ؟ .

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٢ .
(٢) ١٢ : ٤ .
(٣) شرح التعليم المسيحى جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٤) إيماننا الحى ص ٥١٢ .
(٥) عقائد أساسية ومدخل فى علم اللاهوت ص ١٧١ ـــ ترجمة شاكر إبراهيم سعيد .
(٦) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٤ .

يقول « ميخائيل مينا » : لقد ارتأى علماء الكتاب فى رؤية الله رأيين هما :

١ ــ قال أصحاب **الرأى الأول** : إن رؤية الله بصورة حسية وبهيئة تُرى بالعين الجسدية غير ممكنة ؛ لأنه ليس من المرئيات كما قال « بولس الرسول » : « الذى لم يره أحدٌ من الناس ولا يقدر أن يراه »(١) .

وبناء على قول بولس فإن الله الخالق للسموات والأرض لا يرى ، إذن فمن الذى يراه النصارى ويتمتعون برؤيته ؟ إنه المسيح ، ولكنهم يقولون إنه يتصل بذات الله . وهذا هو الشرك أو الحلول بعينه .

يقول « ميخائيل مينا » بعد أن استدل بقول بولس « على عدم استطاعته رؤية الله نفسه » : « ترى ذاته تعالى وصفاته ، بربنا يسوع المسيح ؛ لأنه هو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وقد أعلن إرادته ورحمته وطول أناته وقداسته ، وقدرته وسائر صفاته لمخلوقاته »(٢)

ويصحبون عقيدتهم فى اتحاد اللاهوت بالناسوت إلى الآخرة ليتمكنوا من رؤية الله بعد أن أعلن بولس أن الله لا يمكن أن يُرى .

وكما أن النفس ترى بالجسد الذى تتحرك وتفعل به ؛ هكذا اللاهوت يرى بواسطة الناسوت(٣) .

ويعتبرون أن الذى يرى « المسيح » فقد رأى الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ــ ويستدلون على ذلك بقول « يوحنا » : قال له « فيليبس » : يا سيد أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع : أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيليبس ؟ الذى رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أرنا ؟ »(٤) .

وعلى هذا الأساس تُفسر العبارات التى وردت على لسان علماء النصارى مثل الاتصال بالله ، والاتحاد بالله ، والشركة مع الله ــ التى أوردناها فى تصوير رأى النصارى فى الرؤية ــ .

٢ ــ **الرأى الثانى** : يذهب النصارى إلى « أن الصالحين وإن كانوا لا يستطيعون أن يروا الله

---

(٧) رسالة تسالونيكى الأولى ٦ : ١٦ ، انظر علم اللاهوت . جـ ٢ ص ١٥٤ / ١٦٥ .

(٢) نفسه . (٣) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٥

(٤) إنجيل يوحنا ١٤ : ٨ ، ٩ وانظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٥ .

بحسب طبيعتهم إلا أنه بعد كشف هذا الحجاب واستبدال الموت بعدم الموت والفساد بعدم الفساد ، يستطيعون ذلك بكيفية استعدادية مفاضة فى العقل المخلوق وثابتة فيه ترفعه فوق قوته الطبيعية ، وتصيره قاهراً بكمال الاقتدار على أن يعاين الحضرة الإلٰهية »(1) . وأصحاب هذا الرأى يفسرون قول « بولس » : « إن الله لا يراه أحد من الناس »(2) . بأن معناه عدم إدراكه ، أى لا يستطيع كائنٌ من كان أن يدرك الطبيعة الإلٰهية ، حيث إنها غير مدركة من أحد(3) .

ولا نكاد نلمس تنزيه الله عند بعض علماء النصارى ، حتى نفاجأ بهذا التجسيم فى قول أحد علمائهم ، يقول القديس « باسيليوس » : « إن الصالحين يشاهدون الذات الإلٰهية وجهاً لوجه ، ويعرفون الله بمقدار المعرفة التى يعرف تعالى بها ذاته بمرأى لاهوته »(4) .

وهكذا نرى الاضطراب فى الآراء حول الموضوع . وإن دل هذا الاضطراب على شيء فإنما يدل على التدخل البشرى على وحي الله عز وجل المتمثل فى الإنجيل الذى علمه الله لعيسى بن مريم عليه السلام .

ثالثاً : رؤية الله فى التصور اليهودى

لا نجد تفصيلات كثيرة عن رؤية الله فى الآخرة(5) عند اليهود فى المصادر التى رجعنا إليها ، فهناك بعض النصوص وردت فى العهد القديم عن رؤية الله فى الآخرة . ورد فى سفر أيوب :

« أما أنا فقد علمت أن وليى حى ، والآخر على الأرض يقوم ،وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله الذى أراه لنفسى ، وعيناى تنظران ، وليس آخر إلى ذلك تتوق كليتاى فى جوفى »(6) .

---

(1) نفسه .

(2) رسالة تسالونيكى الأولى ٦ : ١٦ .

(3) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٥ .

(4) نفسه .

(5) لا نناقش اليهود فى تجسيمهم وتشبيههم ، لأنهم يزعمون أن الله يرى فى الدنيا ، ويصارع يعقوب ويصارع الحوت أيضاً . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

(6) سفر أيوب ١٩ ــ ٢٥ : ٢٦ .

جاء فى تفسير هذا النص : « اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله . « بدون جسدى » أى بعد موته فيكون جسدى تلاشى . « أرى الله » وذلك بعد موته وبدون جسده ، ولا شك فى أن معرفة أيوب بقيامة الجسد ، ورؤية الله فى السماء كمعرفة غيره من قديسى العهد القديم »(1) .

والنص السابق وشرحه صريحان فى رؤية الله فى الآخرة وأنها كانت معلومة عند الأنبياء .

ورد فى المزمور الثانى والأربعين « عطشت نفسى إلى الإله الحى ، متى أجىء وأتراءى قدام الله »(2) . ونص المزمور يبين أن صاحبه ينتظر رؤية الله .

وسعديا الفيومى يذكر أن « دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور ، وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ، ولا بيع ، ولا سائر الأمور التى فى الدنيا ، وإنما ثواب من نور الخالق جل وعز »(3)

* * *

---

(1) السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .

(2) المزامير ٤٢ ـــ ٣ .

(3) الأمانات والاعتقادات ٢٦٣

الفصل الثانى

واقعات اليوم الآخر بين الواقع المادى والتأويل الروحانى

ويشمل :

المبحث الأول : البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية :

أولا : البعث فى الإسلام :

١ ـ نصوص البعث كما وردت فى القرآن الكريم والسنة .

٢ ـ البعث عند المتكلمين .

٣ ـ البعث عند الصوفية .

٤ ـ البعث عند الفلاسفة .

ثانيا : البعث عند النصارى .

ثالثا : البعث عند اليهود .

المبحث الثانى : النعيم والعذاب بين الإسلام والنصرانية واليهودية :

أولا : النعيم والعذاب فى الإسلام :

١ ـ نصوص الوحى المتعلقة بالنعيم والعذاب فى القرآن والسنة .

٢ ـ النعيم والعذاب عند المتكلمين .

٣ ـ النعيم والعذاب عند الصوفية .

٤ ـ النعيم والعذاب عند الفلاسفة .

ثانيا : النعيم والعذاب عند النصارى .

ثالثا : النعيم والعذاب عند اليهود .

الفصل الثانى

واقعات اليوم الآخر بين الواقع المادى والتأويل الروحانى

تمهيد :

بعد أن استعرضنا واقعات اليوم الآخر ــ دون أن نشرح حسية تلك الواقعات أو روحانيتها ــ نحاول هنا أن نلقى الضوء على كون البعث والجنة والنار من هذه الواقعات حسية أو روحية ؟ ونقتصر على هاتين الواقعتين لما دار حولهما من الجدل بين المسلمين ، والنصارى ، واليهود ، وسوف نكتفى بأبرز الاتجاهات عند المسلمين والنصارى واليهود ، بأن نعرض نصوص الوحى المتعلقةبالبعث والجنة والنار من القرآن ، والسنة النبوية . ثم بعد ذلك نعرض فهم المتكلمين ، والصوفية ، والفلاسفة لهذه النصوص ، ومدى التزامهم ووقوفهم عند ظاهرها أو تأويلهم لها .

ونفس الشيء نعرضه بالنسبة للنصارى واليهود من خلال العهد القديم والعهد الجديد لنرى مدى التزام علماء النصارى واليهود بتلك النصوص أو الخروج عنها .

نعرض هذا كله بمنهج وصفى تحليلى نقدى ، يقوم على الوصف والتحليل لما فهمه العلماء من هذه النصوص وماتشير إليه ،وننقد مانراه مخالفا للحق الذى جاء به الإسلام ، متمثلا فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المبحث الأول

البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : البعث فى الإسلام

١ ــ نصوص البعث كما وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتحدثان عن بعث الإنسان يوم القيامة بجسده ، وفيه آلة السمع والإبصار والعقل . نقرأ مثلا قول الله تعالى ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموٰات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾(١) .

ومعنى ذلك أن الناس ستقوم بعد أن ينفخ فى الصور نفخة البعث ، وسوف ينظرون ، ومعنى ذلك أن الأجساد هى التى ستقوم وتنظر ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ **خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾(٢) أى يخرجون من القبور كالجراد المنتشر ، وهذا مثل على الكثرة والتموج . يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض : جاءوا كالجراد . مهطعين : أى مادى أعناقهم إليه ، وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم(٣) . والجراد المنتشر إشارة إلى حسية البعث ، وأن الناس من الكثرة والتموج يكونون كالجراد المنتشر ، وفضلا عن ذلك فإن أبصارهم خاشعة يمدون أعناقهم إلى الداع ينتظرون ماذا يحدث لهم .

والآية السابقة مثل قوله تعالى ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون** ﴾(٤) . وأيضا قوله تعالى ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾(٥) وجاء فى تفسير السائق والشهيد : ملكان

---

(١) الزمر ٦٨ .
(٢) القمر ٧ ، ٨ .
(٣) الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٣٦ / ٣٧ .
(٤) المعارج ٤٣ ، ٤٤ .
(٥) ق ٢١ ، ٢٢ .

مع الإنسان بعد البعث ، ملك يسوقه إلى المحشر ، والآخر يشهد عليه بعمله ، وقيل هو الكاتب الذى يسجل عليه الحسنات والسيئات(١). والإشارة إلى كشف الغطاء عن الإنسان ليبصر مالم يكن يبصره قبل يوم القيامة ، وهى إشارة إلى حاسة الإبصار لدى الإنسان فى البعث .

وقوله تعالى ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾(٢) ويفسر رسول الله ﷺ إعادة الإنسان بعد موته — كما خُلِقَ فى المرة الأولى — بأنه يحشر حافيا عاريا . روى البخارى بسنده عن ابن عباس قال : قام فينا النبى ﷺ يخطب فقال : « إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل »(٣) . ومعنى حفاة عراة غرلا أى غير مختونين كما خلق الإنسان أول مرة ، والتعبير بالحفاة العراة يدل على أن هناك جسداً سيبعث وهو عار .

ويقول الله تعالى ﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾(٤) .

وروى البخارى بسنده عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ فى قوله تعالى ﴿ **يومَ يقومُ الناسُ لرب العالمين** ﴾ قال : « يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه »(٥) وهذا إشارة صريحة إلى البعث الجسمانى . فقوله : « يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » إشارة صريحة إلى أن هناك جسد وفيه وجه وأذنان . وأيضا أشار القرآن الكريم وفسر الرسول ﷺ كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة يقول الله تعالى ﴿ **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا** ﴾(٦) ولقد سئل رسول الله ﷺ عن ذلك روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا قال : يانبى الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال . أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة »(٧) وظاهر الحديث أن المشى على الوجه يوم القيامة حقيقة ولذلك سألوه ﷺ عن ذلك(٨) . وهذا موافق لقوله تعالى ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا**

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢٨ ص ١٦٤ ، الكشاف جـ ٤ ص ٧ .
(٢) الأنبياء ١٠٤ .
(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢٢ / ٣٢٣ .
(٤) المطففين ٤ — ٦ .
(٥) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٣١ .
(٦) الفرقان ٣٤ .
(٧) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢١ .
(٨) نفسه .

وبكما وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ﴾(١) . وهناك نصوص كثيرة تثبت البعث الجسمانى فى القرآن الكريم . علمنا ذلك من طريقة القرآن الكريم فى إثبات البعث وشبه المنكرين للبعث والرد عليها . يقول الله تعالى ﴿ **قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾(٢) . فالمنكر سأل عن كيفية إحياء العظام . والله عز وجل أجاب بأن الذى أنشأ العظام أول مرة سيحييها ثانية .

ويلاحظ أن المنكر يسأل عن كيفية إحياء شىء حسى وهو العظام ، والله عز وجل يجيب بأنه قادر على إحياء ذلك الشىء الحسى — وهو العظام — لأنه خلقه أول مرة وهو عليم بخلقه . وشبيه بهذه الآية قوله تعالى ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه** ﴾(٣) .. فالإنسان المنكر يستبعد جمع العظام . والله عز وجل يقرر أنه قادر على تسوية بنانه عند البعث ، أى أطراف أصابعه ، وتلك إشارة ضمنية إلى البعث الجسمانى .

وهناك الآيات القرآنية العديدة التى تثبت أن للإنسان وجهاً وعيناً وأذناً وأبصاراً ، وكل هيئة الإنسان التى كان عليها فى الدنيا من الجلد واللحم والدم . مثل قول الله عز وجل ﴿ **حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** ﴾(٤) . فأثبت القرآن الكريم السمعَ والأبصارَ والإحساسَ لمن يبعث يوم القيامة .

ويثبت القرآن الكريم أن للإنسان جوارح يقول الله تعالى ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه** ﴾(٥) ويقول ﴿ **وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه** ﴾(٦) .

فللمؤمن يد يأخذ بها كتابه وللكافر أيضا يد يأخذ بها كتابه ، وكل هذه دلائل على أن البعث الذى تحدث عنه القرآن الكريم وبسطه رسول الله ﷺ إنما هو البعث الجسمانى الذى يكونُ فيه الإنسانُ سميعاً بصيراً ، عاقلا لما يدور حوله ، ولذلك فإن الرأى الذى عليه السلف والجمهور أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتكون تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى ، فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه . والمعاد هو الأول بعينه ، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق . فالبدء كان

---

(١) الإسراء ٩٧ . (٢) يس ٧٨ ، ٧٩ . (٣) القيامة ٣ ، ٤ .
(٤) فصلت ٢٠ . (٥) الحاقة ١٩ . (٦) الحاقة ٢٥ .

نطفة ثم علقة ثم عظاماً ولحماً ثم أصبح خلقاً سوياً ، كذلك الإعادة ، يبلى الإنسان ويتحلل إلى تراب إلا عجب الذنب ـــ والمشاهدة تدل على أن من رأى شخصاً صغيراً ثم رآه كبيراً علم أن هذا هو ذاك ، مع أنه دائما فى تحلل واستحالة ، فعلم أن النشأة الثانية مثل النشأة الأولى ، مع الاختلاف فى الصفات(1) ...

ومن العجيب أن الذين ذهبوا إلى البعث الروحانى لم يستدلوا على ماذهبوا إليه بآيات من القرآن أو من سنة الرسول ﷺ ، وإنما زعموا أن الآيات القرآنية التى وردت عن البعث الجسمانى فى القرآن مخاطب بها العامة لا الخاصة .

ولما كان هناك طائفة ذهبت إلى البعث الروحانى ؛ لزم عرض البعث عند مفكرى الإسلام من المتكلمين والصوفية والفلاسفة ؛ لنرى مدى التزامهم بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية أو خروجهم عنها بادعاء أن المخاطب بتلك الآيات والأحاديث هم العوام ، أما الخواص فلهم شأن آخر غير هذا ...

٢ ـــ البعث عند المتكلمين :

أولا : الأشاعرة :

قبل أن نعرض رأى الأشاعرة فى البعث وهل هو بالروح أو بالجسد نبين المذاهب فى المعاد وكيفيته . وهذه المذاهب لا تخرج عن إثبات المعاد الجسمانى ، وهذا ماعليه أكثر المتكلمين ، وعندهم أن الروحَ جسمٌ سار فى البدن سريان النار فى الفحم والماء فى الورد .

والفلاسفة الإلهيون يثبتون المعاد الروحانى ؛ لأن البدن عندهم ينعدم فلا يعاد ، والنفس جوهر مجرد باق ، لا سبيل إلى فنائها فتعود إلى عالم المجردات .

وبعض المحققين من العلماء يذهبون إلى إثبات المعاد بالروح والجسد ؛ لأن الروح عندهم جوهرٌ مجردٌ يعود إلى البدن عند الحياة . ومن هؤلاء الغزالى والكعبى .

والفلاسفة الطبيعيون ينكرون المعاد الجسمانى والروحانى معا . وهؤلاء هم الدهرية(2) .

---

(1) شرح الطحاوية لابن أبى العز ص ٣٥٩ / ٣٦٠ .

(2) انظر الأربعين فى أصول الدين ـــ للرازى ص ٢٨٧ وشرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٣ والمقاصد للسعد ص ١٩٥ .

يثبت الأشاعرة المعادِ الجسمانى ، استنادا إلى الآيات القرآنية الواردة فى شأن البعث ، والتى تثبت حشر الأجساد . يقول شارح المقاصد : « المعتمد فى إثبات حشر الأجساد دليل السمع ، والمفصح عنه غاية الإفصاح من الأديان دين الإسلام ، ومن الكتب القرآن ومن الأنبياء محمد عليه السلام »(١) ويستدل السعد بالآيات التى وردت فى إثبات البعث من نصوص لا تحتمل التأويل ؛ إذ أنها تفيد البعث الجسمانى مثل قوله تعالى﴿ **قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ **فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه** ﴾(٤)وقوله تعالى ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء** ﴾(٥) وغير ذلك من الآيات والأحاديث(٦) . وبعد أن يستدلُ شارحُ المقاصد على البعث الجسمانى بتلك الآيات ، يقرر أن الحشر الجسمانى من ضروريات الدين وإنكاره كفرٌ بيقين(٧) . وهذا ماذهب إليه الرازى فى كتابه الأربعين فى أصول الدين ، إذ يقرر أن الجمع بين إنكار المعاد الجسمانى وبين الإقرار بأن القرآن حق ، متعذر ، لأن من خاض فى علم التفسير علم أن ورود هذه المسألة فى القرآن ليست بحيث تقبل التأويل(٨) . ويذكر شارح المواقف أن حشر الأجساد أجمع عليه أهل الملل والشرائع عن آخرهم على جوازه ووقوعه ، ويستدل على جواز البعث الجسمانى بأن الأجزاء المتفرقة قابلة للجمع بلا شك ، وإذا فرض وكانت معدومة فيجوز إعادتها ، وذلك لعلم الله بالأجزاء المتفرقة لأى بدن من الأبدان هى ، ولقدرته عز وجل على تأليفها وإعادتها . ويستدلُ على الوقوع بالآيات القرآنية التى صارت معلومة من الدين بالضرورة . وهذه الآيات التى تثبت البعث الجسمانى لا تقبل التأويل(٩) .

والإمام الرازى يذهبُ إلى أن جملة أهل الإسلام متفقون على إثبات البعث الجسمانى(١٠) ويذكر الرازى أن للأشاعرة فى إثبات المعاد الجسمانى الجواز العقلى والدليل

---

(١) المقاصد جـ ٢ ص ١٥٦ .
(٢) يسۤ ٧٨ ، ٧٩ .
(٣) يسۤ ٥١ .
(٤) القيامة ٣ ، ٤ .
(٥) فصلت ٢١ .
(٦) المقاصد جـ ٢ ص ١٥٦ / ١٥٧ .
(٧) نفسه .
(٨) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٨٨
(٩) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٣ .
(١٠) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٨٨ — والمحصل ص ٢٣٢

السمعى ، والجواز العقلى إثباته يترتب على إثبات أن إعادة المعدوم جائزة ، وأن الأجزاء التى تفرقت يمكن تركيبها ، وإثبات أنه تعالى قادرٌ على جميع الممكنات ، وأنه عالم بالكليات والجزئيات ، والأشاعرة يذكرون فى إعادة المعدوم أن الشيء إذا عدم فقد بطلت ذاته وصار نفياً محضاً وعدماً صرفاً ، ولم يبق حال العدم هويةٌ ولا خصوصية ، ومع ذلك لا يمتنع فى قدرة الله تعالى إعادته ، وذلك لأن الشيء إذا صار معدوماً فإنه بعد العدم بقى جائز الوجود ، والله تعالى قادرٌ على جميع الممكنات ، فوجب القطع بكونه تعالىٰ قادراً على إعادته بعد العدم(١) .

وأما من ناحية علم الله بالجزئيات فإن أجزاء البدن وإن صارت ترابا ، واختلط بعضها ببعض الأجزاء الأخرى ، فإن الله تعالى عالمٌ بجميع المعلومات الكلية والجزئية ، وهو عالم بأن الجزء الفلانى فى المكان الفلانى مجموعها قلب الإنسان المطيع مثلا . ويستنتج الرازى من هذه المقدمات أن المعاد الجسمانى جائز عقلا ، لأنه ممكن الوجود ، والله تعالى قادر على جميع الممكنات ، وهو تعالى عالم بجميع الجزئيات والمعلومات ، فيمكن حينئذٍ تمييز المطيع عن العاصى(٢) .

ويذكر الرازى أن الله عز وجل كلما ذكر المعاد الجسمانى بنى تقريره على هذه المقدمات الثلاث التى ذكرها . وهى أن إعادة الشيء ممكن فى نفسه ، وأن الله قادر على الممكنات ، وأن الله عالم بالجزئيات . ويطبق الرازى هذه المقدمات على قول الله تعالى ﴿ **أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإلٰه مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾(٣) .

فقوله تعالى : ﴿ **أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده** ﴾ إشارة إلى مقدمتين : الأولى : أن عودة الإنسان ممكن فى نفسه . الثانية : أنه قادر على هذا الممكن ، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لما كان الابتداء ممكنا . وقوله تعالى بعد الآية السابقة مباشرة ﴿ **قل لا يعلم من فى السمٰوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾(٤) . وهذه الآية إشارة إلى كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات . ثم لما قرر هذه المقدمات الثلاث . أخبر عن جهالة من نازع فى صحة المعاد الجسمانى بعد الإقرار بتلك المقدمات ، فقال عز وجل ﴿ **بل ادارك**

---

(١) الأربعين ص ٢٧٥ ، ٢٨٨ .
(٢) نفسه ص ٢٨٨ / ٢٨٩ .
(٣) النمل ٦٤ .
(٤) النمل ٦٥ .

علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون﴾[(١)].

وحول الجسم المعاد ثانية ــ هل يُعَادُ مع الفناء ، أو بعد التفرق وجمع الأجزاء ــ يذكر السعد أن « الحق التوقف ، وهو اختيار إمام الحرمين ، حيث قال : يجوز عقلا أن تعدم الجواهر ، ثم تعاد ، أو أن تبقى وتزول أعراضها المعهود ثم تعاد »[(٢)].

ومرجع شارح المقاصد فى التوقف وعدم تعيين أحد الأمرين ، الدليل السمعى يقول : « ولم يدل قاطع سمعى على تعيين أحدهما »[(٣)].

ويفند الأشاعرة حجة المنكرين للحشر الجسمانى ، والتى تقوم على أن المعاد الجسمانى يتوقف على إعادة المعدوم ، وإعاد المعدوم لا يجوز ، لأن الإعادة بعد الفناء أو الجمع بعد التفرق يلزمه فناء كثير من الهيئات والأعراض . وأيضا لو أن إنسانا أكل إنسانا وصار غذاء له ، فالأجزاء المأكولة إما أن تعاد فى بدن الآكل أو فى بدن المأكول ، وأيا ماكان لا يكون أحدهما بعينه معاداً بتمامه ، وإذا كان الآكل كافراً والمأكول مؤمناً يلزمُ تنعيم الأجزاء العاصية أو تعذيب الأجزاء المطيعة[(٤)].

هذه جملة مااحتج به الذين ينكرون حشر الأجسام فى الآخرة ويقولون بحشر الأرواح ، ويفند الأشاعرة هذه الشبه ، فيردون على الشبهة الأولى بأن إعادة المعدوم جائزة ؛ لأن المعدوم بعد عدمه بقى جائز الوجود ؛ لأنه قبل عدمه كان جائز الوجود ، وهذا الجواز إما أن يكون من لوازم حقيقته وإما أن يكون من عوارض حقيقته ، فإن كان من لوازم حقيقته وجب ألا يزول ، وإن كان من عوارض حقيقته كانت تلك الحقيقة بحيث يجوز عليها ذلك الجواز ، فينتقل الكلام إلى جواز الجواز ، ولا يتسلسل ، بل ينتهى فى آخر الأمر إلى الجواز[(٥)].

أما قولهم لو أن إنسانا أكل إنسانا ، فالرد عليهم هو أن المعتبر فى الحشر والنشر إعادة الأجزاء الأصلية ، لا إعادة الأجزاء الفاضلة ،[(٦)] فالمعاد الجسمانى لكل من الآكل

---

(١) النمل ٦٦ وانظر الأربعين فى أصول الدين للرازى ص ٢٨٨ / ٢٨٩ .

(٢) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٩ .

(٣) المقاصد جـ ٢ ص ١٥٩ والمواقف جـ ٢ ص ٤٤٣ .

(٤) انظر الأربعين فى أصول الدين ص ٢٩٠ والمقاصد ص ١٥٧ .

(٥) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٧٦ والمحصل للرازى ص ٢٣١ .

(٦) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٧ وانظر أيضا الأربعين فى أصول الدين ص ٢٩٣ والمواقف جـ ٢ ص ٤٤٣ .

والمأكول الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره ، لا الحاصلة بالتغذية ، وشىء آخر هو أن الله عز وجل يعلم كل كبيرة وصغيرة بالنسبة للإنسان الآكل والمأكول ، وهو قادر على تخليص أجزاء المأكول الأصلية ، فلا تدخل فى أجزاء الآكل الأصلية ، وهكذا يُبْعَثُ كلٌ منهم بجسمه ويحاسب ويجازى على مافعل . وقد قال الله تعالى ﴿ **قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ﴾(1) وهذه الآية دليل واضح على أن الله تعالى يعلم كل جزئية من الجزئيات التى تناثرت عن جسم الإنسان فى البر والبحر ، وفى كل مكان ، وهو قادر على جمعها بعد تفريقها وإعادتها بعد عدمها .

ثانيا : البعث عند المعتزلة :

إن جمهور المسلمين على أن البعث يكون جسديا ، ولقد مر بنا أن المتكلمين من الأشاعرة وأيضا المعتزلة يقولون بالبعث الجسمانى فى الآخرة ، وإذا كان هناك من خلاف بين بعض المعتزلة وبين الأشاعرة ، فإنه حول إعادة المعدوم ، فالأشاعرة يرون أن المعدوم ينتفى بالكلية ، والله قادر على إعادته ، وبعض المعتزلةُ عندهم أن المعدوم شىء ، فإذا أعدم الوجود بقى ذاته المخصوص ، فلذلك أمكن أن يعاد(2) . « والبعض الآخر من المعتزلة يرون أن إعادة المعدوم غير جائزة ، ولكن يكون حشراً للأجساد بعد جمع أجزائها المتفرقة »(3) وهو خلاف فيما أعتقد شكلى ؛ لأن التفريق للأجزاء يعنى فناءها ؛ لأن فناء كل شىء وهلاكه خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف الذى به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم منافعها(4) .

ولكن المعتزلة يفرعون تفريعات حول المعاد الجسمانى ، مثل الوجه الذى يصح أن يعاد عليه الحى والوجه الذى لا يصح والأجزاء التى يجب أن تعاد ، وهل يلزم إعادة الحياة بعينها أو لا يلزم ذلك ؟ يعقد القاضى عبد الجبار فصلا فى الوجه الذى يصح أن يعاد عليه الحى والوجه الذى لا يصح فيه ذلك(5) ، يقول : « اعلم أنه لا بد فى(6) إعادة الحى

---

(1) ق ٤ .

(2) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٠ ، والمقاصد جـ ٢ ص ١٥٣ ، والأربعين فى أصول الدين للرازى ص ٢٧٥ .

(3) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٨٨ وشرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٠ .

(4) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٣ . (5) التكليف جـ ١١ ص ٤٦٦ . (6) المقصود « من » .

المخصوص بأجزائه ؛ لأن الحى هو الجسم المبنى بنيةٍ مخصوص ، وإنما يوصف بأنه حى إذا اختص لأجل وجود الحياة فيه بصفة مخصوصة يصح معها أن تُدْرَك وتُحَس ، فإذا صح ذلك فلا بد من أن تعتبر أجزاؤه فى الإعادة ، كما لا بد من اعتبارها فى البقاء ،لأنه كما يجب فى المعاد أن يكون زيدا بعينه فكذلك يجب إذا بقى مدة لا بد من أن يكون زيداً بعينه ، فكما لا يصح فى زيد أن يبقى ، ويكون هو ذلك الحى مع تبدل أجزائه ؛ فكذلك لا يصح أن يعادَ ذلك الحى مع تبدل الأجزاء »[1] .

ونص القاضى عبد الجبار يبرز رأيه فى أن الجسم المعاد يجب أن تكون أجزاؤه غير مبدلةٍ بأجزاء أخرى ؛ لأنه إذا تبدلت فسوف لا تكون للشخص الصفة التى يُعْرَفُ بها ، والقاضى عبد الجبار يقتحم قضايا لم يطالب الله المسلم اعتقادها ، فى كيفية البعث الجسمانى . ونلاحظ أن القاضى عبد الجبار يستخدم لفظه « يجب » لأن المعتزلة يرون إثبات وجوب المعاد لمستحق الثواب[2] .

ويحدد القاضى عبد الجبار الأجزاء التى يجب أن تعاد بقوله « يجب أن يعتبر فى الإعادة أقل مالايجوز أن يكون حيا إلا معه من الأجزاء ، فلابد من إعادته وإلا لم يكن الحىُ المعاد هو الذى كان من قبل فأما ما زاد على ذلك من أجزائه فلا معتبر بها فى باب الإعادة . وإذا جاز ألا تعاد أصلا ، ويعاد غيرها جاز أيضا أن يختلف الحال معها فتعاد على خلاف تلك البنْية أزيد مما كانت عليه من قبل[3] .

والذى ذهب إليه القاضى عبد الجبار يشبه ماذهب إليه الأشاعرة من أن المعتبر فى الإعادة الأجزاء الأصلية لا الفاضلة ، التى بها يصح أن تكون الحياة للجسم[4] وينتهى القاضى عبد الجبار إلى أنه لا يلزم إعادة الحياة بعينها لأن صفات الحياة فى المعاد يختلف بالطبع عن الحياة فى الدنيا . يقول :

فأما الحياة فلا يمنع أن تغاير ويكون الحى واحداً . فلا يجب أن يعتبر بأجزاء مخصوصة منها . لأنه إذا جاز أن يكون هو الذى كان مريدا من قبل والإرادة فى هذه الحال غير التى كانت ، وكذلك العلم . فكذلك لا يمتنع أن تكون الحياة غير التى كانت من قبل

---

(١) التكليف للقاضى عبد الجبار جـ ١١ ص ٤٦٧ .

(٢) نفسه ص ٤٦٤ . (٣) التكليف جـ ١١ ص ٤٦٩ .

(٤) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٧ وشرح المواقف جـ ٢ص ٤٤٣ .

وهذه القضية واجبة في كل صفة استحقها الموصوف لعلة . إن تلك العلة إذا كان لها . أمثال ، لم يمتنع أن تحصل تلك الصفة له لعلل متغايرة فى الأوقات ، كما لايمتنع اجتماع العلل فيه فى وقت واحد ، وإنما لا يصح ذلك فى القدرة خاصة لأنه لا مثل لها فى الجنس فلذلك لم يصح هذا الوجه فيها[1] .

ونلاحظ أن المعتزلة يقولون مع جمهور المسلمين بالبعث الجسمانى ، ولا يخالفون الجمهور إلا فى اعتقاد بعضهم أن البعث لا يكون بعد العدم ، ولكن يكون بعد التفريق ، ويختلفون عن الأشاعرة فى اعتقادهم فى وجوب الإعادة على مستحق الثواب ، إذ يذكر القاضى عبد الجبار أنه لا يصح أن يقال إنه قبل الإفناء يوفر الله الثواب عليه ، ولذلك يجب إعادة مستحق الثواب »[2] ، والأشاعرة يثبتون المعاد الجسمانى ولكنهم لا يقولون بالوجوب على الله ؛ إذ أن الله لا يجب عليه شيء .

٣ ـ البعث عند الصوفية :

نتناول البعث عند الصوفية الذين اشتهر عنهم التمسك بالكتاب والسنة ، ولم يخالفوا جمهور المسلمين فى إثبات البعث الجسمانى الذى وردت صفته فى القرآن الكريم ، وتحدث عنه الرسول ﷺ . ونختار من بين متصوفة الاسلام علمين من أعلام التصوف ، وهما الحارث ابن أسد المحاسبى ، والإمام أبو حامد الغزالى ؛ لنرى كيف تناولا قضية البعث . ولقد آثرت أن آخذ فكر « المحاسبى ، والغزالى » فى هذه القضية من بين أعلام التصوف الإسلامى لما بين المحاسبى والغزالى من وجه شبه . حيث إن الأول نهض بالدفاع عن السنة ، بعد أن استوعب ثقافة عصره ، ودرس وضع الإسلام ، واستطاع أن يدافع عنه بحجة قوية وبرهان ساطع ، ونفس الشيء فعله الغزالى حين رد على الفلاسفة[3] فى تهافت الفلاسفة ، بعد أن استوعب هو الآخر العلوم المختلفة الذائعة فى عصره ، وخلا بنفسه وألف مؤلفه المشهور المنقذ من الضلال . ونبدأ بالمحاسبى ثم بالغزالى :

أولا : المحاسبى :

يتحدث المحاسبى عن القيامة فى كتاب خصصه لليوم الآخر ومافيه ، بداية بالبعث

---

(١) التكليف جـ ١١ ص ٤٦٩ .

(٢) مرجع سابق ص ٤٦٤ .

(٣) انظر مقدمة كتاب التوهم ص ٣ .

وانتهاء بالجنة للمؤمنين والنار للكافرين ، وهو يسعى فى كتابه على النهج القرآنى ، فى تحذير الناس وغرس التقوى فى قلوبهم . والحق أن كتابه « التوهم » على صغر حجمه إلا أنه يجمع كل مايمكن أن يقال عن الآخرة ونعيمها وعذابها ، فهو يرسم صورةً للمخاطب تجعله يعيش فى الموقف الذى يشرحه . يتحدث عن نفخة الفزع ونفخة البعث ، ويصور ماينتاب الإنسان من فزع وهلع من سماع الصيحة ، يقول : « فتوهم كيف وقوع الصوت فى مسامعك وعقلك ، وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى ، فطار فؤادك ، وشاب رأسك للنداء ؛ لأنها صيحةٌ واحدةٌ بالعرض على ذى الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء ، فبينا أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض عند رأسك ، فوثبت مغبرا من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك ، قائمٌ على قدميك ، شاخصٌ ببصرك نحو النداء ؛ وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة ، وهم مغبرون من غبار الأرض التى طال فيها بلاؤهم »(١) .

والمحاسبى هنا فى حديثه عن البعث يستحضر النصوص القرآنية ، ويعبر عنها بأسلوب يؤثر فى النفس البشرية . أوليس تعبيره « فطار فؤادك وشاب رأسك » مأخوذا من قوله تعالى ﴿**فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبا**﴾(٢) ولا يكون الولدان شيبا إلا من شدة الموقف وهول الآخرة . ونلاحظ أن قوله : « شاب رأسك » إشارة إلى البعث الجسدى الذى يكون للإنسان فيه رأس فيها شعر يوصف بالشيب . وقول المحاسبى فى وصف الغبار الذى يعلو الإنسان يوم البعث « من رأسه إلى قدمه » إشارة إلى البعث الجسمانى الذى فيه يكون الإنسان برأس وأعضاء يعلوها الغبار . وقول المحاسبى « قائم على قدميك شاخص ببصرك نحو النداء » إشارة إلى السمع والبصر . وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿**ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾(٣) والمحاسبى لا يَخْرُجُ عن الآيات القرآنية التى استدل بها جمهور المسلمين على البعث الجسمانى ، إذ أن وصفه لحال الخلائق حين البعث يشعر بذلك . نلاحظ تعبيره « شاب رأسُك . طار فؤادك . قائم على قدميك شاخص ببصرك » إلا أن المحاسبى يمتاز عن كثير ممن تحدثوا عن البعث وكيفيته بأنه ينقل المخاطب من عالم التصور إلى عالم التصديق ، من الإخبار إلى المشاهدة والمشاركة بالفعل ، وكأن المخاطب هو الذى ستقع عليه هذه الأحداث ، وهذا المنهج استمد المحاسبى أصوله من

(١) التوهم للمحاسبى ص ٩ دون ناشر ولا تاريخ للطبعة .

(٢) المزمل ١٧ . (٣) الزمر ٦٨ .

القرآن الكريم ومن سنة الرسول ﷺ ، ومن شأن هذا المنهج أن يحرك النفس البشرية للتحفز والاستعداد للآخرة .

ويصور المحاسبى البعث وكيف تجمع الخلائق وحالتهم أثناء البعث والنشور ، بقوله : « حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها ، من الجن والإنس ، حفاة عراة ، قد نُزِعَ المُلْكُ من ملوك الأرض ، ولزمتهم الذلة والصغار ، أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدرا بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل فى أرضه »(١) .

وإن قوله « عراة حفاة » لهو من الدلائل القوية التى تثبت البعث الجسمانى الذى ورد فى القرآن والذى عبر عنه المحاسبى . وإن قولَه هذا مستمدٌ من قول الرسول ﷺ . فيما رواه البخارى عن ابن عباس قال : قام فينا النبى ﷺ يخطب فقال : « إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا . ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ »(٢) .

ومعنى غرلا أى غير مختونين . وقول الرسول ﷺ ثم تعبير المحاسبى فى منتهى الصراحة على البعث الجسمانى « حفاة عراة » . وقوله « قد نزع الملك من ملوك الأرض » مأخوذ من قول الله تعالى ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم** ﴾(٣) .

ويصور المحاسبى بعث الشياطين والوحوش وانكسارهم وذلهم أمام الله فيقول : « وأقبلت الوحوش من البرارى وذُرى الجبال منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة ، بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ، ذليلة ليوم النشور ، لغير بلية نابتها ، ولا خطية أصابتها ، فتوهم إقبالها بذلها فى اليوم العظيم ليوم العرض والنشور ، وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة ، حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار ، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها ، خاشعةً لذل العرض على الله سبحانه ، فسبحان الذى جمعهم بعد طول الميلاد ، واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض ، قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور »(٤) .

يستجمع المحاسبى الآيات القرآنية ، ويعبر عنها بصورة وجدانية ، ناقلًا المخاطب من الدنيا إلى الآخرة ، ومن أخبار البعث والنشور إلى مشاهدتهما ، ورؤيتهما رأى العين ،

(١) التوهم ص ١٠ .
(٢) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢٢ / ٣٢٣ .
(٣) الأنعام ٩٤ .
(٤) التوهم ص ١٠ .

وتشخيص حال الخلق فيها ، وكلامه مستمد من القرآن الكريم . أوليس قوله « أقبلت الوحوش منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة » هو ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾(١) وتعبيره عن جمع الشياطين بعد تمردهم وعتوهم وإضلالهم الخلق الله مستمدٌ من قول الله تعالى ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾(٢) .

والملاحظة التى نسجلها ، هى أن المحاسبى . لم يخرج عن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فى القول بالبعث الجسمانى ، وهذا واضح جدا من تعبيراته وإشاراته عن البعث والنشور وحال الخلق فيه أمام رب العالمين .

ثانيا : البعث عند الغزالى :

يثبت الإمام الغزالى البعث الجسمانى كما جاء فى القرآن الكريم وكما ورد فى السنة . يقول : « يفرق بالموت بين الأرواح والأجسام ، ثم يعيدها إليهاعند الحشروالنشور فيبعث من فى القبور ، ويحصل مافى الصدور . فيرى كل مكلف ماعمله من خير أو شر محضرا »(٣) والإمام الغزالى فى هذا النص يقول بالبعث الجسمانى والروحانى أى بالجسد والروح . والخلاف بينه وبين جمهور المسلمين خلاف حول حقيقة الروح . فالجمهور يرى أن الروح فى الجسد كالماء فى الورد والنار فى الفحم ، ولذلك يقولون بالبعث الجسمانى(٤) ؛ لأن الروح جسم سار فى الجسد وليست جوهراً مجرداً . والإمام الغزالى يرى أن الروح جوهرٌ مجردٌ يعودُ إلى البدن(٥) .

والإمام الغزالى — وهو يرد على الفلاسفة بعرض حجتهم فى القول بالبعث الروحانى بالَغ فى تحقيق المعاد الروحانى وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح ، حتى ظن البعض ووقع فى ألسنة بعض العوام — كما يقول السعد فى المقاصد — أنه ينكر حشر الأجسام ، افتراءا عليه ، وقد صرح به فى مواضع كثيرة من كتبه فى الإحياء وغيره ، وذهب إلى أن إنكارَه كفرٌ ، وإنما لم يشرحه فى كتبه كثير شرح ؛ لأنه فى نظره لا يحتاج إلى

---

(١) التكوير ٥ . (٢) مريم ٦٨ .
(٣) الأربعين فى أصول الدين ص ١٨ الناشر دار الآفاق بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٢ .
(٤) انظر المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٥ . (٥) نفسه .

زيادة بيان(٣) . والحق أن الذى يقرأ كتب الإمام الغزالى ، وبخاصة الإحياء و« الاقتصاد فى الاعتقاد » و«كشف علوم الآخرة » يتبين أن ماذهب إليه السعد هو الحق ، إذ أن الغزالى يثبت البعث الجسمانى ، ويصل به الحد إلى أن يكفر الفلاسفة الذين ذهبوا إلى البعث الروحانى ، فنجده(٢) فى الإحياء فى كتاب قواعد العقائد يذكر أن الحشر والنشر ورد بهما الشرع ، والتصديق بهما واجب ، ويذكر أن معنى البعث الإعادة بعد الإفناء ، لأن هذا فى مقدور الله . ويستدل بقوله تعالى ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** ﴾ فاستدل بالابتداء على الإعادة ، لأن الإعادة ابتداء ثان(٣) .

ومعلوم أن الخلق الأول كان جسداً وروحاً ، وهكذا يكون الخلق الثانى . وإذا ذهبنا إلى « الاقتصاد فى الاعتقاد » نجده يقرر ذلك أيضاعن البعث بقوله :« وقد دلت عليه القواطع الشرعية ، وهو ممكن ، بدليل الابتداء السابق ، فإن الإعادة خلق ثان ، ولا فرق بينه وبين الابتداء ، وإنما يسمى إعادة بالإضافة إلى الابتداء السابق ، والقادر على الإنشاء والابتداء قادرٌ على الإعادة ، وهو المعنى بقوله ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** ﴾ فإن قيل ماذا تقولون : « أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعا ، أو تعدم الأعراض دون الجواهر وإنما تعاد الأعراض . قلنا : كل شىء ممكن ، وليس فى الشرع دليل قاطع على تعيين أحد هذه الممكنات(٤) . فسواء أعيدت الجواهر أم الأعراض فإن الجسدَ والروح سيُبْعَثَان معاً يوم القيامة . ويذكر الغزالى فى تهافت الفلاسفة أن الفلاسفة كفروا بقولهم بالبعث الروحانى لا الجسمانى . ويدلل الغزالى على البعث الجسمانى بقوله : « ففى خلق الآدمى مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب فى بعثه وإعادته . فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك فى صنعته وقدرته ؟ فإن كان فى إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر فى النشأة الأولى ، فإن الثانية مثلها أسهل منها ، وإن كنت قوى الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار ، وأكثر فيها التفكر والاعتبار ؛ لتسلب عن قلبك الراحة والقرار ، فتشتغل بالتشمر للعرضْ على الجبار ، وتفكر أولا فيما يقرع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة »(٥) وإذا كان الغزالى يثبت البعث الجسمانى

---

(١) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٦ .
(٢) انظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠٧ / ٣٠٨ .
(٣) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ١٩٩ .
(٤) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٧٨ ــ الناشر مكتبة الجندى .
(٥) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٥٠ .

بالإمكان تارة والعقل تارة أخرى ؛ فإنه فى نصوص له أخرى يعمد إلى مخاطبة الوجدان والغوص فى أعماق النفس البشرية ؛ ليحفزها إلى الآخرة ومافيها . يقول :« فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك ، مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك ، مبهوتاً من شدة الصعقة ، شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورةً واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم ، وقد أزعجهم الفزع والرعب ، مضافا إلى ماكان عندهم من الهموم والغموم ، وشدة الانتظار لعاقبة الأمور كما قال تعالى ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السمٰوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ (١) .

ونلاحظ أنه يثبت للجسد حين البعث بدناً ووجهاً وقدما . وهو يسمع ويبصر « شاخص العين نحو النداء » ، يقول ذلك فى معرض حديثه عن البعث والنشور وقيام الناس لله رب العالمين ، وهى إشارات للبعث الجسمانى لا تحتمل غيره ، مستمدةٌ من القرآن الكريم ، ومن سنة الرسول ﷺ فى حديثه عن الحشر والنشور .

ويثبت الإمام الغزالى للإنسان المبعوث بعد الموت حين سماعه للصيحة التعقل والتفكر فيما يحدث فى هذا اليوم العصيب ، فيخاطب الإنسان بما يحدث له فى هذا اليوم ، فيقول : « فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث ، خوفاً من هذه الصعقة ، وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيهم منكسر كانكسارهم متحيرٌ ، كتحيرهم »(٢) .

بعد أن بينا البعث عند علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة ، وأيضا البعث عند الصوفية نتناول البعث عند أحد أعلام الفلسفة الإسلامية(٣) وهو « ابن سينا » ، لنرى مدى قربه من الكتاب والسنة أو بعده عنهما لأنه أشهر من تكلم عنه .

---

(١) الزمر ٦٨ .

(٢) إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٥٢ .

(٣) يقصد بالفلسفة الإسلامية عند مؤرخى الفلسفة : الإنتاج الفلسفى للأعلام من الفلاسفة الذين ظهروا فى الحضارة الإسلامية وأشهرهم « الكندى أبو يوسف بن اسحاق الكندى ١٨٥ ـــ ٢٦٠ هـ » والفارابى أبو النصر محمد بن محمد طرخان المعروف بالفارابى ٢٥٩ هـ ـــ ٣٢٩ هـ « وابن سينا ـــ أبو على حسن بن عبد الله بن سينا ٣٧٠ هـ ـــ ٤٢٨ هـ » ـــ وابن طفيل أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل ٥٨٠ هـ « وابن رشد أبو الوليد محمد بن محمود المعروف بابن رشد ٥٩٥ هـ » .

ـــ انظر فلسفة الإنذار ـــ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل ص ٥ الطبعة الأولى ١٩٨٤ « مطبعة عبير حلوان » .

٤ ــ البعث عند الفلاسفة :

وتعتبر مسألة البعث من أعقد المسائل فى فكر « ابن سينا » ، فهو مضطرب فى تلك المسألة ، مرةً يقول بالبعث الجسدى ويرجع إلى الشرع فى الاستدلال عليه ، ومرة يقول بالبعث الروحى ويرجع إلى العقل فى الاستدلال عليه . فهل هو مضطرب بينهما ،أو يقول بهما معاً ، أو يثبت أحدهما لا غير ، وماهو ؟

لنرجع إلى ماكتبه « ابن سينا » عن البعث فى كتابه « النجاة » يقول : « يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ، ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم .

وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا المصطفى « محمد ﷺ » حال السعادة والشقاوة التى بحسب البدن »[1] .

هذا النص لابن سينا فى كتابه « النجاة » يوضح كيف أن ابن سينا يقف عند حدود الشرع فى إثبات البعث الجسدى ، وكما يقول الدكتور « محمد أبوحطب » فى تعليقه على نص ابن سينا ، الذى يفيد بأنه لا مجال للعقل فى إثبات هذا البعث الجسمانى ، لأن إثباته وقفٌ على الشرائع السماوية وإخبار الأنبياء بذلك ، والأدلة العقلية قاصرة عن إثبات ذلك النوع من البعث »[2] .

ولكن ابن سينا بعد أن يعرض البعث الجسدى ويقف عند حدود الشرع فى إثباته ، نجده يصرح فى كتابه « النجاة » ــ نفسه ــ بقوله : « ومنه ــ أى المعاد ــ ماهو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالمقاييس التى للأنفس ، وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن لما نوضح من العلل »[3]

ويبين ابن سينا موقف الفلاسفة من البعث الجسمانى والبعث الروحانى ، فيقرر أن « الحكماء الإلهيين رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة

---

(١) النجاة لابن سينا ص ٢٩١ طبعة محيى الدين الكردى ــ الطبعة الثانية ١٩٣٨ .

(٢) حولية كلية أصول الدين بالمنوفية ، بحث بعنوان « البعث عند الفلاسفة الإسلاميين » ص ١٧٥ ــ للدكتور / محمد حسن خليل أبو حطب .

(٣) النجاة ص ٢٩١ .

البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك ، وإن أعطوها فلا يستعظمونها فى جنب هذه السعادة التى هى مقاربة الحق الأول على مانصفه ، فلنعرف حال هذه السعادة والشقاوة المضادةِ لها ، فإن البدنيةَ مفروغٌ عنها فى الشرع »[1] .

ويواصل « ابن سينا » استدلاله على البعث الروحانى والنعيم والعذاب الروحانيين ، مقرراً عدة أصول[2] ليصل إلى نتيجة مؤداها أن :

« النفس الناطقة كمالها الخاص أن تصير عالما عقليا مرتسما في صورة الكل ، والنظام المعقول فى الكلِ ، والخيرِ الفائض فى الكل مبتدئا من مبدأ الكل ،سالكا إلى الخواطر الشريفة ، فالروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة — نوعاً مابين التعلق — بالأبدان ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها ، ثم تستمر كذلك حتى تستوفى فى نفسها هيئة الوجود كله ، فتنقلب عالماً معقولًا موازياً للعالم الموجود ، كله مشاهداً لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحسن[3] .

هذا رأى « ابن سينا » فى كتابه « النجاة » فى البعث ، مرة يقرر البعث الجسدى الذى لا سبيل لإثباته إلا بالشرع وأخبار الأنبياء ، ومرة يقرر البعث الروحانى الذى يدرك بالعقل والقياس والبرهان ، وربما يشير هذا إلى نوع من الاضطراب وقع فيه « ابن سينا » فى مسألة البعث . ولتحقيق المسألة نرجع إلى أحد العلماء وهو الأستاذ الدكتور « سليمان دنيا » الذى يقول بعد أن استعرض رأى ابن سينا السابق فى استدلاله على إثبات البعث الجسمانى والروحانى واضطرابه فى ذلك — يقول : « هذا هو رأى ابن مينا فى البعث كما نرى شطران : شطرٌ رجع فيه إلى الشريعة المحمدية ، وماجاء فيها عن بعث البدن ونعيمه وعذابه ، وقد آمن بكل ذلك وأذعن له ، وشطر رجع فيه إلى العقل وماتؤدى إليه من بعث الروح ونعيمها وعذابها ، وقد حكى كل ذلك أيضا حكاية المذعن المؤمن . والذى لا يستطيع المنصف أن يمارى فيه أن ماجاء فى الشطر الثانى يكاد يودى بما جاء فى الشطر الأول »[4] .

يعنى بذلك الدكتور سليمان دنيا أن قول ابن سينا بالمعاد الروحانى الذى يميل إليه

---

(1) النجاة ص ٢٩١ . (2) نفسه ص ٢٩١ — ٢٩٢ . (3) نفسه ص ٢٩٣ .

(4) تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى — تحقيق الدكتور سليمان دنيا — هامش ص ٢٩٤ — الناشر دار المعارف الطبعة السادسة ١٩٨٠ م .

الحكماء الإلهيون يكاد يلغى ماجاء فى الشطر الأول من المعاد البدنى الذى جاء به الأنبياء ونطقت به الشريعة الإسلامية[1] .

ثم يتساءل الدكتور سليمان دنيا فيقول : « هل كان ابن سينا يعنى ماجاء فى الشطر الثانى أى المعاد الروحانى ، وإنما ذكر الأول أى المعاد البدنى تقية ؟ هذا محتمل ، أو هو الاضطراب الذى كان ظاهرة شائعة فى الفلسفة الإسلامية ، من جراء إيمان أصحابها بمصدرين مختلفين ، واعتقادهم فيهما العصمة والنزاهة ؟ إن كان الأول فلماذا لم يستشعر ابن سينا التقية فى غير هذه المسألة ، مما لا يقل خطره فى نظر خصومه عن خطرها ، كالقول بقدم العالم . وإن كان الثانى فكيف غاب عنه هذا التناقض الواضح بين الجانبين ، فإن كلا منهما ينفى مايثبته الآخر ؟ فى الحق إن موقف ابن سينا فى هذه المسألة غامض ورأيه فيها مضطرب »[2] .

والذى وصل إليه الدكتور سليمان دنيا صرح به الدكتور حمودة غرابة من بعده[3] فى كتابه « ابن سينا بين الدين والفلسفة » ، والذى استعرض فى فصل كامل منه مشكلة الخلود عند ابن سينا فى معظم كتبه تقريبا ، يقول : « هذا هو رأى ابن سينا على حقيقته فى مسألة البعث ، يقول بالمعاد الروحى ولا يقول بالمعاد الجسمى ، فإن أحاله إلى الشرع كما فعل فى كتابه النجاة فهو مضلل ، وإن سكت عنه كما فعل فى كتابه الإشارات فهو متهرب »[4] .

ويبين الدكتور غرابة السبب فى ذكر ابن سينا للمعاد الروحانى فى بعض كتبه وعدم ذكره فى بعض كتبه الأخرى فيذكر أن « الرجل كان بين الخوف من العامة والخوف على العامة فى نظره يكتم أسرار البعث فى نفسه ، ولا يتكلم عنها فى بيان ، وكان كثيرا مايشير إلى هذه المعانى مستترا »[5] . ولعل الدكتور غرابة يقصد بعبارته الأخيرة أن ابن سينا يخاف من العامة أن يصفوه بالكفر والزندقة ، ويخاف عليهم من فهم كلامه فى البعث فهما غير ماقصده هو . ولقد عثر بعض الباحثين على رسالة لابن سينا يقطع فيها بالبعث الروحانى ،

---

(١) نفسه ص ٢٩٥ . (٢) نفسه .

(٣) رأى الدكتور غرابة فى كتابه ابن سينا بين الدين والفلسفة سنة ١٩٤٨ ورأى الدكتور سليمان دنيا فى تحقيقه لكتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى سنة ١٩٤٧ .

(٤) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ١٦٦ تأليف الدكتور حمودة غرابة نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٢ .

(٥) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ١٦٩ .

ويؤول الآيات التى تحدثت عن البعث الجسدى ، ويذهب إلى أن المقصود منها مخاطبة الجمهور لا الخاصة ، وهذا يؤكد رأى الدكتور غرابة فيما ذهب إليه من أن ابن سينا كان يقول بالبعث الروحانى فقط .

يقول الدكتور سليمان دنيا : « ساقت المصادفة مخطوطاً صغيراً لابن سينا عنوانه « رسالة أضحوية فى المعاد » فلما قرأته وجدته صريحاً فى إنكار البعث الجسمانى ، ووجدته يشتمل على نفس الدليل الذى حكاه الغزالى فى التهافت على لسان الفلاسفة »[1] .

يستعرض ابن سينا فى رسالته المشار إليها آراء القائلين بالمعاد البدنى ، وهم جمهور المسلمين ، وينقد مذهبهم ، ويقول : « أما الفرقة الجاعلة المعاد للبدن وحده فالداعى لهم إلى ذلك ماورد به الشرع من بعث الأموات . ثم ظنوا أن الشيء المعتبر من ذات الإنسان هو البدن . ثم بلغوا من فرط بغضهم للحكماء ، وعشقهم لمخالفتهم ، أن أنكروا أن يكون للنفس أو للروح وجود أصلا ، وأن الأبدان تصير حية بحياة تخلق فيها ، ليس وجودها هو وجود النفس للبدن لكنه عرض من الأعراض يخلق فيها أما أمر الشرع فينبغى أن يُعْلم فيه قانون واحد ، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة »[2] .

ويبين أن الشرائع لا يمكن أن تكون حجة فى أمر المعاد يقول :« كيف يكون ظاهر الشرع حجة فى هذا الباب » أى إثبات المعاد ، « ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية غير مجسمة بعيدة عن الإدراك لم يكن سبيل الشرائع فى الدعوة إليها والتحذير منها بالدلالة عليها، بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة إلى الأفهام ، فكيف يكون وجود شيء حجة على وجود شيء آخر . ولو لم يكن الشيء الآخر على الحالة المفروضة لكان الشيء الأول على حالته ، فهذا كله هو الكلام على تعريف من طلب أن يكون خاصا من الناس لا عاما ؛ أن ظاهر الشرائع محتج به فى مثل هذه الأبواب »[3] .

ويعلق الدكتور سليمان دنيا على نص ابن سينا السابق بقوله : « ولعله يقصد بهذه الفقرة أنه كيف يكون وجود الدلالة بالأمور المحسوسة على العالم الآخر ــ عالم البعث والحياة الثانية ــ دليلا على أن هذه الحياة الحسية مادية ، على نحو ما أفادت هذه العبارات

---

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى . مقدمة المحقق الدكتور سليمان دنيا ص ٣٧ .

(٢) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ٥٠ / ٥١ .

(٣) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ٥٠ / ٥١ بتصرف يسير .

ذات الدلالات الحسية ؟ مع أنه لو فرض وكانت هذه الحياة الثانية حياة روحانية غير مجسمة ، وكانت بسبب ذلك بعيدة عن إدراك الأذهان لحقيقتها ، لوجب أن تدل الشرائع عليها بنفس هذه الدلالة الحسية ، رعاية لأذهان العامة ، وبعدًا عن توريطهم فيما لا يحسنون الدخول فيه »[1] .

ثم بعد ذلك يعرض ابن سينا للقائلين بالبعث البدنى والروحانى معا ، وينقد مذهبهم ، يقول : « وأما القائلون بالمعاد للنفس والبدن ، فكلهم يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن ، والموت بمفارقة النفس للبدن . ويردون فى النشأة الثانية النفس فى البدن بعينه الذى كانت فيه ، فجاعل النفس روحانيا غير جسم ، وجاعل النفس جسما ألطف من سائر الأجسام ، وقائل بأن النفس إذا ردت إلى البدن كانت للمثاب والمعاقب جميعا ثواب وعقوبة تحسب النفس والبدن جميعا ، فكانت للمثاب لذات بدنية من المحسوسات ،ولذات نفسانية من السرور ومشاهدة الملكوت بعين البصيرة والأمن من العذاب والعدم وهؤلاء هم المسلمون كافة »[2] .

ويفند آراء القائلين بالمعاد الجسدى والروحى ويقرر من خلال نقدة وتفنيده لآرائهم المعاد الروحى الذى يدافع عنه ويثبته ويعتقد فيه . يقول : « لا يخلو إما أن تكون النفوس تعود إلى المادة التى فارقتها أو إلى مادة أخرى ، وقيل من حكاية مذهب المخاطبين بهذه الفصول : إنهم يرون عودها إلى تلك المادة بعينها . فحينئذ لا يخلو إما أن تكون تلك المادة التى كانت حاضرة عند الموت ، أو جميع المادة التى فارقته جميع أيام العمر ، فعلى الأول ــ أى إن كانت المادة الحاضرة حالة الموت فقط ــ وجب أن يبعث المجدوع والمقطوع فى سبيل الله على صورته تلك ، وهذا قبيح عندهم ، وإن بُعث جميع التى كانت أجزاء له مدة عمره وجب من ذلك أن يكون جسدٌ واحدٌ بعينه يبعث يداً ورأسا وكبدًا وقلبا ، وذلك لا يصح ، لأن الثابت أن الأجزاء العضوية دائما ينتقل بعضها إلى بعض فى الاغتذاء ، ويغذى بعضها من فضل غذاء البعض ، ووجب أن يكون الإنسان المغتذى من الإنسان فى البلاد التى يحكى أن غذاء الناس فيها الناس ، إذا نشأ من الغذاء الإنسانى ــ أن لا يُبْعَثْ ؛ لأن جوهره من أجزاء جوهر غيره ، وتلك الأجزاء تبعث فى غيره ، أو يبعث هو ويضيع أجزاء غيره ، فلا يبعث . فإن أجيب بأن المعاد إنما هو بالأجزاء الأصلية ، وهى الباقية من أول

(١) تعليق الدكتور سليمان دنيا ــ هامش ص ٥١ من رسالة أضحوية فى المعاد .

(٢) رسالة أضحوية فى المعاد ص ٣٨ / ٣٩ .

العمر إلى آخره لا جميع الأجزاء على الإطلاق ، وهذا الجزء فضلة من الإنسان إن أكله فلا يجب إعادة فواضل المكلف ، ثم إن كان من الأجزاء الأصلية للمأكول أعيد فيه وإلا فلا . وإن قالوا : إن المبعوث من أجزائه التى يصلح بها حياته فلا خلاص فيه ، لأنها قد تربت وتساوت فى استحقاق أن يكون بعضها مقومًا للحياة ، وبعضها نافعا غير مقوم ، وصار البعث عن ذلك التراب وعن تراب غيره سواء لا فرق فيه ، فقد رفعوا حكم العدل الذى يراعونه فى بعث أعضاء البدن ، إلا أن يجعلوا للأجزاء المخصوصة بالبعث خصوصية معنى زائد عنها ، وهو أنها فى حال الحياة الأولى كانت مادة للأجزاء المقومة للحياة ، فيكون القول بذلك هو التحكم لا فائدة ولا جدوى بوجه من الوجوه ، أعنى تخصيص بعض أجزاء الأعضاء المتشابهة بالبعث دون بعض هو القول بتصيير عدم معنى كان سبباً فى استحقاق شيء لمعنى دون غيره ، وحال العدم الكائن والممكن الكون الغير الكائن فى المادة المقابلة لها واحدة . وأنت إذا تأملت وتدبرت ظهر لك أن الغالب على ظاهر التربة المعمورة جثث الموتى المتربة وقد حرث فيها وزرع وتكون منها الأغذية ، وتغذى بالأغذية جثث أخرى ، فأنى يمكن بعث مادة كانت حاملة لصورتى إنسانين فى وقتين لهما جميعا فى وقت واحد بلا قسمة ؟ فإن قال قائل : إنه يبعث للنفس بدن من أى تراب وأى هواء وماء ونار اتفق ، وليس من شرطه أن تكون الاسطقات(١) الموجودة فى الحياة الأولى بعينها ، فهو بعينه القول بالتناسخ الصراح »(٢) .

ونلاحظ أن ابن سينا يستخدم كل ما يمكنه من الأدلة لنقد ما ذهب إليه جمهور المسلمين من بعث الأبدان والأرواح ، مبينا أن مذهبهم يؤدى إلى التناسخ تارة ، وتارة أخرى إلى عدم التميز بين جسمين أكل أحدهما الآخر . وبعد أن يفند الرأى ببعث الأبدان والأرواح يخلص إلى القول بالمعاد الروحى ، بعد أن يثبت أن « النفس الإنسانية التى هى المسماة بالناطقة ليست منطبعة فى المادة ولا قائمة بالجسم »(٣) . يقول تحت عنوان وجوب المعاد :

« إن النفس الإنسانية إذا كانت صورة مفارقة غير مادية فهى خالدة غير قابلة للفساد ، لأن الشيء الموجود لا يخلو ، إما أن يكون حينا وجد واجب الوجود ، أو ممكن الوجود . فإن كان ممكن الوجود فذاته محتملة لأن يكون ولأن لا يكون ، فليس أنه أن يكون

---

(١) الإسطقات : العناصر .
(٢) رسالة أضحوية فى المعاد ص ٥٥ / ٥٦ / ٥٧ .
(٣) رسالة أضحوية ص ٩٨ وانظر ص ٩٩ / ١٠٨ .

أولى من أن لا يكون : فتارة يوجد له أن يكون ، وتارة يوجد له أن لا يكون . وكلاهما وصفان يتصف بهما ومحال أن يكون فى جميع الأحوال اتصافه بهما واحدًا ، بل له أمر وحال عنده يكون موجودا لا محالة ، وأمر وحال عنده معدوما لا محالة . وأمر محتمل للأمرين فلا محالة أن الأمر المحتمل للأمرين ثابت فى الحالية ، لأنه من المحال أن يكون الشيء محتملا للشيء وهو معدوم ، فالأمر الثابت للأمرين هو المادة ، والأمر الذى به وعنده يكون موجودا بالفعل هو الصورة ، والثالث : العدم ، فإن كل ما لا مادة له فهو غير قابل للعدم أصلا ولا للسكون ، بل كل قابل لهما فهو : إما عن مادة أو فى مادة فالنفس الإنسانية والعقل أيضاً غير قابل للفساد ، والنفس بعد البدن ثابتة .

ومن الضرورة أن كل ثابت إما أن يكون مستريحا أومتلذذا أوْ متألما ، فإن النفس فى الحياة الثانية إما مستريحة أو متلذذة أو متألمة ، وكل مستريح إما أن يكون مغتبطا بذاته أو محزونا من جهة ذاته ــ إن كان يدرك ذاته ــ والنفس فى حال الاستراحة : إمامغتبطة . وإما محزونة ، ثم من المحال أن تكون محزونة لأن الحزن ضد الراحة ، فإذن تكون مغتبطة ، والاغتباط خير ما ، ولذة النفس فى حالة الاستراحة تكون متلذذة . وعلى هذا فإن القسمة ليست ثلاثة بل اثنتان : متألم ، ومتلذذ . والألم السرمدى شقاوة ،واللذة السرمدية الجوهرية الغير مشوبة سعادة . فالنفس بعد الموت : إما شقية وإما سعيدة . وذلك هو المعاد »[(1)] .

هذاهو رأى ابن سينا الصريح فى إثبات المعاد الروحانى ، ولقد حاولت أن أختصر النص قدر الإمكان مع الإبقاء على فكرته ، لأن هذا النص وغيره من النصوص المبثوثة فى رسالته التى سنرد عليها ، عند تعقيبنا على البعث عند ابن سينا ، وهذا النص فى منتهى الصراحة والوضوح فى إثبات المعاد الروحانى فقط ونفى المعاد الجسمانى . وأيضا واضح فى إثبات العذاب والنعيم الروحانيين ونفى الحسى منهما .

والأكثر من هذا أن الإمام الغزالى فى كتابه « تهافت الفلاسفة » كان يصور رأى الفلاسفة من رسالة ابن سينا ، التى نقلنا عنها تلك النصوص ، كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين . ولقد مر نص الدكتور سليمان دنيا الذى يقرر أن أدلة ابن سينا فى إثبات المعاد الروحانى ونفيه للمعاد الجسمانى ــ فى كتابه رسالة أضحوية فى المعاد ــ هى نفس الأدلة التى ذكرها الإمام الغزالى فى تهافت الفلاسفة أثناء عرضه لأدلة الفلاسفة على نفى البعث

---

(١) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ١٠٩ / ١١٠ / ١١١ بتصرف يسير .

الجسدى وإثبات المعاد الروحانى .

ونفس الأمر يذكره الدكتور « رفقى زاهر » بقوله : « لم يفتر الغزالى على الفلاسفة حين نسب إليهم القول بالمعاد الروحانى المحض وإنكار المعاد الجسمانى بكل مايستتبعه من لذات جسمانية فى الجنة وآلام جسمانية فى النار ، « ولابن سينا » رسالة صغيرة سماها « رسالة أضحوية فى المعاد » أيد فيها مذهبه بمثل ماذكره « الغزالى » فى التهافت منسوبا إلى الفلاسفة »(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام « الغزالى » كفَّر الفلاسفة الذين قالوا بالمعاد الروحانى .

يقول فى تهافت الفلاسفة : « فإن قال قائل : قد فصلتم مذاهب هؤلاء ــ يقصد الفلاسفة ــ فتقطعون القول بتكفيرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم قلنا تكفيرهم لابد منه فى ثلاث مسائل : إحداها : مسألة قدم العالم وقولهم أن الجواهر كلها قديمة . الثانية : قولهم إن الله تعالى لا يحيطُ علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص .الثالثة : إنكارُهم بعث الأجساد وحشرها . فهذه المسائل الثلاث لا تلائمُ الإسلام بوجهٍ ومعتقدها معتقدٌ كَذِب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وأنهم قد ذكروا ماذكروه على سبيل المصلحة تمثيلا لجماهير الخلق وتفهما .

وهذا هو الكفر الصراح الذى لم يعتقده أحد من فرق المسلمين »(٢) . ونحن هنا لسنا فى مجال الحكم على الفلاسفة بالكفر ومنهم ابن سينا أو تبرئتهم ، فهذا مجال لبحث آخر قام به العلماء من القدامى والمحدثين(٣) .

تعقيب :

بعد عرضنا للبعث عند ابن سينا نلاحظ أنه قد جانبه الصواب واضطرب أثناء الحديث عن البعث . فهو مرة يقول بالبعث الجسدى كما جاءت به الشريعة ، ومرة يقول بالبعث الروحانى الذى طريق إثباته العقل ، ورأينا هذا الاضراب واضحا فى كتابه النجاة .

ولقد خالف ابن سينا إجماع المسلمين حين قال بالبعث الروحانى فقط فى كتابه

---

(١) قضية التكفير عند الغزالى ص ٥٠ للدكتور « رفقى زاهر » ــ الطبعة الأولى ١٩٧٩ .

(٢) تهافت الفلاسفة ص ٣٠٧ / ٣٠٨ / ٣٠٩ .

(٣) مرجع سابق ص ٨٦٤ / ٨٧٢ .

« رسالة أضحوية فى المعاد » وأيضا حين قال : « إن الأمور الأخروية التى جاء بها القرآن الكريم ونطقت بها السنة مقصودٌ بها مخاطبة الجمهور من العامة الذين لا تطيق عقولهم تصور المعاد الروحانى الصرف ، وأما الخاصة فلهم شأن آخر غير هذا الشأن » .وابن سينا بهذا القول قد خرج عن إجماع المسلمين ، وخالف بقوله هذا القرآن الكريم والسنة النبوية .

وكما يقول الدكتور « رفقى زاهر » : « لا شك فى أن إبراهيم عليه السلام كان من هؤلاء الخاصة ، ومن خاصة الخاصة كما اتفقت على ذلك كلمة المتدينين ، فما باله قد صور له المعاد تصويراً جسمانياً على نحو ماصور لعزير كذلك ، ومابالـه قد إطمان إلى ذلك إطمئنانا لا يداخله شك ولا يشوبه ارتياب ، وقد صور الله سبحانه هاتين التجربتين الحسيتين فى سياق واحد . وذلك حين يقول ﴿ **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس و انظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير** ﴾ .

﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾(1) .

وهنا نلاحظ أن السؤال كان من أحد العامة وهو « العزير » وأحد الخواص وهو « إبراهيم » عليه السلام . وكان الجوابُ واحداً مما يدل على أن خطاب الله للخلق واحد . ولو كان هنالك فى أمر البعث خطاباً للعامة وخطابٌ للخاصة لاستخدمه الله عز وجل . وسؤال إبراهيم عليه السلام والعزيز واحد و الإجابة عليهما بإجابة واحدة تنقد ماذهب إليه ابن سينا من أن أمور الشرع مخاطب بها العامة لا الخاصة .

وقد ثبت أن البعث حقيقة بالجسد والروح كليهما بدليل آيات كثيرة فى القرآن الكريم . منها قوله تعالى ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام** ﴾(2) .

وقوله تعالى ﴿ **ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم** ﴾(3) وكثير

---

(1) البقرة الآيتان ٢٥٩ ، ٢٦٠، وانظر قضية التكفير عند الإمام الغزالى ص ٥٤ / ٥٥ .

(2) الرحمن ٤١ . (3) الأعراف ٤٨

من الآيات تعرضنا لها فى استدلال القرآن الكريم على حقيقة البعث .

ثانيا : البعث عند النصارى

سوف ندرس فى هذا المبحث البعث عند النصارى هل هو بالروح أو بالجسد ؟ أو بهما معا ؟ وسوف نعرض لنصوص الأناجيل وأعمال الرسل مستعينين بشروح المفسرين النصارى لهذه النصوص ، ثم أخيرا نعرض لقرارات المجامع المسكونية .

نصوص الأناجيل :

ورد فى متى « لا تخافوا الذين يقتلون الجسد ولا يقدرون أن يقتلوا النفس ، بل خافوا الذين يقتلون الجسد والنفس معا فى جهنم »(1) .

هذا النص صريح فى إنجيل « متى » أن الذى يبعث ويعذب الجسد والنفس معا . وورد فى متى أيضا « وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم من قبل ما قيل لكم من قبل الله القائل : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات بل إله أحياء . فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه »(2) .

يقول بنيامين بنكرتن « مفسر » إنجيل متى : « لو كان إبراهيم واسحاق ويعقوب قد كُفوا بالموت عن الوجود لما كان من الأمور اللائقة بالله أن يقول لموسى أنا إلههم ؛ لأنه ليس إله غير الموجودين . كان يمكن أن يقول : أنا كنت إلههم . فإذا الوقت وانحلال الجسم الفانى يقطع العلاقة الكائنة بين الله وبينهم . وهذه العلاقه نفسها توجب إقامتهم ؛ لأن الموت مرحلة إستثنائية دخيلة على الإنسان لأن الله خلقه جسداً ونفسًا وروحاً ، ومن ثم فلابد أن يقيم الجسد حتى يكون معذبوه أمامه إلى الأبد »(3) .

وفى إنجيل يوحنا « لا تتعجبوا فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونه »(4) .

---

(1) متى ١٠ — ٢٨ .
(2) متى ٢٢ — ٣١ — ٣٣ .
(3) تفسير إنجيل متى بنيامين بنكرتن ٣٨٠ .
(4) إنجيل يوحنا ٥ — ٢٨ .

ويشرح أحد علماء النصارى نص « يوحنا » مبيناً أنّ الأجساد ستجتمع مع النفوس يوم القيامة ، يقول : « سوف يسمع الأبرار نداء الرب بفرح لا يوصف ، أما الأشرار فيعذبهم الرعب .. وتتحد أجسادُ الموتى عند القيامة بنفوسها ، فيظهر الخاطئون فى صورة قبيحة ينعكس فيها بأسُهم وخبثهم ، أما الأبرار فتتجلى أجسادُهم بمجد يشبه مجد ابن الله المتجلى »(١) .

وجسد المسيح الذى ستكون أجساد الأبرار مثله كان « بعد القيامة بهيئة بشرية ، ولم تزل فى جسمه علامات كانت خاصة به قبل الموت ، والأرجح أيضا أن جسد القيامة يشابه الجسد الأرضى . إلا أنه مع تلك المشابهه يمتاز بكونه ممجدا بمجد روحانى سماوى »(٢) .

وهناك نصوص كثيرة لعلماء النصارى تصرح بأن البعث والجزاء للجسد والروح معا . يقول القمص « سيداروس عبد المسيح » : « الدينونة لن تكون للأرواح دون الأجساد ، كما أنها لن تكون للأجساد دون الأرواح ، الذى أخطأ هو الإنسان كله جسدا وروحا . فالذى يدان هو الإنسان كله جسدا وروحا »(٣) .

ويقول القديس « إميروسيوس » : « بما أن حقيقة حياتنا قائمه كلها باقتران النفس والجسد فالقيامة إذا تكون إما الإثابة على صالح الأعمال أو للمعاقبة على رديئها . فلابد أن يقوم الجسد ليأخذ ثمرة عمله ؛ لأنه كيف تدعى النفس للدينونه دون الجسد ، إذ يجب أن تعطى حساباً لأجل مساكنتها له »(٤) .

وينقل صاحب كتاب « الملكوت » قول العلامة « ترتلياثوس » : « هذا الجسد الذى أقامه الله على جميع أعماله وأخضع كل شيء تحت قدميه وحوطه بأسراره وتعاليمه ، أفلا يقوم هذا الجسد بعد أن يموت مرة ثانية ؟ إذ أن الله لا يسمح بأن يبيد عمل يديه وتدبير عقله . إن الغاية القصوى التى وضعها الله فى الإنسان هى حب الإنسان لله واشتياقه

---

(١) إيماننا الحى ص ٥٢٧ .　　(٢) علم اللاهوت النظامى ص ١١٩٨ .

(٣) دراسات فى علم الاسخاطولوجى الملكوت ص ٨١ تأليف القص سيداروس عبد المسيح ــ مطبعة دار العالم العربى ــ الطبعة الأولى ١٩٧٩ .

(٤) نفسه ص ٨٢ .

للحياة السعيدة معه جسداً وروحا ، ولما لم يكن فى مقدور الإنسان إدراك الغاية هذه فى الأرض ، إذ أنه بالموت ينحل رباط الروح والجسد فينزل الجسد إلى التراب ؛ فيلزم إذا أن يقوم الجسم مرة ثانية ؛ ليرتبط بالروح ، وبهذا يتحقق للإنسان غايته العظمى »[1] .

هذه النصوص فى منتهى الصراحة فى بعث الجسد والروح يوم القيامة إلا أن النصارى يقولون بأن ذلك الجسد يكون روحانيا . ونلاحظ أن نصوص الأناجيل ـ وخاصة نص متى الصريح فى عذاب الجسد والنفس فى جهنم ـ لم تتحدث عن الجسد الروحانى الذى يقول به النصارى ، وعلى هذا الأساس كانت نصوص النعيم الحسى فى الجنة وكذلك العذاب ، إذ ما دام الجسد نفسه يعود يوم القيامه بروحه فإن ارتباطه بالمتع الحسيه لا شيء فيه . ولكن النصارى لا يقولون بالنعيم الحسى فى الجنة ، ويقولون : إن أجسادنا ليست فى حاجة إلى الطعام والشراب والنكاح وسائر المتع ؛ لأن أجسادنا تكون أجسادا روحانية ونحن نتساءل من أين جاؤا بالجسد الروحانى بالرغم من عدم تصريح الأناجيل به ؟ وأيضا من أين جاؤا بأن الجسد الروحانى لا يقبل الجزاء الحسى ؟ بل من أين جاؤا بأن الجسد الروحانى لا تأتيه جزاءات جسديه روحيه معا كما فى الإسلام ؟ .

والواضح أن النصارى تبنوا ما قاله بولس من بعث الأجساد الروحانية ، التى لم يظهر استخدامها إلا فى رسائل بولس ، وأولوا نصوص البعث فى الأناجيل ، وإكمالا للبحث سوف نتعرض للبعث عند بولس .

البعث عند بولس :

ورد فى رسالة كورنثوس الثانية ما نصه « لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ؟ ياغبى الذى نزرعه لا يحيا إن لم يمت . والذى نزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجد ربما من الحنطة أو أحد البواقى ، لكن الله يعطيها جسما كما أراد ولكل واحدٍ من البذور جسمه . ليس كل جسد جسدًا واحدًا بل للناس جسدٌ واحد ، وللبهائم جسد آخر ، وللطير آخر ، وأجسام سماوية وأجسام أرضية ، لكن مجد السماويات شيء ومجد الأرضيات آخر مجد الشمس شيء ، ومجد القمر آخر ، ومجد النجوم آخر لأن نجمًا يمتاز عن نجم فى المجد . هكذا أيضا قيامة الأموات ، يزرع فى فساد ، ويقام فى عدم فساد ،يزرع فى هوان ويقام فى مجد، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع جسمًا

---

(1) دراسات فى علم الأسخاطولوجى ص ٨٣ ــ ٨٤ .

حيوانيًا ، ويقام جسما روحانيًا »[1] .

هذا هو نص بولس الذى يثبت فيه حقيقة جسد القيامة ، وقد اكتفينا بهذا القدر من الإصحاح لتثبت حقيقة البعث عند « بولس » ، والنصارى يعتبرون أن ماكتبه « بولس » عن القيامة والبعث من أروع ماكتب . يقول الأنبا يؤانس : « لعل أروع ماكتب عن حقيقة قيامة الأجساد فى العهد الجديد مادونه معلمنا القديس « بولس » فى إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر من رسالته إلى كنيسة كورنثوس » [2] .

ومادام الأمر كذلك فلنرجع إلى شراح رسائل « بولس » لنرى وجهة نظرهم فيما كتبه « بولس » ، والحق أن الشراح النصارى فى غاية الاضطراب عند تعرضهم لعبارات بولس ، ولنأخذ نماذج من هذا الاضطراب . يقول « وليم إدى » : « قال بولس : إنه من الوهم القول بأن أجساد القيامة كالأجساد هنا فى كل الأمور ، نعم إنها تكون مادية كالأجساد التى سكنتها أنفسنا ونحن على الأرض لكنها تكون على نظام آخر »[3] .

ولكن الشارح يؤكد على أن « كل إنسان مدفون له جسد مختص به يوم القيامة ، بينه وبين جسده الأرضى شيىء من التعلق ، لا يخرج به جسد القيامة عن كونه جسده الأصلى »[4]. ونحن نعلم أن الجسد الأصلى مكون من لحم ودم .. فهل الجسد الذى يبعث سيكون على هذه الصورة ؟ عبارات شرح الكنز الجليل تشعر بذلك .

ولكن هذا الفهم يعارض فهما آخر لأحد شراح إصحاح بولس إذ يعرض علم اللاهوت النظامى لحقيقة الجسد فى القيامة فيطرح هذا السؤال « ماذا يعلمنا الكتاب فى حقيقة جسد القيامة »[5] ؟ ويجيب بنصوص من إصحاح « بولس » الذى يعتبر من أروح ماكتب عن القيامة كما يقول الأنبا يؤانس . يورد علم اللاهوت النظامى الإجابة على السؤال السابق بقوله « أنه روحانيا »[6] ، على أنه لا بد من بقائه على صورة الجسد البشرية ، لأن المسيح ظهر لتلاميذه بعد القيامة بهيئة بشرية ،ولم تزل فى جسمه علامات كانت خاصة به قبل الموت »[7]. الجسد يوم القيامة على صورة الجسد البشرية ، إلا أنه

---

(١) رسالة كورنثوس الثانية ١٥ ــ ٣٥ / ٤٥ .
(٢) السماء للأنبا يؤنس ص ١٩٥ ــ ١٩٦
(٣) الكنز الجليل جـ ٤ ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .
(٤) الكنز الجليل جـ ٤ ص ١٩٨ .
(٥) علم اللاهوت النظامى ١١٩٨ .
(٦) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ــ ٤٤ .
(٧) علم اللاهوت ١١٩٨ .

يقول بعد ذلك مباشرة عن جسد يوم القيامة إنه يتغير حتى لا يكون بعدُ دماً ولحماً[1] « ولا يكاد الشراح النصارى يستقرون على رأى فى حقيقة جسد القيامة ، فهو جسد على صورة الجسد البشرى كجسد المسيح حين قام ، والمسيح حين قام كان بهيئة بشرية »[2] ولا نكاد نستقر على ذلك حتى نفاجأ بأن جسد القيامة ليس بلحم ودم . يقول بولس : « يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا »[3] . ويدخل الشراح فى قضايا متشابكة متداخلة ، فيفسر أحد الشراح الجسم الحيوانى والجسم الروحانى بآدم والمسيح ،[4] ويدخل فى تفريعات لا حصرت لها حول جسم آدم قبل الخطية ، وجسده بعد الخطية ، وجسد المبسيح الروحانى .

وهكذا نجد اضطرابًا فى عرض « بولس » لجسد القيامة ، وفى فهم الشراح لنصوص « بولس » كما رأينا . ومرد ذلك من وجهة نظرى إلى أن كلام « بولس » فى هذا الموضوع ليس مصدره الوحى ، وإنما كما نعلم مجموعة من التأثرات بالتيارات الفلسفية التى كانت سائدة آنذاك ، وقد تحدث عن هذا الموضوع باستفاضة « شارل جنيبير » فى كتابه « المسيحية نشأتها وتطورها »[5] .

والذى يتعجب منه الإنسان ، أن النصارى تركوا نصوص العهد القديم التى تقول بالبعث الجسدى وأيضا نصوص الأناجيل ، وأخذوا نصوص « بولس » ، واعتبروها الدليل على البعث ، على الرغم من اضطراب نصوص « بولس » واضطراب الشراح أيضا فى تفسيرها .

وهذا الاضطراب بين الأناجيل من ناحية ونصوص « بولس » من ناحية ثانية والشراح النصارى من ناحية ثالثة حول جسد القيامة وحقيقته لا يخرج عن دائرة القول

---

(١) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ـــ ٥٠ وانظر علم اللاهوت النظامى ص ١١٩٨ .

(٢) يقول القمص سيدراوس : « أن جسد المسيح كان جسدًا حقيقيا يمكن لمسه » دراسات فى علم الاسخاطولوجى » ص ٩٦ .

(٣) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ـــ ٤٣ ـــ ٤٥ .

(٤) الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس ص ٤٢٩ القس فهيم عزيز ـــ الناشر دار الثقافة المسيحية ـــ انظر من ص ٤٢٥ ـــ ٤٣٣ .

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٨ ـــ ١٠٨ ـــ وانظر أيضا « بولس والمسيحية ص ٤٠ ـــ ٤١ . للدكتور محمد أبو الغيط الفرت دار الطباعة المحمدية ـــ الطبعة الأولى ١٩٧٩ .

بالبعث الجسدى إجمالا . ولكن هذا الاضطراب نفسه هو الذى جعل علماء الإسلام يختلفون حول حقيقة البعث عند النصارى هل بالروح أو بالجسد ؟ فالشهرستانى فى الملل والنحل يقول : « إن النصارى تقول بحشر الأبدان ، ومن النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان »(١) .

و « ابن سينا » كان يرى أن النصارى يقولون ببعث الأبدان يقول : « وأما الذى عند النصارى من أمر بعث الأبدان ثم خلوها فى الدار الآخرة عن المطعم والملبس والمنكح فهو أرك ما تذهب إليه الأوهام فى أمر المعاد »(٢) .

ورحمت الله الهندى صاحب « إظهار الحق » يرى أن النصارى اعترفوا بالحشر الجسمانى فأى استبعاد فى اللذات الجسمانية ؟ »(٣) .

هذا فريق من علماء المسلمين فهم من نصوص النصارى أنهم يقولون بالبعث الجسمانى وفريق آخر(٤) فهم من نصوصهم . أنهم يقولون بالبعث الروحانى فقط والحق أن النصارى لديهم نصوص صريحة تقول بالبعث الجسدى ، ونصوص مضطربة فى حقيقة الجسم الروحانى الذى يقول به « بولس » .

ويحاول علماء النصارى أن يخرجوا من هذا التناقض والاختلاف بقولهم : « لا يوجد على هذا الموضوع إختلاف يلتفت إليه فى الآراء ، فحيثما كانت قيامة الجسد من حقائق الإيمان كانت الوحدة بين الجسد الآتى والتحاضر مقبولة أيضا »(٥) .

وبعد عرضنا لنصوص البعث عند النصارى نستطيع أن نخلص إلى أنهم يقولون ببعث الجسد يوم القيامة إلا أن هذا الجسد سيكون روحانيا . ونظراً لما للمجامع النصرانية من شأن كبير فى إقرار عقائدهم وشرائعهم فإننا سنفرد كلمة عن حقيقة البعث فى مجامع

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٢٢٤ بتصرف يسير .

(٢) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ٦١ تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

(٣) إظهار الحق لرحمت الله الهندى جـ ٢ ص ٤١٠ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ـــ الناشر دار التراث العربى للطباعة والنشر . وانظر تهافت التهافت ص ٨٦٤ ـــ ٨٦٥ .

(٤) انظر الوحى المحمدى للشيخ رشيد رضا ص ١٣٣ ـــ ١٣٦ وانظر أيضا إظهار الحق لرحمت الله الهندى وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا هامش ص ٤١٠ .

(٥) علم اللاهوت النظامى ص ١٢٠١ .

النصارى التى تعقد كل فترة من الزمن ؛ لتقر ماتراه وتمحو غير المناسب من عقائد النصارى وشرائعهم .

ورد فى مجمع الآباء الذى عقد فى القسطنطينية مانصه « نؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه ، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية ، وبقيام أبداننا ، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين »(١) .

ونلاحظ أن مجمع الآباء قد ذكر قيام الأبدان يوم القيامة ، ويعلق الشهرستانى على ماورد فى قرار مجمع الآباء « هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات ، وفيه إشارة إلى حشر الأبدان »(٢) .

ويذكر ميخائيل مينا أن عقيدة قيامة الأجساد فى الآخرة مؤيد بالمجامع المسكونية يقول : « إن المجامع المسكونية قد أيدت هذه العقيدة وأثبتتها ، وأمرت المؤمنين أن ينشدوا مرتلين بها فى سائر طقوس العبادة قائلين : ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى »(٣).

وينقل الدكتور «دراز» إجماع الآباء على عقيدة بعث الجسد والروح ، يقول : « فلقد أجمع الآباء وفقهاء الكنيسة على أن يعلموا عقيدة بعث الجسد ،وعقيدة اشتراكه مع الروح فى الجزاء »(٤) .

فهم على أى حال يقولون ببعث الجسد ، إلا أن لهم وجهة نظر فى كون هذا الجسد روحانيا .

ثالثا : البعث عند اليهود

من خلال عرضنا للبعث عند اليهود فى الفصل الأول ، كواقعة من واقعات يوم القيامة ، تبين لنا أن التوراة الحالية قد خلت من الحديث عن اليوم الآخر وأن الإشارات عن اليوم الآخر تأتى عابرة فى أسفار الأنبياء ، ومختلف حولها ، وسوف نأخذ بعض الإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء ، والتى رجحنا أنها تشير إلى البعث ، لنرى هل هذه

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٢) نفسه .

(٣) علم اللاهوت ميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٣٨ / ١٣٩ ، تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .

(٤) الدستور الأخلاق فى القرآن ص ٤١١ .

الإشارات تشير إلى البعث الجسدى والروحى أو سوى ذلك ؟ وأيضا سوف نَعْرِضْ بعضَ النصوص لمفسرى اليهود لنرى حقيقة البعث عندهم .

ورد فى أشعياء « تحيا أمواتك تقوم الجثث ،استيقظوا ، ترنموا ياسكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة »(١) .

وورد فى سفر حزقيال « أيتها العظام اليابسة ، اسمعى كلمة الرب . هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : هأنذا أُدْخِل فيكم روحاً فتحيون ، وأضع عليكم عصباً ، وأكسيكم لحماً ،وأبسُطْ عليكم جلداً ، وأجعل فيكم روحاً ، فتحيون وتعلمون أنى أنـا الرب »(٢) .

هذان النصان يشيران إلى البعث الجسدى والروحى معاً لليهود فى الآخرة .

يقول سعديا الفيومى : « إن إحياء الموتى الذى عرفنا ربنا أنه يكون فى الدار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعون عليه »(٣) .

ويقول : « ورأينا إحياء الموتى ، ولا شاهد يدفعه ؛ لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم ، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم ثم لاالعقل يرده ، من أجل أن إعـادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شيء لا من شيء »(٤) .

ويقول عن مصير الروح بعد الموت : « إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجتمع جميع النفوس التى أوجبت الحكمة من البارىء . خلقها وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا ، فإذا تم عددها واجتمعت جُمِعَ بين النفوس وأجسامها »(٥) .

وهذا النص صريحٌ فى البعث الجسدى ، والروحى عند اليهود ، ويقول أيضا عن الثواب والعقاب « أما الثواب والعقاب على الجسد والنفس جميعا إذ هما فاعل واحد »(٦) .

النصوص تبين أن البعثَ يكونُ بالجسد والروح ، والثواب والعقاب يقعان على الجسد والروح ، إذ أنهما فاعلٌ واحدٌ للحسناتِ والسيئات .

والذى ذهب إليه سعديا الفيومى من بعث الجسد والروح يوم القيامة عكس

(١) أشعياء ٢٦ : ١٩ .
(٢) حزقيال ٣٧ : ٤ — ٧ .
(٣) الأمانات والاعتقادات ص ٢١٣ .
(٤) نفسه ص ٢٠٧ .
(٥) نفسه ص ٢٦٤ .
(٦) نفسه .

ماذهب إليه أحد فلاسفة اليهود وهو فيلون الاسكندرى ، الذى يرى أن الإنسان لايكتسب الخلود إلا بالتحول إلى عقل بحت خالص . وهو يرى أن من الخطأ الاعتقاد بخلود الإنسان مالم تتجرد نفس الإنسان من كل مافيها من فان ودنيوى ، وموطن الحياة الخالدة للإنسان بعد تجرده من الحسيات هو العالم المعقول الذى يتكون من الكائنات العاقلة . ويرى فيلون أن عودة إبراهيم إلى آبائه معناها عودة النفس غير القابلة للفساد إلى الجواهر الروحانية التى تسكن فى العالم الإلهى ، والتى تسمى بالملائكة . والبعث عند فيلون عبارة عن ولادة جديدة للإنسان فى شكل نبى . وهذه الولادة الجديدة تختلف عن الولادة الأولى للإنسان ؛ لأن الولادة الأولى جسدية لصدور الإنسان فيها عن آباء فانين ، أما البعث الذى يعتبره الولادة الثانية فالإنسان فيه بسيط ومجرد من الخلط . فلن يكون الإنسان فى بعثه الثانى عن أم بل عن أب هو أبو العالم . وتتم هذه الولادة حسب الحكمة ، ويكون النبى الذى يعود ، فيولد مقابلا للإنسان الدنيوى الذى خلق أولا . وهذا المولد الجديد ليس مولدا بمعنى الكلمة بل هو إعادة توالد عودة إلى الشباب .

وهذه الإشارات المجازية عن البعث والخلود التى استخدمها فيلون الاسكندرى كانت تلقى سخرية مستمرة من اليهود فى هذا الوقت . ويذهبُ بعض الباحثين إلى أن هذه الإشارات المجازية تأثر فيلون بها من الفلسفة الرواقية وبعض المدارس الفلسفية الأخرى ، خاصة بما ورد عن المصريين القدماء وكتاب الموتى على وجه الخصوص[1] .

ونلاحظ أن هذه الإشارات المجازية عن البعث والخلود فى الحياة الأخرى يختلف عن ماذهب إليه سعديا الفيومى من علماء اليهود . ويبدو أن إشارات فيلون المجازية والتى تأثر بها من الفلسفات السائدة فى عصره كانت موضع سخرية عند اليهود كما يقول إميل بريهيه[2] . خاصة إذا كان يصور البعث فى صورة عقلية بحتة ، لا تتناسب مع الإشارات التى وردت فى العهد القديم من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنها تتصادم مع التصور الحسى الملموس الذى صبغ به اليهود كل شيىء تقريبا .

وليس بين أيدينا مصادر تصور حقيقة البعث عند اليهود أكثر مما أشرنا إليه من

(١) انظر الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندرى ص ٣١٦ / ٣١٧ تأليف الأستاذ أميل بريهيه ترجمه وراجعه الدكتور محمد يوسف موسى ، دكتور عبد الحليم النجار ــ الناشر مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤

(٢) نفسه ص ٣١٢ .

نصوص العهد القديم ، وماذكره سعديا الفيومى ، وماأورده إميل بريهيه عن فيلون الاسكندرى فيما يتعلق بالخلود والحياة الأخرى .

* * *

المبحث الثانى

النعيم والعذاب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولا : النعيم والعذاب فى التصور الإسلامى

١ ـ نصوص الوحى المتعلقة بالنعيم والعذاب فى القرآن والسنة :

سوف نعرض فى هذا المبحث نصوص الوحى المتعلقة بهذا الموضوع ثم بيان طريقة المتكلمين ، والصوفية ، والفلاسفة فى فهمها والتعبير عنها . ونبدأ بعرض نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فى النعيم .

أ ـ الجنة ونعيمها :

إن المتأمل فى الجزاء الذى أعده الله للمتقين من عباده يوم القيامة يجد أنه نوعان : نوع حسى ، وهو عبارة عن الجنات وما فيها من الخيرات ، والمساكن الطيبة والأزواج المطهرات ، والأنهار من العسل واللبن والخمر .

ونوع روحانى عقلى ، ويتمثل فى رضوان الله الذى يحل على المؤمنين المتقين ، وغير ذلك من طهارة القلوب ونزع الغل والحقد من النفوس(١) .

النوع الأول : النعيم الحسى :

يعرض القرآن الكريم صوراً من النعيم الحسى الذى يتمتع به المؤمنون يوم القيامة ، فيصور أنهم فى نعيم مقيم وملك كبير ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . يقول الله عز وجل ﴿ **وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيما ومُلْكاً كبيرا** ﴾(٢) والملك الكبير فى الآية جاء بعد عرض أنواعاً من المتع التى يتمتع بها المؤمنون من طعام وشراب ، وولدان مخلدين ، وهذا الملك الكبير يغاير تلك الأشياء التى ذكرت قبله ،فدل هذا الملك الكبير على أن هناك منافع أزيد مما تقدم ذكره . وقال ابن عباس لا يقدر واصف أن يصف حسنه ولا

---

(١) انظر تفسير المنار جـ ٣ ص ٢٠٤ .

(٢) الإنسان ٢٠ .

طيبه[1] . ومن المفسرين من حمل هذا الملك الكبير على التعظيم ، وهو أن يأتى الملك من الملائكة من عند الله بكرامة من الكسوة ، والطعام ، والشراب ، والتحف إلى المؤمن وهو فى منزله فى الجنة فيستأذن عليه ، ولا يدخل هذا الملك إلا بعد أن يأذن له ولى الله[2] . وهذا الملك الكبير هو ماعبر عنه القرآن الكريم من أن الجنة عرضها السموات والأرض . يقول تعالى ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾[3] ويقول عن ثناء المؤمنين على ربهم فى الجنة ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾[4] .

والله عز وجل يعبر عن أرض الجنة بأنها ميراث الصالحين من عباده ، وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم ، وتمكينهم من التصرف فيها تصرف الوارث ، فكل من فيها يتمتع بحرية التنقل والاستقرار حيثما يريد[5] .

ويصفُ الرسولُ ﷺ أدنى أهل الجنة منزلة بأن له مثل الدنيا عشرة أمثال . روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة رجلٌ يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة . فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى . فيرجع فيقول تبارك وتعالى : اذهب فادخل الجنة . فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى . فيقول له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا . قال : فيقول : أتسخر بى ، أو أتضحك بى ، وأنت الملك ؟ » قال : لقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . قال : فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة[6] .

مساكن أهل الجنة وثيابهم :

يتحدث القرآن الكريم عن مساكن أهل الجنة وغرفهم التى ينزلون فيها بقوله ﴿ **وعد**

---

(١) الفخر الرازى جـ ٣٠ ص ٢٥١ / ٢٥٢ .

(٢) أبو السعود جـ ٤ ص ٨٠٤ .

(٣) آل عمران ١٣٣ . (٤) الزمر ٧٤ .

(٥) أبو السعود جـ ٤ ص ٤٧٨ والدستور الأخلاقى فى القرآن للدكتور دراز ص ٣٧٩ .

(٦) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٩٦ .

الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾[1].

والمؤمنون والمؤمنات ينزلون فى ﴿ غرف من فوقها غرف مبنية من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾[2] .

وهـذه الغـرف ﴿ فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعـة . ونمارق مصفوفـة . وزرابى مبثوثة ﴾[3] والمساكن الطيبة التى أعدها الله عز وجل للمؤمنين والغرف المبنية من فوقها غرف بلغتا غاية من الكمال والحسن لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، فقد سئل ابن عباس عن المساكن الطيبة ، فقال : إنها دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر . ويعلق الرازى على قول ابن عباس بقوله : « لعل ابن عباس قال: إنها دار المقربين عند الله ، فإنه كان أعلم بالله من أن يثبت له دارا »[4] .

وقد وصف رسولُ الله ﷺ مساكن الجنة ، وغرفها ، ونعيم أهلها ، فيما يرويه الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتـراءون أهـل الغـرف فوقهـم كما تتـراءون الكـوكب الـدرى الغابـر من الأفـق من المشرق أو المغرب ؛ لتفاضل مابينهم » . قالـوا : يارسول الله تلك منـازل الأنبيـاء لا يبلغهـا غيرهـم قال : « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »[5] .

وروى الترمذى بسنده عن النعمان بن سعد عن على قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها »فقام إليه أعرابى فقال : لمن هى يانبى الله ؟ قال : « هى لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »[6] .

أما عن ثياب أهل الجنة فإن كسوتهم كما قال القرآن الكريم ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾[7] والله عز وجل حين يخبر عن ثياب أهل الجنة يريد أن يبين أنواع

---

(1) التوبة ٧٢ .

(2) الزمر ٢٠ .

(3) الغاشية ١٣ — ١٦ .

(4) الفخر الرازى جـ ١٦ ص ١٣٢ / ١٣٣ .

(5) صحيح مسلم جـ ٢ ص٥٣١٠ .

(6) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٣١ .

(7) الكهف ٣١ .

النعيم التى يتنعمون فيها . والإستبرق : ماغلظ من الديباج ، والسندس :مارَقّ منه ، وكل ذلك داخل فى اسم الحرير(1) . الذى وصف الله به لباس أهل الجنة فى قوله تعالى ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** ﴾(2) وليس هنا من تعارض بين حليتهم بأساور من ذهب فى سورة الكهف وسورة الحج ، وبين حليتهم بأساور من فضة فى قوله تعالى ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلو أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** ﴾(3) ويزول التعارض من ثلاثة وجوه .

الوجه الأول : أنهم يجمعون بين أساور الذهب وأساور الفضة . أو يلبسون تلك الأساور تارة والأخرى تارة أخرى .

الوجه الثانى : أن طباع أهل الجنة مختلفة ، فهناك أناس يفضلون الفضة على الذهب لبياض لونها ، وهناك أناس آخرون يفضلون صفرة الذهب على بياض الفضة ،فيعطى الله عز وجل كل واحدٍ منهم رغبته وميله ، وذلك من كرمه وتفضله عز وجل .

الوجه الثالث : أن يكون قول الله تعالى ﴿ **وحلوا أساور من فضة** ﴾ صفة للولدان المخلدين الذين يتمتع به أهل الجنة ... وتكون أساور الذهب لغيرهم من المؤمنين والمؤمنات فى الجنة(4).

ولا يقال أن الآساور من الأشياء التى يتحلى بها النساء فى الدنيا ، فكيف تكون للرجال فى الجنة ؟ والجواب عن ذلك : أن الآخرة تختلف عن الدنيا فى النعيم والمتع ، وكما تكون الخمر حلالا فى الآخرة ، وهى محرمة فى الدنيا ، فكذلك أيضا أساور الذهب ، والفضة ، وثياب الحرير تكون حلالا فى الآخرة للمؤمنين والمؤمنات .

وعن الثياب وفُرش أهل الجنة ورد عن رسول الله ﷺ فيما يرويه الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا

---

(1) تفسير الفخر الرازى جـ ٣٠ ص ٢٥٣ . (2) الحج ٢٣ .
(3) الإنسان ٢١ .
(4) الفخر الرازى جـ ٣ ص ٢٥٣ / ٢٥٤ وأبو السعود جـ ص ٨٠٣ / ٨٠٤ .

تبلى ثيابهم »[1] ومعنى جرد أى لا شعر على أجسادهم ، ومرد جمع أمرد وهو غلام لا شعر على ذقنه . ويراد بذلك التعبير بالحسن الغالب على وجوههم وأجسادهم ، وكَحْلَى أى فى جفون عيونهم سواد خلقهم الله على ذلك . ولا تبلى ثيابهم أى لا تزال عليهم الثياب الجديدة »[2] .

وجاء فى قوله تعالى ﴿ **وفُرُشٍ مرفوعة** ﴾ أن النبى ﷺ قال « ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام » [3] .

يقول الترمذى : « قال بعض أهل العلم فى تفسير هذا الحديث : معناه أن الفرش فى الدرجات وبين الدرجات كما بَيْنَ السماءِ والأرض »[4] .

أنهار الجنة وأشجارها :

إن من الأشياء التى يركز عليها القرآن الكريم فى نعيم أهل الجنة الأنهار التى تجرى من تحت الجنات ، والتى ورد ذكرها كثيراً فى القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهارٌ من عسل مصفى**﴾[5] .

ويقول عز وجل ﴿ **ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار** ﴾ [6] والملاحظ هنا أن الله اختار الأنهار فى الآية الأولى من الأجناس الأربعة ، لأن المشروب إما أن يشرب لطعمه كاللبن والعسل ، وإما أن يشرب لا لطعمه وإنما لأمر آخر ، كالماء للحياة والخمر للسرور .. فذكر الذى يشرب لا للطعم وهو عام الشرب ، وقرن به اللبن الذى يشرب لطعمه ، وهو عام الشرب ، إذ مامن أحد إلا وكان شربه اللبن . ثم ذكر الخمر الذى يشرب لا للطعم وهو قليل الشراب ، وقرن به العسل الذى يشرب للطعم ، وهو قليل الشراب ، فذكر الله أحلى الأشياء وهو العسل ، وذكر أدسم الأشياء وهو اللبن ، وعَرَّى الخمر عن الصفة التى تدنسها وهى السكر ، والماء عن الصفة التى تشينه وهى الأسن أى التغيرا[7] . وأما الآية الثانية فإنها تشير إلى أبرز ملامح السعادة الحسية ، وهو اللذة التى يثيرها منظر

---

(1)) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٤٦ . (2) نفسه ص ٢٤٧ .
(3) نفسه ص ٢٤٧ والحديث رواه أبو سعيد الخدرى . (4) نفسه .
(5) محمد ١٥ . (6) الأعراف ٤٣ .
(7) انظر الفخر الرازى جـ ٢٨ ص ٥٤ / ٥٥ .

الماء الجارى حين ينظر إليها من عل ، والقرآن يوحى إلينا بمعنى أكثر عمقا وأكثر سعادة ، وأحلى مذاقا ، ليس هو مطلقا ذلكم الموقف الذى يثير الأحلام ، ويلهم الشعر ، ولكنه واقع أخلاق فى جوهره يتمثل فى نسيان كل حزن وذهاب كل حقد وغل وحسد من القلوب (١) .

ويقول الله تعالى ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾(٢) والنهر هنا بمعنى الأنهار ، والإفراد للاكتفاء باسم الجنس ، وليس هذا وفقط ، ولكنهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . مع المتعة الحسية متعة معنوية ألا وهى الأمان الذى يشعرون به وهم فى جنب الله عز وجل .

ويتحدث القرآن الكريم عن نعيم أهل الجنة بالظل فيها يقول تعالى ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدرٍ مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب** ﴾(٣) .

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « فى الجنة شجرة يسيرُ الراكبُ فى ظلها مائة عام لا يقطعها . قال : وذلك الظل الممدود »(٤) وظلها هنا أى نعيمها وراحتها . وهذه الأشجار سيقانها من الذهب فقد روى الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مافى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب »(٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكَرَبُها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم ، وحللهم ، وثمرها ، أمثال التلال ، والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم (٦) .

طعام أهل الجنة :

مما ذكره الله عن أهل الجنة طعامهم الذى يرزقون به فى الجنة يقول تعالى ﴿ **فيهما فاكهة ونخل ورمان** ﴾(٧) ويقول ﴿ **وفاكهة كثيرةٌ . لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾(٨) يقول ابن

---

(١) الدستور الأخلاق فى القرآن ص ٣٨٤ .
(٢) القمر ٥٤ ، ٥٥ .
(٣) الواقعة ٢٧ ــ ٣١ .
(٤) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٢٥ .
(٥) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٢٥ .
(٦) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٢٧ .
(٧) الرحمن ٦٨ .
(٨) الواقعة ٣٢ ، ٣٣ .

كثير : « عندهم فواكه كثيرة متنوعة فى الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى ﴿ **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها** ﴾(١) أى يشبه الشكل ولكن الطعم غير الطعم »(٢) .

ويقول تعالى ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون** ﴾(٣) ويقول تعالى ﴿ **ولهم فيها من كل الثمرات** ﴾(٤) لما كان الأكل فى الجنة للذة لا للحاجة ذكر الثمار التى لا تخطر على قلب بشر ، وهذه الثمرات دائمة أبداً يأكلون منها حيث شاءوا ، يقول تعالى ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار** ﴾(٥) .

ويشير الله تعالى إلى أن أكل أهل الجنة دائم لا ينقطع كثمارها وظلها ، وهذه الآية تدل على أن أكل الجنة لا يفنى — كما يحكى جهم وأتباعه — وتدل على أن حركات أهل الجنة لا تنتهى إلى سكون دائم — كما يقول أبو الهزيل — وتدل على أنها مخلوقة(٦) .

وورد عن رسول الله ﷺ أن هناك طيرا فى الجنة لحمها أنعم منها .

روى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ : ماالكوثر ؟ قال « ذاك نهر أعطانيه الله » يعنى فى الجنة « أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر : إن هذه لناعمة فقال رسول الله ﷺ : « أكلتها أنعم منها »(٧) والجزر جمع جزور وهو البعير الناعمة : السمان المترفة . وأخرج أحمد بإسناد جيد مثل هذا الحديث ولفظه أن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجرالجنة فقال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير ناعمة . فقال : « أكلتها أنعم منها » قالها ثلاثاً « وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكلون منها »(٨) .

ونحن نرى أن نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ قد بينا النعيم الحسى لأهل الجنة أتم بيان وأكمله .

---

(١) البقرة ٢٥ .
(٢) تفسير ابن كثير بتصرف جـ ٤ ص ٢٩٠ .
(٣) الواقعة ٢٠ ، ٢١ .
(٤) محمد ١٥ .
(٥) الرعد ٣٥ .
(٦) انظر الفخر الرازى جـ ١٩ ص ٥٨ — ٥٩ .
(٧) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .
(٨) نفسه ص ٢٥٠ .

شراب أهل الجنة :

من ألوان النعيم الذى ينعم الله به عباده فى الجنة الشراب الذى يتناولونه وهم جلوس على الأرائك ، وحولهم الولدان المخلدون الذين يتناولون خدمة أولئك المؤمنين . يقول الله تعالى ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** ﴾[1] ويقول عز وجل ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون** ﴾[2] ويقول عز وجل ﴿ **يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم** ﴾[3] .

والآية الأولى بين الله عز وجل الشراب الذى يشربه عباد الله فى الجنة ، وإن من أنواع النعيم عندهم صفة الشراب ، والكافور : اسم عين فى الجنة . والمعنى أن ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين ، ولا يقال إن مزج الكافور بالشراب لا يكون لذيذا ؛ لأنه لا بأس فى أن يخلق الله تعالى الكافور فى الجنة لكن من طعم طيب لذيذ ، ويسلب عنه مافيه من المضرة ، ثم أنه تعالى يمزجه بذلك المشروب كما أنه تعالى سلب عن جميع المأكولات والمشروبات مامعها فى الدنيا من مضار[4] .

والآية الثانية تبين أن المؤمنين يشربون من كأس من معين لا يصدعون عنها ، أى بسببها لا يصدر صداعهم عنها ولا يفرقون عنها ، ولا ينزفون أى لا يسكرون ، من أنزف المشارب إذا نفذ عقله أو شرابه[5] .

والآية الثالثة تبين حالتهم أثناء الشراب ، فهم يتعاطون ويتجاذبون تجاذب ملاعبة ومداعبة للكئوس ، ولا يصيبهم مايصيب أهل الدنيا بسبب زوال العقل ، ولا يأثمون أى لا يفعلون مايؤثم به فاعله أى ينسب إلى الإثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا ، وإنما يتحدثون بأطيب الكلام وأحسن الحِكم[6] .

ولكن من أهم المميزات التى يصف الله عز وجل بها شراب أهل الجنة أنه لا يذهب العقل ولا يحدث السكر كما هى عادة الشراب فى الدنيا . يقول الدكتور « دراز » : وأكثر

---

(١) الإنسان ٥ ، ٦ .
(٢) الواقعة ١٧ — ١٩ .
(٣) الطور ٢٣ .
(٤) الفخر الرازى جـ ٣٠ ص ٢٤٠ / ٢٤١ .
(٥) الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٥٤ وأبو السعود جـ ٤ ص ٦٧٢ .
(٦) الفخر الرازى جـ ٢٨ ص ٢٥٣ / ٢٥٤ وتفسير أبو السعود جـ ٤ ص ٦٣٧ / ٦٣٨ .

ماتبغي ملاحظته تلك العناية التى يبديها القرآن الكريم عندما يتحدث عن شراب السماء ، فهو ينفى عنه صفة الاغتيال ، التى تتصف بها عادة الشراب المعروفة فى الحياة الدنيا . يذكر القرآن الكريم فى ذلك أن الصالحين سوف يُسْقَوْنَ ﴿ **شراباً طهورا** ﴾ » (١) .

نساء أهل الجنة :

من المتع التى يتمتع بها المؤمنون فى الجنة النساء ، ولكن القرآن الكريم يصف نساء أهل الجنة بأوصاف مغايرة لنساء الدنيا ، فأول صفة يوصفن بها : أنهن مطهرات .

يقول الله تعالى ﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** ﴾ (٢) أى أن الله نزههن عن كل عيب وشَيْنْ ، والتطهير ، كما قال الراغب ، يقال فى الأجسام والأخلاق والأفعال جميعا(٣) أى ليس فيهن سوء أخلاق كما فى بعض نساء الدنيا ، وليس فيهن مايشينهن من الحيض والنفاس وغير ذلك .

ويقول عز وجل ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين** ﴾(٤) .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله : ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صُوَرَهَم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم من الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا ختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا »(٥) رشحهم المسك أى عرقهم ، ومجامرهم الألوة أى العود الهندى الطيب الرائحة(٦) . ونلاحظ أن الصفات الجمالية من الحسن قد ضُمنت معها صفات أخلاقية ، تتمثل فى أن قلوبهم صافية لا حقد فيها ولا حسد .

ويقول الله تعالى عن صفة نساء أهل الجنة ﴿ **وعندهم قاصرات الطرف**

---

(١) الإنسان ٢١ وانظر دستور الأخلاق فى القرآن للدكتور دراز ص ٣٨٥ .

(٢) البقرة ٢٥ .

(٣) روح المعانى للألوسى جـ ١ ص ٣٠٤ / ٣٠٥ — الطبعة المنيرية .

(٤) الدخان ٥١ — ٥٤ .

(١) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٥٣٣ .

(٦) شرح النووى جـ ١٧ ص ١٧٢ / ١٧٣ .

أتراب ﴾[1] أى قصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم . والله عز وجل جعل تلك الأزواج أبكارا يقول الله تعالى ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا** ﴾ [2].

يقول الدكتور دراز : « إن الحياة ستكون معهن حياة حب متبادل ؛ لأنهن سيكن عربا ، وهو حب بين شباب من سن واحدة ، والملاحظة التى نلاحظها فى وصف نساء الجنة أن الصفات الأخلاقية تزاحم الصفات المادية فى نعت هؤلاء الرفيعات العلويات ، ليس ذلك فحسب ، ولكن العنصر الأخلاقى يتقدم على الناحية الحسية ، ومن ثمَّ وجدنا ﴿ **أزواج مطهرة** ﴾ ﴿ **فيهن خيرات حسان** ﴾ ونلاحظ أن خيرات أولا ، وقاصرات الطرف أولا ، عين وهن حور مقصورات فى الخيام أى لا يبرحنها »[3].

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال : « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها : وذلك بأن الله يقول ﴿ **كأنهن الياقوت والمرجان** ﴾[4] فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه »[5] وتشبيه نساء أهل الجنة بالياقوت والمرجان كناية عن الصفاء وشدة البياض .

وبعد عرضنا لتلك الصورة من النعيم الذى أعده الله لعباده المؤمنين فى الجنة ، تبين لنا كيف أن الله عز وجل يذكر ألواناً متعددةً من النعيم الحسى الذى يشابه نعيم الدنيا ، ولكنه يختلف عنه فى الدوام والبقاء وكونه فى الجنة التى فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

النوع الثانى : النعيم الروحى لأهل الجنة :

بجانب المتع الحسية التى يُنَعِمُ الله بها عباده فى الجنة والتى ذكرنا طرفا منها . هناك النعيم المعنوى الذى يمتع الله به عباده فى الجنة وهذا النعيم يمثل فى عدة أشياء منها :

عدم الخوف والحزن :

يقول الله تعالى ﴿ **الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً**

---

(١) ص ٥٢ . (٢) الواقعة ٣٥ - ٣٧

(٣) الدستور الأخلاقى فى القرآن ص ٣٨٥ / ٣٨٦ بتصرف .

(٤) الرحمن ٥٨ . (٥) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٣٨ / ٢٣٩ .

ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(١) .

إن من المتع المعنوية التى يتمتع بها المؤمنون أنهم لا يخافون من شىء يحدث لهم ولا يحزنون على شىء فات عنهم . وهؤلاء المؤمنون يمتعهم الله بالعزة ويرفع عنهم الخزى والندم يوم القيامة . يقول الله عز وجل ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير** ﴾(٢) ويذكر الرازى أن قول الله ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه** ﴾ هذه الآية تفيد الاجتماع ، يعنى ، لا يخزى الله المجموع الذى يسعى نورهم . وهذه فائدة عظيمة إذ الاجتماع بين المؤمنين وبين النبى ﷺ تشريفٌ فى حقهم وتعظيم(٣) والدعاء بالمغفرة يُعَدُ من أكبر ألوان النعيم الذى يتمتع به المؤمنون ؛ لأن مرد كلّ نعيم إلى غفرانه عز وجل(٤) .

الأخوة والحب المتبادل :

من ألوان النعيم المعنوى عند أهل الجنةالحب الذى يسيطر عليهم والمودة الخالصة التى لا تعكر صفو اجتماعهم فى رضوان الله . يقول الله تعالى ﴿ **ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سررٍ متقابلين لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين** ﴾(٥) ومعنى الآية أن نفوس المؤمنين لما صارت صافية عن كدورات عالم الأجسام ونواز ع الخيال الأوهام ووقع عليها أنـوار عالم الكبرياء والجلال فأشرقت الأنوار الإلهية . يقول الرازى : « اعلم أن للثواب أربع شرائط : وهى أن تكون منافع مقرونة بالتعظيم خالصة عن الشوائب دائمة .

أمـا القيـد الأول : وهـو كونها منفعـة فإليـه الإشارة بقولـه ﴿ **إن المتـقين فى جنـات وعيون** ﴾ .

والقيد الثانى : وهو كونها مقرونة بالتعظيم فإليه الإشارة بقوله ﴿ **ادخلوها بسلام آمنين** ﴾ .

والقيد الثالث : وهو كون تلك المنافع خالصة عن شوائبُ الضرر والمضار الروحانية كالحقد والحسد والغل والغضب فإن الله عز وجل قد أزالها عن أهل الجنة فى قولـه ﴿ **ونزعنـا ما**

---

(١) البقرة ٢٦٢ . (٢) التحريم ٨ .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازى جـ ٢٩ ص ٢٢٢ / ٢٢٣ ، جـ ٣ ص ٤٧ / ٤٨ .

(٤) مشاهد القيامة فى القرآن ص ٢٢٤ . (٥) الحجر ٤٧ ، ٤٨ .

فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾

والقيد الرابع : الذى استجمعته الآية فهو : أن تلك المنافع دائمة آمنةٌ من الزوال وقد أشار إليها بقوله ﴿ **وماهم منها بمخرجين** ﴾ (١) « إن من النعيم الذى يتمتع به الصالحون يوم القيامة ذلك الود الصافى ، الذى يتساقاه المؤمنون فى الجنة ،فهم فى سلام خالص لا تشوبه شائبة ولا تكدره خاطرة ، فهو سلام لائق بالمتقين »(٢) . « ويزداد نعيمُهم حين تتلقاهم الملائكة وتسلم عليهم ويهنئونهم بما آلوا إليه من نعيم . يقول الله عز وجل ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾(٣) « إن الملائكة مع جلال مراتبهم يدخلون عليهم يكرمونهم بالتحية والسلام ويبشرونهم بنعم عقبى الدار »(٤) .

الحبور والاستبشار :

يقول الله عز وجل ﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضةٍ يحْبَرُون** ﴾(٥) ويقول الله عز وجل ﴿ **وجوهٌ يومئذ مُسْفِرة . ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ** ﴾(٦) .

والله عز وجل يخبر أن أهل الجنة فى روضة أى فى بستان حسن ،ويحبرون فيه أى يستمتعون بالأغانى . ويروى الألوسى عن عبد الله بن حميد أنه قال : قيل يارسول الله ما الحبر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « اللذة والسماع » . وقال بعض العلماء : يحبرون : يسرون . ولم يذكر الله مايسرون به إيذانا بكثرة المسار التى تكون لهم فى الجنة وماورد فى الخبر فمن باب الاقتصار على بعض ألوان سرورهم ، ولعل السامع كان يحب السماع فذكره له ﷺ . والتعبير بالمضارع للإيذان بتجدد السرور لهم فى كل ساعة يأتيهم مايسرون به من متجددات الملاذ وأنواعها المختلفة ، والذى يترتب على السرور والفرح هو الاستبشار والضحك ، وبيان ذلك على الوجوه التى خبر عنها الله عز وجل بأنها مسفرة أى مضيئةٌ متهللةٌ من أسفر الصبح إذا أضاء ، وهى مستبشرةٌ لما تشاهده من النعيم المقيم والبهجة الدائمة »(٧) وهذا الحبور والاستبشار من ألوان النعيم المعنوى الذى يتمتع به المؤمنون فى

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى جـ ١٩ ص ١٩٢ / ١٩٣ / ١٩٤ .

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٢٨ .

(٣) الرعد ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ ١٨ ص ٤٤ / ٤٥

(٥) الروم ١٥ .

(٦) عبس ٣٨ ، ٣٩ .

(٧) انظر روح المعانى للألوسى جـ ٢١ ص ٢٦ وأبو السعود جـ ٤ ص ٨٣٦ .

الجنة .

رضوان الله عز وجل :

من أعظم ألوان النعيم الرضوان الذى يحل على المؤمنين فى الجنة . يقول الله عز وجل ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾(١) .

ويقول عز وجل ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** ﴾(٢) .

ورضوان الله من أعظم ألوان النعيم ، ولذلك عبر الله عن ذلك الرضوان بأنه الفوز العظيم ، وهذا الرضوان تستحقر عنده متع الدنيا وحظوظها والجنة ونعيمها(٣) .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « إن الله يقول لأهل الجنة : ياأهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك . فيقولون : يارب وأى شىء أفضل من ذلك . فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا »(٤) ومعنى أحل عليكم رضوانى أنزله بكم (٥) .

ومن أعظم أنواع المتع الروحية التى يمتع الله بها أهل الجنة رؤيته عز وجل .

روى الإمام مسلم بسنده عن صهيب عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل »(٦) .

يقول الدكتور دراز « فسعادتهُم مزدوجة ؛ لأنهم يكونون فرحين بماقنعوا راضين عن أنفسهم راضين عن مصيرهم وماهم فيه من النعيم ، ولذلك فهم يرددون دائما الحمد لله على ماهداهم وعلى أنه وهبهم ماوعدهم »(٧) .

---

(١) التوبة ٧٢ .

(٢) البينة ٨ .

(٣) روح المعانى للألوسى جـ ١٠ ص ١٣٧ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٣١ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ١٦٨ .

(٦) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٩١ طبعة الحلبى .

(٧) الدستور الأخلاق فى القرآن ص ٣٧٤ بتصرف .

الخلود وعدم الفناء :

من ألوان النعيم الذى يشعر به المؤمنون : الخلود فى الجنة وعدم ذهاب ذلك النعيم . يقول الله عز وجل ﴿ **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم** ﴾(١) .

ويقول تعالى﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلًا من ربك ذلك هو الفوز العظيم** ﴾(٢) .

وحياة أهل الجنة من أعظم مايفرحون به .

روى البخارى بسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ثم ينادى مناد : ياأهل الجنة ، لاموت . ياأهل النار ، لا موت . فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم »(٣) .

وبعد عرضنا لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية عن نعيم أهل الجنة نلاحظ أن القرآن الكريم يجمع بين النعيم الحسى والمعنوى لأهل الجنة ، لكى يشبع رغبات النفس البشرية من التمتع بجنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، ثم المتعة الروحية برفع الخوف والحزن عنهم ، والتمتع بالحب ، والأخوة ، والحبور ، والاستبشار ، والخلود وعدم الفناء ، ثم أكبر المتع وهو رضوان الله عليهم ورؤيته عز وجل ، والنظر إلى وجهه الكريم .

ورأينا كيف أن السنة جمعت هذا الجمع بين الحسى والمعنوى ، وهذه الصورة التى تحدث عنها القرآن الكريم ، ورسمتها السنة النبوية هى أكمل صور النعيم التى يتمتع بها المؤمنون فى الآخرة ، وسوف نعرض بعد ذلك للمتكلمين والصوفية والفلاسفة لنرى كيف عبروا عن نعيم الآخرة ، لتكتمل لنا بذلك صورة النعيم والعذاب بين الكتاب والسنة ثم الفكر الإسلامى .

---

(١) المائدة ١١٩ .

(٢) الدخان ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٥١ .

ب ـــ العذاب فى التصور الإسلامى :

يعرض القرآن الكريم العذاب الذى يعذب به الطالحون يوم القيامة بصورة حسية وأخرى معنوية . فأهل النار تعذب أبدانهم باللظى والنار الحامية وماء الحميم وطعام الغسلين ، وتعذب أرواحهم بالخزى والندامة وتنكيس الرؤوس والبعد عن وجه الله الكريم . وسوف نعرض نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فى عذاب أهل النار .

النوع الأول : العذاب الجسمانى :

بين الله عز وجل أن الذين كفروا سوف يعذبون بالنار والحميم يوم القيامة يقول الله عز وجل ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به مافى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد** ﴾ (١) . أى فصلت على مقادير أجسادهم نيران هائلة تحيط بهم من كل جانب إحاطة الثوب بالجسد ، وليس هذا فقط ، ولكن يصب من فوق رؤوسهم الحميم أى الماء الحار الذى تناهت حرارته .

عن ابن عباس رضى الله عنهما : « لو أن قطرة من الحميم نزلت على الجبال لأذابتها » . وهذا الحميم يصهر به مافى أمعائهم ، وأحشائهم ، وأيضا الجلود ، وتقديم البطن على الجلد ليفيد شدة الحرارة التى تتعدى الظاهر إلى الباطن (٢) .

ويصور القرآن الكريم العذاب الذى يأتيهم من تحتهم ومن فوقهم جزاء على ظلم الظالمين يقول تعالى ﴿ **لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين** ﴾ (٣) .

وهذه الآية تجمع بين العذاب الحسى الذى يتمثل فى العذاب من تحت أجسادهم والنار من فوقها ، وبين السخرية منهم ومن صورتهم ، فالنار فراش لهم يسميها الله مهادا ، وليست ممهدة ولا لينة ولا مريحة ، والنار غطاء لهم يغشاهم من فوقهم (٤) . ويروى عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى أنها اللحف (٥) .

---

(١) الحج ١٩ ــ ٢٠ .
(٢) أبو السعود جـ ٤ ص ١٣ / ١٤ .
(٣) الأعراف ٤١ .
(٤) مشاهد القيامة فى القرآن ص ٨٩ .
(٥) روح المعانى للألوسى جـ ٩ ص ١١٩ .

ويقول الله تعالى ﴿ **هم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون** ﴾ (١) .

- يقول الفخر الرازى فى تفسيره لهذ الآية ما ملخصه : المراد إحاطة النار بهم من جميع الجوانب . فإن قيل : الظل ماعلى الإنسان فكيف سمى ماتحته بالظلل ؟ فالجواب من وجوه : الأول : أن الذى يكون تحته ظل لإنسان آخر يعذب فى النار لأنها دركات كما أن الجنة درجات .

الثانى : أن الظلة التحتانية إذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الحرارة والإحراق أطلق اسم أحدهما على الآخر لأجل المماثلة والمشابهة (٢) وهذه الآية مثل قوله تعالى ﴿ **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ (٣) .

طعام أهل النار :

يقول الله عز وجل عن طعام أهل النار ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع . لايسمن ولا يغنى من جوع** ﴾ (٤) .

ويقول تعالى ﴿ **أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رؤوس الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم** ﴾ (٥) .

والحق سبحانه وتعالى يخبر أن أهل النار يأكلون من الضريع ، وهو جنس من الشوك يسمى بالشِّبْرق تأكله الإبل مادام رطبا . فإذا يبس لفظته وهو سم قاتل وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون عنه ويذلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك (٦) . وهذا الطعام ليس له فائدة فى الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام أهل الدنيا ، وإنما يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم من الجوع ، ويطعمون تارة

---

(١) الزمر ١٦ .
(٢) الفخر الرازى جـ ٢٦ ص ٢٥٦ / ٢٥٧ .
(٣) العنكبوت ، ٥٥ .
(٤) الغاشية ٦ ، ٧ .
(٥) الصافات ٦٢ — ٦٧ .
(٦) الفخر الرازى جـ ٣١ ص ١٥٢ وأبو السعود جـ ٤ ص ٨٥٥ .

أخرى من شجرة الزقوم ، وهى شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، ولا تعارض بين أكلهم الزقوم تارة ، والغسلين تارة أخرى والضريع تارة ثالثة ؛ لأن جهنم دركات فمن أهل النار مَنْ طعامه الزقوم ومنهم من يأكل الغسلين ومنهم من يأكل الضريع . وروى الترمذى بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ **اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه »[1] .

والقرآن الكريم والسنة النبوية بينتا الطعام الحسى لأهل النار وكيف يعذبون بذلك الطعام على غير عادة طعام أهل الدنيا الذى يأكلونه ليتمتعوا به .

شراب أهل النار :

يقول الله عز وجل عن استغاثة أهل النار بالماء يوم القيامة ، وهم فى النار وإغاثتهم بماء المهل ﴿ **وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** ﴾[2] .

ويقول ﴿ **وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم** ﴾[3] ويقول عز وجل ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى ناراً حامية . تُسقَى من عين آنية** ﴾[4] الآنى الذى قد انتهى حره من الإناء بمعنى التأخير ونظير هذه الآية ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ قال المفسرون : إن حرها بلغ إلى حيث لو وقعت منه قطرة على جبال الدنيا لذابت[5] ، ويشرب أهل النار المهل ، وهو كالحديد المذاب إذا قدم إليه ليشرب انشوى وجهه لحرارته ، وسقطت فروة وجهه[6] ،ولذلك عقب الله عليه بقوله ﴿ **بئس الشراب وساءت مرتفقا** ﴾ فى ذكر الاتكاء والارتفاق فى النار تهكم مرير فما هم هنالك للاتكاء والارتفاق ،إنما هم للنصب والاشتواء[7] . وماء الحميم الذى يشربه أهل النار يقطع الأمعاء بمجرد أن يشربه منْ فى النار ويشتهى خروجُه من جوفه . والماء الحار يقطع الأمعاء لأمر آخر غير الحرارة ، وهى الحدة التى تكون فى السموم المعدة للشرب[8] .

---

(١) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٠٧ .
(٢) الكهف ٢٩ .
(٣) محمد ١٥ .
(٤) الغاشية ٢ـ٥ .
(٥) الفخر الرازى جـ ٣١ ص ١٥٣ .
(٦) أبو السعود جـ ٣ ص ٣٧٨ .
(٧) مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٦٠ .
(٨) الفخر الرازى جـ ٢٨ ص ٥٦ / ٥٧ .

ووردت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ تبين ما يفعله الحميم فيمن يُصَب فوق رأسِه ويشربه فى النار .

روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم ، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه ، حتى يمرق من قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان »[1] . ومعنى الحديث أن الحميم يدخل من رأسه إلى باطنه حتى يخلص إلى جوفه أى بطنه ، فيسلُت بضم اللام وكسرها من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام ، فيقطع الحميم ما فى أمعائه ويخرج من قدميه ثم يعاد ما فى جوفه إلى ما كان ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾[2] ونصوص القرآن الكريم والسنة على إثبات العذاب الحسى لأهل النار .

النوع الثانى : العذاب الروحانى :

يتمثل هذا العذاب بجانب العذاب الجسمانى ، فى الخزى والعار والازدراء الذى يلحق بالمجرمين يوم القيامة . يقول الله تعالى ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون** ﴾[3] وهم مذمومون عند الله ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا** ﴾[4] أى يصلى حرها مذموماً ملوماً مدحوراً منفياً ومطروداً من رحمة الله تعالى ، والعذاب هنا عبارة عن مضرة مقرونة بالإهانة والذم وهى خالدة ، وخالية عن التبدل بالراحة والخلاص[5]... والذم والطرد هنا من ألوان العذاب الروحانى الذى يتعذب به الكفار يوم القيامة .

ومن ضمن ما يتعذب به أهل النار الحسرة والأسى على الكفر وعدم الإيمان . يقول تعالى ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾[6] إن عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن

---

(١) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٠٢ / ٣٠٣ .
(٢) النساء ٥٦ انظر تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٠٣ .
(٣) السجدة ١٢ .
(٤) الإسراء ١٨ .
(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ١٧٧ / ١٧٨ .
(٦) الفرقان ٢٧ — ٢٩ .

الغيظ والحسرة لأنهما من روادفهما ، وهذا مما يحدث للكافر فى النار ، فهو مع العذاب الحسى يتعذب عذاباً معنوياً ، ويتمثل هذا فى التحسر والأسى والأسف ،حتى يكاد أن يتقطع من شدة الحسرة .

ومن ألوان العذاب المعنوى المقت والغَضَب الذى يلْحَقُ من فى النار يقول الله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا يُنَادَوْنَ لمقتُ الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون** ﴾[1] .

ومن الأحاديث التى تصور لوناً من ألوان الذلة والمسكنة التى يتعذب بها الكافرون يوم القيامة الحديث الذى رواه الترمذى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب . فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ،فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم . فيقولون :ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى . قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال . قال : فيقولون : ادعوا مالكاً . فيقولون : يا مالك ، ليقض علينا ربك . قال : فيجيبهم إنكم ماكثون . قال : فيقولون : ادعو ربكم فلا أحد خيرٌ من ربكم . فيقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال : فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل[2] . وشاهدنا فى هذا الحديث أنهم يدعون خزنة جهنم فيبكتونهم ويسألونهم على سبيل السخرية : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات إلى أن ينادوا الله عز وجل ، وهنا يصل الخزى والذلة مداها حين يسمعون اخسئوا فيها ولا تكلمون . فيمكثون فى عذاب نفسى وجسمانى أبد الآبدين .

ومن العذاب الروحانى الذى يتعذب به أهل النار : الحوار الذى يدور بين المستكبرين والضعفاء ، كل منهم يحاول أن يُلْقى التبعة على غيره .يقول الأستاذ سيد قطب : « من أطرف مشاهد القيامة ذلك الجدل العنيف الذى يقوم بين المشركين وآلهتهم

(١) غافر ١٠ .

(٢) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٣٠٨ / ٣١١ .

أو بين المتبوعين وأتباعهم »[1] ولنعرض نموذجاً للجدل والحوار المصحوب بالحسرة والندامة على مآل أصحاب النار . يقول الله تعالى ﴿ **ولو يرى الذين ظلموا إذا يَرَوْنَ العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأَوُا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كَرَّةً فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يُرِيهُم الله أعمالهم حَسَرَاتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾[2] .

وهكذا نلاحظ أن العذاب الحسى يصاحب التبكيت النفسى فيلتقى كلاهما فى الحس والنفس[3] .

وتختم المحاورة بجعل الأغلال فى أعناق المستضعفين والمستكبرين[4] . ومشهد الخصام بين الماكثين فى النار والداخلين فيها يقول تعالى ﴿ **جهنم يصلونها فبئس المهاد . هذا فليذوقوه حميم وغساق . وآخر من شكله أزواج . هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار . قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار . قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً فى النار . وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار . أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار . إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾[5] وسمى الله الذى دار بينهم بالتخاصم . يقول الرازى « وإنما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصماً لأن قول الرؤساء لا مرحباً بهم وقول الأتباع بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة »[6] وهكذا جمع القرآن الكريم والسنة النبوية بين العذاب الجسمانى والروحانى لأهل النار ؛ ليرهب الناس بمصير أولئك الذين تشوى وجوهُهُمْ وتصهر أمعاؤهم وجلودهم . والذين يلاقون الذلة والمسكنة والخزى والعار والازدراء على رؤوس الأشهاد يوم القيامة .

وحوار آخر يدور بين المستكبرين والضعفاء ، وهم موقوفون عند ربهم ، كل منهم يلقى بالتبعة على الآخر . يقول الله تعالى ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم**

---

(1) مشاهد القيامة ص ٤٧ .

(2) البقرة ١٦٥ — ١٦٧ .

(3) مشاهد القيامة ص ٤٦ .

(4) مرجع سابق ص ١٣٧ / ١٣٨ .

(5) ص ٥٦ — ٦٤ .

(6) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٦ ص ٢٢٣ آ

مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكرُ الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأواالعذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾[1] .

إن الآيات تعرض مشهداً للتخاصم والحوار بين المستكبرينَ والمستضعفين ، فالذين استضعفوا يلقون بالتبعة والمسئولية على الذين استكبروا ، ويجزمون بأنه لولا المستكبرون لكان المستضعفون من المؤمنين . ولا يسكت المستكبرون ، ولكنهم يردون على المستضعفين بسب غليظ : بل كنتم مجرمين . وعندئذ ينطلق المستضعفون فى جرأة لم تكن لهم فى الدنيا ، يعدون عليهم آثامهم ومكرهم ووسوستهم لهم بالليل والنهار وأمرهم باتخاذ آلهةً أنداداً لله ، ولما كان هذا كله لا يجْدِى ؛ فقد أحسوا الندامةَ والحسرةَ ثم كتموها فى نفوسهم واستسلموا للمصير المحتوم فى يأس عقيم .

٢ ــ النعيم والعذاب عند المتكلمين :

أولا : الأشاعرة :

تبعاً لرأى الأشاعرة فى إثبات البعث الجسمانى فإنهم يثبتون النعيم الحسى فى الجنة من الطعام والشراب والحور العين وغير ذلك من المتع الحسية التى أثبتها الله لأهل الجنة .

ويثبتون النعيم المعنوى المتمثل فى رؤية الله ورضوانه عز وجل للمؤمنين فى الآخرة . يقول الله تعالى **﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ، ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾**[2] يذكر الرازى وهو أشعرى المذهب أن مجامع اللذات إما أن تكون فى المسكن أو المطعم أو المنكح ، فذكر الله عز وجل المطعم وذكر المسكن فى الآية . وذكر المنكح . ثم إن هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوفُ الزوالِ كان النعيم منقصاً . فبين تعالى أن هذا الخوف زائل عنهم بقوله : **﴿ وهم فيها خالدون ﴾** فدلت الآية على كمال التنعم والسرور[3] .

وعن الجمع بين النعيم الحسى والمعنوى جاء فى تفسير قول الله تعالى **﴿ قل أؤنبئكم**

---

(١) سبأ ٣١ ، ٣٣ .
(٢) البقرة ٢٥ .
(٣) الفخر الرازى جـ ٢ ص ١٤٦ .

بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾[1] قال المتكلمون : الثواب له ركنان : المنفعة ، وهى التى تتمثل فى الجنات والأرواح المطهرة ، والتعظيم ، وهو المراد بالرضوان ، وذلك لأن معرفة أهل الجنة — مع هذا النعيم المقيم — بأنه تعالى راض عنهم ، حامد لهم ، مثن عليهم ، أزيد فى إيجاب السرور من تلك المنافع . والجنات إشارة إلى الجنات الجسمانية ، والرضوان إشارة إلى الجنة الروحانية . وأعلى المقامات إنما هو الجنة الروحانية ، وهو عبارة عن تجلى نور الله على العبد واستغراق العبد فى معرفته ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ **راضية مرضية** ﴾[2] .

وعن العذاب :

نجد أن الأشاعرة يثبتون العذاب الحسى المتمثل فى النيران التى تصلى الجلود ، والحميم ، وطعام الزقوم ، وأيضاً العذاب المعنوى المتمثل فى عدم كلام الله لأهل النار وعدم تزكيتهم . يقول تعالى ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيما** ﴾[3] .

ومعنى الآية أن الذين كفروا سيصلون بالنار ، وهى تدل على زيادة العذاب ، فإنه بمنزلة شويته بالنار . ومعنى نضجت جلودهم أى كلما ظن الكفار أنهم احترقوا ، وانتهوا إلى الهلاك أعطيناهم قوة جديدة من الحياة ، بحيث يدوم العذاب ولا ينقطع[4] .

ويقــول تعالى ﴿ **فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾[5] ومعنى قوله تعالى ﴿ **وقودُها الناس والحجارة** ﴾ أى أنها نار متميزة عن سائر النيران ؛ لأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وذلك يدل على قوتها من وجهين كما يقول الرازى :

الأول : أن سائر النيران إذا أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ، ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه ، أما نار جهنم فإنها توقد بنفس ما تحرق .

الثانى : أنها لفرط حرها تتقد فى الحجر[6] . وهذه الآيات وتفسيرها تشير إلى العذاب الحسى .

---

(١) آل عمران ١٥ .
(٢) الرازى جـ ٧ ص ٢١٤ .
(٣) النساء ٥٦ .
(٤) نفسه جـ ١٠ ص ١٣٢ / ١٣٣ .
(٥) البقرة ٢٤ .
(٦) تفسير الرازى جـ ٢ ص ١٤٠ .

أما العذاب المعنوى . فيتمثل فى السخرية والاستهزاء ، وعدم النظر إلى أهل النار وكلامهم . يقول الله تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك مايأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾(١) ، وهذه الآية إشارة إلى العذاب المعنوى لأهل النار . والمعنى أن الله لا يكلمهم بتحية وسلام ، وإنما يكلمهم بما يعظم عنده من الغم والحسرة من المناقشة لا المساءلة ، ومعنى لا يكلمهم كناية عن الغضب ؛ لأن من عادة الملوك أنهم إذا غضبوا يعرضون عن المغضوب عليه ولا يكلمونه ، كما أنهم عند الرضا يقبلون عليه بالوجه ، ومعنى لا يزكيهم إشارة إلى الإهانة والاستخفاف ، وقوله لهم عذاب أليم إشارة إلى المضرة الواصلة إليهم ، وقدم الإهانة على المضرة تنبيهاً على أن الإهانة أشق وأصعب(٢) .

ونكتفى بهذا القدر من الاستدلال على أن الأشاعرة يثبتون النعيم الحسى والمعنوى. وأيضاً العذاب الحسى والمعنوى وذلك مترتب على قولهم بالبعث الجسمانى . وإنما لم نتوسع فى إيراد شواهد وأدلة على ذلك لبداهتها ، وهذا مما جعل علماء الكلام من الأشاعرة(٣) يسكتون على إبراز الشواهد على النعيم الحسى والمعنوى وأيضا العذاب الحسى والمعنوى اكتفاءاً بإثباتهم البعث الجسمانى ، ولأن ظواهر آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تدل على ذلك ، كما بينا عند الحديث عن نصوص الوحى المتعلقة بالنعيم والعذاب .

ثانياً : المعتزلة :

يثبت المعتزلة النعيم الحسى والمعنوى لأهل الجنة ، وكذلك العذاب ، وهم مع جمهور المسلمين فى ذلك . يقول الله تعالى ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموٰات والأرض أعدت للمتقين** ﴾(٤) يقول القاضى عبد الجبار : « ربما قيل كيف يصح فى الجنة وهى فى السماء أن يكون عرضها السموٰات والأرض ؟ والجواب : أن الله قادر فى نفس السماء والأرض أن يزيد فيها أضعافاً كثيرة »(٥) وهذا دليل على أن الجنة حسية ، وعرضها كعرض السماء والأرض ، ويذكر عن طعام أهل الجنة أنه « ربما يقال فى قوله تعالى ﴿ **ولحم طير مما يشتهون** ﴾(٦) كيف يصح فى الآخرة ذبح الطيور وأكل لحمها

(١) البقرة ١٧٤ .
(٢) تفسير الرازى جـ ٥ ص ٣٠ .
(٣) انظر على سبيل المثال ـ المقاصد جـ ٢ ص١٦٤ / ١٦٥ وشرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٥ ومطالع الأنظار ص ٤٤٥ .
(٤) آل عمران ١٣٣ .
(٥) كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٧٨ .
(٦) الواقعة ٢١ .

وعندكم أن الآخرة ليست بدار تكليف للمرء ؟ وجوابنا : أن المراد بهذه الأطعمة أنها على هيئة لحم الطير وصورته»[1]. وهو تعبيرٌ صريحٌ عن حسية الطعام فى الجنة .

وعن شراب أهل الجنة يقول: «ربما قيل فى قوله تعالى﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا** ﴾[2] كيف يصح الترغيب فى ذلك ، وليس هو بمستطاب فى الدنيا ؟ وجوابنا : أن رائحة الكافور لا شبهة فى أنها مستطابة ، واليسير منها مستطاب . فرغب تعالى فى ذلك على الجملة كما رغب فى الخمر ، وإن كان طعمه فى الدنيا لا يستطاب . وقد قيل إن المراد يشربون من نهر تربته الكافور . وكذلك إذا سألوا عن قوله ﴿ **كان مزاجها زنجبيلا** ﴾[3] إذ المراد التنبيه على الجملة وإن كان شراب أهل الجنة فى منتهى اللذة [4] ومفهوم المعتزلة للآيات القرآنية التى تثبت النعيم الحسى لأهل الجنة لايخرج عن ماقاله جمهور المسلمين عن النعيم لأهل الجنة .

وعن فراش أهل الجنة الحسى يقول تعالى ﴿ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾[5] .

يقول القاضى عبد الجبار : ربما قيل كيف يصح وصف البطائن التى هى دون الظهائر التى هى الأرفع ؟ ويجيب بأن وصف البطائن قد دل على الظهائر ، فإن كانت الظهائر أرفع فقد دل بذلك على أنها أرفع من الإستبرق[6] .

هذه كلها شواهدُ تدل على أن المعتزلة يقولون بالنعيم الحسى والمعنوى لأهل الجنة . وعن النعيم المعنوى نجد الزمخشرى ــ وهو من علماء المعتزلة ــ يثبت المتعة الروحية فى الرضوان الذى يحله الله على عباده فى الجنة . ففى تفسير قول الله تعالى ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾[7] . يقول الزمخشرى : « وشىء من رضوان الله أكبر من ذلك كله ، لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ، ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته ، والكرامة أكبر أصناف الثواب ، ولأن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعم ، وهذا الرضوان هو الفوز العظيم وحده

---

(١) نفسه ص ٤١٢ . (٢) الإنسان ٥ . (٣) الإنسان ١٧ .
(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٤٤٣ / ٤٤٤ . (٥) الرحمن ٥٤ .
(٦) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٤١٠ / ٤١١ . (٧) التوبة ٧٢ .

دون مايعده الناس فوزاً »(١) .

وهكذا يقول المعتزلة بالنعيم الحسى والمعنوى لأهل الجنة كما وضح من فهمهم للآيات القرآنية ، وأنهم لا يؤولون النصوص القرآنية فى ذلك الشأن . كما سنجد عند الفلاسفة خاصة ابن سينا .

وعن العذاب :

فإن المعتزلة يثبتون أيضاً العذاب الحسِّى المتمثل فى النار ، وإيصال الإيلام إلى الجلود ، والمعنوى المتمثل فى اللعنة وعدم الكلام معهم ، ولا تزكيتهم . ففى قوله تعالى ﴿ **فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة** ﴾(٢) يقول القاضى عبد الجبار : قد يقال : كيف تكون الحجارة وقودا ، وكيف يصح فى الناس أن يكونوا وقودا لها ، وهم لا يحترقون ؟ والجواب : أنه تعالى نبَّه على عظمها ، وأنها لذلك تحترق بالحجارة وليس إذا كان الناس وقودها فنوا ؛ لأنه تعالى يمنع وصول النار إلى المقاتل ، وإنما تحترق ظواهرهم ، كما قال تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها** ﴾(٣)

ويثبت أيضاً العذاب الحسى ـــ المستنبط من قوله تعالى ﴿ **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم** ﴾(٤) بقوله : إن الله قادر على ذلك ، وتلك الحالة أدخل فى الذل والإهانة(٤) .

وفى قوله تعالى ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا** ﴾(٥) يقول : يشبه صوت النار عند التلهف بالزفير الذى يظهر من المغتاظ . ويحتمل أنه تعالى ذكر إذا رأتهم ، وأراد خزنة جهنم ، فإنهم يغتاظون فيكون لهم من الزفير بعد علمهم بما يقتضى ظهور ذلك(٦) .

ويثبت المعتزلة أيضاً العذاب المعنوى . ففى تفسير قوله تعالى ﴿ **ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾(٨) يقول الزمخشرى : ولا يكلمهم : تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة فى تكرمة الله إياهم بكلامه ، ويزكيهم بالثناء عليهم ، ونفى الكلام

(١) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٢٠٢ بتصرف .
(٢) البقرة ٢٤ .
(٣) النساء ٥٦ وانظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٩٠
(٤) الفرقان ٣٤
(٥) انظر تنزيه القرآن ص ٢٩٠ .
(٦) الفرقان ١٢
(٧) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٩٠ .
(٨) البقرة ١٧٤ .

عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه ، وعدم كلامهم لا ينفي مطلق الكلام ، ولكن لا يكلمهم بما يفيدهم وإنما بنحوه ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾(١) .

٣ ــ النعيم والعذاب عند الصوفية :

أولا : المحاسبى :

لقد تناول المحاسبى الحديث عن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يوم القيامة بطريقة تخاطب الوجدان وتنقل المخاطب من سماع الأخبار عن النعيم والعذاب إلى معايشة الأحداث نفسها بالنسبة للنعيم والعذاب . وتلك الطريقة من شأنها أن تحرك النفس إلى فعل الخيرات إنتظارا للثواب وتمتعا بالنعيم الذى يلاقيه الأخيار فى الجنان . وأيضا من آثار تلك الطريقة أنها تصد النفس عن فعل المنهيات خوفا من عذاب النار وخزى أهلها .

والإمام المحاسبى قد جعل حديث القرآن عن الجنة والنار نصب عينه ، وهو يصور لنا نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، وقد استلهم روح الأحاديث التى وردت عن رسول الله ﷺ فى حديثه عن الجنة والنار .

يتحدث المحاسبى عن أهل الجنة ، ونعيمهم الذى يلاقونه جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة : « فياسرور قلوب المفتوح لهم جنة رب العالمين ، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان ، وطيب جرى مائها ، فنفخ وجهك وجميع بدنك وثارت أراييج الجنة العبقة الطيبة ، وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها الأصفر ، وعنبرها الأشهب ، وأرياح طيب ثمرها ، وأشجارها ، ومافيها من نسيمها ، فقد دخلت تلك الأراييج فى مشامك حتى وصلت إلى دماغك ، وطار طيبها فى قلبك ، وفاض من جميع جوارحك ، ونظرت بعينك إلى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض ، قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه ، فقد أكمله الله فى الصفاء والنور ومازجه نور مافى الجنان ، ونظرت إلى حجب الله ، وفرح فؤادك لمعرفتك أنك إذا دخلتها فإن لك فيها الزيادات والنظر إلى وجه ربك ، فاجتمع طيب أراييج الجنة ، وحسن بهجة منظرها ، وطيب نسيمها ، وبرد جوها ، وذلك أول ريح وطيب »(٢) .

---

(١) الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٣٢٩ .

(٢) التوهم للمحاسبى ص ٣٢ .

والنص الذى نقلناه عن المحاسبى بيّن المتعة الحسيةَ التى يتمتع بها الداخلون فى الجنة حين يشاهدون القصور وبنيانها ، ومافيها من الزمرد والياقوت والدر الأبيض ، وحين يشمون المسك والكافور وثمارها ، والمتعة التى يحسونها عند ذلك ، ثم يزواج بين النعيم الحسى المشار إليه ، والنعيم المعنوى المتمثل فى الخلود فيهاوعدم الخروج منها ، ومااللإنسان الداخل فيها من زيادات من نعيم الله الأكبر الذى يتمثل فى النظر إلى وجه الله الكريم .

والمحاسبى يجمع فى تصويره ويزاوج بين النعيم الحسى ، والنعيم المعنوى لأهل الجنة . وهذا بعينه ماصوره القرآن الكريم وتحدثت عنه السنة النبوية الشريفة .

ويصف شراب أهل الجنة وما فيه من لذة حسية ومعنوية يقول : « فتوهم نظرك إلى حسن الإناء وإلى حسن الشراب ، وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هذا الشراب لتطهر جوفك من كل غل ، وجسدك ناعم أبدا . حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله ، ولم تُعَوَدْ شربه ، فيسلس من فيك إلى جوفك فطار ، قلبك سرورا لما وجدت من لذته ، ثم نقى جوفك من كل آفة ، فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع فية ينازعه إلى الغموم والهموم والحرص والشدة والغل »[1] .

ونلاحظ أن المحاسبى يتحدث عن النعيم الحسي لأهل الجنة المتمثل فى الشراب . ولا يغيب عنه أن يبين المتعة المعنوية المترتبة على ذلك الشراب والمتمثلة فى طهارة القلب من كل غل وحسد والسرور الذى يغمر الإنسان بعد دخوله الجنة لذهاب الغم والهم والحرص والشدة من نفس الإنسان .

وكل هذه الأشياء متع روحية يتمتع بها الإنسان المؤمن فى الجنة ، وهى تصاحب المتع الحسية المتمثلة فى الطعام والشراب والمناظر الجميلة التى تشتمل عليها الجنة .

وبعد أن يذكر المحاسبى مايلاقيه أهل الجنة من المتع الحسية والمعنوية ، يتحدث عن أعظم أنواع المتغ التى يمن الله بها على عباده والتى تتمثل فى مشاهدة أهل الجنة وجه الله الكريم والنظر إليه يقول :

« فلما نظروا إليه ناداهم حبيبُهم بالترحيب بهم وقال لهم : مرحباً بعبادى . فلما سمعوا كلام الله بجلاله وحسنه غلب على قلوبهم من الفرح والسرور مالم يجدوا مثله فى الدنيا ، ولا

(١) التوهم ص ٣٢ .

فى الجنة لأنهم يسمعون كلام من لا يشبهُ شيئاً من الأشياء ، فتوهمهم وقد أطرقوا وأصغوا بمسامعهم لاستماع كلامه . وقد علا وجوههَم نورَ السرور لكلام حبيبهم وقرير أعينهم » [1] .

وهذه المتعة لا تعادلها متعة أخرى والسرور الذى يجدونه لم يشعروا بمثله فى الدنيا ، ولا فى لذات الجنة الحسية منها والمعنوية، ويتجلى هذا الفرح والسرور فى مناداة الله لعباده ، وسماعهم كلام ربهم ، ومليكهم وإن المؤمنين يزدادون حسنا وبهاءا وجمالا بعد تجلى الله لهم وخطابه إياهم يقول « فما ظنك بوجوه نظرت إلى الله عز وجل وسمعت كلامه كيف ضاعف حسنها وجمالها وزاد ذلك فى إشراقها ونورها » [2] .

ويستنتج من كلام المحاسبى أنه يجمع بين النعيم الحسى والمعنوى لأهل الجنة ، ويعتبر أن أعظم مايتمتع به أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله الكريم وخطاب الله للمؤمنين وسماعهم كلام الله .

وهذا بعينه ما عبر عنه القرآن فى قوله تعالى ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [3] .

وأيضا هذا النعيم هو ما أشار إليه الرسول ﷺ فيما رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ قال : أحلُ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً »[4] ونلاحظ أن المحاسبى لم يخرج عن القرآن الكريم ولا عن سنة الرسول ﷺ فى حديثه عن نعيم أهل الجنة .

النار وعذابها :

بنفس المنهج الذى سار عليه المحاسبى فى حديثه عن الجنة ونعيم أهلها الحسى

---

(١) التوهم ص ٤٦ .
(٢) التوهم ص ٤٦ .
(٣) التوبة ٧٢ .
(٤) تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٧١ / ٢٧٨ .

والمعنوى . يتحدث المحاسبى عن النار وعذابها ، وهو يخاطب الإنسان كأنه يشاهد النار ، وعذابها ، ويعانى من صنوف ألوان جحيمها يقول : « فتوهم نفسك وقد طال مكثك فيها وألح العذاب فبلغت غاية الكرب واشتد بك العطش فذكرت الشراب فى الدنيا ففزعت إلى الجحيم ، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بعذابك فلما أخذته تفسخت لحرارته وهيج حريقه ثم قربته إلى فيك فشوى وجهك ثم تجرعته فسلخ حلقك ، ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك . فتوهم كبدك والنار تدخل فيه ، وأنت تنادى فلا ترحم ، وتبكى ، وتعطى الندم إن رددت ألا تعود فلا تقبل توبتك ولا يجاب نداؤك »[1] .

والذى ذكره المحاسبى لا يخرج عن قوله تعالى : ﴿ **وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** ﴾[2] ويصور المحاسبى حال من يتعذب فى النار حين يندم حيث لا ينفعه الندم وينادى فلا يجاب عليه وما فى ذلك من خزى ومذلة .

وهو يجمع فى تصويره بين العذاب الحسى والمعنوى . يتحدث عن حسرة أهل النار بسبب تخلي الخلق عنهم وبغض الله لهم يقول :

« فلما إشتد بك الكرب والعطش وبلغ منك المجهود ، ذكرت الجنات ، فهاجت غصة من فؤادك إلى حلقك أسفا على جوار الله عز وجل ، وحزنا على نعيم أهل الجنة ، ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وطيب عيشها ، فتقطع قلبك حسرة لحرمان ذلك . ثم ذكرت أن فيها بعضَ القرابة من أم وأخ وأب وغيرهم من القرابة فناديتهم بصوت محزون من قلب محترق قلق : يأأماه أو يأأبتاه أو يأأخاه أو ياخالاه أو ياعماه أو يأأختى ، شربة ماء . فأجابوك بالخيبة ، فتقطع قلبُك حسرةً بما خيبوا من أملك وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عز وجل ، ففزعت إلى النداء بالمرجع والعتبى أن يردوك إلى الدنيا . فمكث عنك دهراً لا يجيبك هواناً بك ، وإن صوتك عنده ممقوت وجاهك عنده ساقط ، ثم ناداك بالخيبة منه أن ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾[3] .

وبعد أن يعرض المحاسبى للعذاب الحسى يصور العذاب المعنوى الذى يعود على من فى النار بعد أن يسمعوا النداء بالتحية ومايلاقونه من ضيق فى الصدور وعدم قدرة على الكلام ، ثم تزاد الحسرة عليهم فيطبق عليهم أبواب جهنم فيزدادوا عذاباً فوق عذابهم[4] .

---

(١) التوهم ص ٢٦ / ٢٧ .
(٢) الكهف ٢٩ .
(٣) المؤمنون ١٠٨ وانظر التوهم ص ٢٧ .
(٤) نفسه .

ونلاحظ أن المحاسبى يثبت العذاب الحسى والمعنوى لأهل النار ، ويعبر عن ذلك بصورة وجدانية تحركُ المشاعر وتستثير العواطف للفرار عن النار وعذابها ، وإن المسلك الذى سلكه المحاسبى لم يخرج عن تصوير القرآن الكريم ولا عن السنة النبوية فى تصويرهما للعذاب الذى يلاقيه العصاة والكفار فى نار جهنم .

ثانيا : الإمام الغزالى :

نعيم أهل الجنة :

على نفس الطريقة التى سار عليها « المحاسبى » من قبل وجدنا الإمام الغزالى يتحدث عن النعيم والعذاب . وهو لا يخرج عن القرآن الكريم ولا عن السنة النبوية فعن الجنة ونعيمها يذكر أن من أراد أن يعرف صفة الجنة ونعيمها فعليه بكتاب الله يقول : « ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن ، فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ﴿ **ولمن خاف مقم ربه جنتان** ﴾[1] إلى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور »[2] .

ونلاحظ أن الإمام الغزالى يرجع إلى القرآن الكريم ، فبيانه أوضح بيان ، وحديثه أصدق حديث . يقول : « وأجمع العبارات عن نعيم الجنة أن لهم فيها مايشتهون »[3] . وعن طعام أهل الجنة يقول : « بيان طعام أهل الجنة مذكور فى القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى . قال الله تعالى ﴿ **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا بها متشابها** ﴾[4] » .

وعن الحور العين والولدان المخلدين يقول : « قد تكرر فى القرآن وصفهم ، ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه »[5] .

وعن رؤية الله تعالى يوم القيامة يقول : « قال الله تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[6] وهذه الزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى ، وهى اللذة الكبرى التى ينسى فيها

---

(١) الرحمن ٤٦ .

(٢) إحياء علوم الدين ـــ المجلد الرابع.جـ ١٦ ص ٢٩٩٩ .

(٣) الأربعين فى أصول الدين ص ٢١٠ ـــ الناشر دار الآفاق بيروت ١٩٨٢ ـــ الطبعة الرابعة .

(٤) البقرة ٢٥.

(٥) الإحياء الجزء السادس عشر ص ٣٠٨ .

(٦) يونس ٢٦ .

نعيم أهل الجنة ، وهى غاية الحسنى ونهاية النعمى ، وكل مافصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى ، وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى ، بل لا نسبة لشىء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء »[1] .

ويشرح لذة النظر إلى وجه الله يوم القيامة مستدلًا بحديث « أعددت لعبادى فى جنتى مالاعينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولاخطرَ على قلب بشر » : « اعلم أن هذا الحديث يدل على أن وراء نعيم الجنة نعيما لا تدركه النفوس إلا مع المشاهدة ،فهذا يعجز عن صفة المشاهدة لأنها لذة ذاتية تجوز عن حد التعبير والتفسير ، كما لو قيل للعِنِّين عن لذة الجماع لما عقل . ومدرك اللذة لا يقدر على تعبير فهذا لا يدركه إلا شاهده وهو النظر إلى وجه الله الكريم »[2] ا.

ويبين أن هناك صنفاً من أهل الجنة لا يقتنعون إلا برؤية الله ، يقول : « يكون فى الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة ،إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح ، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم فى الدنيا ماوصفناه من إيثار لذة العلم والمعرفة والإطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب ،وسائر الخلق مشغولون به »[3] .

ويذكر عن الجنة « أن لكل أحدٍ فيها مايشتهى . فمن لا يشتهى إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له فى غيره بل ربما يتأذى به ، فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى »[4] .

وعن خلق الجنة والنار الآن يقول : « الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموٰات والأرض أعدت للمتقين** ﴾[5] فقوله تعالى ﴿ **أعدت** ﴾ دليل على أنها مخلوقة ، فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال : لا فائدة فى خلقها قبل يوم الجزاء ، لأن الله تعالى ﴿ **لايسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ »[6] .

---

(1) الإحياء مجلد ٤ جزء ١٦ ص ٣٠١٤ — ٣٠١٥ .

(2) سر العالمين ص ٨٠ نشر مكتبة الجندى ١٩٦٨ .

وانظر تهافت الفلاسفة ص ٢٨٧ — ٢٨٨ — ٢٨٩ . الطبعة السادسة تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

(3) المحبة والشوق والأنس والرضا . للإمام الغزالى ص ٤٢ .

(4) نفسه . (5) آل عمران ١٣٣ .

(6) إحياء علوم الدين — المجلد الأول جـ ٢ ص ٢٠١ .

عذاب أهل النار :

يذكر الإمام الغزالى عذاب النار يوم القيامة بقوله :

« فقد ظهر لى بالمشاهدة ظهورا أوضح من العيان أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة — أعنى الروحانى — منها : حرقة المشتهيات ، وخزى خلجة المفضحات ، وحسرة فوات المحبوبات . فهذه ثلاث أنواع من النيران الروحانية يتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا ، إلى أن ينتهى إلى مقاسات النار الجسمانية ، فإن ذلك يكون فى آخر الأمر »(١) .

ونلاحظ أن الإمام الغزالى يجعل العذاب الروحانى أولا ، ثم بعد ذلك العذاب الجسمانى .فهو يجمع بين العذاب النفسى والجسدى .

يتحدث الغزالى عن العذاب النفسى الذى هو حرقة فرقة المشتهيات بقوله :

« **الصنف الأول** : حرقة فرقة المشتهيات . فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل : التنين الذى وصفه الشارع وعدد رؤوسه وهى بعدد الشهوات ورذائل الصفات ،تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مؤلماً وإن كان البدن بمعزل عنه . فقدر فى عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الأرض ، متمكنا من جميع الملاذ ، مستمتعا بها ، مستترا بالوجوه الحسان منها ،متهالكا عليها ، مشغوفا بالإمارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعا فيهم ، .. غامضه (٢) عدوه واسترقه واستعمله على ملأ من رعيته فى تعهد الكلاب ،وصار يتمتع بنعمه ، ويتمتع بأهله ،وجواريه بين يديه ، ويتصرف فى خزائنه وذخائر أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه ،وانظر الآن هل ترى على قلبه تنينا ذا رؤوس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه ، وهو يريد أن يبتلى بدنه بأمراض وآلام ليتخلص منه . فتوهم هذا فربما تشتم به قليلا من رائحة الحطمة التى فيها نار الله الموقدة التى لا تطلع إلا على الأفئدة »(٣) .

وينتقل إلى الصنف الثانى من العذاب الروحانى الذى يتعذب به أهل النار يقول :

« **الصنف الثانى** : خزى خجلة المفضحات . فقدر رجلا خسيسا رذيلا فقيرا

---

(١) الأربعين فى أصول الدين ص ٢١٨ .

(٢) أى فاجأه على غرة .

(٣) الأربعين فى أصول الدين ص ٢١٩ .

عاجزا قربه ملك من الملوك ، ورفعه وقواه وخلع عليه وسلم إليه ثياب ملكه ،ومكنه فى دخول حريمه وجملة خزائنه ، اعتمادا على أمانته ، فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يخون فى خزانته ، ويفجر بأهل الملك وبناته وسَرِيَّاته وهو فى جميع ذلك يظهر الأمانة للملك ، ويعتقد أنه غير مطلع على خيانته فبينما هو فى غمرة فجوره وخيانته إلا لاحظ روزنة ـــ أى طاقة ـــ فرأى فيها الملك مطلعا عليه منها ، وعلم أن الملك كان يطلع عليه كل يوم وليلة ولكنه كان يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثا ، وفجورا ، ويزداد استحقاقا للنكال ليصب عليه فى الآخرة أنواع العذاب صبا . فانظر الآن إلى قلبه كيف يحترق بنار الخزى والخجلة وبدنه بمعزل منه ، وكيف يود أن يعذب بدنُه بكل أنواع العذاب ويتكتم خزيه ؟ فكذلك أنت تتعاطى فى الدنيا أعمالا هى مشتهياتك ، ولتلك الأعمال أرواح وحقائق خبيثة قبيحة ، وأنت جاهل بها معتقد حسنها ، فينكشف لك فى الآخرة حقائقها فى صورها القبيحة ،فتخزى وتخجل خجلة تؤثر عليها آلاماً بدنية »[١] .

وعن **الصنف الثالث** : وهو حسرة فوات المحبوبات يقول الغزالى : « قدر نفسَكَ فى جماعة من أقرانك دخلتم فى ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى ألوانها ، فقال أقرانك : احمل من هذا ماتطيق فلعله فيه ماينتفع بها إذا خرجنا من الظلمة . فقلت : ماذا أصنع بها ؟ فأخذ كلُ واحدٍ من أقرانك ماأطاق أخذه ، وأعرضت عن ذلك تستحمقهم وتسخر بهم . لأنهم ينوءون تحت أعبائه وثقله وأنت مرفه فى الطريق تغدو وتضحك منهم ، فلما جاوز الظلمة نظروا فإذا هى جواهر ويواقيت ويساوى كل واحدٍ ألف دينار ، فأقبلوا على بيعها وتوصلوا بها إلى الجاه والنعمة وأصبحوا ملوك الأرض ، فأخذوك فاستسخروك لتعهد دوابهم لينفقوا عليك فى كل يوم قدراً يسيرا من فضلات الطعام . فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة فى قلبك وبدنك بمعزل منه ؟ وكم تقول :ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله ، وياليتنا نرد ونعمل غير الذى كنا نعمل ، فتقول لهم : أفيضوا علينا من الماء بما أفيض عليكم . فيقولون لك : هذا حرام عليك ألم تكن تسخر منا وتضحك علينا ؟ فلا بد وأن نسخر اليوم منك كما سخرت منا . فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسرِ ولا ينفعك التحسر »[٢] .

والعذاب النفسى الذى ذكره الإمام « الغزالى » تحدث عنه القرآن الكريم ونطقت به

---

(١) الأربعين فى أصول الدين ص ٢١٩ ـــ ٢٢٠ .

(٢) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٢٢ ـــ ٢٢٣ .

السنة . يقول الإمام « الغزالى » عن أعظم عذاب أهل النار :« فأعظم الأمور عليهم مع مايلاقونه من شدة العذاب : حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا »[1] .

وبعد عرضنا للعذاب النفسى الذى ذكره الإمام الغزالى ننتقل إلى العذاب الجسدى وكيف صوره الإمام الغزالى ؟ وكيف فهمه ؟ .

العذاب الجسمانى :

يقول الإمام الغزالى : « تأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ماقاسوا ، فبينما هم فى كربهم وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها تغيظا وزفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب . فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب ، حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب ، وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أين فلان ابن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل . فيبادرونه بمقامع من حديد ، ويتقبلونه بعظائم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ،وينكسونه فى قعر الجحيم ، ويقولون له ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾»[2] .

وعن شدة العذاب على العاصين يقول :

«ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار . فإن الله تعالى يزيد ف أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه ،فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالى . ومع عظمة الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم .

قال الحسن فى قوله تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** ﴾[3] قال : تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ، كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما

(١) إحياء علوم الدين ــ المجلد الرابع جـ ١٦ ص ٢٩٩٥ ــ ٢٩٩٦ .

(٢) الدخان ٤٩ ، وانظر إحياء علوم الدين ــ المجلد الرابع جـ ١٦ ص ٢٩٨٦ ــ ٢٩٨٧ .

(٣) النساء ٥٦ .

كانوا » [1].

ويذكر إهمال الله لهم يوم القيامة وذلك من أشد أنواع العذاب :

« يقولون أى الكفار ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين. ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ [2] فيجيبهم الله تعالى ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ [3] فلا يتكلمون بعدها أبدا ، وذلك غاية شدة العذاب » [4] .

ونلاحظ أن الإمام « الغزالى » لا يخرج عن الكتاب والسنة فى تصوير عذاب أهل النار النفسى منها والجسدى فكلاهما تحدث عنه القرآن الكريم .

وكان الإمام الغزالى ينقل المخاطب من الإخبار إلى المشاهدة كما فعل الإمام المحاسبى من قبل .

ومنهج « المحاسبى » و « الغزالى » يمتاز بأنه يخاطب الوجدان ؛ ليَحْفِزَ الناس إلى العمل للدار الآخرة ، ومافيها من نعيم مقيم ، ويحذرهم ويرهبهم بمافيها من عذاب مقيم . وهو منهج مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية .

٤ ــ النعيم والعذاب عند الفلاسفة :

بينا عند حديثنا عن البعث عند الفلاسفة أننا سنكتفى بابن سينا من الفلاسفة، لنبحث البعث عنده . وإتماما للفائدة فإننا سنتعرف على رأى ابن سينا فى النعيم والعذاب الأخرويين :

تبعا لرأى ابن سينا فى المعاد الروحانى نجد أنه يذهب إلى أن النعيم والعذاب فى الآخرة ليسا بحسيين إنما روحانيان ، ويقعان على الروح فى الآخرة . يقرر ابن سينا :

أولا : أن ماورد به الشرع من الحديث عن الجنة والنار مقصود به مخاطبة العامة والجمهور ، وذلك لتقريب الصور إلى أذهانهم ؛ لأنه يزعم أنهم لو خوطبوا بالنعيم والعذاب على حقيقته مافهموه ، ومافعلوا الصالحات وماتركوا المنكرات ، لأن الجزاء فى نظرهم لا

---

(١) إحياء علوم الدين ــ المجلد الرابع جـ ١٦ ص ٢٩٩٣ ــ ٢٩٩٤ بتصرف .

(٢) المؤمنون ١٠٦ ، ١٠٧ . (٣) المؤمنون ١٠٨ .

(٤) إحياء علوم الدين ــ المجلد الرابع جـ ١٦ ص ٢٩٩٥ .

يحفزهم إلى فعل الحسنات ، ولا يردعهم عن السيئات » .

يقول ابن سينا : إن الشريعة جاءت لحث الناس وترغيب الجمهور وترهيبهم بالبشارة بالثواب والإنذار والعقاب .

وتصوير السعادة الثوابية لا بالصورة الإلهية الجليلة الفائقة التى هى عليها ، بل بالصورة المفهومة عندهم المستحسنة لديهم وهى اللذة والراحة ، وتصوير الشقاوة على مقابلة ذلك . وتقسيم اللذة إلى : المبصرة والمسموعة والمشمومة والملموسة ، والمطعومة والنكاحية من الملموسة ، وإشباع القول فى أسباب كلٍ واحدٍ منها ، من حور عينْ وولدان مخلدين ، وفاكهة ممايشتهون.وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وجناتٍ تجرى من تحتها الأنهار من لبن وعسل وخمر وماء زلال ، وسرر وأرائك وخيام وقباب فرشها من سندس وإستبرق ، وجنة عرضها السموات والأرض ومايجرى مجرى ذلك .

وتقسيم الراحة الروحانية إلى : الخلو عن الأحزان والمخاوف ، والدوام على الفرح والسرور والنشاط ، وأعظم من ذلك كله زيارة رب العالمين ، وكشف الحجاب عنه تعالى . ذلك هوخطاب الشرع الثابت بحكم اتفاق السواد الأعظم عليه وتواتر الأخبارية(١) .

ابن سينا فى هذا النص يريد أن يقول : إن السعادة لها صورة إلهية جليلة فائقة وهذه حقيقتها . ولكن هذه الصورة لا يستطيع الجمهورُ أن يفهمها ولا أن يعمل من أجلها فجاءت الشريعة بأشياء محسوسة ؛ لترغب الخلق فى العمل من أجل الآخرة . وهذه اللذات تتمثل فى الحور العين والفاكهة والخمر واللبن والعسل والسندس والاستبرق . وجاءت الشريعة بلذة روحانية تتمثل فى عدم الخوف والحزن وكشف الحجاب ورؤية الله رب العالمين ... وبالرغم من ذكر اللذة الروحانيةَ التى أعدها الله لعباده والتى جعلها ابن سينا قسما من اللذات المعنوية التى جاءت بها الشريعة ــ بالرغم من ذلك فإنه يذكر أن العوام إذا خوطبوا بغير ذلك ــ أى بغير اللذات الحسية ــ لا يستجيبون ولا يفهمون . يقول : « إن العوام من البشر إذا دعوا إلى الخير والعدل الإنسانيين فكأنهم دعوا إلى أمر هو خلاف طبائعهم البشرية ، وحركات نفوسهم الحيوانية الغالبة على النفس المنطقية ، التى كأنها معدومة أصلا ، أو معدومة الفعل والسلطان البتة ــ لم يجيبوا إليه إلا قهراً ورعباً . ومن

---

(١) رسالة أضحوية فى المعاد ص ٥٩ / ٦٠ بتصرف .

الممتنع أن ينهض واحدٌ من البشر باتساع كافة شركاء جنسه من الرغبة والرهبة ، ويبين مايبلغ به هذا الغرض ، فلا بد من تقرير ماأعد للمحسنين والمسيئين من ذلك عندهم فى الدار الآخرة يتولى من له الخلق والأمر تعالى جده »(١) .

ونص ابن سينا يبين أن العوام من البشر إذا خوطبوا بالخير الحقيقى والسعادة العظمى ، فكأنهم خوطبوا بأمر لا يعرفونه ولا يفهمونه ؛ لأنه على خلاف طباعهم البشرية ، ومن المستحيل أن يقوم واحد من البشر بمعرفة طبيعة نفوسهم من الذى يزجرها ، ومن الذى يرغبها . ولذلك فإن الله وحده هو الذى يتولى مخاطبة العوام وماأعد للمحسنين منهم والمسيئين منهم ، وذلك « بصورة يفهمونها ويتخيلونها »(٢) ، وتكون تلك الصورة للمحسنين بالجنات والحور العين والفاكهة وغير ذلك.(٣) « وتكون للمسيئين ضد اللذات الحسية ، من السعير والزمهرير والزبانية والسلاسل والأغلال وأكل الضريع وشرب الصديد وتدميغ مقامع الحديد إياهم ، وتبديل جلودهم عقيب جلود تأكلها النار حتى لايفنى عقابهم »(٤) .

ويصل إلى نتيجة خطيرة مؤداها ان النعيم الروحانى والعقاب الروحانى خلاف ذلك . ولكن إذا لم يظهر لهم فى صورة حسية لم يرغبوا ، ولم يرهبوا . يقول :« إذا لم يمثل لهم الثواب والعقاب الحقيقى البعيد عن الأفهام بما يظهر لم يرغبوا ولم يرهبوا . مالم تبعث أبدانهم لم يترشحوا للأمرين »(٥) .

هكذا يتحدث ابن سينا عن النعيم والعذاب فى الشرع ، أما حقيقة النعيم والعذاب فلا يمكن مخاطبة العوام بهما .

وعن النعيم والعذاب الحقيقيين وكيفية إدراكهما يقسم ابن سينا النفس بعد مفارقتها للبدن عدة أقسام :

فهناك نفوس كاملة منزهة ؛ وتلك النفوس لها السعادة المطلقة .

والسعادة المطلقة عند ابن سينا هى النظر إلى ذات الله العليا .

---

(١) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ٦٠ بتصرف .

(٢) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا .

(٣) نفسه ص ٥٩ / ٦٠ .

(٤) نفسه، ص ٦٠

(٥) نفسه ص ٦٠ / ٦١ .

ونفوس كاملة غير منزهة ؛ وهذه النفوس تفترق عن النفوس المنزهة بأن الثانية فى برزخ بينها وبين ابتغائها وتمام تجردها وتخلصها عن الهيئات السعادة المطلقة .

فتلك النفوس غير منزهة نزاهة كاملة ، ولذلك فإن بينها وبين السعادة المطلقة حجاب . ولأن انشغالها ببعض الأفعال الرذيلة انقطعت بمفارقة البدن ، تكون مستعدة للسعادة العظمى متشوقة إليها ، إلا أنها فى نفس الوقت ممنوعة عن تلك المرتبة العليا للسعادة لاقترافها بعض الرذائل . ويكون استعدادها للسعادة العظمى ومنعها منها يسبب لها أذى شديداً ، إلا أن الحالة التى تكون عليها النفس غير ملازمة لها ، فهى تتألم بتلك الحالة فترة ثم تزول عنها ، وتخلُصُ فى نهايةِ الأمرِ إلى السعادة الحقيقية . ويعتبر ابن سينا أن طلبَ النفس الكاملة وغير المنزهة المتعة الحسية وعدم الحصول عليها من آلام النفس فى الحياة الأخرى(١) .

ويواصل ابن سينا تقسيمه للنفوس وطبقاتها فى الآخرة فيذكر أن هناك :

نفوساً ناقصة منزهة : وقع فى حياتها أن لها كمالاً ؛ فلم تطلبه وجحدته وناصبته واعتقدت أنه غير الحق فهى متألمة بنقصانها الألم السرمدى(٢) .

ويعنى ابن سينا أن هناك نفوسا ناقصة ولكنها منزهة ، بمعنى أنه وقع لها فى حياتها أن لها كمالا معنويا فى الآخرة ، فلم تطلبه ولم تسعى إلى العمل من أجله ، وفضلًا عن ذلك جحدته وناصبته العداء ، واعتقدت أنه غير الحق . ولذلك فهى متألمة ـــ ولكن ليس ألماً حسياً ولكنه ألم معنوى سرمدى ـــ بسبب نقصانها وتفريطها فى السعى إلى هذا الكمال والعمل من أجله .

ويقسم ابن سينا أيضا النفوس الناقصة إلى عدة أقسام منها :

« نفوس ناقصة منزهة ـــ لم يقع عندها أن كمالا لها البتة وحالته غير مالها من العقلى الملقى إليها من المرسلين ، فلم تطلبه ولا خوطبت به فجحدته »(٣) .

وهذه النفوس الناقصة الثانية لم يقع عندها أن لها كمالا البتة فهى ، لم تطلبه ولم تخاطب به أصلا : ولذلك . فإن لها حكما ، يختلف عن الأولى ، سيتحدث عنه ابن سينا

(١) نفسه ص ١٢٠ / ١٢١ .
(٢) رسالة أضحوية فى المعاد ص ١٢١ .
(٣) نفسه ص ١٢١ .

بعد قليل « ونفوس ناقصة منزهة : لم يقع عندها ذلك ، ولا خطر ببالها أن لها كمالا لها ، وهو معلوم ، كنفس البله والصبيان »[1] ويتحدث عن مصير الناقصة المنزهة التى لم يقع عندها أن لها كمالا ، ولم تطلبه ولم تخاطب به ، والنفوس التى لم يقع ذلك عندها كنفوس البُلَهْ والصبيان ، يتحدث عن مصيره فيقول : « فهاتان الطائفتان تَبْقَى كل واحدة منهما لا لها السعادة المطلقة ، ولا الشقاء المطلق ، لأنها لا تشعر بالكمالات فتحن إليها ، وهى فى نفس الوقت تطلبها بالجوهر فيؤلمها نقصان ذلك الكمال وفقدانه كما يؤلم الجائع الجوع »[2] . ويتحدث عن نوع من أنواع النفوس يختلف عما سبق ، فيقول :« ونفوس ناقصة غير منزهة فلها الشقاوة إن كانت شاعرة أن لها كمالا ما — على الإطلاق — لا زوال لها . وإن كان نقصانها خاليا من الشعور بأن لها ذلك ، فلها الألم بحسب الهيأة الرديئة التى ورثتها من عالم الطبيعة »[3] وتلك النفوس الناقصة غير المنزهة لها الشقاء السرمدى إن كانت شاعرة أن لها كمالا لا زوال له ، ولكنها لم تهتم به ولم تتصور أن لها هذا الكمال ؛ فتعاقب بالألم حسب الرذائل التى اقترفتها فى عالم الطبيعة .

هذا هو تقسيم ابن سينا لطبقات النفس واستحقاقاتها من النعيم والعذاب فى نظره . وهو يعتبر أن « السعادة الأخروية عند تخلص النفس عن البدن وآثار الطبيعة وتجرد كامل اللذات ؛ ناظراً نظراً عقلياً إلى ذات من له الملك الأعظم وإلى الروحانيين الذين يعبدونه وإلى العالم الأعلى وإلى وصول كماله إليه . واللذة عند ذلك والشقاوة الأخروية عند ضد ذلك ، وكما أن تلك السعادة عظيمة جدا ، فكذلك الشقاوة التى تقابلها أليمة جدا »[4] .

والنص السابق لابن سينا يبين إلى أى حد يذهب ابن سينا فى البعد عن النصوص القرآنية التى تثبت أن الجزاء الأخروى يتمثل فى النعيم الحسى كالجنات والحور العين والطعام والشراب ، وأيضا النعيم المعنوى المتمثل فيما ذهب إليه ابن سينا من النظر إلى اللذات العليا ، فهو كما نرى يلغى الجزاء الأخروى الحسى ، ويكتفى بالجزاء الروحانى ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تحدثت عن الأمرين معا . فكما أن المتقين يتمتعون بالنظر إلى وجه الله الكريم فإنهم فى الوقت نفسه يتمتعون بالمتع الحسية المختلفة التى أفاض الله عنها الحديث فى القرآن الكريم ، وكما أن الكفار يعاقبون بالحجب عن وجه الله الكريم كما قال تعالى ﴿ **كلا**

(1) نفسه .
(2) رسالة أضحوية فى المعاد لابن سينا ص ١٢١ .
(3) نفسه ص ١٢٢ .
(4) رسالة أضحوية ص ١١٨ / ١١٩ .

إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (١) وبعدم النظر إليهم من الله وعدم كلامهم فإنهم يعاقبون بالحميم وطعام الزقوم والسلاسل والأغلال ، وبحرق الجلود وتبدلها ، كما نطق بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية . إلا أن ابن سينا ألغى الجزاء الحسى تماماً فى الآخرة واكتفى بالروحانى من النعيم والعذاب . وإذا واجهناه بالآيات القرآنية التى تثبت العقاب الحسى والنعيم الحسى نراه يقول : إن تلك الأشياء لمخاطبة الجمهور ؛ لأنهم لا يتصورون النعيم الروحانى فيعملون من أجله ولا ينزجرون بالعقاب الروحانى فيرهبون به .

والذى ذهب إليه ابن سينا مخالف للآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية ، ومخالف أيضا لجمهور المسلمين ، الذين يقولون بالنعيم الحسى المتمثل فى الجنات والأنهار والأزواج المطهرة وغير ذلك ، والنعيم الروحانى المتمثل فى رضوان الله ومغفرته . والمنزلق الخطير الذى إنحدر إليه ابن سينا هو إدعاؤه أن ماورد فى القرآن الكريم من الجزاء الحسى مقصود به مخاطبة الجمهور(٢) لأن للخاصة شأن آخر غير هؤلاء العامة . وكما يقول الإمام « الغزالى » فما المانع من تحقق الجمع بين السعادتين : الروحانية والجسمانية وكذا الشقاوة ؟ وقوله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين** ﴾(٣) أى لا يعلم جميع ذلك .

وقوله : « أعددت لعبادى الصالحين ملا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »(٤) فكذلك وجود هذه الأمور الشريفة لا يدل على نفى غيرها . بل الجمع بين الأمرين أكمل والموعود به أكمل الأمور ، وهو ممكن ، فيجب التصديق به على وفق الشرع(٥) ونحن نقول لابن سينا إذا كان الجمهور لا يفهم اللذة الحقيقية المتمثلة فى النظر إلى وجه الله الكريم ورضوانه ، فلماذا خاطب الله به الخلق فى القرآن فى قوله تعالى ﴿ **ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾(٦) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام الغزالى قد كفَّر الفلاسفة ؛ بسبب « إنكار حشر الأجساد وإنكار اللذات الجسمانية فى الجنة ، وإنكار الآلام الجسمانية فى النار ، وإنكار وجود الجنة والنار كما وصف القرآن »(٧) .

---

(١) المطففين ١٥ .

(٢) انظر رسالة أضحوية فى المعاد ص ٥٩ / ٦٠ .

(٣) السجدة ١٧ .

(٤) الحديث فى صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٧٤ ط الحلبى .

(٥) تهافت الفلاسفة للغزالى تحقيق الدكتور سليمان دنيا ص ٢٨٨ / ٢٨٩ / ٢٩٠ .

(٦) التوبة ٧٢ .

(٧) نفسه ص ٢٨٧ .

ثانياً : النعيم والعذاب عند النصارى

أولا : النعيم :

مر بنا عند الحديث عن واقعات اليوم الآخر الحديث عن الجنة عند النصارى وأثبتنا أن النصارى يتصورون النعيم فى الجنة بأنه عبارة عن الاتصال بالله ورؤيته وأنهم عند الحديث عن الجنة أو الفردوس لا يشيرون من قريب أو من بعيد . إلى أى نعيم حسى فيها والنصوص التى وردت فى الأناجيل يؤولونها عن معناه الظاهرى ووعدنا بمناقشة النصارى فى ذلك ، وسوف ننجز ماوعدنا به إن شاء الله فى هذا المبحث .

ينفى النصارى النعيم الحسى فى الجنة فليس « فى السماء خمرا أو ماشاكلها من المشتهيات الجسدية ولا ولائم حقيقية هناك »(1) .

ويقول أحد القساوسة فى رسالة له إلى أبى عبيدة الخزرجى :« إننا إذا حشرنا يوم القيامة حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ، ولكن لا نأكل ولا نشرب هناك »(2) .

وكان اعتقاد المسلمين بالنعيم الحسى فى الجنة مثار جدل بين النصارى والرسول ﷺ . أورد ابن كثير عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموٰات والأرض أعدت للمتقين** ﴾(3) يقول ابن كثير : « روينا فى مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبى ﷺ أنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموٰات والأرض فأين النار ؟ فقال النبى ﷺ : « سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار »(4) .

وروى الإمام « أحمد » و « النسائى » عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم : تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « نعم والذى نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة » قال : إن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال : « تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كريح المسك »(5) .

ويبدو أن طعن النصارى على نعيم الجنة الحسى لم يكن مقصوراً على علمائهم ، بل

---

(1) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل جـ ١ ص ٤٦٤ . (2) بين الإسلام والمسيحية ص ١٢٨ .
(3) آل عمران ١٣٣ . (4) ابن كثير جـ ١ ص ٤٠٤ .
(5) نفسه ص ٥١٧ جـ ٢ والحديث فى مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٦٣ .

إن العامة منهم كانوا يطعنون فى ذلك . ورد فى تهذيب تاريخ دمشق :

« قال إياس : كنت فى مكتب فى الشام وكنت صبياً فاجتمع النصارى يضحكون من المسلمين ، وقالوا : إنهم يزعمون أنه لا يكون تفل الطعام فى الجنة . فقلت : يا معلم أليس يزعمون أن أكثر الطعام يذهب من البدن ؟ فقال : بلى . فقلت : فلم تنكر أن يكون الباقى يذهبه الله فى البدن كله »(١) .

ويبدو أن الجدل بين علماء الإسلام والنصارى حول النعيم الحسى فى الجنة قلما تخلو رسالة من الحديث حوله وطعن النصارى فى ذلك ، وهذا ما تأكد لى أثناء مطالعتى للجدل الذى دار بين النصارى والمسلمين ، إن فى المشرق الإسلامى أو فى المغرب الإسلامى ، مما يدل على أن النصارى كانت تجعل النعيم الحسى فى الآخرة مثار طعن على الإسلام والمسلمين .

وسوف نعرض لشبه النصارى حول النعيم الحسى فى الجنة كما ورد فى القرآن وكما أخبر به الرسول ﷺ .

١ ــ شبه النصارى حول النعيم الحسى فى الجنة :

لقد مر بنا أن النصارى يعتقدون أن نعيم الأبرار « عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله »(٢) ويعتبرون أن « رؤية الله هى الخير الأعظم الفائق كل خير الذى يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه »(٣) .

ولذلك فهم يعتبرون أن الطعام والشراب والنكاح لا يليق بالجنة وما فيها . يعرض الإمام القرافى شبهتهم فى ذلك فينقل عنهم قائلاً :

« قالت اليهود والنصارى ، لو ثبت الأكل والشرب والنكاح فى الجنة ، مع أنها دار الكرامة العظمى ، والمنزلة العليا التى أبدع الله تعالى فيها جلائل الإحسان ومقامات الامتنان لكانت محل الحاجات وإبداء العورات ومصب القاذورات ، وذلك ينافى كما لها ويخرم تمامها ، ولذلك فإن كثيراً ممن له أنفة المروءة وأبهة الرياسة يأنف من الأكل ؛ بمشهد من

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق الكبير ــ لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف بابن عساكر جـ ٣ ص ١٨٠ ــ الناشر ــ دار المسيرة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

(٢) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٦٤ .　　　　(٣) نفسه .

الناس »(١) .

« وإذا كان هذا فى الأكل والشرب فالنكاح أولى ؛ لأن فيه انكشاف العورتين وذهاب الحرمتين وارتفاع الحياءين ، مضافاً لصب القاذورات من الفروج وما يحصل من الفضلات المستقذرة بسبب الولوج والخروج ويكفى فى نقايض هذه الأمور أنها من خصايص هذه البهائم المبعِدَةُ لطور الإنسان عن طور الملائكة والمدخل فى حيز البهيمية ، فإن الملك بلا عقل ، والإنسان عقل وشهوة ، فلذلك توسط بين الفريقين ، وباين بوصفيه كلا الجهتين فإذا ظهر ما فى هذه الأمور من النقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعم وتمام الكرامة »(٢) .

ونفس الشبهة يوردها نجم الدين الطوفى على لسان أحد النصارى الذين يعترضون على آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية « ومنها الآيات والأحاديث المتضمنة لذكر ما فى الجنة من مأكول ومشروب ومنكوح . وذكر من الأحاديث ما هو صحيح وباطل وأنكر ذلك واستعظمه بناء على شبهتين :

إحداهما : ما نقل عن الإنجيل ، بأن المسيح قال : فى القيامة لا يتزوجون ولا يأكلون ولا يشربون ، ولكنهم مثل ملائكة الله فى السمٰوات ، وذكر عن جماعة أنهم سألوا الابتهاج بوجه الله معنى فلا يكون بغيره .

الثانية : أن الطعام والشراب فى الدنيا لضرورة بقاء الأبدان لأنها بدونها تهلك ، وهناك يصيرون كالملائكة لا يخشى عليهم الهلاك لأنها دار السعادة الكاملة »(٣) .

وما ذكره نجم الدين الطوفى يتفق فى معناه ما ذكره القرطبى فى كتابه الإعلام يقول عارضاً شبهة أحد علماء النصارى : « قال صاحب كتاب المسائل : لسنا ننتظر فى المكافأة الإلٰهية شيئاً من الأرضيات الفانيات ولا تزويج العرائس ولا ما ينتسب إلى المأكول والمشروب ، ولا ننتظر أن يكون ملك المسيح فى الأرض ألف سنة بعد القيامة يمتلك الصالحون معه »(٤) .

---

(١) الأجوبة الفاخرة للإمام القرافى ص ١٠٠ بهامش الفارق بين المخلوق والخالق .

(٢) الأجوبة الفاخرة للإمام القرافى ص ١٠١ . (٣) الانتصارات الإسلامية ص ٢٠٠ .

(٤) الإعلام بما فى دين النصارى من الأوهام ـــ للإمام القرطبى جـ ٢ ص ٤٣٢ بتصرف يسير ـــ تحقيق الدكتور / أحمد حجازى السقا ـــ الناشر دار التراث العربى .

وشبههُ أحد القساوسة إلى أبى عبيدة الخزرجى كانت تدور حول هذا المعنى . ورد فيها « وأنتم تقولون : إن فى الجنة أكلاً ، وشرباً ، ونكاحاً ، وجميع ذلك عندكم فى الكتاب الذى جاء به صاحب شريعتكم ، ونحن ننكر جميع ذلك . ولا يمكن بوجه من الوجوه وقوعه عندنا ، وذلك أننا إذا حشرنا يوم القيامة حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ، ولكن لا نأكل هناك ولا نشرب »(١) .

ويذكر صاحب كتاب تحفة الأريب أن مما يعيبه النصارى « على المسلمين اعتقادهم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون »(٢) وأن « فى الجنة قصوراً ويواقيت وغير ذلك »(٣) .

ويذكر صاحب إظهار الحق أن من شُبه النصارى على الإسلام « أن الجنة مشتملة على الأنهار والحور والقصور »(٤) .

ومحررو دائرة المعارف الإسلامية يدعون « أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية »(٥) .

ونحن نلاحظ أن شبه النصارى تدور حول :

أولاً : أن الطعام والشراب والنكاح لا يليقان بأهل الجنة لأنها دار الكرامة .

ثانياً : أن السعادة لا تكون بالطعام والشراب وإنما برؤية الله وجلاله .

وسوف نناقش النصارى فيما ذهبوا إليه ، بالأدلة الكتابية والأدلة العقلية ؛ لنثبت أن هناك اضطرابا بين عقيدتهم فى نعيم الآخرة ، وبين ما هو موجود من نصوص فى العهد القديم الآن ، والعهد الجديد أيضا ، تثبت النعيم الحسى . وأن العقل لا يمنع ذلك بحال من الأحوال . وفرق بين طعام الدنيا وطعام الجنة ، وأيضاً بين النكاح فى الدنيا والنكاح فى الآخرة ، وكيف أن الإسلام جمع بين النعيم الحسى والمعنوى .

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ص ١٢٨ .

(٢) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ــ عبد الله الترجمان الأندلسى تحقيق الدكتور محمد على حماية ص ١٣٠ مطبعة دار الثقافة للطباعة والنشر الطبعة الأولى .

(٣) نفسه .

(٤) إظهار الحق لرحمت الله الهندى جـ ٢ ص ٤٠٥ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ــ الناشر . دار التراث العربى .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٢ ص ٤١٦ ــ ٤١٧ الترجمة العربية وانظر شبه أحد المستشرقين ــ فى كتاب ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص ٧٧ ــ ٧٨ ــ الناشر دار الاعتصام ــ الطبعة السادسة ١٩٧٩ م .

الرد على شبهة النصارى حول النعيم الحسى فى الجنة :

أولاً : الأدلة من كتبهم على النعيم الحسى فى الآخرة :

ما ذهب إليه النصارى من أن الجنة ليس فيها طعام ولا شراب ولا نكاح يتعارض مع ما ورد فى العهد القديم والعهد الجديد .

فى العهد القديم :

ورد فى سفر التكوين « وأخذ الرب الإلٰه آدم ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها ، وأوصى الرب الإلٰه آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل آكلاً »(١) وهذا دليل على نص « التوراة على أن المأكولات فى الجنة »(٢) .

وفى أشعياء ورد « أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه . والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبنا »(٣) .

ويقول الإمام القرافى عن هذا النص : أنه موافق لقوله تعالى فى القرآن الكريم ﴿ **مثل الجنة التى وُعد المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهارٌ من عسل مصفى وهم فيها من كل الثمرات** ﴾(٤) ويقول القرافى : « تضافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسمانى ، وهو كثير فى كتبهم ولكنهم قوم لا يعقلون »(٥) .

وبعد أن أثبتنا النعيم الحسى من العهد القديم الذى تعتقد النصارى بقدسيته ننتقل إلى الأناجيل .

العهد الجديد :

الطعام والشراب : ما ذهب إليه النصارى من خلو الجنة عن النعيم الحسى مردود عليه بما ورد فى متى « وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ، وأقول لكم إنى

---

(١) سفر التكوين ٢ ــ ١٥ ــ ١٦ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٦ .

(٣) سفر أشعياء ٥٥ ــ ١ ــ ٢ .

(٤) محمد ١٥ .

(٥) الأجوبة الفاخرة ص ١٦ .

من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم ، حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى »[1] .

وفى إنجيل متى « وكل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية ، ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرين أولين »[2] .

وفى إنجيل يوحنا « اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى ، للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن الله الآب قد ختمه »[3] .

تلك نصوص صريحة من الأناجيل تبين أن فى الجنة طعاماً وشراباً . ولا أدرى لماذا يؤول النصارى هذه النصوص ؟ ولنرى بعض النماذج من التأويل للنصوص الصريحة ؛ ففى نص متى على سبيل المثال « لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى »[4] .

يفسر صاحب الكنز الجليل هذا النص على النحو التالى « قوله « لا أشربه » لا يلزم منه أن فى السماء خمراً أو ما شاكلها من المشتهيات الجسدية ولا ولائم حقيقية هناك ، ولكن لأن الولائم تحل محل الأفراح والراحة بعد التعب والجهاد ومجتمع الأصحاب ، ولأن الخمر كانت فى عيد الفصح فرحاً بالنجاة من عبودية مصر واعتياد شربها فى كل الولائم فى ذلك الوقت ، استعارها المسيح كناية عن المسرات السماوية ، والفرح بالنجاح من رق الخطيئة ، وأبان بقوله « معكم » أن كل تلاميذه يجتمعون به فى السماء ، وأشار بقوله « أشربه جديداً » إلى معناه الروحى ، وأراد بقوله « ملكوت أبى » السماء حيث يملك بلا معارض »[3] .

ونص لوقا الصريح فى الطعام والشراب فى الجنة وهو « وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر »[6] .

---

(1) متى ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٣٠ .
(2) متى ١٩ ــ ٢٩ ــ ٣٠ .
(3) يوحنا ٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨ .
(4) متى ٢٦ ــ ٢٩ ــ ٣٠ .
(5) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل جـ ١ ص ٤٦٤ .
(6) لوقا ٢٢ ــ ٢٦ ــ ٣٠ .

يفسره « وليم إدى » بقوله « هذا مجاز مبنى على عادة الملوك أن يدعوا من يحبهم ويريدون أن يكرمهم ؛ ليتكىء معهم فى الولائم إكراماً واعتباراً له »(١).ولا أدرى لماذا يصرفون تلك النصوص الصريحة عن معناها الحقيقى إلى المعنى المجازى(٢) .

النكاح فى الآخرة :

إذا كان النصارى يعيبون على المسلمين النكاح فى الجنة اعتماداً على نص فى انجيل متى « لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء »(٣) فإنه قد ورد فى نفس الإنجيل هذا النص :

« كل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل إسمى يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية »(٤) .

ونحن نتساءل الذى ترك امرأة متى يأخذ المائة ضعف ؟ ونص « متى » يقول : فى الحياة الأبدية . يقول « نجم الدين الطوفى » : فهذا نص فى أن الناس فى نعيمهم فى الآخرة كما فى الدنيا ، وصرح بذكر المرأة وفائدتها النكاح وبالحقل وفائدته الأكل(٥) .

ونص « لوقا » : « فقال لهم الحق أقول لكم إنه ليس أحد يترك بيتاً أو والدين أو أخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا ويأخذ فى هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفى الدهر الآتى الحياةُ الأبدية »(٦) .

وأيضاً نص لوقا يثير نفس التساؤل الذى طرح فى نص متى ، إذ أن الأضعاف الكثيرة التى يأخذها من ترك امرأة إما أن تكون فى الدنيا ؟ وهذا مخالف لما عليه النصارى فى الزواج ، ورد فى « متى » : « وقيل من طلق امرأته فيعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى »(٧) .

وإما أن تكون الأضعاف الكثيرة فى الآخرة ؟ فأحدُ النصَّين كذب لا محالة ،

---

(١) الكنز الجليل جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) انظر أيضا تفسيرات وليم إدى للنصوص التى تتحدث عن النعيم الحسى فى الآخرة . فى الكنز الجليل جـ ٢ ص ٢٦١ ، جـ ١ ص ٥٥ ، جـ ١ ص ٣٢٩ ، جـ ٣ ص ٩٧ ، جـ ٦ ص ١٣٦ .

(٣) متى ٢٢ — ٣٠ .

(٤) متى ١٩ — ٢٩ .

(٥) الانتصارات الإسلامية ص ٢٠٢ .

(٦) لوقا ١٨ — ٢٩ — ٣٠ .

(٧) متى ٥ — ٣١ — ٣٢ .

ويكون نص « لوقا » السابق « عاماً فى كل من تُرك من الدنيا ، فيتناول المطعم والمشرب والمنكح فهذا نص المسيح ، على خلاف ما ذكرتم عنه فى جواب الصدوقين . فأحد النصين كذب قطعاً وحينئذٍ يسقط الوثوق بالإنجيل لوقوع الكذب فيه . وأما جوابه للصدوقين بما ذكرتم فإن صح . فمحمول على قيامة الموت . لأن قيامة كل أحد موته لأنه أول منازل القيامة »[1] .

أما عن شبهتهم حول الجنة وما فيها من قصور ويواقيت ، فإن صاحب كتاب تحفة الأريب فى الرد على عباد الصليب ينقل من كتبهم ما يثبت أن فى الجنة قصوراً ويواقيت .

يقول : « ومما ينكرونه أيضا على المسلمين قولهم : إن فى الجنة قصوراً[2] ويواقيت وغير ذلك فيقال لهم : إن عندكم فى الكتاب المسمى « بنور القديسين » فى قصة « جوان » الإنجيلى أنه مر ذات يوم بشابين عليهما ثياب الحرير ومعهما خدام وموكب كبير فذكرهما بالنار ، وهددهما حتى تركا ماكانا عليه وتبعا جوان المذكور ، وتصدقا بمالهما على خدمهما . فلما كان بعد مدة مر خدامهما عليهما فى زى عظيم ، ومواكب ، وخدام فحزنا ، وندما على مافاتهما من نعيم الدنيا واشتد ذلك عليهما ، ففهم ذلك « جوان » وقال : لهما ندمتما وحزنتما على ما فاتكما من نعم الدنيا ؟ فقالا : نعم ما وجدنا عن ذلك صبرا . فقال لهما : اذهبا فأتيانى بأحجار من الوادى فأتيا بهما فجعلها تحت ثوبه ثم أخرجها وهى كلها يواقيت نفيسة . فقال : اذهبا إلى السوق فبيعاها ثم اشتريا بثمنهما أكثر مما كان لكما ولكن لا نصيب لكما فى الجنة فإنكما بعتما نصيبكما بهذا العاجل الفانى ـــ فبينا هم فى ذلك إذا بقوم أتوا بميت ورغبوا من « جوان » المذكور أن يحييه ، فقال : قم ياهذا الميت بإذن الله تعالى . فقام الميت فقا له « جوان » : أخبر هذين الرجلين عمافاتهما من نعيم الجنة . فقال لهم ذلك الذى كان ميتا : قد كانت لكما فى الجنة قصور مبنية بالياقوت على كل لون ، طول كل قصر منها كذا وكذا . فلما سمع الشابان هذا تابا وتركا كل شىء واتبعا « جوان » على دين عيسى حتى أتاهما اليقين »[3] وبعد هذه النصوص لا أدرى لماذا يصر النصارى على تأويلهما ؟ وإنكار مافى الجنة من متع حسية ؟ .

---

(١) الانتصارات الإسلامية ٢٠١ .

(٢) الانتصارات الإسلامية ٢٠١ .

(٣) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص ١٣٠ ـــ ١٣١ ـــ وانظر أيضا ص ١٣٣ .

ثانيا : الأدلة العقلية على النعيم الحسى فى الآخرة :

عرضنا أولا الأدلة من العهد القديم والعهد الجديد على النعيم الحسى فى الآخرة ، المتمثل فى الطعام والشراب والنكاح . وتعجبنامن تأويل النصارى لتلك النصوص ، ونعرض هنا الأدلة العقلية التى تجوز وجود تلك المتع ، وكيف أنها لا تتنافى مع الجنة وكرامتها ومنزلتها . .

ولقد ناقش النصارى فى شبههم حول نعيم الآخرة كثيرٌ من العلماء . ونكتفى بما أورده « القرافى » فى « الأجوبة الفاخرة » و « الإمام القرطبى » فى « الإعلام » .

يقول « القرافى » مفندا شبهة النصارى : « إن النعيم الجسمانى الذى يثبته المسلمون ليس مفسراً بما ذكرتموه من التشنيع ، بل على الوفق والكرامة الربانية ، والسعادة الأبدية . وتقريره أننا نجد فى هذه الدار الملاذ الجسمانية تندب على أسباب عادية . فالملاذ إما علوم خاصة حية كإدراك الحلاوة ، وأنواع الطعوم الملائمة ، وإدراك الأرايج المناسبة لجوهر النفس البشرية ، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة للجواهر انطباع ، وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة للنفس ، وكذلك القول فى بقية الحواس . وأما إدراك الأحوال النفسانية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء والأرواء ونحو ذلك ، فهذه هى الملاذ الجسمانية . ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم : هى إدراك الملائم . فجمعوا الجميع فى هذا الحد الشامل . وأما أسبابها العادية : فهى المباشرة لأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك »[1] ويبين أن المسلمين يثبتون « اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات . فيقولون الأكل والشرب والنكاح فى الجنة من غير ألم جوع ، ولا عطش ، ولا بصاقة ، ولا دمع ، ولا غائط ، ولا ريح منتن ، ولا حيض ، ولا منى ، ولا رطوبات متقذرة ، ولا إبداء عورة منقصة ، ولا زوال أبهة معتبرة ولا شيء مما يعاب بنوع نقيضه . بل يجد المؤمن غاية مايكون من لذة الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق ، ولاتلويث ، ولا ألم جوع سابق ولا شين لاحق »[2] .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠١ بهامش الفارق بين المخلوق والخالق .

(٢) نفسه ص ١٠٢ .

وعن النكاح فى الجنة يقول « يحصل الجماعُ بمباشرة أجمل الموطوءات من الحوريات والآدميات التى كل واحدة منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها وتحيرت عقولهم . وتفصيلها مكسوة من الحلى والحلل ماأقله خير من ملك الدنيا ، ومافيها . قد نشأت فى السعادة الأبدية ، وهيئت للكرامة الإلهية ، وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية . ومع ذلك فقد تناسب خلقها وخلقها ، وطبعت على الميل من غير نفار ، وعلى المحبة من غير ازورار . قد وصلت فى محبة المؤمن وتعظيمه ، والأدب معه وإظهار المسرة به والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات ، وتجاوزت فى الحسن والإحسان إلى أقصى النهايات . وللحسن والإحسان معنى ورونق إذ أمكن الإنسان الجمع بينهما فنظرة إليها خيرٌ من جميع ممالك الأرض ، ونظرة منها وإليها تنس مؤلمات يوم العرض ، فيحصل من لذة جماع هذه ماهو لائق بهذا الطور العجيب ، والرونق القريب ، من غير إنزال فضلات ولا رطوبات مستقذرات منزهة عن جميع الدناءات ، بل كل حالة منها فى غاية الرتب العليا وكل جزء من أجزاء حسنها فى غاية الشوق والجلالة ، فلا عورة لها ولا للمؤمن ولا سوءة فيها ولا فيه لأن العور إنما تثبت فى هذه الدار لكونها مخرج النجاسات والشعر والنتن والرطوبات . فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات ، وبقيت المحال شريفةً عليها لا ينسب إليها خصلة دنيئةٌ »(١) .

ويبين القرافى أن المسلمين يجمعون فى نعيم الجنة « بين النعيم الروحانى المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله ، وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة . والنعيم الجسمانى الذى تقدم تحقيقه كان هواللائق بالكرم الإلهى والإحسان الربانى . فإن الاقتصار على النعيم الروحانى تقصير منْ قائله فى سعة النعمة وتمام الكرامة . وإن مايقوله المسلمون يجزم به العقل الشريف »(٢) .

أما الإمام القرطبى فقد ناقش النصارى فى شبهتهم مناقشة عقلية ملزمة لا ينكرها إلا جاحد أو جاهل .

يقول القرطبى مفنداً شبهة من قال : إن الجنة لا طعام فيها ولا شراب ولا نكاح : « نقول لمنكر ذلك لا يخلو أن ماتنكره إما من جهة العقل أو من جهة الشرع . فإن قال

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٣ .

(٢) نفسه ص ١٠٤ .

من جهة العقل قلنا له : كذبت وأخطأت فإن العقل لا يدل على استحاله دلك ، بل يدلّ على جوازه . إذ ليس فى ذلك إلا أن الذى خلقنا أول مرة ومكننا أن نتنعم نعيماً محسوسا ونتألم ألما محسوسا قادر على أن يعيدنا بعد أن يفنينا كما بدأنا فإن الإعادة هى خلق ثان ومن قدر على الخلق الأول قدر على الخلق الثانى . وهذا معلوم بنفسه فهو إذن فعل ممكن فى نفسه ليس من قبل الممتنع ، والله تعالى قادر على كل ممكن فيجب وصفه بالقدرة على ذلك »[1]

وبعد أن يثبت أن الإعادة الثانية كالأولى يناقشهم فيقول :

« فإن قالوا : إن كان فى الجنة أكل وشراب ونكاح ولباس فيلزم عليه أن يكون فى الجنة ... قلنا : لا شىء مما ذكرتم فيها . بل نقول : هناك أكل وشرب وليس هناك غائط ولا بول ، وهذا غير منكر ، إذ لا يلزم فى كل طعام أن يكون له فضلة . ولو سلمنا أن تكون له فضلة لما لزم أن يكون فضلة مستقذرا ، بل قد تكون فضلات كثيرة طيبا يتطيب به ، وشرابا يشرب ، مثل المِسك ، فإنه دم حيوان أو رجيعه ، أو العسل فإنه فضل حيوان معروف وليس شىء من ذلك مستعذرا بل هو مستطاب مستلذ ، ولا يبعد أن تكون فضلات الجنة هكذا بل هو هكذا . وقد جاءنا على لسان الصادق أن « أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجرى من أجسادهم مثل المسك »[2] وبعد أن يثبت الطعام والشراب وأنه من الممكن أن لا تكون هناك فضلات أصلا ، أو أن هناك فضلات ولكنها مستطابة مثل رجيع النحل ودم الغزال ، فإن الأول من أشهى الأطعمة ، والثانى من أطيب الروائح . ينتقل إلى النكاح ومايترتب عليه « وأما الحمل فلا يلزم شىء منه ، إذ قد نجد من النساء العواقر . وهن اللواتى لا يلدن . فكذلك نساء أهل الجنة لا يلدن ولا يحضن »[3] ثم بين « القرطبى » أن هذه الأمور « لا ينكرها إلا كل غبى جاهل ليس له معقول حاصل ، فإذا دل العقل على جوازه . فينبغى أن يستدل على وقوع ذلك وجوده بكلام الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين »[4] وقد سبق وأوضحنا أن التوراة والأناجيل تحدثنا عن النعيم الحسى فى الجنة .

أما ماذكره المستشرقون ، من « أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية »[5] فهم

(١) الإعلام للقرطبى ص ٤٣٣ جـ ٤ .
(٢) الإعلام بما فى دين النصارى من الأوهام جـ ٤
(٣) نفسه جـ ٤ ص ٤٣٤ .
(٤) نفسه ص ٤٣٤ .
(٥) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٢ ص ٤١٦ ـــ ٤١٧ .

يرجعون ذلك إلى أن « يكون محمداً ومعلموه المجهولون قد رأوا بعض التصاوير أو بعض الفيسفساء المسيحية التى تصور حدائق الفردوس ، وأولوا صورة الملائكة كما لو كانت صورة الولدان والحور » [1] .

وهذه الفكرة يصلون إليها من اعتقادهم الباطل : أن الرسول هو مؤلف القرآن . وكما قال الأستاذ أحمد شاكر ، فإن هؤلاء المستشرقين « آخر من يصلحون علميا للبحث فى لغة القرآن وبلاغته ومعرفتهم بالعربية محدودة » [2] .

ويكفى فى الرد عليهم . قول الله تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى** ﴾[3] ثم من الذى أعلمهم أن فكرة الجنة مادية حسية والقرآن الكريم فى غير موضع تحدث عن المتع الروحية لأهل الجنة . كما فى قوله تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[4] وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم[5] وأيضا قول الله تعالى ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾[6] ورضوان الله اعتبر من أعظم المتع الذى يتمتع به أهل الجنة-حين ينظرون إلى وجه الله الكريم فى الآخرة .

كبرت كلمة تخرجُ من أفواهِ هؤلاء . الذين يُحَرِفُونَ الكلم عن مواضعه »[7] .

ثانيا : العذاب عند النصارى :

جهنم هى المكان الذى يعذب فيه العصاة من النصارى . ورد فى قاموس الكتاب المقدس « فى العهد الجديد أعطيت الهاوية ، معنى جهنم ، أى أرض اللعنات والرجاسات وسكان العذاب الأبدى [8] ، والهاوية كمركَزْ لكل أنواع العقاب »[9] .

ورد فى إنجيل « متى » : « ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسدَ ولكنَّ النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحرى الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى

---

(1) نفسه .
(2) هامش دائرة المعارف ص ٤١٧ .
(3) النجم ٣ — ٥ .
(4) يونس ٢٦ .
(5) انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤ .
(6) التوبة ١٧٢.
(7) فى مناقشة المستشرقين — الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٠١ — ٢٠٧ وانظر . مدخل إلى القرآن للدكتور دراز ص ١٣٤ — ١٤٨ .
(8) متى ١٨ — ٨ .
(9) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ .

جهنم »(١) وورد فى نفس الإنجيل « ومن قال ياأحمق يكون مستوجب نار جهنم »(٢) .

وأيضا ورد فى « متى » : « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان(٣) ويقول للذين عن يساره إذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية »(٤) .

هذه النصوص التى أوردناها يختلف حولها النصارى فمنهم من يرى أن :

« فى جهنم ناراً حقيقية . والدليل على ذلك من ذكر الكتب المقدسة لها لأن كل النصوص الإلهية المتضمنة ذكْرِ العقوبات الجهنمية تعلن لنا وجود النار حقاً . حتى وفى القضية الأخيرة يوضح لنا سيدنا يسوع المسيح وجود النار الجهنمية ، يقول للذين عن يساره : « إذهبوا عنى ياملاعين إلى النار الأبدية »(٥) فهذا التكرار أعنى تكرارَ ذكرِ النار فى النصوص الإلهية هو دليل واضح على حقيقة وجودها »(٦) .

وهذا الفريق من النصارى يرون أن عذابَ جهنم يكون حسيا بحرق أجسادهم ، ويكون معنويا بالخزى والذل والازدراء فى الأبدى كما عبرت بذلك الأناجيل . ورد فى علم اللاهوت شرْح مؤلفه للعذاب فى النار « ليس عذاب الأشرار قاصرا على صيرورة أجسادهم مأكلا للنار فقط ، بل هناك عذابٌ آخر باطنى شر من العذاب الخارجى ، فيعذبون خارجاً بنارِ جهنم التى تقسو عليهم بشدة وتعاقبهم ، ويتعذبون باطنا بدودة الضمير التى هى أشد من النار حيث تلهب أجسادهم وتلدغها ، ومن ثم يتعذبون بعذابات الحسين الباطن والخارج معا »(٧) .

وواضح من اعتقاد جمهور النصارى أن العذاب فى النار يتمثل فى تعذيب الجسد وفى تعذيب النفس ، بل أن العذاب المعنوى عندهم أكثر تأثيرا من العذاب الحسى . وقد وصف يوحنا فم الذهب عذابَ الأشرار بأنه يكون « بِحاراً من النار وسجنا أبديا وعارا لا يمحى وعطش مزيباً وقطعا لرجاء لا وصل له ، وانفصالا عن الله إلى أبد الآبدين »(٨) .

---

(١) متى ١٠ — ٢٨ .
(٢) متى ٥ — ٢٢ .
(٣) متى ١٣ — ٤١ — ٤٢ .
(٤) متى ٢٥ : ٤١ .
(٥) متى ٢٥ : ٤١ .
(٦) علم اللاهوت ميخائيل مينا جـ ٢ ص ١٥٩ ، دينونة البشر العامة ص ٦٤ / ٦٥ / ٦٦ .
(٧) علم اللاهوت ميخائيل جـ ٢ ص ١٦٢ .
(٨) نفسه .

وهناك فريق آخر من النصارى يرى أن النار المذكورة فى الكتاب المقدس ليست حسية ولكنها معنوية ، ودليلهم على ذلك أن إبليس وأعوانه يتعذبون بالنار مع أنهم ليست لهم أجساد حسية . والذين ذهبوا إلى ذلك هم البروتستانت . وتتلخص حجتهم فى أن القول « بأن النار المذكورة فى الكتاب هى مادية ليس له سند كاف ، كما أنه لا محل للزعم أن الدود الذى لايموت هو دود حقيقى لأن إبليس وأعوانه الذين يعذبون بنيران أبدية ويشاركهم فى عذابهم الخطاة وليس لهم أجساد مادية لتفعل فيها النار المادية ، فالأولى والأنسب أن تكون النار فى الآخرة مجازية »[1] . ولكن جمهور النصارى من الأرثوذكس والكاثوليك يردون هذا الاعتراض بأن الله يوسع القوة المؤثرة فى النفس لتقبل التأثير ، وأما من جهة النار فإن الله يشدد قوتها المؤثرة حتى تؤثر فى غير الأجساد المادية . وذلك لأن النار آلة فى يد العدل الإلـٰهى لتعذيب الخطاة ، فلذلك ترتفع بالقدرة الإلـٰهية إلى قوة فائقة على الطبيعة ؛ لتستطيع أن تؤثر فى الأرواح الجهنمية ، وبهذه القوة يتم تأثير النار المادية فى الجواهر الروحية[2] . وحجة الفريق الأول الذى يذهب إلى أن النار يوم القيامة حقيقية أقوى ، لأن نصوص الأناجيل تثبت ذلك على وجه الحقيقة . أما الفريق الثانى فإنه يصرف النصوص التى تتحدث عن النار إلى معناها المجازى وهو يخالف بذلك ما عليه النصارى .

ثالثاً : النعيم والعذاب عند اليهود

أولا : النعيم الأخروى عند اليهود :

عرضنا فى الفصل الأول أثناء الحديث عن الجنة عند اليهود أن هناك آراء مختلفة حول طبيعة الجنة ونعيمها . وسوف نعرض هذه الآراء فى هذا المبحث .

تتحدث التوراة التى بين أيدينا عن الجنة حديثاً مقتضياً لا يعطى صورة تفصيلية عن دار النعيم التى أعدها الله لعباده .

ورد فى سفر التكوين « وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً »[3] .

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص ١٢١١ بتصرف .

(٢) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية جـ ٢ ص ١٦٣ / ١٦٤ .

(٣) سفر التكوين ٢ ــ ١٥ ــ ١٦ .

وفى سفر أشعياء « أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه . والذى ليس له فضة تعالوا اشربوا وكلوا ، وهلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبنا »(١) .

وفى التلمود ورد أن « الجنة تكبر المعمورة ستين مرة »(٢) . واليهود على عهد رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون فى نعيم الجنة الحسى(٣) .

بالرغم من هذا فإن علماء اليهود يؤولون النعيم فى الجنة إلى نعيم معنوى ، ويصرحون بأن « الجنة ليست مثل هذه الأرض ، لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ، ولا ضغينة ، ولا حسد بين النفوس ، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ، ويتمتع برونق السكينة » (٤) .

و « سعديا الفيومى » يقول : نقلوا لنا ــ أى الآباء ــ أن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور ، وليس مع ذلك طعام ، ولا شراب ، ولا غشيان ، ولا تناسل ، ولا شرى ، ولا بيع ، ولا سائر الأمور التى فى الدنيا ، وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل ، وليس فى الآخرة ــ كما يتصور اليهود ــ أى نوع من أنواع المتع الحسية كالأنهار أو الأشجار أو ما شابه ذلك .

يقول « سعديا الفيومى » : دار الآخرة إذاً لا غذاء فيها ولا تكسب ، فلا معنى لرياض ولا لنبات ، ولا للأنهار ، ولا للجبال ، ولا للأودية ، ولا لشىء من هذه(٥) .

ونلاحظ أن هناك تضارباً بين الإشارات المقتضية التى وردت فى العهد القديم عن الجنة وبين ما ذهب إليه علماء النصارى فى شرحهم لتلك النصوص .

فالنص فى سفر التكوين . يتحدث عن وضع آدم فى الجنة وأمره بالأكل من جميع أشجارها وثمارها ما عدا شجرة بعينها نهاه عنها ، ففى الجنة أكل وشجر وثمار وكل تلك الأشياء متعاً حسية . ونص أشعياء الذى ينادى فيه العطاش أن يشربوا من المياه فى الجنة وأن يشربوا من الخمر واللبن ــ إشارة صريحة فى الطعام والشراب وكلها متعاً حسية . وما ذهب إليه سعديا الفيومى وإشارات التلمود تنفى بشدة وجود هذه المتع . فأحدهما كاذب ، أما أن يكون ما ورد فى العهد القديم كذب وتعبير عن غير الحقيقة . وإما أن

---

(١) سفر أشعياء ٥٥ ــ ١ ــ ٢٠ .
(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .
(٣) انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢ طبعة الحلبى.
(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٨ .
(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .
(٦) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٣ .

يكون ما فى التلمود وما ذهب إليه سعديا الفيومى لا يوافق الحقيقة وأرى أن الإشارات التى وردت فى العهد القديم عن الجنة ونعيمها ، من بقايا الوحى الصحيح الذى أنزله الله على موسى والأنبياء من بعده لأنه يوافق فى مجمله ما فى القرآن الكريم عن الجنة ونعيمها ، وأن ما ذهب إليه كُتاب التلمود وشراح العقيدة اليهودية من أثر التأثر بالفلسفات المختلفة التى تأثروا بها على مدى تاريخهم .

ثانيا : العذاب الأخروى عند اليهود :

تحدثنا فى الفصل الأول . كيف أن التوراة لم تتحدث عن الثواب والعقاب وإنما تأتى الإشارات عابرة عن العذاب فى أسفار الأنبياء .

ورد فى قاموس الكتاب المقدس « صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان مظلم تحت الأرض(١) وله أبواب(٢) وهو مكان مخيف »(٣) .

ولكن التلمود تحدث عن الجحيم الذى يعذب فيه العصاة لفترة محدودة « يعلم التلمود أن نارَ جهنم لا سلطان لها على مذنبى بنى إسرائيل ، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء الحاخامات . ولكن بعض الحاخامات قالوا : إن الإسرائيليين الذين اقترفوا السيئات . سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم ويمكثون فيها إثنى عشر شهرا ، وسوف تحرق روحهم ، وسوف تثير الرياح أجزاءهم تحت نعال الصالحين »(٤) .

وورد فى التلمود أيضاً « يعلم الشيوخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع أىَّ شخص مختون من الدخول ، بينما يسقط غير المختونين فى قرار الجحيم »(٥) ومن خلال الإشارات العابرة التى عرضناها نستشعر أن النار حقيقية وأن العذاب حسى ومعنوى . مع التركيز على الفترة المحدودة التى يقضيها اليهود فى النار (٦)

ولكن الذى يلفت النظر حقاً هو عدم الحديث المستفيض عن أمور الآخرة عند اليهود والنصارى . وهناك عدة تعليلات لذلك ، نورد أهمها :

---

(١) سفر العدد ١٦ ـــ ٢٠ ـــ ٣٣ .
(٢) أشعياء ٢٨ : ١٠
(٣) صموئيل الثانى ٢٢ : ٦ .
(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٧٩ بتصرف يسير .
(٥) فضح التلمود ص ٩٨ .
(٦) ناقشنا ذلك فى الفصل الأول عن الحديث عن النار عند اليهود .

يقول الإمام « القرافى » : « كثر التنبيه على أحوال الآخرة فى شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل ، حتى لم يذكر الله تعالى ذكر شيء فى القرآن أكثر من ذكر البعث(١) . والسبب فى ذلك عدة أسباب : **أحدها** : أن بنى إسرائيل كثيفوا الطباع والتخويف بالمؤلمات والمستقبلات ، والترغيب بالمثوبات المتقبلات إنما يؤثر فى وافر العقل كثير الحزم متوفر اليقظة . وأما الكثيف الطبع فغالبهم لا يؤثر فى زجرها إلا المنخاس المباشر . **ثانيها** : أنهم كانوا عاتين متمردين والمتمرد إنما يتحدث معه بالزواجر الحاضرة والمؤلمات العاجلة . **وثالثها** : أن زمانهم كان أبعد عن القيامة من زماننا ، ولم يكونوا يرد عليهم شيىء من أشراط الساعة . **رابعها** : أنه سبق فى علم الله تعالى بعث محمد عليه السلام وأنه يجعله أفضل الرسل وآخرهم ، فأخر الله تعالى بسط ذلك ليخصه به ، فيكون عليه السلام أكثر علما وإعلاماً وهداية وإفهاما » ... (٢) ولا نوافق القرافى فى معظم ما ذهب إليه لأن الله عز وجل أوحى إلى موسى التوراة وفصل له فيها كل شيء ، ومن ضمن ما فصله الله عز وجل لموسى عليه السلام الآخرة وأحوالها . ولكن اليهود حرفوا وبدلوا مايعكر صفوهم حين اتباعهم لشهواتهم ، ومايُذَكِرْ بمصيرهم عند الله فى الآخرة ، وإن كنا نوافق القرافى فى أنهم كثيفوا الطباع ، فإننا لا نوافقه فى أن الله لم يخوفهم بعذاب الآخرة واكتفى فى زجرهم بما يقع لهم فى الحياة من القتل والاضطهاد على يد أعدائهم ؛ لأن الآخرة وما فيها من عذاب أقوى زاجر لهم عن فعل السيئات . ويقينا فإن الله عز وجل أنذرهم بالآخرة وعذابها على لسان موسى عليه السلام ولكنهم بدلوا وحرفوا . وماذهب إليه القرافى من أن الله أخرَّ بسط أمور الآخرة للرسول ﷺ ليكون أكثر علما وإعلاماً وهداية وإفهاما — ليس دليلا على أن اليهود لم يوح إليهم بمعظم الأمور التى تحدث فى الآخرة ؛ لأن الآخرة من الأصول الإيمانية التى يأتى بها كل رسول من رسل الله عز وجل إلى أمته ، ثم إن القرآن الكريم مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه .. والأولى من ذلك أن يقال كما ذكرنا من قبل عند الحديث عن البعث والجنة والنار عند اليهود فى وقائع يوم القيامة : إن هذه الأمور أنزلها الله عليهم فى التوراة ولكنهم حرفوا وبدلوا أموراً كثيرة منها ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم ، وأيضا ما يتناسب مع طبيعة اليهود التى عرفناها من حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عنهم .

(١) الأجوبة الفاخرة بهامش الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٦ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٦ / ١٠٧ / ١٠٨ بتصرف — والإعلام للقرطبى جـ ٣ ص ٤٣٦ وابن كمونة اليهودى تنقيح الأبحاث ص ٤٠ .

الفصل الثالث

الاستدلال على اليوم الآخر

ويشمل :

المبحث الأول : الاستدلال على اليوم الآخر فى الإسلام :

أولا : أدلة الإمكان .

ثانيــا : أدلة الوقوع

ثـالثـا : شبهات المنكرين للبعث والرد عليها .

رابعـا : المنهج الوجدانى فى الرد على شبهات المنكرين لليوم الآخر .

خامسا : المنهج العملى فى الاستدلال على اليوم الآخر .

المبحث الثانى : الاستدلال على اليوم الآخر عند النصارى :

أولا : أدلة الإمكان .

ثـانيا : أدلة الوقوع .

ثـالثا : الطريقة الوجدانية .

رابعا : شبهات المنكرين للآخرة عند النصارى .

المبحث الثالث : الاستدلال على الآخرة عند اليهود :

أولا : أدلة الإمكان .

ثـانيا : أدلة الوقوع .

ثـالثا : الطريقة الوجدانية .

الفصل الثالث

الاستدلال على اليوم الآخر

المبحث الأول

الاستدلال على اليوم الآخر فى الإسلام

لقد أقام القرآن الكريم والسنة النبوية منهجا متكاملا فى الاستدلال على اليوم الآخر، ومايقع فيه، وخاطب الله عز وجل الإنسان بكل الحجج والبراهين العقلية والمنطقية والعملية، وعرض شبه المنكرين وفندها ورد عليها، وأثبت اليوم الآخر بما لا يدع مجالا للشك أو الاعتراض والملاحظة التى تلفت النظر عند من يتدبر آيات القرآن الكريم فى الاستدلال على البعث أن الله عز وجل لم يناقش قضية البعث من جهة واحدة، وإنما جاء إليها من جميع الجهات، فلم يخاطب عقول الفلاسفة وحدهم ولا العلماء ولا العامة وحدهم، وإنما خاطب هؤلاء جميعا، وقدم لهم الحجة الدامغة والدليل المفحم والشاهد المبين، وفى هذا المجال تعددت مواقف القرآن وتعددت المشاهد والصور التى تشهد لقضية البعث وتحدث عن إمكانها (١)«عرض القرآن الكريم ذلك كله فى نماذج حية وضمنها شبه المنكرين للبعث، ولم يتركها تمر دون مناقشة لها بالمنطق الصحيح. وإبطال الشبه والملابسات بالبراهين العقلية التى تزيل فكرة الفناء الأبدى وتعيد للإنسانية طمأنينتها، وتدفعها للعمل وتحيى فيها آمال المتسابق» (٢) وسوف نتعرض أولا: للاستدلال على اليوم الآخر من ناحية الإمكان والوقوع. وثانيا: لشبه المنكرين والرد عليها.

---

(١) انظر الله والإنسان ص ٢٦٣.

(٢) انظر مناهج الجدل فى القرآن الكريم ص ٢٩٩. الدكتور / زاهر عواض الألمعى ـــ مطابع الفرزدق التجارية ـــ السعودية.

أولا : أدلة الإمكان :

تعرض القرآن الكريم لإثبات البعث بالأدلة العقلية التى تلزم العقل السوى بالتصديق والإذعان . والقرآن الكريم حين يعرض تلك الأدلة يبين أنها ممكنة وأننا نشاهدهاكل وقت ، وأوضح مثال على ذلك خلق الإنسان ومافيه من دلالات واضحة على قدرة الله ؛ وأيضا الأرض الميتة حين ينزل عليها الماء . يقول الله تعالى ﴿ **يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** ﴾(١) .

ويستخدم القرآن الكريم نماذج حية فى الكون لإثبات إمكانية البعث بعد الموت منها :

قياس البعث من الموت على خروج الزرع من الأرض :

يقول الله تعالى ﴿ **والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور** ﴾(٢) وهذه الآية فيها دلالة على البعث بعد الموت ، وفى الحياة الآخرة من عدة وجوه ذكرها الرازى فى تفسيره « **أحدها** أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياه . **ثانيها** : أن الريح يجمع القطع السحابية . كذلك يُجْمَعُ بين أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء . **ثالثها** : كما أنا نسوق الريح ، والسحاب إلى البلد الميت ـــ نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت »(٣) .

ويقول تعالى ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحى الموتى إنه على كل شىء قدير** ﴾(٤) .

---

(١) الحج ٥ ـــ ٧ .　　　　(٢) فاطر ٩ .

(٣) التفسير الكبير للرازى جـ ٢٦ المجلد ١٣ ص ٧ ـــ مطبعة دار إحياء التراث العربى ـــ الطبعة الثالثة .

(٤) فصلت ٣٩ .

ويقول تعالى ﴿ **ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج** ﴾ [1] .

وهذه النماذج من أبلغ الآيات التى يستخدمها القرآن الكريم للدلالة على إمكانية البعث بعد الموت ، فإن الماء النازل من السماء على الأرض الميتة « فيه أربعة أمور كل منها يدل على جواز الحشر .

الأول : أن الماء ثقيل بالطبع ، وإصعاد الثقيل أمرٌ على خلاف الطبع ، فلا بد من قادرٍ يقْهَرُ الطَّبْعَ وَيُصْعِدُ ما من شأنه الهبوط والنزول . فهذا القادر الذى قلب طبيعة الماء ، فهو قادر على أن يظهر الحياة والرطوبة من مادة التراب والماء .

الثانى : أن ذرات الماء اجتمعت بعد افتراقها ، فالقادر الذى جمعها بعد الافتراق قادرٌ على جمع الأجزاء الترابية بعد افتراقها .

الثالث : تسيير الرياح ، فالذى قدَرَ على تحريك الرياح التى تضم بعض تلك الأجزاء المتجانسة إلى بعض فهو يقدر ههنا أيضا .

الرابع : إنشاء السحاب فإنه لحاجة الناس إليه ، وههنا الحاجة إلى إنشاء المكلفين مرة أخرى ليصلوا إلى ما استحقوه من الثواب والعقاب أشد »[2] .

وقياس البعث من الموت على خروج الزرع من الأرض الميتة منهج استخدمه الرسول ﷺ فى الاستدلال على البعث وإمكانه .

روى الإمام « أحمد» بسنده عن « أبى رزين » قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال : « يا أبا رزين ، أما مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به نهرا أخضر ؟ » قلت : بلى . قال : « فكذلك يحيى الله الموتى ، وذلك آيته فى خلقه » [3] .

---

(١) ق ٨ — ١١ .

(٢) انظر رسالة التنبيهات فى إثبات البعث والحشر ص ١٠٧ لرحمت الله الهندى ملحقة باظهار الحق — تحقيق محمد كمال فراج ١٩٧٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ١١ .

إثبات النشأة الآخرة بالقياس على النشأة الأولى :

يقول تعالى ﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى . وأن عليه النشأة الأخرى** ﴾[1] .

وإن خلق الإنسان من المنى لفيه دلالة على النشأة الآخرة ، لما بين النشأة الأولى والآخرة من تشابه . يذكر « رحمت الله الهندى » وجوها عديدة على إمكان البعث منها « المنى فإنه فضلة الهضم ، ومادته إنما تولدت من الأغذيه المأكولة ، وهذه الأغذية تولدت من أجزاءٍ كانت متفرقه جدًا فى أنحاء العالم ، ثم جمعها الله فتولد منها حيوان أو نبات فأكله الإنسان فتولد منه دم فتوزع ذلك الدم على أعضائه فتولد منه أجزاء لطيفة ، فكانت هذه الأجزاء متفرقة فى آفاق أطراف الأعضاء كالطل المنبث ، ولهذا تشترك الأعضاء كلها فى الإلتذاذ بالوقاع ، ويحصل الضعف والفتور فى جميع البدن عند انفصالها ، ثم سلط الله قوة الشهوة حتى جمعت مقدار معينا من تلك الأجزاء فى أوعية المنى ، ثم أخرجها ماءا دافقا إلى قرار الرحم ، فتولد منه إنسان فالأجزاء التى تولد منها بدن الإنسان كانت أولا متفرقة فى البحار والجبال وأوج الهواء ، ثم اجتمعت بالطريق المذكور فتولد منها الإنسان ، فإذا مات تتفرق على مثال التفرق الأول . فالقادر العالم الذى لا يعجز عن شىء ممكن ، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة ، كما جمع تلك الأجزاء المتفرقة أولا ، ثم جعلها منيًا ، ثم كَوَّنَ منه الشخص الذى تختلف صور أعضائه مع كون المنى متشابه الأجزاء ، وأودع فيه القوة الناطقة والفاهمة « اللتين لا يقتضيهما المنى ، فكذا يقدر أن يَجْمَعَها مرة أخرى إذا افترقت بالموت ، وَيُكَونَ منها شخصًا ويعيد النطق والفهم إلى محل كانا فيه ، والأول عند المنكرين ليس مستبعدا فلا يكن الثانى أيضا مستبعدا »[2] .

وفى معرض قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى . يقول تعالى ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموٰات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾[3] .

---

(١) النجم ٤٤ — ٤٧ .

(٢) انظر رسالة التنبيهات فى إثبات البعث والحشر بتصرف يسير ص ١٦ .

(٣) الروم ٢٧ .

إثبات البعث بالقدرة على ما هو أعظم منه :

يقول الله تعالى ﴿ **أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا** ﴾[1] .

ويقول عز وجل ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[2] ويقول سبحانه ﴿ **أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير** ﴾[3] .

وهذه الآيات تلفت النظر إلى قدرة الله عز وجل على خلق السموات والأرض ، وأنه لم يعى بخلقِهنَ . ومعلوم خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولذلك فإن إعادة الإنسان مرة أخرى أهون من خلق السموات والأرض . يقول القاضى « عبد الجبار » : « إن القادر إذا ثبت كونه قادرًا على الشىء من غير تخصيص بوقت ، فمتى صح وجود المقدور صح منه إعادته »[4] .

إثبات البعث بقياس الموت على النوم :

إن النوم كالموت والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت يقول الله تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[5] .

ونفس المعنى الذى ضمنه الله عز وجل فى قوله تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ استخدمه الرسول ﷺ فى استدلاله على البعث ، لقياسه الموت على النوم والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت . يقول ﷺ : « والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، وإنها الجنة أبدا أو لنار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر »[6] . وذلك لأن النوم أخو الموت ، واليقظة شبيهة

(١) الإسراء ٩٩ .
(٢) غافر ٥٧ .
(٣) الأحقاف ٣٣ .
(٤) المغنى « للقاضى عبد الجبار » جـ ١١ ص ٤٥١ .
(٥) الزمر ٤٢ .
(٦) سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٣ ص ٤٣٢ تأليف الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى — تحقيق

بالحياة بعد الموت » (١) . يقول « ابن رشد » فى تهافت التهافت : « وتشبيه الموت بالنوم فيه استدلال ظاهر فى بقاء النفس من قِبَل أن النفس يبطل فعلها فى النوم ببطلان آلتها ، ولا تبطل هى فيجب أن يكونَ حالُها فى الموت كحالها فى النوم ؛ لأن حكم الأجزاء واحد » (٢) .

عدم المساواة بين المطيع والعاصي :

يقول الله تعالى ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون . وخلق الله السمٰوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾(٣) .

ويقول تعالى ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى** ﴾(٤) . وهذه الآيات تشير إلى ضرورة البعث للجزاء درءا لفكرة العبثية التى تفسد مذاق الحياة(٥) .

وهذه الفكرة التى تقوم على ضرورة البعث للحساب والجزاء ؛ للتمييز بين المطيع والعاصى ، والصالح والطالح ـــ قال بها « كانت » من الفلاسفة .

يرى « كانت » أن الحياة تعلمنا كل يوم درسا بأن المسىء لا يأخذ عقابه وأن المحسن لا ينال ثوابه ، بل إن الحياة لتعلمنا أن افتراس الثعبان أنجح فى هذه الدنيا من رقة الحمامة ووداعتها ، بل أحيانا تبدو الرذائل أجدى من الفضائل ، ولكننا على الرغم من هذا كله نشعر بصوت يدعونا إلى الفضيلة وعمل الخير حتى ولو لم يؤد ذلك إلى النفع ، فكيف يمكن لهذا الشعور بالحين أن يعيش إن لم نكن نحس فى قرارة نفوسنا أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا جزءا من الحياة ، وأن هناك حياة أخرى أطول أمدًا من هذه الحياة الفانية ، وأن كل امرىء سيجزى فيها بما فعل من خير أضعافا مضاعفة ، وأيضا سيعاقب على ما فعل من شرور وآثام »(٦) .

= الدكتور مصطفى عبد الواحد ـــ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـــ ١٩٧٤ .

(١) رسالة التنبيهات ص ١٠٨ . (٢) تهافت التهافت لابن رشد ص ٨٣٤ .

(٣) الجاثية ٢١ ، ٢٢ . (٤) القيامة ٣٦ .

(٥) انظر أعلام الفلسفة الحديثة ص ١٢٩ للدكتور رفقى زاهر ـــ الطبعة الأولى ١٩٧٩ ـــ النهضة العربية .

(٦) انظر قصة الفلسفه الحديثة جـ ١ ص ٣١ تصنيف أحمد أمين ـــ زكى نجيب محمود ـــ الناشر ـــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ . وانظر أعلام الفلسفة الحديثة ص ١٢٨ ـــ ١٣٢ . وانظر ضرورة البعث للمجازاة وعدم المساواة =

ولعلماء الإسلام من المتكلمين والفلاسفة أدلة على إمكان البعث مستنبطة من القرآن الكريم ومرتكزة عليه .

يرى القاضى « عبد الجبار » من المعتزلة أن البعث ممكن لقدرة الله على جمع الأشياء – فى أى وقت – والبعث من الأشياء التى تخضع لقدرة الله ، فلا استحالة فى إمكانه . يقول : « إن القادر إذا ثبت كونه قادرا على الشىء من غير تخصيص بوقت ، فمتى صح وجود المقدور صح منه إعادته ، كما أن الجسم إذا صح أن يتحرك من غير تخصيص بوقت صح من القادر أن يجعله كذلك ، وقد ثبت فى الجواهر أن القديم تعالى قادر من غير تخصيص ، فيجب أن يوجدها فى كل وقت صح أن توجد »[1] .

والإمام الأشعرى يستدل على إمكان البعث بقدرة الله على خلق الإنسان أول مرة . وقد خلق الإنسان لا على مثال سابق فإذا خلقه الله أولا لم يعيه أن يخلقه خلقا آخر . ويستدل الأشعرى بقول الله تعالى **﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾**[2] .

فجعل النشأة الأولى دليلَ جواز النشأة الآخرة لأنها فى معناها[3] .

وصاحب المواقف من الأشاعرة أيضا يستدل على إمكان البعث بالقدرة على الخلق أولا ؛ لأن الاعادة أهون من الابتداء ؛ لأن المعدوم إستفاد بالوجود الأول ، فيقبل الوجود أسرع [3] .

وصاحب المقاصد يقرر أن المعاد « أمر ممكن أخبر به الصادق فيكون واقعا ، أما الإمكان فلأن الكلام فيما عدم بعد الوجود أو تفرق بعد الاجتماع أو مات بعد الحياة ، فيكون قابلا لذلك ، والفاعل هو الله القادر على كل الممكنات العالِم بجميع الكليات والجزئيات »[4] .

= بين المطيع والعاصى – الوحى المحمدى للشيخ رشيد رضا ص ١٣٣ وما بعدها – وأيضا القرآن المعجزة الكبرى للشيخ أبو زهرة ص ٤١٤ .

(١) المغنى للقاضى عبد الجبار جـ ١١ ص ٤٥١ .

(٢) يس ٧٨ – ٧٩ .

(٣) انظر اللمع فى الرد على أهل البدع ص ٢١ – ٢٢ لأبى الحسن الأشعرى .

(٤) انظر شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٠ – ٤٤٣ . (٥) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٦ .

ونلاحظ أن استدلال صاحب « المواقف » وصاحب « المقاصد » على إمكانية البعث هو نفس إستدلال الأشعرى الذى استند إلى جواز الإعادة ، لقدرة الله على ذلك . وهى نفس الفكرة أيضا التى استدل بها الإمام الرازى فى المحصل وإمام الحرمين « الجوينى » فى الإرشاد .

يقول الإمام « الرازى » مستدلا على البعث بإمكانه فى نفسه وإخبار الرسول ﷺ عنه ، يقول : « لنا أنه فى نفسه ممكن » أى المعاد « والصادق أخبر عنه فوجب القول به . وإنما قلنا إنه ممكن بالنظر إلى القابل أو الفاعل وهما حاصلان ، أما بالنظر إلى القابل فلأن قبول الجسم الأعراض الفاعلية ، فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص ؛ لكونه عالما بالجزئيات ، وقادرا على جمعها وخلق الحياة فيها ؛ لكونه قادرًا على كل الممكنات . وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة ، وإنما قلنا إن الصادق أخبر عنه لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعوا على القول به ، وإذا ظهر المقدمتان ظهر المطلوب »[1] .

والإمام « الجوينى » يستدل أيضًا على البعث بقدرة الله عز وجل على خلق الإنسان أول مرة يقول : « فإن سئلنا الدليل على جواز الإعادة استقرأناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب ، وشبهنا الإعادة بالنشأة الأولى ، كما قال تعالى ردا على منكرى البعث ﴿ **قال من يحيى العظام وهو رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾[2] .

والإعادة التى يستدل عليها الأشاعرة تكون إما بإعادة الأجزاء بعد عدمها ، أو جمع الأجزاء المتفرقة . وإن كان « الحق التوقف ، وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال : يجوز عقلا أن تعدم الجواهر ثم تعاد ، وأن تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثم تعاد بنيتها ، ولم يدل قاطع سمعى على تعيين أحدهما ، فلا يبعد أن يغير أجسام العباد على صفة أجسام التراب ثم يعاد تركيبها إلى ما عهد . ولا نحيل أن يعدم منها شىء ثم يعاد »[3] .

وعلى هذا الأساس أثبت شارح السنوسية الكبرى إمكان المعاد ، إما عن طريق إعادة المعدوم أو جمعها وضمها إلى بعضها ، ويبين أنه لا استحالة فى الأمرين ، فإعادة

---

(١) المحصل للرازى ص ٢٣٢ ــ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية وانظر نفس الاستدلال فى كتاب مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص ٤٤٥ .

(٢) يٓس ٧٨ ، ٧٩ ــ وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة لإمام الحرمين الجوينى ص ٢٧٢ .

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٥٩ .

المعدوم ممكنة لأن ماهية الجواهر والأعراض قبل الوجود والعدم لذاتها ، وذواتها لا تتغلب بعد عدمها ، فكما قبلت الوجود والعدم ابتداءا تقبلهما إنتهاءا . وجمع الأجزاء بعضها إلى بعض بعد تفريقها واضح إذا نُظِر إليها بحسب الفاعِل وهو الله ، وحسب القابل وهو الإنسان »[1] .

ويستدل **ابن تيمية** على إثبات المعاد بالإمكان الخارجى وهو ما استدل به القرآن الكريم . وذلك لأن « الإنسان يعلم الإمكان الخارجى تارة بعلمه بوجود الشيء ، وتارة بعلمه بوجود نظيره ، وتارة بعلمه بوجود ما الشيء أولى بالوجود منه ، فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه »[2] .

ويبين ابن تيمية أن « هذه طريقة القرآن الكريم فى بيان إمكان المعاد فقد بيّن ذلك بهذه الطريقة فتارة يخبر عمن أماتهم ثم أحياهم كما أخبر عن قوم موسى الذين قالوا أرنا الله جهرة »[3] .

وتارة يستدل على ذلك بالنشأة الأولى ، فإن الإعادة أهون من الإبتداء كما فى قوله تعالى ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** ﴾[4] وقوله ﴿ **فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة** ﴾[5] وقوله ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾[6] وتارة يستدل على ذلك بخلق السموات والأرض فإن خلقهما أعظم من إعادة الإنسان كما فى قوله تعالى ﴿ **أولم يروا أن الله الذى خلق السمٰوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى** ﴾[7] .

وتارة يستدل على إمكانه بخلق النبات كما فى قوله تعالى ﴿ **وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته** ﴾

وابن تيمية يرى أنه لابد مع بيان إمكان الشيء أن يُبين قدرة الرب عليه ، لأن مجرد العلم بإمكانه لا يكفى فى إمكان وقوعه . وهذا ما استخدمه القرآن فى الاستدلال على

---

(١) انظر شرح السنوسية الكبرى — المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد للإمام أبى عبد الله السنوسى — ص ٣٩٤ — ٣٩٧ . تحقيق الدكتور عبد الفتاح بركة — الناشر دار القلم — الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .

(٢) درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٣٢ .

(٣) الفتاوى الكبرى جـ ٩ ص ٢٢٤ .

(٤) يس ٧٩ .

(٥) الإسراء ٥١ .

(٦) الروم ٢٧ .

(٧) الأحقاف ٣٣ .

البعث وإمكانه(١) .

وبعد أن استعرضنا الاستدلال على اليوم الآخر من ناحية الإمكان يتبين لنا أن أدلة القرآن الكريم على إمكان المعاد من أقوى الأدلة التى تخاطب العقل وتلزم الخصم ، فقد بلغت الأدلة التى استخدمها القرآن الكريم لإثبات إمكانية البعث درجة من القوة والإقناع لا مثيل لها ، لأن أى برهان نظرى لا يتطلب أكثر من هذه القوة فى التدليل والإقناع . وإذا كانت الفكرة الدينية قد بقيت فى جوهرها كما كانت دائماً ، فلا شك أنها حققت تقدماً حقيقياً من حيث الشكل الذى قدمها به القرآن ، ليس فقط لأنه ساق البراهين والأدلة القادرة على إقناع أصعب العقليات وعلى تحريك أقسى القلوب ، وليس فقط لأنه قدم نظراته الواسعة والثقافية عن الكون السماوى والأرضى ، واستخلص مواعظ ودروساً من كل مظهر من مظاهر الخلق الداخلية والظاهرية وإنما بدت مادة الدين ذاتها المتعلقة باختصاصات الله سبحانه وتعالى ومآل الروح ، وكأنها قد اكتسبت من القرآن نمواً لم تعهده فى أى مجال آخر(٢) .

ثانياً : أدلة الوقوع :

بعد أن استعرضنا الاستدلال على اليوم الآخر من ناحية الإمكان . نعرض لاستدلال القرآن الكريم من ناحية الوقوع . والأدلة التى نعرضها للاستدلال على البعث من ناحية الوقوع إنما هى للمؤمن بالله المصدق برسوله ، أما غير المصدق فإن هذه الأدلة غير ملزمة له .

يعرض القرآن الكريم لبعض النماذج التى تشبه وقوع البعث وإحياء الناس للحساب والجزاء .

الواقعة الأولى :

قصة الرجل الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فتعجب من كيفية إحيائها بعد مماتها وخرابها ، فأماته الله ثم بعثه . وهذه الحادثة مثال لما سيحدث يوم القيامة . يقول الله تعالى ﴿ **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه**

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٣٢ ــ ٣٤ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم ص ٨٥ ــ ٨٦ الدكتور محمد عبد الله دراز دار القلم .

الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾(١) .

وهذه الواقعة دليل على البعث والقيامة الكبرى التى يقوم فيها الناس لله رب العالمين .

ورد فى تفسير المنار لهذه الآية قال الأستاذ الإمام : « إنه بعد أن أراه الآية التى تكون حجة خاصة لمن رآها نبهه إلى الحجة العامة والدليل الثابت الذى يمكن أن يحتج به على البعث فى كل زمان ومكان »(٢) .

الواقعة الثانية :

قصة أهل الكهف . وهي واقعة حدثت لأناس لبثوا فى كهفهم مدة طويلة نياماً ، ثم بعثهم الله بعد نومهم الطويل ، وقد عقب الله عز وجل على بعثهم بعد نومهم الطويل الذى ظل ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً . عقب الله بقوله **﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾**(٣) .

يقول الفخر الرازى فى تفسيره لهذه الآية : « يعنى إنما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم أن وعد الله حق بالبعث والحشر والنشر . روى أن ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث ، إلا أنه كان مع كفره منصفاً ، فجعل الله أمر الفتية دليلاً للملك . وقيل : بل اختلفت الأمة فى ذلك الزمان ، فقال بعضهم : الجسد والروح يبعثان جميعاً . وقال آخرون : الروح تبعث ، وأما الجسد فتأكله الأرض . ثم إن ذلك الملك كان يتضرع إلى الله أن يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق فى هذه المسألة ، فأطلعه الله تعالى على أمر أصحاب أهل الكهف ، فاستدل ذلك الملك بواقعتهم على صحة البعث للأجساد ؛ لأن انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث »(٤) .

---

(١) البقرة ٢٥٩ .

(٢) تفسير المنار جـ ٣ ص ٤٣ الهيئة المصرية للعامة للكتاب ١٩٧٣ .

(٣) الكهف ٢١ .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ص ١٠٥ المجلد ٢١ ــ ٢٢ .

الواقعة الثالثة :

بنو إسرائيل الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة فصعقوا ، ثم بعثهم الله بعد موتهم وهذا دليل على إحياء الله للموتى وبعثهم من قبورهم ، كما بعث الله أولئك الذين أخذتهم الصاعقة .

يقول الله تعالى ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنت تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾[1] .

الواقعة الرابعة :

جماعة بنى إسرائيل ، طلب منهم ملكهم أن يجاهدوا فى سبيل الله ، فهربوا حذراً من الموت ، فأماتهم الله موتة واحدة ثم بعثهم بعد موتهم وتفضلاً منه ، وفيهم ورد قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾[2] .

الواقعة الخامسة :

الطير الذى ذبحه نبى الله إبراهيم ، ثم جمع الله أجزاءه ، وكان ذلك رداً على سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام . يقول الله تعالى :

﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾[3] .

ولقد كان سؤال إبراهيم عليه السلام لله عز وجل على سبيل الطمأنينة فيما تنزع إليه نفسه القدسية من معرفة خفايا أسرار الربوبية ، لا طلباً للطمأنينة فى أصل الإيمان بالبعث الذى عرفه بالوحى والبرهان دون المشاهدة والعيان[4] .

ويلحق بتلك الأدلة التى تثبت البعث : الذين ماتوا على عهد المسيح وأحياهم المسيح بأمر الله . فحياتهم بعد مماتهم دليل واقعى على بعثهم يوم القيامة بعد أن يصبحوا

---

(١) البقرة ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) البقرة ٢٤٣ .

(٣) البقرة ٢٦٠ .

(٤) انظر تفسير الآيات فى المنار جـ ٣ ص ٤٥ ـــ ٤٩ .

تراباً .

وإذا كان هناك مجال لإثبات إمكانية البعث بالأدلة العقلية ، فإن أدلة الوقوع يجب أن تؤخذ من الأدلة السمعية ، وهذا ما صرح به صاحب المقاصد بقوله : « إن الحشر والإعادة أمر ممكن أخبر به الصادق فيكون واقعاً »(١) .

ثالثاً : شبهات المنكرين للبعث والرد عليها :

لقد عرض القرآن الكريم شبه المنكرين للبعث ورد عليها ، وأقام الحجج والبراهين على إحياء الله للموتى وبعثهم من قبورهم للحساب والجزاء . ويلاحظ أن الأدلة التى قدمها القرآن الكريم للإقناع بالحياة الأخرى لم يخاطب بها فريقاً دون فريق من الناس ، وإنما جعل خطابه للعامة والخاصة ، ولم يخاطب بتلك الأدلة العرب وحدهم ، وإنما قدم مادة للإقناع من الممكن أن تستخدم مع كل المستويات ومع سائر الأجناس . ويلاحظ أيضاً أن الذين ينكرون البعث هم أحد فريقين :

أولا : فريق لا يؤمن بالله أصلا ، وهذا الفريق لا تقدم له الأدلة على البعث والحياة الأخرى ، لأن إقناعه يجب أن يكون بداية فى القضية الأولى ، وهى وجود الله ووحدانيته ،وبعد ذلك يكون الإقناع بالبعث والحياة الأخرى .

ثانيا : فريق يعترف بالله خالق السموات والأرض ، ولكنه ينكر البعث بعد الموت على طريق الاستبعاد .

وهؤلاء عرض القرآنُ الكريمُ شبهتهم وردَّ عليها بالأدلة العقلية والوجدانية والعملية .

وللقرآن الكريم مناهج فى الرد على شبهات المنكرين للبعث :

المنهج العقلى :

وهذا المنهج يتمثل فى عرض الشبهة والرد عليها بمظاهر القدرة التى أودعها الله فى الكون ـــ السماء ـــ المطر ـــ الأرض ـــ النبات .

المنهج الوجدانى :

وهذا المنهج يتمثل فى عرض صور المكذبين للبعث فى العذاب يوم القيامة ، والقرآن

(١) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٥٦

الكريم لا يجادل هؤلاء المنكرين ليثبت لهم بالمنطق والعقل حقيقة البعث ، وإنما يلجأ إلى التأثير عليهم من جانب آخر ، وجدانى على الأكثر .

المنهج العملى :

وهو الذى يتمثل فى الإنذار باليوم الآخر وما فيه من عذاب . ومن شأن هذا المنهج أنه يؤدى إلى التصديق ؛ لأنه يقوم على الضرورة العملية .

ولنبدأ أولاً : بالمنهج العقلى فى الرد على الشبهات حول البعث :

سوف نعتمد على القرآن الكريم فى عرض شبهات المنكرين والرد عليها ؛ لأن شبهات السابقين على نزول القرآن والأسس التى قامت عليها شبه اللاحقين أشار إليها القرآن الكريم أيضاً ، إذ أننا كما يقول الشهرستانى : « لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين . ﴿ **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم** ﴾ [1] » .

ولا يفوتنا أن ننوه عند عرض شبهات المنكرين فى القرآن من قال بمثلها من الفلاسفة أو العرب أو غيرهم .

يعرض القرآن الكريم أحد الشبه التى يثيرها منكروا البعث والجزاء استبعاداً للحياة بعد الموت .

يقول الله تعالى ﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد . أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد** ﴾[2] .

ويرد الله على مثيرى تلك الشبهة بقوله ﴿ **أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب** ﴾[3] .

---

(١) البقرة ١١٨ وانظر الملل للشهرستانى جـ ١ ص ١٦ ـــ ٢٠ فى هذه الصفحات رد الشهرستانى كل الشبهات القديمة والحديثة إلى إبليس إذ هو مصدرها .

(٢) سبأ ٧ ، ٨ .

(٣) سبأ ٩ .

فى هذا الرد يلفت الله نظر المكذبين والمنكرين للبعث إلى السموٰات والأرض وما فيهما من عجائب وغرائب وقدرته عز وجل على إزالتهما ، فالقادر على ذلك قادرٌ أيضاً على جمع أجزاء الإنسان المتفرقة للحساب والجزاء .

وشبهةٌ أخرى عرضها القرآن الكريم ورد عليها بردود متنوعة وحجج بالغة ، تثبت قدرة الله على البعث بعد الموت ، كما تثبت قدرته على خلق السموٰات والأرض وما فيهما من آياتٍ لا يقدر عليها إلا الله . يقول الله تعالى :

﴿ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أوليس الذى خلق السموٰات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون ﴾[1] .

وهذه الآيات التى ذكرها الله فى سورة يسٓ من أبلغ الآيات التى ترد على المنكرين للبعث المستبعدين للحياة بعد الموت . وقد تناولها مفكرو الإسلام من زوايا متعددة ، واستخلصوا قواعد عدة ، واستنبطوا منها حججاً عقلية للرد على منكرى البعث . نعرض نماذج لبعض الذين تناولوا هذه الآيات بالشرح والتفسير واستنباط القواعد العامة منها للرد على منكرى البعث .

يعرض الكندى قول الله تعالى **﴿ قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ﴾**[2] إلى آخر الآيات ويعلق عليها قائلاً : « فأى دليل فى العقول النيرة الصافية أبين وأوجز منه إذا كانت العظام بل إن لم تكن تُمكن . إذا بطلت بعد أن كانت وصارت ربما أن تكون أيضاً فإن جمع المتفرق أسهل من صنعه ومن إبداعه . فأما عند باريهم فواحد لا أشد ، ولا أضعف فإن القوة التى أبدعت تمكن أن تنشىء ما أدثرت . ، وكونها بعد أن لم تكن موجود للحس . فضلاً عن العقل فإن السائل عن هذه المسألة ، الكافر بقدرة الله تبارك وتعالى ، مقرٌ أنه كان بعد أن لم يكن وعظمه لم يكن هو معدم . فعظمه كان إضطراراً بعد أن لم تكن . فإعادتها وإحياؤها كذلك أيضاً . فإنها موجودة حية بعد أن

---

(١) يس ٧٨ ـــ ٨٣ .

(٢) يس ٧٨ ، ٧٩ .

لم تكن حية . فممكن أيضاً أن تصبح حيه إذ هى لا حية »[1] .

ويواصل « الكندى » استنباط الأدلة على البعث من الآيات مبيناً القدرة الإلٰهية على خروج الشىء من نقيضه . وعدم استبعاد الحياة بعد الموت قياساً على ذلك بقوله : « إن كون الشىء من نقيضه موجود ، إذ قال ﴿ **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون** ﴾[2] فجعل من لا نار ناراً أو من لا حار حاراً ، فإذن الشىء يكون من نقيضه اضطراراً »[3] .

ثم قال لتوضيح كون الشىء من نقيضه ﴿ **أو ليس الذى خلق السموٰات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم** ﴾[4] ثم قال لما وجب من ذلك ﴿ **بلى وهو الخلاق العليم** ﴾[5] .

ثم يبين الكندى الإعجاز فى صياغة الدليل القرآنى ، والحجج التى احتج بها على المنكر للبعث ، وإحياء العظام بعد أن رمتْ بقوله : « فأى بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع فى قول يقدر حروف هذه الآيات فأجمع الله عز وجل إلى رسوله ﷺ فيها من إيضاح أن العظام تحيا بعد أن تصير رميماً ، وأن قدرته تخلق مثل السموٰات والأرض وأن الشىء يكون من نقيضه . كلت عن مثل ذلك الألسن المنطقية المتخيلة وقصرت عن مثله نهايات البشر ، وحجبت عنه العقول الجزئية »[6] .

وما ذكره الكندى من الحجج التى اشتملت عليها الآيات فى آخر سورة يس يُستخرج منها عدة قواعد ، منها :

أولاً : وجود الشىء من جديد بعد تحلله ، وفنائه ممكن بدليل المشاهدة ، بدليل خلق الإنسان أول مرة من لا شىء ، خاصة وأن جمع المتفرق أيسر من إيجاده وإبداعه من لاشىء .

ثانياً : أنه لا استبعاد لإحياء الإنسان بأجزائه الحية من العظام وهى رميم يابسة ؛ لجواز أن يظهر الشىء من نقيضه كظهور الشجر الأخضر من النار بالرغم من التناقض بين

---

(١) رسائل الكندى الفلسفية ص ٣٧٤ .
(٢) يس ٨٠ .
(٣) رسائل الكندى ص ٣٧٥ .
(٤) يس ٨١ .
(٥) رسائل الكندى ص ٣٧٦ .
(٦) رسائل الكندى ص ٣٧٦ .

الشجر الأخضر والنار .

ثالثاً : إن خلق الإنسان وإحياؤه بعد الموت أيسر من خلق العالم الأكبر المتمثل فى خلق السموٰات والأرض(١) .

ونفس الايات فى سورة يسٓ يستدل بها « ابن رشد » على إثبات البعث وإبطال شبهة المعاند والمنكر للبعث ، يقول : « الحجة فى هذه الآيات هى من جهة قياس العودة على البدأ ، وهما متساويان وفى هذه الآيات . مع هذا القياس المثبت لإمكان العودة كسرٌ لشبه المعاند لهذا الرأى ، بالفرق بين البداية والعودة ، وهو قوله تعالى ﴿ **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً** ﴾ والشبهة أن البداءة كانت من حرارة ورطوبة .. والعودة من برد ويبس . فعورضت هذه الشبهة بأنا نحس أن الله تعالى يخرج الضد من الضد ، ويخلقه منه كما يخلق الشبيه من الشبيه ، وأما قياس إمكان وجود الأقل على وجود الأكثر فمثل قوله تعالى فى الآية ﴿ **أو ليس الذى خلق السموٰات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾(٢) فهذه الآيات تضمنت دليلين على البعث وإبطال حجة الجاحد للبعث »(٣) .

و « الرازى » يعرض آيات سورة يسٓ ويرى أنها اشتملت على حجج ثلاث :

الحجة الأولى : تتمثل فى قوله تعالى ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** ﴾ وقبلها قوله ﴿ **ونسى خلقه** ﴾ .

الحجة الثانية : قوله ﴿ **الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون** ﴾ ، وذلك لأن الإنسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية وهى كالحرارة الجارية فيه ، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فى الإنسان بعد البعث فلا تستبعدوه لأن النار فى الشجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب وأغرب ، لأن الماء يصير ناراً ، أليس هذا التحول من طبائع الأشياء من الضد إلى الضد فيه دلالة قاطعة على قدرة الخالق ؟ ألا يقدر من يفعل هذا بالشجر الأخضر أن يجعل من هذه العظام الرميم أجساماً حية ؟

---

(١) انظر الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية ص ٩٦ .

(٢) يس ٨١ .

(٣) انظر مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ص٢٤٤ بتصرف

الحجة الثالثة : قوله تعالى ﴿ **أو ليس الذى خلق السموٰات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾[1] فى هذه الآية إشارة إلى كمال قدرة الله وعلمه الشامل لأن خلق السموٰات والأرض أكبر من خلق الناس ، ثم أكد تلك القدرة بقوله ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾[2] .

ومن الشبه التى عرضها القرآن الكريم لمنكرى البعث والتى تقوم على استبعاد الحياة بعد الموت ما صوره القرآن الكريم بقوله ﴿ **وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً** ﴾[3] .

والقرآن الكريم لم يرد مباشرة على قائلى هذه الشبهة ،ولكنه ذهب فى الرد عليهم إلى شيء أكثر استبعاداً لرد الحياة فيه ، فقال سبحانه ﴿ **قل كونوا حجارة أو حديداً . أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً . يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً** ﴾[4] .

إنهم يستبعدون أن يُبْعَثُوا بعد كونهم تراباً وعظاماً نخرة ، مع أن العظام بعض أجزاء الحى ، بل هى عمود خلقه الذى ينبنى عليه سائره ، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ، ولكن بدلاً من التراب والعظام قال الله لهم ﴿ **كونوا حجارة أو حديداً . أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم** ﴾ أكبر من الحجارة والحديد ، وهى العناصر التى تكون الحياة فيها أبعد شيء . فسيقولون من يعيدنا ؟ وبمنتهى اليسر والبساطة ﴿ **قل الذى فطركم أول مرة** ﴾ قادر على أن يعيدكم حتى ولو كنتم حجارة أو حديداً أو ما هو أبعد من الحجارة والحديد فى تصوركم[5] . وفى نفس الشبهة ــ شبهة المستبعدين للحياة بعد الموت ــ يقول تعالى ﴿ **بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون . لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾[6] والأمر لم يقف لدى

---

(١) يس ٨١ .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ــ المجلد السادس والعشرون ص ١٠٩ ، ١١٠ وانظر الله والإنسان ٢٧١ ــ ٢٧٣ .

(٣) الإسراء ٤٩ . (٤) الإسراء ٥٠ ــ ٥٢ .

(٥) انظر الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٤٥٢ ــ ٤٥٣ وانظر الله والإنسان ٢٧٢ ــ ٢٧٥ .

(٦) المؤمنون ٨١ ــ ٨٣ .

المنكرين للآخرة عند حد الاستبعاد ، بل لقد وصل الأمر إلى حد القسم بالله على عدم البعث بعد الموت . يقول الله تعالى ﴿ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت** ﴾[1] .

ويبدو أن هؤلاء المكذبين بالبعث كانوا ممن يعترفون بوجود الله[2] ، بدليل أن الذين أقسموا على عدم بعثهم أقسموا بالله ، ولذلك رد الله عليهم بالدليل العقلى الذى قوامه : أن الله الذى خلق السموات والأرض ، والذى يحيى الأرض الميتة فتزخر بالحياة والأحياء بعد أن كانت مقفرة ، والذى خلق هذا الإنسان المعقد التكوين ، قادرٌ على أن يعيدَ الحياة للإنسان . ، ويبعث الناس من رقدتهم مرة أخرى ، ولذلك كان رد القرآن الكريم على مثيرى الشبهة الأولى ، والتى تمثلت فى استبعادهم الحياة مرة أخرى ، سؤالهم عن مظاهر قدرة الله فى الأرض والسماء ، فإذا اعترفوا بتلك القدرة وأقروا بصاحبها وهو الله ، فالبعث بعد الموت لا يصعب على من اعترفوا له بالقدرة الهائلة والسيطرة الكاملة على السماء والأرض وما فيهما . يقول الله تعالى ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجيرُ ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون** ﴾[3] .

ويرد الله عز وجل على الذين أقسموا بالله على عدم بعث الأموات للحساب والجزاء ، فيقول تعالى ﴿ **بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾[4]

إنهم يعترفون بوجود الله ، وهم يقسمون به ، ولذلك كان رد القرآن الكريم عليهم ﴿ **بلى وعداً عليه حقاً** ﴾ ليبين لهم الحكمة من البعث وأنهم كانوا كاذبين فيما ادعوه ، ثم يبين أن أمر البعث هين على الله لأنه يتعلق بإرادة الله ﴿ **إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ والبعث شىء من هذه الأشياء يتم حين تتوجه إليه الإرادة دون إبطاء[5]

---

(١) النحل ٣٨

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ٤ ص ١٠٧ ـــ ١٠٨ .

(٣) المؤمنون ٨٤ ـــ ٨٩ .

(٤) النحل ٣٨ ـــ ٤٠ .

(٥) انظر ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢١٧١ ـــ ٢١٧٢ .

ومن شبه المنكرين المستبعدين للحياة بعد الموت ما عرضه القرآن الكريم فى سورة « ق » ، ورد عليهم بدعوتهم إلى السماء ، والماء النازل منها ،وإلى الأرض وما فيها من زروع وثمار ، وأن الذى فعل تلك الأشياء قادر على بعث الناس من الحياة بعد الموت وإخراجهم من قبورهم . يقول الله تعالى ﴿ **ق والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج . أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج** ﴾[1] .

إن هؤلاء الذين عرض القرآن الكريم شبهتهم ، يعلمون قدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض . وهم مع ذلك يتعجبون من البعث ورجوعهم بعد الموت . والقرآن الكريم يرد عليهم بلفت أنظارهم إلى السماء والأرض وما فيها ، إن الماء ينزل من السماء على البلدة الميتة فتحيا به ، ويَخرج فيها الزرع والثمار الذى يرزقون منه ، وكما يخرج الزرع من الأرض الميتة بعد نزول الماء كذلك يخرج العباد من قبورهم للبعث والجزاء والحساب . فكما لا يستبعدون إحياء الأرض بعد موتها فكذلك أيضاً الحياة بعد الموت غير مستبعدة[2] .

أما الفريق الذى ينكر البعث لإنكاره وجود الله ، فهؤلاء هم الذين يعرفون بالدهريين ، وهم جماعة « من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه وبلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك أبدا »[3] .

وشبهتهم تقوم على أن العالم قديم ، ووجد بذاته ، وأنه إذا كان « للعالم فاعل فلا يخلو فعله من أن يكون لإحراز منفعة أو لدفع مضرة أو طباعاً أو لا لشيء من ذلك ؛ فإن كان فعله لإحراز منفعة أو لدفع مضرة ؛ فهو محل للمنافع والمضار وهذه صفة المحدثات فهو

---

(١) ق ١ ــ ١١ .　　(٢) انظر الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٣ ــ ٥ .

(٣) المنقذ من الضلال ص ٨٨ ــ ٩٠ للإمام الغزالى ــ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ــ الناشر دار الكتب الحديثة الطبعة الخامسة ١٩٦٥ .

محدث مثلها وإن كان فعله طباعاً فالطباع موجبة لما حدث بها ففعله لم يزل معه . قالوا : وإن كان فعله لا لشيء من ذلك فهذا لا يعقل وما خرج عن المعقول محال »[1] .

ويرد ابن حزم على شبهتهم بأن الفعل لإحراز منفعة أو لدفع مضرة إنما يوصف به المخلوقون المختارون ، وأفعال الطباع يوصف بها المخلوقون غير المختارين ، وكل صفات المخلوقين فهى منفية عن الله تعالى ، الخالق لما دونه . وقولهم إن الفعل لا لشيء من ذلك أى جلب منفعة أو دفع مضرة فأمر غير معقول . نقول لهم : ماذا يعنى قولكم غير معقول ؟ ألأنه لايعقل حساً أو مشاهدة ؟ أم أنه لا يعقل استدلالاً ؟ فإن قالوا : لا يعقل حساً ومشاهدة . قلنا : صدقتم ، فإن أزلية الأشياء لا تعقل حساً ومشاهدة أيضاً . وإن قالوا : لا يعقل استدلالاً ، كان ذلك دعوى مفتقرة إلى دليل ، والدعوى إذا كانت هكذا فهى ساقطة ، ويترتب على ذلك سقوط الاستدلال بها ، ونقول : إن البارى تعالى بالبراهين الضرورية خلاف لجميع خلقه من جميع الوجوه ، ومن كان كذلك كانت أفعاله مخالفة لجميع أفعال خلقه من جميع الوجوه[2] .

وشبهة الدهريين هى نفس شبهة الفلاسفة الطبيعيين . يقول شارح المقاصد : « الفلاسفة الطبيعيون الذين لا يعتد بهم فى المسألة ولا فى الفلسفة أنه لا معاد للبشر أصلاً ، زعماً منهم أن هذا الهيكل المحسوس بما له من المزاج والقوى والأعراض وأن ذلك يفنى بالموت وزوال الحياة ولا يبقى إلى المواد العنصرية المتفرقة ، وأنه لا إعادة للمعدوم »[3] .

ومعلوم أن ما ذهب إليه الفلاسفة الطبيعيون فيه « تكذيب للعقل على ما يراه المحققون من أهل الفلسفة ، وللشرع على ما يراه المحققون من أهل الملة »[4] .

ويفند صاحب المواقف شبهة الفلاسفة فى عدم إعادة المعدوم :

لأنه لا يمتنع وجوده الثانى لذاته ، ولا للوازمه ، وإلا لم يوجد بداية ، وكان من قبيل المنفعات ، لأن مقتضى ذات الشيء أو لوازمه لا يختلف بحسب الأزمنة ،وإذا ثبت عدم الاختلاف بحسب الزمن كان ممكناً بالنظر إلى ذاته .

(١) الفصل لابن حزم جـ ١ ص ١٦ وانظر بقية الشبه والرد عليها جـ ١ ص ١٤ — ٢٣ .

(٢) الفصل لابن حزم جـ ١ ص ١٨ وانظر الرد على شبه الدهريين جـ ١ ص ١٧ — ٢١ .

(٣) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٥٥ . (٤) شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٥٥ .

فإن قيل : الإعادة بعد العدم أخص من الوجود المطلق ، ولا يلزم من إمكان الأعم إمكان الأخص ، ولا من امتناع الأخص امتناع الأعم ، وعلى هذا يمتنع وجوده بعد عدمه إما لذاته أو لازمه ولا يمتنع وجوده مطلقاً .

أجيب : بأن الوجود أمر واحد فى حد ذاته ، لا يختلف ذلك الواحد ابتداءً وإعادة بحسب حقيقته ، وإنما يختلف بحسب الإضافة إلى أمر خارج عن ماهيته وهو الزمان ، والإيجاد واحد لا يختلف ابتداءً إلا بحسب تلك الإضافة الخارجة عن الماهية ، ولذلك يتلازم الوجودان المبدأ والمعاد إمكاناً ووجوباً وامتناعاً ؛ لأن الأمور المشتركة فى الماهية تشترك فى الأمور المستندة إلى ذواتها وجوباً ، ولو جاز أن يكون الشىء الواحد ممكناً فى زمان كزمان الابتداء ، ممتنعاً فى زمان آخر كزمان الإعادة ، معللاً بأن الوجود فى الزمان الثانى أخص من الوجود مطلقاً ومغايراً للوجود فى الزمان الأول بحسب الإضافة ، فلا يلزم من امتناع الوجود الثانى امتناع ما هو أعم منه وامتناع ذلك المغاير ؛ لجواز الانقلاب من الامتناع الذاتى إلى الوجوب الذاتى ، بعلة أن الوجود فى زمان أخص من الوجود المطلق ومغاير للوجود فى زمان آخر ، ويترتب على ذلك جواز أن يكون ذلك الأخص ممتنعاً والمطلق أو المغاير واجباً ويترتب عليه :

مخالفة بديهية العقل ، الجازمة بأن الشىء الواحد يستحيل أن يقتضى لذاته عدما فى زمان ، لذاته فى زمان آخر .

استغناء الحوادث عن المحدث . لجواز أن تكون ممتنعة لذواتها فى زمان عدمها وواجبة لذاتها فى زمان وجودها ، فيكون لا حاجة بها إلى صانع يحدثها بل ذواتها كافية فى حدوثها .

ويمكن فى إثبات جواز إعادة المعدوم . أن يقال الإعادة أهون من الابتداء ؛ لأن المعدوم استفاد بالوجود الأول . فبقبوله للوجود الثانى أسرع ، ومما يعترض به فى عدم جواز إعادة المعدوم . أنه لو جاز إعادة المعدوم لعاد بجميع عوارضه ومنها الوقت الذى كان فيه مبتدئا فيلزم أن يعاد فى وقته الأول وكل ماوقع فى وقته الأول فهو مبتدأ فيكون مبتدأ من حيث هو معاد .

ويرد على هذا : بأن اللازم فى إعادة الشىء بعينه إعادة العوارض المشخصة ، والوقت ليس من تلك العوارض ؛ لأن الشخص فى تلك الساعة هو بعينه فى الساعة التى بعدها وقبلها . ولو كان الوقت من المشخصات المعتبرة فى وجوده خارجا لكان هو فى كل

وقت شخصا آخر ، وهو باطل(١) .

ومن الفلاسفة الطبيعيين « أبيقور » الفيلسوف اليونانى الذى كان ماديا، فلا يرى هناك أرواحا مجردة ولا شيئا غير المادة ، وكل الأشياء مكونة من ذرات ، تختلف فى شكلها ووزنها لا فى كيفيتها ، والنفس ليست إلا ذرات تتفرق عند الموت . وكان يرى أنه لا يصح أن نفكر فى الآخرة ، لأن هذا يجعلنا سعداء ويحررنا من الخوف منها ، لأننا إذا متنا فلن نكون ، وإذا كنا فلا موت(٢) .

ومنهم : أتباع « ديمقراطس » الفيلسوف اليونانى الذى كان يرى أنه ليس « للإنسان أن يرى خلودا ، وإنما سعادته فى طمأنينة النفس وخلوها من الخرافات والمخاوف . وتتحقق هذه الطمأنينة بالعلم بقانون الوجود ، والتسليم له ، والتمييز بين اللذات ، والتزام الحد الملائم فيها »(٣) .

ويرد على الذين يقولون بأن عدم التفكير فى الآخرة يحررنا من الخوف : بأن الآخرة هى التى يجب أن يعمل لها الإنسان ؛ لأن لكل شخص أمانى كثيرة لا تكلل بالنجاح فى حياته ، ولذلك يتمنى حياة أبدية ، ولكن الحياة التى أعطيت له تخضع لقانون الموت ، ومن هنا يتطلع الإنسان لما بعد الموت ليجد ثمرة هذا العمل فى الجزاء الذى لا ينتهى ؛ لأن دواعى الإنصاف والعدالة فى ضمير الإنسان تقتضى أن يكون هناك يوم يميز فيه بين الحق والباطل ، ولا بد للظالم والمظلوم أن يجنيا ثمارهما ، وهذا مطلب لا يمكن إقصاؤه من مقومات التاريخ ، كما لا يمكن إبعاده عن فطرة الإنسان . ومن هنا فإن الآخرة ضرورية من الناحية الأخلاقية وأيضا من الناحية السلوكية ؛ لأنه لن يفلح شىء فى قمع جرائم ونزوات وأهواء الإنسان غير الدافع المنبعث من الاعتقاد فى الآخرة ؛ لأنه لا يوجد شىء غير الآخرة لمراقبة الإنسان وإخضاعه لسلوك طريق الحق والعدالة فى جميع ظروفه . يقول فولتير : « إن أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جدا ، حيث إنهما أساسان لإقامة المبادىء الأخلاقية »(٤) .

---

(١) شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٤٠ — ٤٤٢ وانظر شرح المقاصد جـ ٢ ص ١٥٣ — ١٥٥ — وانظر المحصل للرازى ص ٢٣١ — ٢٣٢ وانظر مطالع الأنظار ٤٣٩ — ٤٤٠ .

(٢) انظر قصة الفلسفة اليونانية ص ٢١٧ وما بعدها تصنيف أحمد أمين — زكى نجيب محمود — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٠ — يوسف كرم .

(٤) نقلا عن الإسلام يتحدى ص ٨٩ .

ويرى فولتير « أن هذه العقيدة وحدها كفيلة بإيجاد إطار أخلاقى أفضل للمجتمع . ولو أن هذه العقيدة زالت فلن نجد دافعا للعمل الطيب ، وسيترتب على ذلك انهيار النظام الاجتماعى »[1]

والذين يرون أن السعادة فى طمأنينة النفس وخلوها من الخرافات يحرمون أنفسهم من السعادة الكبرى ، التى تتمثل فى الاعتقاد بالآخرة والعمل من أجلها ؛ لأن الآخرة هى التى تحل لهم المشكلات التى يتعرضون لها والتى تذهب بسعادتهم المزعومة فى هذه الحياة . ثم كيف يميز الإنسان بين اللذات ؟ وتناولها بدون عقيدة يزيده نهما وتعلقا بها ، ولن يستطيع أحدٌ مهما كانت أخلاقه أن يلتزم بحد معين فى تناولها . ومن هنا كانت الآخرة هى الضابط لنزوات الإنسان والحافظة لحقوق الآخرين من الاعتداء عليها . وإن التاريخ يشهد بأن حياة الشعب الإغريقى فسدت بإباحية المذهب الأبقورى ، وأيضا كل حضارة تقوم على عدم الاعتقاد فى الآخرة .

ثانياً : المنهج الوجدانى فى الرد على شبهات المنكرين لليوم الآخر :

لقد استخدم الله عز وجل المنهج الوجدانى فى القرآن الكريم للرد على منكرى البعث ونعنى بالوجدان « وعاء الشعور بما ينشأ عن إدراك معنى من المعانى السارة أو المؤلمة وعن التأثر بأحاسيس سارة أو مؤلمة »[2] .

ومخاطبة الوجدان بهذا المعنى استخدمها القرآن الكريم فى الرد على المكذبين للبعث ، كما استخدمها فى إقناع النفس البشرية عن طريق الترغيب والترهيب باليوم الآخر .

وللقرآن الكريم عدة طرق استخدمها فى عرض شبهات المنكرين للبعث والرد عليها من الناحية الوجدانية :

الطريقة الأولى : عرض صور المنكرين فى العذاب يوم القيامة :

يقول الله تعالى **﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديدأولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾**[3]

---

(١) نفسه ص ٨٩ (٢) الأسس المنهجية ص ٣٩٧ (٣) الرعد ٥

إنهم يقولون أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد . إنهم يستبعدون الآخرة أصلا ، وبينما هم يقولون ذلك ، يصورهم والأغلال فى أعناقهم ، وهذه الأغلال سيعذبون بها فى الآخرة التى يكذبون بها

ومشهد آخر وجدانى فى قول الله تعالى ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال** ﴾(١)

ولقد أقسم المكذبون بالله واليوم الآخر مالهم من زوال ، خُدِعوا بالحياة ونسوا الموت ونسوا البعث ، وعموا عن مصائر الظالمين قبلهم الذين سكنوا مساكنهم ، فإذا هم مقرنون فى الأصفاد ، سرابيلهم من قطران ، وتغشى وجوههم النار . والرد عليهم بضرورة البعث والجزاء ﴿ **ليجزى الله كل نفس ماكسبت إن الله سريع الحساب** ﴾(٢) .

وفى سورة الكهف نقرأ قول الله تعالى ﴿ **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا . وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا** ﴾(٣) .

ونلمح هذا الجانب الوجدانى فى قول الله عز وجل :

﴿ **قتل الخراصون . الذين هم فى غمرة ساهون . يسألون أيان يوم الدين . يوم هم على النار يفتنون . ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون** ﴾(٤) .

وفى سورة الواقعة يعرض القرآن الكريم شبهة المكذبين بالبعث ، ويرد عليهم رداً وجدانيا . يقول تعالى ﴿ **وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنّا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون** ﴾ (٥) .

---

(١) إبراهيم ٤٤ .
(٢) إبراهيم ٥١ .
(٣) الكهف ٤٧ ــ ٤٩ .
(٤) الذاريات ١٠ ــ ١٤ .
(٥) الواقعة ٤٧ ، ٤٨ .

ويرد الله عز وجل عليهم بقوله ﴿ **قل إن الأولين والآخرين . لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم . ثم إنكم أيها الضالون المكذبون . لآكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم . هذا نزلهم يوم الدين** ﴾[1] .

فى هذه الآيات التى عرضنا نماذج منها ، لا يجادل القرآن الكريم منكرى البعث بالمنطق أو البرهان ليثبت لهم حقيقه البعث « وإنما يلجأ إلى التأثير عليهم من جانب آخر وجدانى على الأكثر ، وهو عرض صورهم ، وهم فى نار جهنم ؛ لتنفعل وجداناتهم ، بصرف النظر عن أذهانهم ، فتقتنع اقتناعا وجدانياً بحقيقة البعث »[2] .

الطريقة الثانية : الحوار بين المؤمنين والكافرين :

من الطرق التى يستخدمها القرآن الكريم فى الرد على المكذبين بالبعث وإقناعهم باليوم الآخر ، وما فيه : الحوار الذى يدور بين المؤمنين وهم فى الجنة والكافرين وهم فى النار ، وأيضا الحوار بين المؤمنين فى الجنة وتذكيرهم للمكذبين بالبعث ورؤيتهم لمصيرهم فى النار . ومشاهد الحوار التى استخدمها القرآن الكريم بين المؤمنين والكافرين تعرض بطريق غير مباشر للمنكرين للبعث ، فكأنما هى تتجاهلهم فى الظاهر ولا تفرض لهم وجودا ، وإنما تعرض الحقائق قائمة بذاتها ، فمن شاء فليؤمن ومن أصر على إنكاره فلينظر ماذا يفعل بأمثاله يوم القيامة . وهى طريقة من طرق التأثير الوجدانى القوى المفعول »[3] .

وهناك نموذجان من الحوار نتعرض لهما على سبيل المثال لا الحصر ؛ لأن القرآن الكريم ملىء بتلك النماذج .

النموذج الأول : الحوار بين المؤمنين وهم فى الجنة والكافرين وهم فى النار :

يقول الله تعالى ﴿ **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون** ﴾[4] .

إن هناك استقرار لأصحاب الجنة فى الجنة ، وعدم استقرار وتألم لأهل النار فى النار

---

(١) الواقعة ٤٩ ــ ٥٥ .

(٢) دراسات قرآنية ص ٧٣ للأستاذ / محمد قطب ــ دار الشروق بيروت .

(٣) دراسات قرآنية ص ٧٤ ــ ٧٥ . (٤) الأعراف ٤٤ ، ٤٥ .

ومما يزيد ألم أهل النار ذلك السؤال الذى يسأله أهل الجنة لأهل النار : لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ والجواب من أهل النار : نعم . فالموقف لا مجال فيه للنكران ، وينتهى الجدل وينقطع الحوار ويأذن مؤذن أن لعنة الله على الظالمين وظلمهم تمثل فى الصد عن الله وكفرهم بالآخرة .

ومرة أخرى ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة . يقول الله تعالى ﴿ **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾[1] .

والقرآن الكريم فى هذه الآيات يعرض صورة المكذبين وصور المؤمنين يوم القيامة ؛ ليرى المكذبون مصير أمثالهم فى النار بل مصيرهم هم ، وإن كان القرآن لا يقول لهم ذلك ، وتركهم ليتأثروا بالعرض عن طريق غير مباشر ، فتتأثر وجداناتهم وتلين قلوبهم للتصديق[2]

النموذج الثانى : التساؤل بين أهل الجنة عن مصير المكذبين بالبعث :

يعرض القرآن الكريم نموذجا من التحاور بين المؤمنين فى الجنة ، وتساؤلهم عن مصير بعض المكذبين للبعث ، وتطلع واحد من أهل الجنة فيرى أحد المكذبين بالبعث فى العذاب الأليم ، فيتذكر نعم الله عليه بالإيمان والتصديق بالبعث والحساب والجزاء .

يقول الله تعالى عن أهل الجنة ﴿ **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إنى كان لى قرين . يقول أءنك لمن المصدقين . أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون . قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين . أفما نحن بميتين . إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين . إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون . أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين** ﴾[3] .

إن هذه الآيات تعرض مشهدًا من الحوار الهادىء بين المؤمنين فى الجنة وهم فى النعيم

(١) الأعراف ٥٠ ، ٥١ .

(٢) انظر دراسات قرآنية ص ٧٤ — ٧٦ ومشاهد القيامة فى القرآن ٨٧ — ٩١ .

(٣) الصافات ٥٠ — ٦٣ .

المقيم ، إلا أن أحدهم يتذكر أنه كان له صاحب يكذب باليوم الآخر وكان يحاوره ويجادله : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون ؟ أى محاسبون ،فأراد ذلك المؤمن أن يتفقد صاحبه هذا ليعرف مصيره وأين أدى به تكذيبه ؟ وهو يوجه نظر أصحابه المؤمنين ؛ ليروا معه مصير ذلك القرين ، إلا أنه لم ينتظر تطلعه إليه ، فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ، ثم تذكر ذلك المؤمن نعمة الله عليه وهداية الله له ، وهنا وجه الكلام لذلك القرين ﴿ **قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين** ﴾[1]

هذا المشهد يعرض حال المصدق بالبعث والمكذب له ، والمصير الذى آل إليه كل منهما ، وهذا من شأنه أن يثير وجدان المؤمن فيزداد إيمانا وتصديقا ، ويحرك مشاعر المكذب فيحرك قلبه للإيمان بالبعث والحساب والجزاء[2].

الطريقة الثالثة : عرض صور النعيم فى الجنة وصور الكافرين فى النار :

من الأساليب التى يستخدمها القرآن الكريم فى مخاطبة الوجدان وتحريك المشاعر نحو الإيمان بالله والتصديق بالبعث : عرض صور النعيم التى يتنعم بها المؤمنون فى الجنة ، وعرض صور العذاب التى يتعذب بها الكافرون فى النار . ومن شأن تلك الأساليب أن تأخذ بلب الإنسان ليؤمن بالله والبعث ، لينعم بتلك المتع التى أعدها الله للمؤمنين ، وأيضا تحذر المكذبين بالبعث من المصير الذى يذهب إليه أمثالهم من المنكرين للبعث .

يقول الله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيز حكيما** ﴾[3].

ويقول الله تعالى عن المكذبين بالقيامة ﴿ **بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا . إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا . وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا . لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا** ﴾[4] .

ويقول الله تعالى ﴿ **وبرِّزت الجحيم للغاوين : وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس**

---

(١) الصافات ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) انظر مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٣٤ — ١٣٦ .

(٣) النساء ٥٦ .

(٤) الفرقان ١١ — ١٤ .

أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون . تالله إن كنا لفى ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم . فلو أن لنا كرةً فنكون من المؤمنين ﴾(١) .

ومن الآيات التى تعرض صور النعيم فى الجنة قوله تعالى ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾(٢) .

وقوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا.أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الآرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾(٣) .

ويقول تعالى ﴿ وسيق الدين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾(٤) .

إن الجمع بين مشاهد العذاب فى النار والنعيم فى الجنة هدف مقصود فى القرآن الكريم ليعرف المؤمنون مصيرهم بعد هذه الحياة فى الجنة ويعرف المكذبون مصيرهم فى النار وإن هذا « التصوير المبدع لمشاهد القيامة هو الذى جعل الجيل الأول من المسلمين يعيش بوجدانه فى الآخرة وهو يخطو بجسده على الأرض ، وأوجد فى نفوسهم تلك الحساسية الهائلة فى كل تصرف يتصرفونه ؛ خشية أن يحرمهم من النعيم ويؤدى بهم إلى النار »(٥) .

ثالثاً : المنهج العملى فى الاستدلال على اليوم الآخر :

إن الآخرة،كواقعة مسقبلية يخبر الله عنها ، ويتحدد مصير الإنسان بناءا على التصديق بها فى الجنة أو التكذيب بها فى النار ، تناولها القرآن الكريم والرسول ﷺ فى الاستدلال عليها بمنهج عملى ، يتمثل فى الإنذار بالعذاب الذى أعده الله للمكذبين

(١) الشعراء ٩١ — ١٠٢ .
(٢) الحجر ٤٥ — ٤٨ .
(٣) الكهف ٣٠ ، ٣١ .
(٤) الزمر ٧٣ — ٧٤ .
(٥) دراسات قرانية ص ٨٢ .

والإنذار الذى استخدمه القرآن الكريم وبدأ به الرسول ﷺ فى الدعوة :« موقف يتلخص فى كلمتين أو ثلاث . خبرٌ عن مجهول ، وتصديق فى جانب وتكذيب فى جانب آخر . وهو منطق عملى ، يركز فيه المنذر الرسول ﷺ على أمرين نمارسهما فى حياتنا العملية ، ولا غنى لأحد مهما يكن موقفه الفلسفى أو التأملى عن الأخذ بهما :

أولهما : الأخذ بالأحوط فيما يتضمن الخبر عنه تحذيرًا من خطر محتمل .

ثانيهما : تصديق خبر عن واقعة تجهلها إذا أتى من محتمل صدقه »[(١)].

إن من شأن المنهج العلمى الذى يتمثل فى الإنذار باليوم الآخر أنه يقدم للإنسان طريق النجاة على وجه اليقين لأنه « لا خسارة على المصدق بالإنذار »[(٢)] وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم فى قوله ﴿ **أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون** ﴾[(٣)].

وتتضح عدم الخسارة على المصدق باليوم الآخر فى قوله تعالى ﴿ **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم وكان الله بهم عليما** ﴾[(٤)].

ولكن الخسارة كل الخسارة تقع على المكذب ؛ لأن « فى منطق الإنذار لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ؛ لأن المؤمن يعمل من أجل الجنة ، وهو ليس مهددا بغيرها ، والكافر لا يعمل من أجل الجنة وهو مهدد بالنار » .[(٥)]

وهذا ما ورد فى قوله تعالى ﴿ **لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾[(٦)].

إن الإنذار بالآخرة لا يلزم فيه الاستدلال العقلى ، لأنه بوجه عام وكما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين « لا مجال للاستدلال الفلسفى الملزم على صحة الإنذار بواقعة مستقبلية ، والقرآن الكريم يعرض مجموعه من الآيات ، تبين شأن الحمقى من المكذبين الذين يستعجلون حصول الواقعة المنذر بها ، والتى تتمثل فى الآخرة وما فيها من عذاب ؛

---

(١) فلسفة الإنذار ص ٢٣ .

(٢) فلسفة الإنذار ص ٢٥

(٣) هود ٣٥ .

(٤) النساء ٣٩ .

(٥) فلسفة الإنذار ص ٢٥ .

(٦) الحشر ٢٠ .

لأن الآخرة التى يستعجلون وقوعها ليؤمنوا لا عبرة لتصديقهم بها عند الوقوع ، يعرض ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ **ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمةٍ معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾(١) .

إن التحقق من اليوم الآخر معناه مكابدة وقوعه بالفعل ، والطالبون لهذا التحقق الآن هم طالبون لوقوع الواقعة المحذرين منها . إنه أشبه بمن يطالب بوقوع « القتل » ليصدق ما جاءه من إنذار به ، فهل يجوز بعد ذلك — فى المنطق العملى — أن تهمل الواقعة حتى تقع ؟ .

يقول الله تعالى ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد** ﴾(٢) .

ماذا فى وسع المنذر بواقعة مستقبلية أكثر من التأكيد على وقوع تلك الواقعة فى المستقبل . وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ **ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق** ﴾(٣) .

ويقول تعالى فى سورة يٓس ﴿ **يٓس.والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين.على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون** ﴾(٤) .

وهذا القسم هو أقصى ما يقدم للإخبار عن واقعة مستقبلية كالاخرة وما فيها ؛ لأن « الإخبار بواقعة مستقبلية يستتبع أحد أمرين : إما تصديق وإما تكذيب ، والبحث فيما وراء ذلك من أدلة نظرية بعيدٌ تمامًا عن الطبيعة العملية للموقف ﴿ **فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** ﴾(٥) » .

وما كان هناك مفرٌ من أن يغرقوا . لقد انذروا بالطوفان قبل أن يقع بهم .

هذا المنطق العملى الذى يقوم عليه الإنذار بالآخرة هو ما استخدمه الرسل جميعا ، وهو ما استخدمه محمد رسول الله ﷺ فى بداية الدعوة ، وهو ما ألح عليه القرآن الكريم فى

---

(١) هود ٨ .
(٢) الشورى ١٨ .
(٣) يونس ٥٤ .
(٤) يس ١ — ٦ وانظر فلسفة الإنذار ص ٣٢ .
(٥) يونس ٧٣ وانظر فلسفة الإنذار ص ٣٣ .

جميع المراحل .

ومن هنا بدأ به الرسول ﷺ .

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ، قال : لما أنزلت هذه الآية ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا ، فاجتمعوا ، فعم وخص ، فقال : « يابنى كعب بن لؤى ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار . يا بنى عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ؛ فإنى لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها »(1) .

والمنطق العملى الموجود فى هذا الإنذار هو ما وضحه الرسول ﷺ فى رواية للإمام مسلم عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ورهطك منهم المخلصين (2) . خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : « يا صباحاه »فقالوا : من هذا الذى يهتف ؟ قالوا : محمد . فاجتمعوا إليه فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ » قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » .

والمنطق العملى المتمثل فى وجوب التصديق بالآخرة والعمل من أجلها التفت إليه الإمام الغزالى فى كتابه « ميزان العمل » ، وانتهى بعد أن عرض مواقف الخلق من الاعتقاد فى الآخرة(3) إلى وجوب العمل للآخرة والبعد عن ملاذ الدنيا . يبين الإمام الغزالى أن الإنسان أمام اعتقاد أن الموت عدم محض وأن الطاعة والمعصية لا عاقبة لها لا يخلو أن يكون واحدًا من أربعة . يقول « فأنت الآن أيها المسترشد بعد أن عرفت هذه المعتقدات لا يخلو حالك فى اعتقاد الفرقة الضالة عن أربعة أقسام :

إما أن تكون قاطعا ببطلانه ،

أو ظانا لبطلانه ،

أو ظانا لصحته ظانا غالبا ومجوزا لبطلانه بطريق الإمكان البعيد .

---

(1) صحيح مسلم جـ 1 ص 108 طبعة عيسى الحلبى .

(2) (ورهطك منهم المخلصين) قال الإمام النووى : الظاهر أن هذا كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته .

(3) انظر ميزان العمل ص 14 ـــ 17 .

ويبين أنه على كل الأحوال يجب أن يعمل الإنسان للآخرة ويعرض عن ملاذ الدنيا . يقول : « وكيفما كنت فعقلك يوجب عليك الإشتغال بالعلم والإعراض عن ملاذ الدنياإن سلم عليك عقلك وصحت خبرتك . وذلك لا يخفى إن كنت قاطعا ببطلانه . وإن كنت تظنُ ببطلانه ظنًا غالبًا تقاضاك عقلك التشمير فى طلبه ، كما يتقاضى العقل تجشم المصاعب فى ركوب البحر لطلب الربح وفى طلب العلم فى أول الشباب لطلب الرياسة عند ما يطلبها ، وفى نيل الوزارة أو باب من أبواب الكرامة بمقاساة مقدماتها ، وعواقب تلك الأمور مظنونة وليست مقطوعا بها »(٢) هذا عن القاطع أن الموت عدم محض والطاعة والمعاصى لا عاقبة لهما يجب أن يعمل للآخرة وما فيها ، وكذلك الذى يظن بطلان ذلك ؛ فإن العقل يقتضيه أيضا أن يعمل ويستعد لإحتمال الآخرة ، كما يستعد ويعمل فى أمور الدنيا من تحمل المصاعب لمطلب الرزق أو المشاق لطلب الرياسة ، ولكها أمور غير مقطوع بها على وجه اليقين .

وعن الحالة الثالثة يقوم الإمام الغزالى : « وإن كنت تظن صحته غالبا » يعنى صحة الاعتقاد بأن الموت عدم محض ، وأن الطاعة والمعصية لا عاقبة لهما « ولكن بقى فى نفسك تجويز صدق الأنبياء ، والأولياء ، وجماهير العلماء ، ولو على بعد ،فعقلك أيضا يتقاضاك سلوك الأمن واجتناب مثل هذا الخطر الهائل . فإنك لو كنت فى جوار ملك وأمكنك أن تتعاطى فى واحد من محارمه مثلا عملا من الأعمال ، تظن ظنا غالبا أنه يقع منه يوقع السخط فينكل بك ، ويفضحك ويديم عقوبتك طول عمرك ، أشار عليك عقلك بأن الصواب أن لا تقتحم هذا الخطر ، فإنك إن فعلت وأصبت فمزيته دينار لا يطول بقاؤه معك ، وإن أخطأت فنكاله عظيم ويبقى معك طول عمرك ، فليس تفى ثمرة صوابه بغائلة خطئه »](٣) .

ويضرب الإمام الغزالى مثالا آخر ليخلص منه إلى أن الأحوط العمل والاستعداد للآخرة ، وإن تحمل الإنسانُ الصعاب والتكاليف فى الدنيا ، لأن الذى يتعرض له فى الدنيا أخف بكثير جدًا من الذى يتعرض له فى الآخرة ، يقول :

---

(١) نفسه ص ١٧ — ١٨ . (٢) ميزان العمل ص ١٨ .

(٣) ميزان العمل ص ١٨ — ١٩ .

« ولذلك إذا وجدت طعاما وأخبرك جماعة بأنه مسموم ، أو شخص واحد حاله دون حالى نبى واحد ، فضلاً عن أن يقدر على التأييد بالمعجزة ،وغلب على ظنك كذبه كما غلب على ظنك الآن كذب الأنبياء كلهم ، ولكن جوزت مع ذلك صدقه ، وعلمت أنه ليس فى أكله إلا التلذذ بطعمه وحلاوته وقت الذوق وإن كان مسموما ففيه الهلاك ، فعقلُكَ يشيرُ عليك باجتناب الخطر إن كنت من زمرة العقلاء . ولهذا قال على رضى الله تعالى عنه لمن كان يشاغبه ويماريه فى أمر الآخرة : إن كان الأمر على ما زعمت تخلصنا جميعا ، وإن كان الأمر كما قلت فقد هلكت ونجوت »(١) .

ويخلص الإمام الغزالى بعد ضربه لتلك الأمثلة إلى « القطع بأن العظيم الهائل إن لم يكن معلوما فبالاحتمال يتقدم على اليقين المستحضر ، لأن كون الشيء مستحضرا أو عظيما بالإضافة فلتنتظر إلى منتهى العمر ، وما يصفو من الدنيا للمترفهين ، وتسير إلى ما اعتقده الفرق الثلاث من كمال السعادة الأخروية ودوامها ، وتعرف بالبديهة استحقار ما ترك من الدنيا فى عظيم ما يعتاض عنها بالإضافة إليها »(٢) .

والإمام الغزالى بعد عرضه هذا وضربه لتلك الأمثلة يبين بما لا يدع مجالا للشك أو الجدال أن العاقل عليه أن يسلم ، ويعمل للآخرة التى أخبر بها الأنبياء والمرسلون ؛ لأن العمل لها هو السبيل المتيقن للنجاة من عذابها ، وهذا واضح جدًا فى عبارة الإمام على رضى الله عنه لمن يشاغبه ويماريه فى أمر الآخرة ، وهو المنهج الذى استخدمه أبو العلاء المعرى فى قوله :

زعم المنجم والطبيب كلاهما   لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلستُ بخاسرٍ   أو صح قولى فالخسار عليكما

وهو منطق عملى نستعمله جميعا للتوقى من المخاطر المحتملة ، فما بالنا إذا كانت تلك المخاطر هى : العذاب الأبدى ؟

ويتحدث الإمام الغزالى عمن هو فى الحالة الرابعة ،أى الشخص الذى يقطع بصحة أن الموت عدم محض وأنه لا فائدة من الطاعة ، ولا عقاب على المعصية ،فيرد عليه بوجهين :

---

(١) ميزان العمل ص ١٩ .

(٢) نفسه ص ١٩ ـــ ٢٠ .

الوجه الأول : أن ما ذهب إليه هذا الشخص لا حجة له ولا برهان عليه . وأنه كما كذب الأنبياء والأولياء والحكماء وكافة العقلاء فيما ذهبوا إليه من الاعتقاد فى الآخرة ، فإن الكذب فيما ذهب إليه هو من أمر الآخرة أولى .

الوجه الثانى : إن منكر الآخرة وسعادتها لا ينكر السعادة الدنيوية ، كالعزة والكرامة والمكانة والقدرة والسلامة من الغموم والهموم ودوام الراحة والسرور ، وهذه الأشياء لا يقدر بها الإنسان إلا بالعلم والعمل ، والاعتقاد بالآخرة والعمل من أجلها يحقق هذه السعادة ؛ للاتفاق « على أن العالم العامل أحسن الناس حالا عند من رأى السعادة مقصورة على الدنيا ، فإن الدنيا ليست تصفو لأحد ، وليس يفى جدواها بمشاقها . فالمعن فى اتباع الشهوات والمعرض عن النظر فى المعقولات شقى فى الدنيا باتفاق وشقى فى الآخرة عند الفرق الثلاث إلا عند شرذمة من الحمقى لا يؤبه لهم ، ولا يعبأ بهم ولا يعدون فى زمرة العقلاء رأسا ، فقد تبين أن الاستعداد للآخرة بالعلم والعمل ضرورى فى العقل »[1] .

وهكذا يخلص الإمام الغزالى إلى أن العمل للآخرة والاستعداد لها واجب عند العقلاء ، وأن الذى ينكر الآخرة ويكذب الأنبياء فيما أخبروا به هو أولى بالتكذيب .

وما ذهب إليه الإمام الغزالى ذهب إليه غيره من العلماء . من هؤلاء العلماء ابن المرتضى فى كتابه « إيثار الحق على الخلق » يقول مبينا أن السلامة تتحقق فى الإيمان بالله واليوم الآخر .يقول : « والعقل والسمع مجتمعان على حسن السعى فى دفع المضار المخوفة المجوزة التجويز لمستوى الطرفين ، ووجوب السعى فى ذفع المضار المطلوبة ،ووجوب السعى فى الاحتياط فى ذلك . وهذا معلوم فى نظر العقلاء »[2] .

ومع كون ما ذهب إليه ابن المرتضى ومن قبله الإمام الغزالى من وجوب السعى فى دفع المضار معلوما فى نظر العقلاء فإن الله ذكره فى كتابه المبين ، وذكّر العقلاء به إن كانوا عنه غافلين ، فقال فى ذلك الله رب العالمين ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**

---

(١) ميزان العمل بتصرف ص ٢٢ .

(٢) إيثار الحق على الخلق ص ٢٢ . لأبى عبد الله بن المرتضى اليمنى المشهور بابن الوزير ــ الناشر ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ﴾(١) .

وقال عز وجل ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾(٢) .

وقوله تعالى ﴿ **ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار . تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار** ﴾(٣) .

وهذه الآيات تبين أن السلامة متحققة فى الإيمان والخطر مأمون فيه والمهالك مخوفة فى مخالفته(٤) ، وأن الإيمان والتصديق هو ما يقتضيه العقل السليم والفطرة الصحيحة ، وذلك لأن الإنسان « إذا عرض عليه أن يصدق وينتفع وأن يكذب ويتضرر مال بفطرته إلى أن يصدق وينتفع »(٥) .

وإن الإنذار باليوم الآخر على النحو الذى عرضه القرآن الكريم وبدأ به الرسول ﷺ . وذهب إليه علماء الإسلام كالغزالى وغيره لمنهج مؤثر فى الإقناع بالآخرة وما فيها لأن من طبيعة هذا المنهج العملى أن يجعل الإنسان متجاوزا مرحلة الشك فيما بعد الموت إلى اليقين ، وأن يعمل للآخرة لينجوا من عذابها .

* * *

(١) فصلت ٥٢ .
(٢) الأحقاف ١٠ .
(٣) غافر ٤١ — ٤٣ .
(٤) انظر إيثار الحق على الخلق ص ٢٢ .
(٥) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص ٢٣ — ٢٤ لقاضى القضاة العلامة صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز — تحقيق أحمد شاكر الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ .

المبحث الثانى

الاستدلال على اليوم الآخر عند النصارى

وضحنا عند الحديث عن البعث عند النصارى كواقعة من واقعات يوم القيامة ، أن الإشارات ترد عنه عابرة[1] فى العهد القديم ، وأن العهد الجديد لم يقل إلا قليلا عن تفاصيل الآخرة[2] . وسنحاول هنا أن نستخلص ما يمكن أن يعتبر استدلالا على الآخرة من ناحية إمكانه ، ووقوعه . كما سنعرض لشبهات المنكرين للبعث والقيامة الذين تحدث عنهم العهد الجديد ، ونحاول أيضا أن نستخلص ما يمكن اعتباره أدلة وجدانية ، متمثلة فى الأمثلة المتناثرة فى الأناجيل وإنجيل متى على وجه الخصوص .

كما سنعرض لبعض النصوص التى تحدثت عن جزاء الأبرار وجزاء الأشرار ، باعتبارها مؤثرة فى الوجدان ومحركة للنفس البشرية تجاه الآخرة . ولا يفوتنا أن نشير إلى النصوص التى وردت فى العهد القديم عن البعث ؛ لأن النصارى تعتقد فى قدسية العهد القديم ، وتستدل به أيضا فى إثبات عقائدها ، ومنها عقيدة الآخرة .

أولا : أدلة الإمكان عند النصارى :

لا يعطينا العهد القديم أدلة تفصيلية من الممكن أن نستخلص منها ما يدل على إمكان البعث بعد الموت . كل ما هناك تقريرات عن البعث والقيامة تحتمل أكثر من معنى ، كما سبق أن أوضحنا عند حديثنا عن البعث عند اليهود . ومن النصوص التى يستدل بها النصارى على البعث من العهد القديم ما ورد فى سفر أيوب وأشعياء .

ورد فى أيوب « أما أنا فقد علمت أن وليى حى والآخر على الأرض يقوم ، وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله الذى أراه لنفسى وعيناى تنظران وليس آخر ، إلى ذلك تتوق كليتاى فى جوفى »[3] .

وهذا النص عبارة عن إخبار من أيوب على حسب زعم النصارى واليهود بقيامته بعد

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٩ .

(٢) أديان العالم ص ٢٤٨ .

(٣) سفر أيوب ١٩ ـــ ٢٥ ـــ ٢٦ .

أن يتحلل ويفنى ، وسوف ينظر إلى الله وهـذا أسمى ما يتمنـاه[1] . ولكـن لا يتضمـن نص أيوب دلائل عقلية تثبت إمكانية قيامته تلك فى الآخرة . فما ورد على لسان أيوب لا يعدو أن يكون أكثر من إخبار عن القيامة .

أما نص أشعياء فهو « تحيا أمواتك ، تقوم الجثث ، استيقظوا ، ترنموا ياسكان التراب لأن طلك طل أعشاب ، والأرض تستقط الأخيلة »[2]

وهذا النص يشير إلى البعث وفيه شيء من الاستدلال ، لأنه شبه اليهود بعشب قد يبس ثم نزل عليه المطر ـــ أى نعمة الله ـــ فانتعش واستيقظ وبعث بعد الموت[3] . وهذا النص يشبه إلى حد ما بعض ما ورد فى القرآن الكريم من أدلة على بعث الموتى من قبورهم ، كخروج الزرع من الأرض بعد سقوط المطر .

ونكتفى بهذا من العهد القديم لإفراد مبحث خاص للاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود .

وإذا تركنا العهد القديم وذهبنا إلى العهد الجديد فإننا نجد أن الأناجيل لم تتحدث كثيرا عن البعث وإمكانه ، وإنما هى تقريرات إجمالية للإخبار عن وقوع القيامة للحساب والجزاء . وأدلة الأناجيل تخلو من أى إشارة إلى إمكانية البعث بقياسه على خروج الزرع من الأرض الميتة مثلا ، أو بقياسه على النشأة الأولى . ولكن ما ورد فى الأناجيل عبارة عن إخبار عما سيحدث قبل القيامة وبعدها ، من محاسبة المسيح للناس والحكم عليهم . ولنعرض بعض النصوص التى تتحدث عن البعث فى اليوم الآخر .

ورد فى متى « وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم من قبل ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات ، بل إله أحياء . فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه »[4] .

---

(١) انظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .

(٢) أشعياء ٢٦ ـــ ١٩ .

(٣) السنن القويم فى تفسير العهد القديم ص ١٨٦ ـــ ١٨٧ المفسر يذهب إلى أن البعث الذى يشير إليه النص فى أشعياء بعث قومى سياسى لا من الموت . إلا أننا عند بحث البعث عند اليهود رجحنا أن النص يشير إلى البعث الأخروى لا القومى وهذا ما حدا بنا أن نقول هنا إن النص يشير إلى بعض ما ورد فى القرآن الكريم . عن خروج الموتى من القبور كخروج الزرع من الأرض .

(٤) متى ٢٢ ـــ ٣١ ـــ ٣٣ .

والنص يشير إلى أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب أحياء عند الله ؛ لأنهم لو ماتوا وكفوا بالموت عن الوجود لما كان من اللائق بالله أن يقول لموسى أنا إلههم ؛ لأن الله ليس إله أموات ولكنه إله أحياء . فالله لم يقطع العلاقة الكائنة بينهم ، وهذه العلاقة توجب إقامتهم لأن فناءها لأن الموت مرحلة دخيلة على الإنسان (١) .

وورد فى مرقس عن البعث « وأما فى تلك الأيام بعد ذلك الضيق ، فالشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التى فى السموات تتزعزع ، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد ، فيرسل حينئذ ملائكته ، ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء »(٢) .

ونص مرقس لا يعدو أن يكون إخباراً بوقوع القيامة بدون استدلال عقلى على إمكانه . وهذا مانلاحظه فى نصوص الأناجيل(٣) التى تحدثت عن البعث والقيامة ، إشارات سريعة لا تحتوى على تفاصيل مسهبة من الممكن أن يستخلص منها القارىء أدلة عقلية ملزمة للاستدلال على البعث ، كما فعل القرآن الكريم فى كثير جدا من آياته التى تثبت البعث الدليل العقلى .

وإذا تركنا الأناجيل وتأملنا ماكتبه بولس عن البعث فى رسائله نجد أنه يختلف فى أسلوبه وطريقة علاجه لمسألة البعث وإمكانه . ولنأخذ على سبيل المثال رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح الخامس عشر ، ورد فيه عن البعث وإمكانه :

« لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسد يأتون . ياغبى الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت ، والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير . بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى ، ولكن الله يعطيها جسما كما أراد ، ولكل واحد من البذور جسم آخر ، ليس كل جسد جسدا واحداً ، بل للناس جسد واحد وللبهائم جسد آخر وللطير آخر ، وأجسام سماوية وأجسام أرضية ، لكن مجد السماويات شىء ومجد الأرضيات آخر . مجد الشمس شىء ومجد القمر آخر ، ومجد النجوم آخر ، لأن نجما يمتاز عن نجم فى المجد ، هكذا أيضا قيامة الأموات ، يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، ويزرع فى هواء ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة يزرع جسما حيوانيا ويقام روحانيا »(٤) .

---

(١) تفسير إنجيل متى بنيامين نيكرتن ص ٣٨٠ .
(٢) مرقس ١٣ : ٢٤ ــ ٢٨ يوحنا ٥ ــ ٢٨ .
(٣) انظر متى : ٢٤ ــ ٢٩ ــ ٣٣ .
(٤) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ ــ ٣٥ ــ ٤٥ .

فى هذا الإصحاح الذى يقول عنه أحد قساوسة النصارى : « إنه يعتبر من أروع ماكتب عن البعث والقيامة »(١) .

أراد بولس أن يقرب حقيقة بعث الأموات ، فوجه نظر السائل لأمر مألوف لديه ، يحدث أمامه بتواتر فى نبات المزروعات بقوله : « ياغبى الذى نزرعه لا يحيا إن لم يمت » أى إن كان الزرع الذى تزرعه أنت أيها الإنسان وتباشره بنفسك يوميا لا يعيش إلا بعد أن يكون قد مات وفسد فى التراب ، وهذا بحسب الطبيعة لا أعجوبة فيه ، فكيف لا يقوم الأموات بالقدرة الفائقة الطبيعية ولو عراها البلى والفساد ؟ إن فناءها هو استحضار لأن تقوم ، كما أن فساد الزرع هو استحضار له أن يعيش ، أى كما أن البذر الذى يدفن فى التراب لا يتلاشى بل تنبت له حياة جميلة بل أجمل مما كان عليه أولا ، إذ أن السنبلة أمجد من القمحة ، كذلك الأجساد المدفونة فى الأرض لا تتلاشى بل تحصل على حياة جديدة أمجد من الأول »(٢) .

والذى ذكره بولس يدل على إمكانية البعث ، وذلك بقياس خروج الزرع من الحبة التى يبست ، بل إن الحبة تزرع فى فساد وتقام فى عدم فساد ، وتزرع وهى ضعيفة وتنبت قوية ، فهكذا الأجساد تقوم فى مجد يختلف عن حالها قبل البعث .

ويستدل أحد القساوسة على البعث بقدرة الله على الأشياء وأن البعث بعد الموت أمر هين على الله . يقول القديس باسليوس الكبير « لا تقل إن القيامة مستحيلة نظرا لتبدد ذرات الجسد ؛ لأن ذلك ليس بعسير على الخالق القدير ، فإنك إذا أفرغت الزئبق من وعائه على الأرض فإنه يتفرق إلى أجزاء صغيرة ، لم تفتأ تدور وتتدحرج من هنا وهنالك ، ولكن إذا سهلت لها الطريق عاد كل جزء إلى صاحبه من ذاته والتحم به ، هكذا جسم الإنسان فإنه متى أمر الله برجوعه بعد تفرق عناصره عاد كل جزء من أجزاء صاحبه بما وضع فيه الحكيم القدير من الجاذبية التى بها تجتمع تلك الدقائق وتلتحم ببعضها ،لأن النفس تعرف جسمها بمعرفة خفية بعلامات قد وضعت لها »(٣) .

ويستدل يوحنا فيما ذهب على البعث بقدرة الله على الخلق الأول ، وأن القادر على الخلق الأول من لا شىء قادر على أن يعيده مرة أخرى . فالله أخرج من الأرض الخالية من

(١) انظر السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٣ . (٢) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٤١ .
(٣) مرجع سابق جـ ٢ ص ١٤٢ .

النفس والفاقدة الحس أجناسا هذا مقدارها من النباتات والحيوانات الغير ناطقة ، ليقود الإنسان لمعرفة القيامة ويسهل عليه التصديق بها ، لأن هذه أغرب من أمر القيامة وأعجب ؛ إذ لايمكن أن يستوى من يوجد النار حيث لم تكن موجودة مع من يضيء السراج إذا انطفأ ، كما أنه لا يستوى من يعيد بناء بيت متهدم بأنقاضه مع من يوجد بيتاً لم يكن موجودا ؛ لأن فى البدء كان الجوهر نفسه منعدما ، ومن استطاع أن يفعل الأصعب لا يعجزه الأسهل »(1) .

ونلاحظ أن الأدلة والمعانى التى ذكرها فيما ذهب من خروج النباتات من الأرض ومن هوان الإعادة مرة ثانية على الذى بدأ الإنسان أولا من لا شيء تتوافق مع كثير من الآيات القرآنية التى تتحدث عن هذه المعانى مثل قوله تعالى ﴿ **وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموٰات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾(2) ولا شك أن ماجاء به القرآن هو أسبق مما جاء على لسان هؤلاء الشراح .

ثانيا : أدلة الوقوع :

من أدلة النصارى على البعث يوم القيامة : قيامة بعض الأفراد من الموت على يد أنبياء بنى إسرائيل قبل عيسى عليه السلام وبعد مجيئه . إذ أن الأناجيل تسجل بعض الحالات التى أقامها عيسى عليه السلام من الموت ، والقرآن الكريم يذكر أن المسيح كان يحيى الموتى بإذن الله ، إلا أن النصارى لا تكتفى بإحياء الموتى على يد أنبياء بنى اسرائيل ويد عيسى عليه السلام ، بل ينسبون لبعض الأشخاص ممن كانوا تلاميذ للمسيح ، وحتى الذين لم يشاهدوا المسيح نسبوا إليهم إحياء الموتى ، وسنتحدث عن الحالات التى وردت فى العهد القديم والأناجيل وأعمال الرسل للذين بعثوا بعد الموت كما تذكر النصوص .

العهد القديم :

يقول الأنبا يؤانس : « إن العهد القديم يسجل لنا ثلاث حالات برهانا عمليا على القيامة من بين الأموات »(3) .

---

(1) انظر علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٤٥ .　　(2) الروم ٢٧ .

(3) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٩ .

سنتحدث عن هذه الحالات الثلاث بالنصوص التى وردت عنهم والتفسيرات التى قيلت حولهم عند الحديث عن الاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود .

وهذه الحالات الثلاث يستدل بها النصارى على وقوع البعث من الأموات قبل المسيح . وسنتحدث عن هذه الحالات بالتفصيل عند الحديث عن الاستدلال على البعث عند اليهود .

العهد الجديد :

يستدل النصارى على وقوع البعث من العهد الجديد بالأشخاص الذين أقامهم المسيح وبعض تلاميذه من الموت ، وأيضا يستدلون بقيامة المسيح من الموت ، ويجعلون قيامة المسيح من الموت المحور الذى يدور عليه إثبات بعث الناس من الموت للجزاء . وسنعرض الحالات التى أقامها المسيح من الموت ثم قيامه .

المسيح والحالات التى أقامها أشخاص غير المسيح :

ورد فى متى « وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء له قائلا : إن ابنتى الآن قد ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا . ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون قال لهم : تنحوا فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة . فضحكوا عليه ، فلما أخرج الجمع دخل ، وأمسك بيدها ، فقامت الصبية ، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها »[1] .

ويلاحظ أن النوم عند النصارى يطلق على الموت ، وأن إحياء عيسى عليه السلام لتلك الصبية قد أثر كثيرا فى الناس ، كما يقول صاحب الكنز الجليل ،يقول : « أثرت هذه المعجزات فى الناس أكثر من غيرها ؛ لأنهم لم يشاهدوا فى تغيرات الطبيعة شبيها لها »[2] .

وورد فى لوقا « فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ، ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة . فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها : لا تبكى . ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون . فقال : أيها الشاب لك أقول : قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه »[3] .

وهذه الواقعة إن صحت فإن القرآن الكريم بيَّن أن إحياء المسيح للموتى كان بإذن

---

(١) متى ٩ — ١٨ — ٩ — ٢٣ — ٢٦ .
(٢) الكنز الجليل جـ ١ ص ١٤٢ — ١٤٣ .
(٣) لوقا ٧ — ١٣ — ١٦ .

الله ، وإحياء عيسى عليه السلام للأموات لا يعدو أن يكون معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام ، كما أيد غيره من الأنبياء ، ولا يمكن أن يكون إحياء عيسى عليه السلام للأموات مخرجاً له عن طبيعة البشر وكونه رسولاً كسائر الرسل . ولكن أحد النصارى يعلق على نص لوقا السابق بقوله : « ونستنتج أن للمسيح قوة فائقة وشفقة لا نظير لها ،وأنه بالحقيقة ابن الله وابن الإنسان »(١) .

ولا أدرى لماذا لم يعتبروا الأشخاص الذين أقاموا الأموات أبناء لله كما فعلوا مع المسيح عليه السلام(٢) .

وننتقل إلى قيامة المسيح من الأموات على حسب ماورد فى الأناجيل وأعمال الرسل . وقد وردت الرواية عن ذلك فى إنجيل متى ، كما وردت فى إنجيل لوقا ، وأن الذى أخبر عنها امرأتان ، مريم المجدلية ، ومريم الأخرى بناء على ماسمعتاه من « ملاك الرب » إذ قال لهما : « إنكما تطلبان يسوع المصلوب ، ليس هو ههنا لأنه قام . اذهبا سريعا ، قولا لتلاميذه : إنه قد قام من الأموات ، هاهو يسبقكم إلى الجليل »(٣) .

ولست فى مجال مناقشة روايات الأناجيل واختلافها حول قضية الصلب والقيامة ؛ لأن الغرض هنا هو إثبات أن النصارى يستدلون على وقوع البعث يوم القيامة بقيامة المسيح من الأموات .

ويلحق النصارى فى استدلالهم على وقوع البعث بقيامة المسيح قيام أموات من القبور بعد قيامة المسيح . يقول الأنبا يؤانس :

« إن موتى كثيرين قاموا من بين الأموات . ومن أمثلة ذلك القديسون الكثيرون الذين خرجوا من القبور بعد أن أسلم السيد المسيح روحه فى يدى الآب ودخلوا إلى أورشليم ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين »(٤) « ويذكر التقليد الكنسي أن عدد هؤلاء الراقدين الذين قاموا من بين الأموات كانوا خمسمائة وأنه حينما صرخ السيد المسيح صوت عظيم ، قام هؤلاء وتجمعوا فى جبل الزيتون ، وعلى أثر قيامة السيد المسيح دخلوا إلى

---

(١) الكنز الجليل جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢) انظر هداية الحيارى لابن القيم ص ٢٧٨ .

(٣) متى ٢٨ ـــ ١ ـــ ٨ .

(٤) متى ٢٧ ـــ ٥٢ ـــ ٥٣ .

المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين »(١) .

وهذه النماذج يستدل بها النصارى على وقوع البعث بعد الموت فى الآخرة كما قام هؤلاء من الموت فى الدنيا .

أما عن إحياء غير المسيح لموتى آخرين فإن أعمال الرسل تذكر عدة حالات ، نكتفى منها بحالة أحيا فيها بطرس ـــ الذى يقول النصارى إنه أحد تلاميذ المسيح ـــ وحالة أخرى لبولس الذى لم يشاهد المسيح قط ، بل كان من أعدى أعدائه فى حياته ،ولكنه بعد أن مات المسيح اعتقد المسيحية ونصّب نفسه رسولاً لها .

عن إحياء « بطرس » لفتاة اسمها « طابيثا » ورد فى أعمال الرسل :

« وكان فى يافا تلميذة اسمها طابيثا الذى ترجمته غزالة ،هذه كانت ممتلئة أعمالا صالحة وإحسانات كانت تعملها . وحدث فى تلك الأيام أنها مرضت وماتت فغسلوها ووضعوها فى علبة ، وإذا كانت بلدة قريبة من يافا وسمع التلاميذ أن بطرس فيها أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتوانى على أن يجتاز إليهم ، فقام بطرس وجاء معهما ، فلما وصل صعدوا به إلى العلبة ، فوقفت لديه جميع الأرامل يبكون ويرين أقمص وثيابا مما كانت تعمل غزالة وهى معهن ، فأخرج بطرس الجميع خارجا وجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت إلى الجسد ، وقال : يا طبيثا قومى . ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها ، ثم نادى القديس والأرامل وأحضرها حية ، فصار ذلك معلوما فى يافا كلها فآمن كثيرون بالرب »(٢) .

ويفيض الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل بالكثير من صفات القداسة على بطرس ، ومعجزاته وقربه من الله وغير ذلك(٣) .

أما الحالة التى وردت فى أعمال الرسل فهى عن إحياء بولس لشاب سقط من مكان مرتفع فقام بولس وأحياه . « وكان شاب اسمه أفنيخوس جالسا فى الطاقة متثقلا بنوم عميق ، وإذ كان بولس يخاطب خطابا طويلا غلب عليه النوم فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحمل ميتا ، فنزل بولس ووقع عليه قائلا : لا تضطربوا لأن نفسه فيه . ثم صعد وكسر

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠١ ـــ ١٠٢ .
(٢) أعمال الرسل ٩ ـــ ٣٦ ـــ ٤٣ .
(٣) انظر الكنز الجليل جـ ٤ ص ١٢٩ .

خبزا وأكل وتكلم كثيرا إلى الفجر ، وهكذا خرجوا وأتوا بالفتى حيا ،وتعزوا تعزية ليست بالقليلة »[١] .

واعتبر إحياء بولس للشاب من المعجزات التى أظهرها بولس[٢] .

ثالثا : الطريقة الوجدانية :

لقد وردت الأمثلة عن الآخرة ومصير الأبرار والأشرار بعد الحساب ، مما يمكن أن نستنتج منه أن تلك الأمثلة[٣] كانت تخاطب الوجدان وتحرك المشاعر عن طريق تصوير مصير الأبرار والأشرار فى الآخرة . ورد فى إنجيل متى :

« يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله ، وفيما الناس قيام جاء عدوه وزرع زوانا فى وسط الحنطة ، ومضى ، فلما طلع النبات وصنع ثمرا حينئذ ظهر الزوان أيضا ، فجاء عبيد الرب وقالوا له : ياسيد أليس زرعا جيدا زرعت فى حقلك . فمن أين له زوان ؟ فقال لهم إنسان : عدو فعل هذا العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه ؟فقال : لا لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه ، دعوهما ينموان كلاهما إلى الحصاد ، وفى وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزماً ليحرق ، وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى . حينئذ صرف يسوع الجموع ، وجاء إلى البيت فتقدم إليه تلاميذه قائلين : فسر لنا مثل زوان الحقل . فأجاب وقال لهم : الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان ، والحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت . والزوان هو بنو الشرير ، والعدو الذى زرعه هو إبليس ،والحصاد هو انقضاء العالم ، والحصادون هم الملائكة ، فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم ، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ، حينئذ يضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم ،من له أذنان للسمع

---

(١) أعمال الرسل ٢٠ : ٧ — ١٣ . (٢) الكنز الجليل جـ ٤ ص ٣٦٧ .

(٣) يذهب بعض الباحثين إلى أن تلك الأمثلة خاصة فيما يتعلق بالملكوت . مقصود بها التبشير بنبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام . ولما كان النصارى لا يعتقدون ذلك فإنهم فسروا هذه الأمثلة على أنها مقصود بها اليوم الآخر وجزاء الأبرار والأشرار — انظر البشارة « نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » — للدكتور أحمد حجازى السقا .

ونحن مع المؤلف فيما ذكره إلا أننا نصور الآخرة حسب ما يعتقدون هم .

فليسمع »[1] :

ويفسر النصارى هذا النص على أنه إشارة إلى اليوم الآخر ومافيه من نعيم للأبرار وجحيم للأشرار ، وفسر الحصاد بأنه حصاد الله ، أى جمع العالم فى كل أزمانه من بدء الخليقة إلى يوم الدين من خير وشر لتميز الواحد عن الآخر وفصله عنه إلى الأبد ، انقضاء الدهر المشار إليه أى نهاية العالم ، فهو الوقت المعين للفصل والقضاء بين الأخيار والأشرار[2] .

ومثال آخر من الأمثلة التى تخاطب الوجدان وتحركه للعمل للآخرة ــ نجده فى إنجيل متى « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يامباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فآويتمونى ، عريانا فكسيتمونى ، مريضا فزرتمونى ، محبوسا فأتيتم إلى . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريبا فآويناك أو عريانا فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم : الحق الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم . ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عنى ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته ، لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى ، كنت غريبا فلم تأوونى ، عرياناً فلم تكسونى ، مريضا ومحبوسا فلم تزورونى ، فحينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا فلم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوا . فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى ، والأبرار إلى حياة أبدية »[3] .

وهذا النص فسر أيضا على أنه المراد منه بيان حال الأبرار والأشرار فى الآخرة ، وكيف يُحرم الأشرار من النعيم لأنهم لم يفعلوا الصالحات فى الدنيا ، وكيف يُنعم الأبرار فى

---

(١) متى ١٣ ــ ٢٤ ــ ٣١ – ٣٦ ــ ٤٣ .

(٢) الكنز الجليل جـ ١ ص ٢٢٠

(٣) متى ٢٥ ــ ٣١ ــ ٤٦ .

الحياة الأبدية لأنهم فعلوا الصالحات فى الدنيا»(١) .

ونأتى إلى المثال الأخير الذى ورد فى لوقا ، وهو من أوضح الأمثلة الوجدانية التى وردت فى الأناجيل ، ولأنه لا يحتمل أكثر من وجه ، كما ذكرنا عند عرض أمثلة الملكوت الواردة فى إنجيل متى .

ورد فى لوقا « كان إنسان غنى وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفها ، وكان مسكين اسمه لعاذر الذى طرح عند بابه مضروبا بالقروح يشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى ، بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه ، فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الغنى أيضا ودفن فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ، ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر فى حضنه ، فنادى وقال : ياأبى إبراهيم ارحمنى وارسل لعاذر ليبل طرف إصبعه ويبرد لسانى ؛ لأنى معذب فى هذا اللهيب . فقال إبراهيم :يا بنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعاذر البلايا ، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ، وفوق هذا كله بيننا وبينكم ، هوة عظيمة قد أثبتت ، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا . فقال : أسألك إذا ياأبت أن ترسله إلى بيت أبى ؛ لأن لى خمسة إخوة ؛ حتى يشهد لهم ، لكيلا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هنا . قال إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال : لا ياأبى إبراهيم ، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون . فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدقون »(٢) .

وهذا النص يشبه إلى حد ما ماورد فى القرآن الكريم من مثل قوله تعالى ﴿ **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾(٣) .

وقوله تعالى ﴿ **ولو ترى إذا وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾(٤) .

---

(١) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٤٣٨ — ٤٤٥ .
(٢) لوقا ١٦ : ١٩ — ٣١
(٣) الأعراف ٥٠ ، ٥١ .
(٤) الأنعام ٢٧ .

وقوله تعالى ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾(١) .

فهذه الآيات تبين نفس المعانى التى وردت فى نص لوقا ، مع الاختلاف فى طريقة العرض والأسلوب الذى تفرد به القرآن الكريم عن غيره ، ولا يزعجنا هذا التوافق بين بعض صحيح الإنجيل وصريح القرآن الكريم .

وأكتفى بهذه النصوص(٢) التى أعتقد أنها تمثل جانبا وجدانيا فى الحديث عن الآخرة وما فيها من نعيم للأبرار وعذاب للأشرار فى التصور النصرانى .

شبهات المنكرين للآخرة عند النصارى :

ورد فى الأناجيل بعض الشبهات التى أثارها منكرو القيامة ، ومن أشهر المنكرين للآخرة الذين ورد ذكرهم فى العهد الجديد : الصدوقيون ، وهم فرقة من اليهود كانت تنكر الآخرة ولا تعترف بالتقاليد الشفوية ، وقد وجهوا أسئلة وأثاروا اعتراضات فى وجه المسيح من أجل الآخرة ، وقد سجلت الأناجيل محاوراتهم مع المسيح ورده عليهم .ومن المنكرين للآخرة أيضا الذين ورد ذكرهم فى أعمال الرسل الأبيقوريون والرواقيون ، وقد دعاهم بولس للإيمان بالمسيح ودعوته فسخروا منه وازدادت سخريتهم بعد أن سمعوه يتحدث عن القيامة .

أولا : الصدوقيون :

ورد فى متى « فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة ، فسألوه قائلين : يا معلم قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلا لأخيه ، فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات وإذ لم يكن نسل ترك امرأته لأخيه وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فإنها كانت للجميع »(٣) .

---

(١) الأنعام ١١١ .

(٢) انظر على سبيل المثال متى ٨ ــ ١١ ــ ١٣ ، لوقا ١٣ ــ ٢٤ ــ ٢٨ . فهذه أمثلة وجدانية فى الاستدلال على الآخرة .

(٣) متى ٢٢ ــ ٢٣ ــ ٢٨ وانظر نفس القصة فى إنجيل مرقص ١٢ ــ ١٨ ــ ٢٧ وإنجيل لوقا ٢٠ ــ ٢٧ .

تلك هى شبهه الصدوقيين الذين ينكرون القيامة وكان أكثر رؤساء كهنة اليهود منهم . ذكروا للمسيح حادثة[1] من الممكنات البعيدة الوقوع ، وظن الصدوقيون ذلك اعتراضا منافيا لإمكان القيامة ، لأنهم فرضوا كأمر لابد منه أن الموتى إن قاموا بقوا على ما كانوا عليه فى الدنيا . أى أن المتزوجين هنا يكونون متزوجين هناك ، ولم يستطيعوا أن يتصوروا كيف يمكن أن تكون امرأة واحدة زوجة لسبعة فى وقت واحد فأنكروا القيامة لأنهم حسبوها ضربا من المحال »[2] .

ولقد ورد رد المسيح عليهم كما يقول إنجيل متى بقوله :« تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ؛ لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء . وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ليس الله إله أموات بل إله أحياء . فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه »[3] .

لقد فند المسيح شبهتهم واعتراضهم على قيامة الأجساد وبين أن سبب ضلالهم يرجع إلى أمرين :

أولا : جهالتهم بما حوته كتبهم الدينية التى اعترفوا أنها إلهية ، ويقصد بذلك أسفار موسى الخمسة ؛ لأن الصدوقيين كانوا لا يعترفون بالتعاليم الشفوية فأتى لهم بنص فى أسفار موسى الخمسه « ليس الله إله أموات بل إله أحياء » ووجه الدلالة فى هذا النص أنه بالرغم من موت إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا أن الله عز وجل لم يقل أنا كنت إلههم ؛ لأن الله ليس إله أموات بل إله أحياء .

ثانيا : أنهم لا يتصورون قوة الله وقدرته على جمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادتها ثانيا . ثم بين لهم أنهم فى الآخرة لا يتزوجون لأن الزواج خاص بالدنيا لبقاء النسل ، أما فى الآخرة فلا حاجة إلى نسل فلا زواج [4] هكذا يعتقد النصارى أنه لا زواج فى الآخرة ، وقد بينا

---

(١) كان اليهود عندهم تقليد أن المرأة إذا تزوجت رجلا ولم يكن له عقب فعليها أن تتزوج أخاه فإذا مات أيضا ولم ينجب تتزوج الأخ الثانى وهكذا ـــ ففرض الصدوقيون أن رجلاً له سبعة أخوة مات الأول على حسب معتقدهم فزوجها الثانى حتى السابع . يوم القيامة لمن تكون .

(٢) انظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٣٧٩ .

(٣) متى ٢٩ ـــ ٣٣ .

(٤) نظر الكنز الجليل جـ ١ ص ٣٧٧ .

عند حديثنا عن نعيم الجنة كيف أن هناك نصوصا فى الأناجيل تثبت أن الرجل إذا ترك امرأة فى الدنيا من أجل الله فله مائة ضعف ، أى مائة امرأة فى الحياة الأبدية(١) .

ولعله إذ نفى الزواج هناك لم ينف قيام علاقة أسمى فى صيغتها الأخروية من صيغتها الدنيوية التى قفلوا أذهانهم عليها ؟

وإذا تركنا الأناجيل وقرأنا رسائل بولس فإننا نجد أن مسألة إنكار الآخرة قد أثيرت أمام بولس ورد عليهم بولس بما سنذكره من نصوص .

ورد فى رسالة كورنثوس الأولى ما نصه « ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم إنه ليس قيامة أموات »(٢) .

ويرد بولس على منكرى القيامة بقوله : « فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم ونوجد نحن أيضا شهود زور لله ؛ لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون ؛ لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل أنتم بعد فى خطاياكم ، إذًا الذين رقدوا فى المسيح أيضا هلكوا . إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فإننا أشقى جميع الناس ، ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين »(٣) .

والنص الذى نقلناه عن بولس يثبت البعث بعد الموت ،ويدلل عليه رابطا بينه وبين قيامة المسيح من الموت ، ويجعل تلك القيامة هى المحور الذى يرتكز عليه البعث بل المسيحية كلها ؛ لأن إنكار قيامة المسيح إنكار للدعوة وللإيمان المسيحى ، ويعتبر أن إنكار قيامة المسيح إنكار لشهادة الشهود ويُعْتَبرون حينئذ شهود زور . وإنكار القيامة يترتب عليه — فى نظر بولس — أن الذين آمنوا بدعوة المسيح وتحملوا من أجله يكونون قد هلكوا ؛ لأنهم لن يقوموا لأخذ ثوابهم فى الآخرة . ويترتب على إنكار قيامة المسيح من الأموات أن يصبح الإيمان المسيحى مصدر شقاء بدلا من كونه مصدر سعادة بسبب عقيدة الآخرة .

---

(١) انظر ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ من هذا البحث

(٢) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ — ١٢ — ١٣ .

(٣) كورنثوس الأولى ١٥ — ١٤ — ٢١ .

والملاحظة التى نتوقف عندها أن بولس هو الوحيد الذى وجدنا أنه ربط بين قيامة المسيح من الأموات والبعث من الموت ، ورتب البعث على قيامته من بين الأموات . والأناجيل التى تحدثت عن قيامة المسيح لم تربط أدنى ربط بينها وبين البعث الأخير من الموت . وتُعتبر قيامة المسيح من القبر من أبرز القضايا التى اختلفت حولها الأناجيل إلى حد التناقض .

ولقد بحث كثير من الباحثين (١) قضية القيامة وأثبتوا التناقضات الصريحة التى وقع فيها كُتاب الأناجيل ، والتى إن دلت على شىء فإنما تدل على التدخل البشرى على وحى الله المتمثل فى الإنجيل الذى علمه الله لعيسى بن مريم ، ويثبت أيضا الدور الذى لعبه بولس فى هدم المسيحية عن عمد أو عن غير عمد ، فى جعله قيامة المسيح من الأموات المحور الذى ترتكز عليه المسيحية كلها ؛ لأن « كل قول لم يبصر فى مسيحية المسيح الحقة الفاضلة سوى الصلب والقيامة قد قادها إلى مغامرة خطرة وجعلها تحت رحمة التاريخ ، وإذا رجعنا إلى ما يسعفنا به التاريخ فى روايات القيامة والظهور لوجدناه فى غير صالح ذلك المفهوم الذى لم ير بولس شيئا غيره فى مسيحية المسيح »(٢) .

والتاريخ كما يقول أدولف هرنك يذكر بأن هناك عددا من النقاط مؤكدة تاريخيا منها « أن أحدا من خصوم المسيح لم يره بعد موته ، وأنه لا يمكن التحقق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها ، وأن القبر الذى كان خاليا فى اليوم الثالث لا يمكن اعتباره حقيقة مؤكدة تاريخيا بأى حال من الأحوال »(٣) .

ثانيا : الأبيقوريون والرواقيون :

وهناك بعض الإشارات إلى منكرى القيامة من الأبيقوريين والرواقيين ، الذين ورد ذكرهم فى سفر أعمال الرسل « فقابله قوم من الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين ، وقال بعض : ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول ، وبعض أنه يظهر مناديا بآلهة غريبة ؛ لأنه كان يبشرهم بيسوع والقيامة . ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون ،

---

(١) انظر على سبيل المثال دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ١٢١ — ١٢٣ — التحليلات القيمة المؤيدة بشهادة علماء اللاهوت فى الغرب لنصوص القيامة — فى كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٨٥ — ٢٩٩ وانظر الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ٤٨٢ — ٥٠٠ .

(٢) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٠٣ . (٣) نقلا عن المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٠٣

والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا أيضا »(١) .

ويبدو أن إنكارهم تمثل فى الاستهزاء والسخرية من دعوته للآخرة ، ولا يقدم سفر أعمال الرسل جواب بولس لهؤلاء الفلاسفة ، ولعل ما ورد فى رسالة كورنثوس الأولى يعطينا صورة عن الحجج التى قدمها بولس لإثبات القيامة ، والتى تقوم على إثبات قيامة المسيح من الأموات ،وضرورة الآخرة من ناحية الجزاء على ما قدمه الإنسان فى هذه الحياة الدنيا .

تعقيب على الاستدلال على اليوم الآخر بين النصرانية والإسلام :

بعد عرضنا للاستدلال على اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية نستطيع أن نبين أوجه الاتفاق والاختلاف بين طريقة الاستدلال فى الإسلام والنصرانية على اليوم الآخر .

أوجه الاتفاق :

أولا : يتفق الإسلام مع النصرانية فى بعض أدلة الوقوع ، حيث يذكر القرآن الكريم والأناجيل عددا من الحالات التى حدث لها البعث بعد الموت ، وهذه الحالات يستدل بها علماء الإسلام والنصرانية على إمكانية البعث فى الآخرة ، مع فارق جوهرى وهو أن الإسلام يبين أن الإحياء يكون معجزة للنبى كما حدث مع عيسى عليه السلام ،أما فى العهد الجديد فإن إحياء الموتى ينسب للمسيح عليه السلام . ويعتبر النصارى أن إحياء الموتى على يد المسيح دليل على أنه ابن الله وعلى غيره على أنه معجزة ، كما حدث مع بولس .

ثانيا : بالنسبة للطريقة الوجدانية فإن هناك اتفاقًا بين الإسلام والنصرانية من ناحية أن الأناجيل عرضت أمثلة يستدل بها علماء النصارى على أنها إشارة إلى الآخرة وما فيها من نعيم للأبرار وجحيم للأشرار ، وأيضا عرض القرآن الكريم الكثير من الأمثلة التى تبين النعيم للمؤمنين والجحيم للمكذبين ، ونلحظ فى الأدلة التى عرضها القرآن الكريم أنها تشير إلى الآخرة إشارة مباشرة بعكس أمثلة العهد الجديد . فضلا عن أن الأمثلة التى وردت فى القرآن الكريم كانت من الكثرة بمكان ، بعكس أمثلة الأناجيل ، فإنها غير مسهبة فى

---

(١) أعمال الرسل ١٧ ــ ١٨ ، ٣٢ ــ ٣٣ .

الوصف والعرض لمصير الأبرار والأشرار ، وعلماء النصارى يعترفون بعدم الأسهاب فى العهد الجديد فيما يتعلق بالآخرة .

ثالثا : بالنسبة لبولس فإننا نجد فى إحدى رسائله إشارة عقلية واحدة لإمكان البعث ، وفيها يشبه البعث بخروج الزرع من الحبة التى ماتت وبليت . وهذه هى الإشارة الوحيدة فى أعمال الرسل عن إمكان البعث بالقياس على خروج الزرع من الأرض .

أوجه الاختلاف :

أولا : خلو العهد الجديد من الأدلة العقلية الملزمة التى تثبت البعث وتستدل عليه بالقياس على نشأة الإنسان الأولى ، أو قياس الموت على النوم والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت ، بعكس ما نجد فى القرآن الكريم من تناوله لقضية البعث من جميع الجوانب التى تخاطب العقل والوجدان ، ليستدل على الآخرة وما فيها . وإذا كنا قد أثبتنا أثناء استدلالنا على الآخرة عند النصارى نصوصا لعلمائهم ، يثبتون من خلالها الآخرة من خلال الاستدلال بقدرة الله على الإعادة الثانية وأن ذلك هين على الله ــ فإننا أرجعنا ذلك إلى التأثر بالفكر الإسلامى ؛ لأنه لا توجد نصوص فى الأناجيل يستندون إليها فى استدلالهم .

ثانيا : خلو العهد الجديد من التفصيلات عن الآخرة ونعيمها وعذابها ، وخلوها أيضا من التفصيلات حول شبه المنكرين للآخرة والرد عليهم ،باستثناء ما ورد عن الصدوقيين والرواقيين .

ثالثا : مما تخالف فيه النصرانية الإسلام جعلها شخص المسيح هو الذى تدور حوله المسيحية بعقائدها ودعوتها ، وأوضح مثال على ذلك ما ورد فى رسائل بولس حول قيامة المسيح وربطه كل أمور المسيحية حول قيامة المسيح ، بعكس ذلك فى الإسلام الذى يعتبر أن الرسول ﷺ رسول قد خلت من قبله الرسل .

* * *

المبحث الثالث

الاستدال على الآخرة عند اليهود

أولا : أدلة الإمكان :

كما سبق وأوضحنا عند الحديث عن البعث كواقعة من واقعات الآخرة عند اليهود أن الإشارات عنه فى أسفار الأنبياء قليلة ، كما أن التوراة تخلو من الإشارة إليه ، وناقشنا ذلك عند الحديث عن البعث عند اليهود .

وفى هذا المبحث نحاول أن نستخلص ما يمكن اعتباره استدلالا على البعث من ناحية الإمكان فى الإشارات القليلة الورادة فى أسفار الأنبياء المتأخرين فى العهد القديم .

ورد فى أشعياء « تحيا أمواتك ، تقوم الجثث ، استيقظوا ترنموا يا سكان التراب ، لأن طلك طل أعشاب ، والأرض تسقط الأخيلة »[1] .

والنص وإن ذهب البعض[2] إلى أنه إشارة إلى القيامة السياسية لليهود ، إلا أننا نرى أنه يشير إلى البعث ؛ لأنه شبه اليهود بعشب قد يبس ثم نزل عليه المطر أى نعمة الله فانتعش واستيقظ وبعث بعد الموت . وهذا النص يشبه إلى حد ما بعض ما ورد فى القرآن الكريم من أدلة على بعث الموتى من قبورهم ، بالقياس على خروج الزرع من الأرض الميتة بعد نزول المطر عليها .

وهناك نص آخر فى سفر حزقيال يشير إلى إمكان البعث بعد الموت ، وهو : « أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرّب . هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : ها أنذا أدخل فيكم روحا فتحيون ، وأضع عليكم عصبا ، وأكسوكم لحما ، وأبسط عليكم جلدا ، وأجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب »[3] .

وهذا النص فسره البعض بأنه إشارة إلى قيامة اليهود سياسيا ، إلا أننا نرى أن النص ظاهر الدلالة على الآخرة ويشبه إلى حد ما قوله تعالى ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا** ﴾[4] .

---

(١) أشعياء ٢٦ — ١٩ .

(٢) انظر أشعياء مفصلا آية آية جـ ١ ص ٢٤٤ .

(٣) حزقيال ٢٧ — ٤ : ٧ .

(٤) الإسراء ٥٢ .

ولا يزعجنا هذا التشابه بين ما فى العهد القديم وبين ما نرى أنه يشبهه فى القرآن الكريم ما دمنا معترفين أن للعهد القديم أصلا سماوياً انحرف اليهود عنه .

ويستدل علماء اليهود على إمكان البعث بأدلة القدرة والإبداع لا على مثال سبق . يقول سعديا الفيومى فى معرض استدلاله على البعث وإمكانه وعدم صعوبته على الله : « لا نعلم يهوديا يخالف هذه الأمانة » البعث بعد الموت « ولا يستصعب عند عقله كيف يحيى ربه الموتى ، إذ قد صح له أنه خلق شيئا من لا شيء ، فلا يجوز أن يتعسر له أن يعيد شيئا من أشياء متفرقة »(١) .

ويقول : « ورأينا إحياء الموتى ، ولا شاهد يدفعه ، لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم ، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم ، ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من إختراع شيء لا من شيء »(٢) .

ونلاحظ أن استدلال سعديا الفيومى على إمكانية البعث بالقياس على النشأة الأولى للإنسان ـــ هذا الاستدلال هو الذى ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ **وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾(٣) .

وعلماء الكلام من الأشاعرة يستدلون بالآية السابقة على البعث ، لأن الإعادة مرة ثانية أيسر من النشأة الأولى . ويبدو أن الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث عند الأشاعرة « وسعديا الفيومى » جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن « سعديا » تأثر بعلماء الكلام فى كتابه « الأمانات والاعتقادات » ويلاحظ « أنه اتخذ منهجه من الأشعرية ومادته من المعتزلة ، وقد كتب سعديا الفيومى فلسفته الكلامية فى كتاب بالعربية اسمه « الأمانات والاعتقادات » والأمانات تشير إلى العقائد الدينية ، والاعتقادات تشير إلى المعارف المكتسبة بواسطة البحث العقلى ، ويذكر « فيدا » أن سعديا الفيومى تابع الكلام المعتزلى إنْ فى تنسيق أبواب الكتاب وإنْ فى مادته »(٤) .

واستدلالات « سعديا الفيومى » واضحة الدلالة على تأثره بالفكر الإسلامى كما نرى فى نصه السابق .

---

(١) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ . (٢) نفسه ص ٢١٣ . (٣) الروم ٢٧ .

(٤) الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ ـــ ٢٢ . الدكتور على سامى النشار عباس الشربينى ـــ الناشر منشأة دار المعارف بالإسكندرية .

ثانيا : أدلة الوقوع :

يذكر العهد القديم بعض الوقائع التى تعتبر برهانا عمليا على البعث من الموت ، ورد فى سفر الملوك الأول « وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيها نسمة ، فقالت لإيليا : مالى ولك يا رجل الله ، هل جئت إلىَّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى ؟ فقال لها : اعطينى ابنك . وأخذه من حضنها وصعد به إلى العُلية التى كان مقيما بها وأضجعه على سريره ، وصرخ إلى الرب وقال : يا أيها الرب إلهى أيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها . تمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه . فسمع الرب لصوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش »(١) .

ولسنا بصدد مناقشة اليهود فى التطاول على الله المتمثل فى قول إيليا فى مناجاته لله : « قد أسأت بإماتتك ابنها » ، وإنما نحن بصدد الاستدلال بذلك النص على وقوع الحياة بعد الموت »(٢) . ومع أن النص لم يربط مباشرة بين إحياء الصبى من الموت فى الدنيا والبعث فى الآخرة إلا أننا نفهم من فحوى النص أنه يدل على وقوع البعث فى الآخرة .

وورد فى سفر الملوك الثانى حالتان للبعث بعد الموت :

الحالة الأولى :

ورد فى سفر الملوك الثانى « ودخل اليشع البيت ، وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره ، فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب ، ثم صعدوا ، واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه ، فحن جسد الولد ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا ، وتارة إلى هناك ، وصعدا وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه ، فدعا حيجزى وقال : ادع هذه الشونمية . فدعاها ولما دخلت إليه قال : احملى ابنك . فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ، ثم حملت ابنها وخرجت »(٣) .

وهذه الواقعه تدل على إحياء اليشع للصبى الذى كان قد مات موتا حقيقيا ،

---

(١) سفر الملوك الأول ١٧ — ٧ — ٢٤ .

(٢) السنن القويم جـ ٤ ص ٣٣١ — ٣٣٢ .

(٣) سفر الملوك الثانى ٤٠ — ٣٢ — ٣٨

وسجود أمه للرب ، ولأنها رأت قوته فى العمل ، واعترفت أيضا بأن اليشع نبى الله لأنه أحيا ابنها من الموت[1] .

الحالة الثانية :

وهذه الحالة ليس فيها أن حيا أقام ميتا ولكن الميت أقام ميتا .

ورد فى سفر الملوك الثانى « ومات اليشع فدفنوه ، وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة ، وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر اليشع ، فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه »[2] .

ويفسر صاحب السنن القويم هذا النص بقوله :« وفيما كانوا يدفنون إسرائيليا فرأوا الغزاة ، فلم يكملوا أعمالهم حسب المقصود ، بل طرحوا الميت فى القبر الذى كان أقرب من غيره وهو قبر اليشع . وربما أن المقصود بهذه المعجزة التى ليست لها مثال فى الكتاب المقدس أن يتذكروا تعليم اليشع وهو حى ، وأن يتذكروا أن الرب موجود وقوته غير المحدودة موجودة وإن كان نبيه قد مات ، وأعظم شىء فى هذه المعجزة أن الميت أحيا ميتا »[3] .

ولسنا أيضا بصدد مناقشة كيف أن الميت أحيا ميتا ،ولكن النص يدل على أن أحد الأموات قد بعث حيا بعد موته وقد حدث هذا أمام الناس ، فالله الذى أحياه قادر على أن يحيى الناس أجمعين للقيامة .

وهذه الحالات الثلاث فى سفر الملوك الأول والثانى هى التى يستدل بها الأنبا يؤانس على أن العهد القديم يذكر ثلاث حالات تتضمن برهانا عمليا على البعث من الموت »[4]

ثالثا : الطريقة الوجدانية :

نظرا لعدم الإسهاب فى النصوص التى تتحدث عن الآخرة والاستدلال عليها فى العهد القديم . فإننا نحاول جاهدين العثور على أى إشارات وجدانية تخاطب اليهود للعمل لما عند الله ، والفوز بنعيمه ، والنجاة من عذابه . وهناك بعض النصوص فى المزامير من الممكن اعتبارها تمثل جانبا وجدانيا فى معرض استدلالنا على الآخرة عند اليهود .

---

(١) السنن القويم جـ ٤ ص ٣٧٥ .

(٢) سفر الملوك الثانى ١٣ ـ ٢٠ ـ ٢٢ .

(٣) السنن القويم جـ ٤ ص ٤١٠ .

(٤) انظر السماء للأنبا يؤانس ص ٩٩ .

ورد فى المزامير « أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك »[١] « لأنك لن تترك نفس فى الهاوية ، لن تدع تقيك يرى فسادا ، فعرفنى سبيل الحياة أمامك شبع وسرور فى يمينك نعمٌ إلى الأبد »[٢].

« إنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية لأنه يأخذنى »[٣] .

« برأيك تهدينى ، وبعد إلى مجد تأخذنى ، من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئا فى الأرض »[٤] .

هذه إشارات ضمنية[٥] عن البعث والنعيم عند الله يمكن اعتبارها طريقة وجدانية تحرك النفس البشرية . للإعتقاد بالآخرة والعمل لها .

تعقيب على الاستدلال على الآخرة بين اليهودية والإسلام :

بعد عرضنا للاستدلال على الآخرة عند اليهود نستطيع أن نبين أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين اليهود والمسلمين فى طريقة الاستدلال .

أوجه الاتفاق :

أولاً : أن بعض الإشارات الواردة عن البعث خاصة فى سفرى أشعياء وحزقيال تشبهان إلى حد ما ورد فى القرآن الكريم عند الاستدلال على الآخرة ، من قياس خروج الموتى على خروج الزرع من الأرض الميتة .

ثانياً : تشابه استدلال علماء اليهود على البعث مع استدلال علماء الإسلام ، من قياس النشأة الثانية وهوانها على الله على النشأة الأولى . وهذا ما جعلنا نرجح تأثر اليهود بعلماء الإسلام فى هذه القضية ، وأوضح مثال على ذلك « سعديا الفيومى » فى كتابه — الأمانات والاعتقادات — .

ثالثاً : أدلة الوقوع تتشابه مع ما ورد فى القرآن الكريم من نماذج عرضها الله عز وجل للذين بعثوا بعد موتهم ، وأيضاً الأدلة الوجدانية ، ولا يزعجنا هذا التشابه ما دمنا

---

(١) المزامير ١٧ — ٢٥ .

(٢) المزامير ١٦ — ١٠ — ١١ .

(٣) المزامير ٤٩ — ١٥ .

(٤) المزامير ٧٣ — ٢٤ — ٢٥ .

(٥) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ — ٧٤٩ .

المبحث الثالث

الاستدال على الآخرة عند اليهود

أولا : أدلة الإمكان :

كما سبق وأوضحنا عند الحديث عن البعث كواقعة من واقعات الآخرة عند اليهود أن الإشارات عنه فى أسفار الأنبياء قليلة ، كما أن التوراة تخلو من الإشارة إليه ، وناقشنا ذلك عند الحديث عن البعث عند اليهود .

وفى هذا المبحث نحاول أن نستخلص ما يمكن اعتباره استدلالا على البعث من ناحية الإمكان فى الإشارات القليلة الواردة فى أسفار الأنبياء المتأخرين فى العهد القديم .

ورد فى أشعياء « تحيا أمواتك ، تقوم الجثث » استيقظوا ترنموا يا سكان التراب ، لأن طلك طل أعشاب ، والأرض تسقط الأخيلة »[1] .

نعترف بأن لليهود كتاباً سماوياً انحرفوا عنه ، وقد تكون تلك التشابهات من بقايا الأصل السماوى الذى لم ينحرف .

أوجه الاختلاف :

أولاً : مما يختلف فيه التصور الإسلامى عن التصور اليهودى فى الاستدلال على الآخرة أن الإشارات عن الآخرة غير وافية ، ولا تعطى تفصيلاً لكثير من الجوانب التى تتعلق بأهم ركن عقائدى بعد الإيمان بالله ، بعكس القرآن الكريم الذى فصل كل ما يتعلق بالاستدلال على الآخرة من جميع النواحى العقلية والوجدانية والعملية .

ثانياً : أن أسفار موسى الخمسة تخلو تماماً من أى إشارة إلى الآخرة وما فيها .

ثالثاً : لا نجد فى العهد القديم ما نجده فى القرآن الكريم من عرض لشبه المنكرين للآخرة والرد عليهم وإقامة الحجج والبراهين على الآخرة وما فيها من نعيم للأبرار وجحيم للأشرار .

خاتمة فى أهم نتائج البحث

بعد عرضنا لليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية واليهودية أمكننا أن نخرج بالنتائج التالية :

أولاً : أن اليوم الآخر أحد الأسس العقائدية التى وجدت عند الجماعات البشرية منذ أن خلق الله الإنسان على ظهر الأرض . رأينا ذلك واضحاً عند القدماء المصريين الذين اعتقدوا فى البعث والحساب والجنة والنار ، وعرضنا ذلك عند البراهمة من الهنود الذين اعتقدوا أيضاً فى البعث والجزاء ، ورأينا ذلك أيضاً عند الفرس .

ثانياً : أن الاعتقاد فى الآخرة عند الجماعات البشرية الأولى كالمصريين والهنود والفرس ليس مرجعه إلى الترقى الفكرى والعقلى لهذه الجماعات كما يزعم البعض ، ولكن مرجعه إلى الوحى عن طريق الأنبياء ، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾(١) وقوله تعالى ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾(٢) الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ثالثاً : أن هناك بعض أوجه الشبه بين التصور الإسلامى والتصور النصرانى للمقصود بالآخرة ، ولكن التصور اليهودى لا يعطى صورة واضحة عن الآخرة والمقصود بها .

رابعاً : أن الإسلام يختلف عن النصرانية واليهودية فى عدم تقديم أسباب للموت ، وأن الموت بيد الله وحده ، وأن الله وحده هو المستحق للبقاء ، وكتب على كل الكائنات الفناء ، بعكس ما يوجد عند النصارى ، واليهود ، من ربط الموت بخطيئة آدم عليه السلام ، وأنه لولا الخطيئة التى وقع فيها آدم لما مات ولما ماتت الكائنات من بعده .

خامساً : اتفاق الإسلام مع النصرانية فى بعض علامات الساعة ، وأن ذلك من

---

(١) النحل ٣٦ . (٢) فاطر ٢٤ .

موافقة بقايا صحيح الإنجيل مع صريح القرآن الكريم فى هذا الشأن ، مع بعض التفصيلات التى يتميز بها الإسلام عن النصرانية فى هذا الصدد .

سادساً : أن البعث بمقدماته من نفخ الصور ونسف الجبال وانتثار الكواكب مما اتفق فيه التصور النصرانى مع التصور الإسلامى ، مع بعض التفصيلات التى اشتمل عليها التصور الإسلامى وخلا منها التصور النصرانى .

سابعاً : أن البعث عند اليهود لم يرد له ذكر فى التوراة الحالية ، وأن الإشارات التى وردت عنه فى أسفار الأنبياء مختلف حولها ، ولقد رجحنا بعض النصوص التى تشير إلى البعث عند اليهود ، وأوضحنا مجانبة بعض الباحثين للصواب ، الذين ذهبوا إلى أن اليهود لا يعتقدون فى البعث بناء على أن التوراة الحالية تخلو من الإشارة إلى البعث والحساب والجزاء ، وبينا أن اليهود بالرغم من اعترافهم بخلو التوراة عن البعث إلا أنهم يعتقدون فى البعث والجزاء ، بناء على التعاليم الشفوية التى نقلت إليهم عن الآباء ، ورددنا على ابن كمونة اليهودى فى زعمه أن موسى لم يوح الله إليه بالبعث فى التوراة لمعرفة اليهودى لها ، وبينا التحريف الذى مارسه اليهود للتوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام .

ثامناً : أن الحساب فى التصور الإسلامى يتفق مع التصور اليهودى ، إذ يعتقد اليهود أن الله وحده هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة ويجازيهم ، وهذا ما أكده القرآن الكريم وبينه الرسول ﷺ . بينما يختلف التصور النصرانى للحساب عن التصور اليهودى والتصور الإسلامى ؛ لأن النصارى يعتقدون أن المسيح هو الذى يتولى الحساب ، بناء على ادعائهم أن المسيح هو الإله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، وبينا خطأ بعض النصارى الذين استشهدوا بالسنة على ألوهية المسيح وحسابه للخلق يوم القيامة ، وأوضحنا أن ذلك تحريف للكلم عن مواضعه ومخالفة لأبسط قواعد البحث العلمى .

تاسعاً : أن الحوض والصراط والميزان مما اختص به الإسلام ، ولا توجد تلك الواقعات عند النصارى ولا عند اليهود .

عاشراً : أن الشفاعة فى الإسلام تكون فى الآخرة للرسول ﷺ ، يشفع لقوم يدخلون الجنة بغير حساب من أمته ، ولإراحة الناس من هول الموقف ، ولإخراج عصاة المؤمنين من النار ، والرسول ﷺ يتجه بالشفاعة إلى الله ، أما النصارى فإن الشفاعة عندهم فى الدنيا لا الآخرة ، وإن غفران الخطايا والذنوب فى سلطة المطارنة والقساوسة ،

وإن هذه الصورة التى يعتقدها النصارى ضرب من التأليه للقساوسة الذين يتوجه إليهم بطلب مغفرة الذنوب والخطايا . أما اليهود فلا شفاعة عندهم فى الآخرة ، إذ أنهم يعتقدون بداية وهم فى الدنيا أنهم لن يدخلوا النار إلا أياماً معدودات . وبينا كذبهم فى ذلك وتصوير القرآن الكريم لمقالتهم ورده عليهم .

حادى عشر : أن الجنة فى التصور الإسلامى تختلف اختلافاً كبيراً عن تصور النصارى واليهود لها . فبينما يثبت القرآن الكريم أنواعاً متعددة من النعيم الحسى والمعنوى فى الجنة للمؤمنين والمؤمنات ؛ فإن النصارى واليهود يقولون بخلو الجنة من النعيم الحسى ، ولقد بينا بنصوص كثيرة النعيم الحسى فى الأناجيل الذى يتمثل فى الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك فى الجنة ، وأيضاً بعض الإشارات عند اليهود فى أسفار الأنبياء . وأما النار فإن هناك شبه اتفاق بين التصور الإسلامى ، والتصور النصرانى والتصور اليهودى ، خاصة فى الجمع بين العذاب المعنوى والعذاب الحسى للعصاة ، مع اختلاف التصور الإسلامى عن التصور النصرانى والتصور اليهودى فى التفصيلات الكثيرة لأمور الآخرة بوجه عام والجنة والنار بوجه خاص .

ثانى عشر : أن رؤية الله فى الآخرة مما اتفق فيه التصور الإسلامى والتصور اليهودى ، مع الإسهاب فى التصور الإسلامى والإشارات العابرة فى التصور اليهودى ، وأن التصور النصرانى لرؤية الله فى الآخرة فى غاية الاضطراب ، فبينما تنفى بعض نصوص الأناجيل الرؤية عن البشر فى الآخرة لله ، إذا ببعض النصوص الأخرى تثبت الرؤية . وهناك اضطراب أيضاً فى الذى يرى هل هو الله خالق السموات والأرض ، أو المسيح الذى يؤلهه النصارى . ولقد بينا هذا الاضطراب والتناقض عند النصارى .

ثالث عشر : أن البعث فى التصور الإسلامى يكون بالروح والجسد يوم القيامة ، وآيات القرآن الكريم تثبت ذلك والرسول ﷺ بين ذلك أتم بيان وأوفاه ، وأن المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة والغزالى والمحاسبى من الصوفية يثبتون ذلك ولا يخرجون عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تثبت البعث الجسدى .

رابع عشر : أن ابن سينا من الفلاسفة خالف جمهور المسلمين حين قال بالبعث الروحانى وأنكر البعث الجسمانى ، مدعياً أن آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن البعث الجسمانى مخاطب بها العامة لا الخاصة . ولقد فندنا شبهته تلك فى قصة العزير حين أراه الله

قدرته على إحياء الجسد بعد الموت وقدرته على كسوة العظام باللحم فى الآخرة ، و بما ورد فى قصة إبراهيم حين طلب من الله كيفية إحياء الموتى ، والطريقة كانت واحدة فى إثبات البعث الجسمانى بالنسبة للعزير ولإبراهيم عليه السلام .

خامس عشر : أن النصارى مضطربون فى حقيقة الجسم الذى سيبعث يوم القيامة ، فمرة يقولون بالبعث الجسدى ، ومرة يقولون بالبعث الروحانى ، وأخيراً تبنوا رأى « بولس » الذى يقول بالبعث الجسمانى الروحانى .

سادس عشر : أن اليهود يقولون ببعث الجسد والروح فى الآخرة ، وإن كان بعض فلاسفتهم قالوا بالبعث الروحانى كفيلون السكندرى .

سابع عشر : أن نصوص القرآن الكريم تثبت النعيم والعذاب الحسيين والمعنويين ، كذلك أيضاً بالنسبة للنعيم والعذاب ، وأن المتكلمين والصوفية يثبتون ذلك ، ولم يشذ إلا ابن سينا ومن سلك مسلكه من الفلاسفة حين قال بأن النعيم فى الجنة يتمثل فى لذة الرؤية لوجه الله الكريم ، ويصرف النصوص القرآنية التى وردت عن الطعام والشراب والنكاح فى الجنة بقوله إنها مخاطب بها العامة لا الخاصة من الناس ، ونفس الشىء قاله بالنسبة للعذاب ، فالعذاب فى رأيه مقصور على غضب الله وعدم نظره للمعذبين ، أما السلاسل والأغلال والسعير والحميم التى ذكرت فى القرآن لعذاب أهل النار فيقول عنها ابن سينا أنها لزجر العامة لا الخاصة .

ثامن عشر : أن النصارى واليهود تناقضوا تناقضاً واضحاً بين الثابت فى كتبهم وبين عقيدتهم ، فيما يتعلق بالجنة ونعيمها ، فبينما ينفى النصارى أى نعيم حسى فى الجنة ويجادلون المسلمين ويتهمونهم بعدم تنزيه الآخرة عن أمور الدنيا ، إذا بنصوص الأناجيل تثبت كل الأمور التى جادلوا المسلمين فيها من الطعام والشراب والنكاح فى الجنة ، وهذا عين التناقض ونحن نلزمهم بما فى كتبهم أن يلتزموه ، أما أن ينص على شىء فى كتبهم ويعتقدوا خلافه فهذا هو التحريف بعينه .

كذلك فعل اليهود فبالرغم من بعض الإشارات عن الجنة ونعيمها فى العهد القديم إلا أن علماء اليهود يؤولون النصوص عن ظاهرها ، وهذا يدل على التحريف الذى مارسه اليهود فى الوحى ، بداية فى عدم إثبات الكثير مما يتعلق بالآخرة كما أوضحنا ، وثانية فى الفهم المنحرف للنصوص التى نجت من التحريف .

تاسع عشر : أن الأدلة التى عرضها القرآن الكريم فى الاستدلال على البعث والحياة الأخرى بلغ لدرجة لامثيل لها من الإقناع والتدليل على الحياة بعد الموت ، وقياس إحياء الأرض الميتة بعد نزول الماء عليها على البعث بعد الموت ، ومن قياس الموت على النوم والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت .

عشرون : أن الأدلة الوجدانية التى استخدمها القرآن الكريم من عرض مشاهد أهل الجنة وأهل النار فى الآخرة طريقة فريدة ، تخاطب الوجدان وتحرك المشاعر للإيمان باليوم الآخر وما فيه ، وأن المنهج العملى المتمثل فى الإنذار بالآخرة منهج تفرد به الإسلام عن النصرانية واليهودية .

واحد وعشرون : أن الأناجيل خلت من الاستدلال عن البعث بأدلة عقلية ، وتفرد بولس فى رسائله بضرب الأمثلة وقياس البعث من الموت على خروج البذرة من الأرض ، وأن علماء النصارى تأثروا فى بعض استدلالاتهم بعلماء الإسلام .

اثنان وعشرون : أن التوراة الحالية خلت من أى استدلال على الآخرة وما يقع فيها ، وأن علماء اليهود تأثروا تأثراً كبيراً بالفكر الإسلامى فى الاستدلال على الآخرة .

ثالث وعشرون : سنفرد رسالة خاصة لأثر الاعتقاد باليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام فى جزء تالٍ إن شاء الله .

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

راعينا فى ترتيب المصادر والمراجع الترتيب الأبجدى ، وقسمنا المصادر والمراجع إلى مصادر إسلامية وعربية وبدأنا بها ثم بعد ذلك المصادر التى تبحث فى الفلسفات والديانات الأخرى ، بصرف النظر عن المؤلف .

القرآن الكريم .

كتب السنة :

* **البخارى :** الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى البخارى ت ٢٥٦ هـ .

١ ـــ صحيح البخارى « بحاشية السندى » مكتبة زهران ـــ القاهرة .

* **الترمذى :** محمد بن عيسى الترمذى ت ٢٧٩ هـ .

٢ ـــ الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذى . تحقيق أحمد محمد شاكر ـــ محمد فؤاد عبد الباقى ـــ إبراهيم محمد عطوة ـــ دار الفكر بيروت .

* **ابن حنبل :** الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى ت ٢٤١ هـ .

٣ ـــ مسند أحمد بن حنبل ـــ دار الفكر العربى ـــ القاهرة .

* **عبد الباقى :** الأستاذ . محمد فؤاد عبد الباقى.

٤ ـــ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . وزارة الأوقاف بالكويت ١٩٧٧

* **ابن ماجه :** أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعى القزوينى ت ٢٧٥ هـ.

٥ ـــ سنن ابن ماجه تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقى ـــ دار الفكر بيروت .

* **مسلم :** الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ت ٢٦١ هـ .

٦ ـــ صحيح مسلم ـــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه . واعتمدنا على النسخة غير المحققة لنفس الناشر .

* **النسائى** : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن دينار النسائى ت ٣٠٢ هـ.
٧ ـــ سنن النسائى . دار الفكر . بيروت ـــ الطبعة الأولى .

المصادر الإسلامية العربية :

* **الأشعرى** : الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ت ٣٣٠ هـ .
٨ ـــ الإبانة عن أصول الديانة ـــ المطبعة السلفية ـــ الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .
٩ ـــ اللمع فى الرد على أهل الأهواء والبدع . تحقيق الدكتور حمودة غرابة نشر مكتبة الخانجى ١٩٥٥ م .
١٠ ـــ مقالات الإسلاميين . تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد ـــ مكتبة دار النهضة المصرية ـــ الطبعة الثانية ١٩٦٩ .

* **الألوسى** : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى ت ١٢٧٠ هـ .
١١ ـــ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ـــ دار الطباعة المنيرية الطبعة الثانية .

* **أبو السعود** :
١٢ ـــ تفسير العلامة أبى السعود . إدارة الطباعة الجمعية العلمية الأزهرية الملاوية المصرية ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .

* **الإيجى** : العلامة عضد الملة والدين . عبد الرحمن بن أحمد الإيجى .
١٣ ـــ شرح السيد على المواقف . دار الطباعة العامرة ١٢٥٧ هـ .

* **البغدادى** : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى ت ٤٢٩ هـ .
١٤ ـــ أصول الدين ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨١ .
١٥ ـــ الفرق بين الفرق ـــ دار الآفاق الجديدة ـــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٣ م .

* **البغوى** : الإمام أبو محمد الحسين بن سعود البغوى الفراء .
١٦ ـــ تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ـــ تحقيق خالد عبد الرحمن العك ـــ مروان سوار ـــ دار المعرفة . بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .

* **البيجورى** : الإمام إبراهيم البيجورى .
١٧ ـــ تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد . طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية .

* **الدكتور** : بركات دويدار .
١٨ ــ الوحدانية . الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧ م .
* **محمد البهى** : الدكتور محمد البهى .
١٩ ــ الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى . الطبعة الثامنة . مكتبة وهبة .
* **ابن تيمية** : الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى ت ٧٢٨ هـ .
٢٠ ــ مجموع الفتاوى ابن تيمية ــ الناشر مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .
٢١ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . الناشر مكتبة المدنى .
٢٢ ــ درء تعارض العقل مع النقل . تحقيق الدكتور رشاد سالم ــ دار الكتب القاهرة ١٩٧١ .
* **التفتازانى** : العلامة سعد الدين سعود بن عمر التفتازانى .
٢٣ ــ مقاصد الطالبين فى علم أصول الدين ــ دار الطباعة العامرة بدار الخلافة ١٢٧٧ هـ .
* **الجرجانى** : السيد الجرجانى .
٢٤ ــ التعريفات الناشر . مكتبة البابى الحلبى ١٩٣٨ م .
* **جودة المهدى** : الدكتور جودة أبو اليزيد المهدى ..
٢٥ ــ قصد السبيل فى التفسير الموضوعى لآى التنزيل ــ مطبعة الأنوار المحمدية الطبعة الأولى .
* **الجوينى** : إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجوينى ت ٤٧٨ هـ .
٢٦ ــ الإرشاد إلى قواعد الأدلة . تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ــ الناشر مكتبة الخانجى ١٩٥٠ م .
٢٧ ــ لمع الأدلة فى قواعد أهل السنة والجماعة ــ تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ الطبعة الأولى ١٩٦٥ .
* **ابن حجر** : الحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ .

* **الشامى** : الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى .
٥٣ ــ سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد . تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤
* **الشهرستانى** : الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ت ٥٤٩ هـ .
٥٤ ــ الملل والنحل . بهامش الفصل لابن حزم ــ مكتبة السلام العالمية .
* **الشيرازى** : صدر الدين الشيرازى .
٥٥ ــ حقائق البعث والنشور . تحقيق عبد القادر عطا . دار التراث العربى ــ الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .
* **الأصفهانى** : أبو الثناء شمس الدين الأصفهانى ت ٧٤٩ هـ .
٥٦ ــ مطالع الأنظار ــ بدون تاريخ ولا ناشر .
* **الطبرى** : الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى .
٥٧ ــ جامع البيان فى تفسير القرآن ــ طبعة دار المعرفة ــ بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ــ وطبعة دار المعارف . تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر .
* **الطوفى** : نجم الدين الطوفى البغدادى ت ٧١٦ هـ .
٥٨ ــ الانتصارات الإسلامية . تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ــ مطبعة دار البيان ــ مصر .
* **عبد الجبار** : قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمذانى الأسد أبادى ت ٤١٥ هـ .
٥٩ ــ التكليف من المغنى الجزء الحادى عشر ــ الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ــ طبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٥ .
٦٠ ــ تنزيه القرآن عن المطاعن ــ بدون تاريخ ولا ناشر
٦١ ــ شرح الأصول الخمسة . تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم . تحقيق الدكتور . عبد الكريم عثمان ــ نشر مكتبة وهبة .
* **عبد الحليم محمود** : الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود .
٦٢ ــ التفكير الفلسفى فى الإسلام ــ دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢ م .
* **عبد الجليل شلبى** : الدكتور عبد الجليل عبده شلبى .
٦٣ ــ صور استشراقية ــ نشر مجمع البحوث الإسلامية .

* **الدكتور** : عبد الغنى عبود .
٦٤ ـــ اليوم الآخر والحياة المعاصرة ـــ دار الفكر العربى ١٩٧٨ م
* **الأستاذ** : عبد الكريم الخطيب .
٦٥ ـــ الله والإنسان ـــ الناشر دار الفكر العربى .
* **ابن العز** : قاضى القضاة العلامة صدر الدين على بن على بن أبى العز الحنفى ت ٧٩٢ هـ .
٦٦ ـــ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ـــ تحقيق أحمد محمد شاكر ـــ الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ .
* **ابن عساكر** : أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى .
٦٧ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير المعروف بابن عساكر ـ الناشر دار المسيرة بيروت ١٩٧٩.
* **عوض الله حجازى** : فضيلة الدكتور . عوض الله حجازى .
٦٨ ـــ مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام . الناشر الأنوار المحمدية ـــ الطبعة الثانية .
* **غرابة** : فضيلة الدكتور حمودة غرابة .
٦٩ ـــ ابن سينا بين الدين والفلسفة ـــ الناشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٢ م .
* **الغزالى** : الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ت ٥٠٥ هـ .
٧٠ ـــ إحياء علوم الدين ـــ طبعة دار الشعب .
٧١ ـــ الأربعين فى أصول الدين ـــ نشر دار الآفاق بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٢ م .
٧٢ ـــ الاقتصاد فى الاعتقاد ـــ الناشر مكتبة الجندى .
٧٣ ـــ تهافت الفلاسفة ـــ تحقيق الدكتور سليمان دنيا الطبعة السادسة دار المعارف .
٧٤ ـــ الاقتصاد فى الاعتقاد ـــ الناشر مكتبة الجندى .
٧٥ ـــ سر العالمين . الناشر مكتبة الجندى ١٩٦٨ .
٧٦ ـــ المحبة والشوق والأنس والرضا الطبعة الأولى ١٩٦١ عيسى الحلبى .
٧٧ ـــ المنقذ من الضلال ـــ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود . الناشر دار الكتب الحديثة ـــ الطبعة الخامسة ١٩٦٥ .
٧٨ ـــ ميزان العمل . الناشر مكتبة الجندى .
٧٩ ـــ نفخ الروح والتسوية ـــ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا ـــ الناشر مكتبة

المدينة المنورة ١٩٧٩ ـــ مصر .
* **ابن قدامة** : أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة .
٨٠ ـــ المغنى ـــ الناشر ـــ مكتبة الكليات الأزهرية .
* **القرافى** : الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافى .
٨١ ـــ الأجوبة الفاخرة بهامش كتاب الفارق بين الخالق والمخلوق ـــ مطبعة الموسوعات ـــ مصر .
* **القرطبى** : الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر فرج الأنصارى ت ٧٦١ هـ .
٨٢ ـــ الإعلام بما فى دين النصارى من الأوهام ـــ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا الناشر دار التراث العربى .
٨٣ ـــ التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة . تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
* **ابن قيم الجوزية** : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقى ت ٧٥١ هـ .
٨٤ ـــ حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ـــ مكتبة المتنبى القاهرة .
٨٥ ـــ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ـــ الناشر المكتبة القيمة الطبعة الثانية تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .
* **ابن كثير** : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى ت ٧٧٤ هـ .
٨٦ ـــ تفسير القرآن العظيم ـــ دار إحياء الكتب العربية ـــ عيسى البابى الحلبى .
٨٧ ـــ النهاية فى الفتن والملاحم . تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ـــ دار التراث الإسلامى بالأزهر .
* **الكندى** : أبو يوسف بن إسحاق الكندى ت ٢٦٠ هـ .
٨٨ ـــ رسائل الكندى الفلسفية . تحقيق الدكتور عبد الهادى أبو ريدة ـــ دار الفكر العربى ١٩٥٠ .
* **المباركفورى** : الإمام الحافظ أبو العلى محمد عبد الرحمن المباركفورى ت ١٣٥٣ هـ .

٨٩ ــ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ــ الناشر محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ .

* **المحاسبى** : أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى .

٩٠ ــ التوهم ــ بدون ناشر ولا تاريخ .

* **رشيد رضا** : الشيخ محمد رشيد رضا .

٩١ ــ تفسير المنار ــ الناشر الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

٩٢ ــ الوحى المحمدى ــ الناشر مكتبة القاهرة ــ الطبعة السادسة ١٩٦٠.

* **محمد الغزالى** :

٩٣ ــ ركائز الإيمان ــ الناشر دار الأنصار ــ القاهرة .

* **محمد قطب** : الأستاذ محمد قطب .

٩٤ ــ دراسات قرآنية ــ دار الشروق .

* **ابن مسكويه** :

٩٥ ــ تهذيب الأخلاق ــ منشورات ــ دار مكتبة الحياة ــ بيروت الطبعة الثانية .

* **موسى شاهين** : فضيلة الدكتور / موسى شاهين لاشين .

٩٦ ــ فتح المنعم بشرح صحيح مسلم . مطبعة دار التراث العربى ــ الطبعة الثانية.

* **ناصر الدين الإسكندرى** : الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منير الإسكندرى .

٩٧ ــ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ــ هامش الكشاف للزمخشرى طبعة عيسى البابى ١٩٧٢ .

* **النسفى** : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى .

٩٨ ــ تفسير النسفى ــ الناشر عيسى البابى الحلبى .

* **النووى** : أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ت ٦٧٦ هـ .

٩٩ ــ صحيح مسلم بشرح النووى ــ المطبعة العربية ومكتبتها ــ القاهرة .

* **النيسابورى** : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابورى .

١٠٠ ــ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش تفسير الطبرى ــ دار المعرفة . بيروت لبنان .

* **ابن الهمام:** كمال الدين بن الهمام .
١٠١ ــ المسايرة فى علم الكلام . المكتبة المحمودية التجارية ــ الطبعة الأولى .
* **وحيد الدين:** الأستاذ وحيد الدين خان .
١٠٢ ــ الإسلام يتحدى ــ ترجمة ظفر الإسلام خان مكتبة القرآن .
* **ابن الوزير:** العلامة محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى ت ٨٤٠ هـ .
١٠٣ ــ إيثار الحق على الخلق . الناشر دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ .
* **يحيى هاشم:** فضيلة الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل .
١٠٤ ــ الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية . الناشر دار الفكر العربى ١٩٧٨ .
١٠٥ ــ فلسفة الإنذار ــ مطبعة عبيد حدائق حلوان ــ الطبعة الأولى ١٩٨٤ .
١٠٦ ــ فلسفة التسليم ــ مكتبة بالإمارات عام ١٩٨٢ .

المصادر التى تبحث فى الديانات والفلسفات بصرف النظر عن المؤلف:

١٠٧ ــ التوراة السامرية . تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا . الناشر دار الأنصار .
١٠٨ ــ السنن القويم فى تفسير العهد القديم ــ مجموعة من اللاهوتيين صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ .
١٠٩ ــ إنجيل برنابا ــ ترجمة الدكتور / خليل سعادة الناشر مكتبة محمد صبيح ١٩٥٨ .
١١٠ ــ العهد القديم .
١١١ ــ العهد الجديد .
* **إبراهيم لوقا:** القس إبراهيم لوقا .
١١٢ ــ المسيحية فى الإسلام . الناشر دار النشر القبطية ــ الطبعة الثانية .
* **أحمد أمين:** الأستاذ أحمد أمين .
١١٣ ــ قصة الفلسفة اليونانية . بالاشتراك مع الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة السابعة ــ الناشر لجنة التأليف والترجمة .
* **أحمد شلبى:** الدكتور أحمد شلبى .
١١٤ ــ اليهودية . الناشر النهضة المصرية ١٩٧٣ ــ الطبعة الثالثة .
١١٥ ــ أديان الهند الكبرى . دار النهضة المصرية .
* **أحمد عبد الغفور:** الشيخ أحمد عبد الغفور .

١١٦ ــ الديانات والعقائد فى مختلف العصور ــ الطبعة الأولى ــ مكة المكرمة .
* **أحمد عبد الوهاب** : المهندس / أحمد عبد الوهاب .
١١٧ ــ المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ــ الناشر مكتبة وهبة .
* **المحرق** : الأبيل إسحاق المحرق .
١١٨ ــ دينونة البشر العامة ــ مطبعة فيكتور كيرلس . القاهرة ١٩٨٤ .
* **أدولف ارمان** :
١١٩ ــ ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ــ ترجمة الدكتور عبد المنعم وآخرون الناشر مصطفى البابى الحلبى .
* **إميل بريهية** :
١٢٠ ــ الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندرى . ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى . الناشر مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤ .
* **أنطون ذكرى** :
١٢١ ــ الأدب والدين عند قدماء المصريين ــ الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها ١٩٢٣ .
* **آى بى براناتيس** :
١٢٢ ــ فضح التلمود ــ تعاليم الحاخاميين السرية دار النفائس بيروت ١٩٨٣ .
* **بنيامين بنكرتين** :
١٢٣ ــ تفسير إنجيل متى الطبعة الثالثة ١٩٨١ .
* **البيرونى** : أبو الريحان بن أحمد البيرونى .
١٢٤ ــ تحقيق ما للهند من مقولة . الناشر عالم الكتب ــ الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
* **جرهاردوس فوس** :
١٢٥ ــ علم اللاهوت الكتابى ترجمة الدكتور عزت زكى . الناشر دار الثقافة ٨٢ حبيب سعد .
١٢٦ ــ أديان العالم ــ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .
* **الدكتور** : عبد المنعم الحنفى .
١٢٧ ــ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية . دار المسيرة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠ .
١٢٨ ــ عقائد أساسية مدخل فى علم اللاهوت . الدكتور دونالدد يمارى ترجمة شاكر إبراهيم ــ الناشر مكتبة النيل المسيحية .

١٢٩ ــ تراث العالم القديم . ترجمة زكى سوس . الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .
* الدكتور : رؤوف شلبى : فضيلة الدكتور متولى يوسف شلبى .
١٣٠ ــ الأديان القديمة فى الشرق . دار الشروق ــ الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
* رشاد فكرى :
١٣١ ــ تفسير حزقيال ــ الناشر مكتبة كنيسة الأخوة .
* الدكتور : رفقى زاهر :
١٣٢ ــ أعلام الفلسفة الحديثة ــ الناشر النهضة المصرية ــ الطبعة الأولى ١٩٧٩ .
* روبير كليمان اليسوعى :
١٣٣ ــ إيماننا الحى . الناشر دار المعرفة ١٩٦١ .
* زكى شنودة :
١٣٤ ــ تاريخ الأقباط ــ الناشر جمعية التوفيق القبطية ــ الطبعة الأولى ١٩٦٢ .
* الشيخ : محمد أبو زهرة :
١٣٥ ــ الديانات القديمة . الناشر دار الفكر العربى .
سعديا الفيومى :
١٣٦ ــ الأمانات والاعتقادات ــ طبعة لندن ١٨٨٢ .
* الدكتور : كامل سعفان .
١٣٧ ــ اليهود تاريخا وعقيدة ــ نشر دار الهلال عدد أبريل ١٩٨١ .
* الأستاذ : سليمان مظهر .
١٣٨ ــ قصة الديانات ــ دار الوطن العربى .
* الدكتور : أحمد سوسة .
١٣٩ ــ مفصل العرب واليهود فى التاريخ . طبع دار الحرية نشر دار الرشيد العراق ١٩٨١ .
* القمص : سيد أروس عبد المسيح .
١٤٠ ــ دراسات فى علم الإسخاطولجيا ــ الناشر الكلية الإكليريكية بشبين الكوم .
* شارل جيبير :
١٤١ ــ المسيحية نشأتها وتطورها ــ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود الناشر دار المعارف .

* **الدكتور**: شمعون يوسف مويال .
١٤٢ ــ التلمود أصله وتسلسله وآدابه . مطبعة العرب ١٩٠٩ م .
* **الأستاذ** : شوقى عبد الناصر .
١٤٣ ــ بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود .
* **الدكتور** : حسن ظاظا :
١٤٤ ــ الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ــ الناشر مكتبة سعد رأفت بالإسكندرية ١٩٧٥ .
* **الأستاذ** :ظفر الإسلام خان .
١٤٥ ــ التلمود تاريخه وتعاليمه ــ دار النفائس بيروت .
* **عبد الله الترجمان الأندلسى :**
١٤٦ ــ تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ــ تحقيق الدكتور محمد على حماية دار الثقافة للطباعة والنشر .
* **العقاد** : الأستاذ / عباس محمود العقاد :
١٤٧ ــ الله ــ كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية دار المعارف ١٩٦٩ . الطبعة السادسة .
١٤٨ ــ عبقرية المسيح ــ كتاب اليوم ١٩٥٣ .
* **الدكتور** : عمارة نجيب .
١٤٩ ــ الإنسان فى ظل الأديان ــ المكتبة التوفيقية ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ .
* **القمص** : عوض سمعان .
١٥٠ ــ الكهنوت ــ الناشر دار الثقافة ــ الطبعة الثانية .
* **غلاب**: الدكتور محمد غلاب .
١٥١ ــ الفلسفة الشرقية ــ بدون تاريخ ولا نشر .
* **القس** : فايز فارس.
١٥٢ ــ حقائق أساسية فى الإيمان المسيحى ــ الناشر دار الثقافة ــ الطبعة الأولى .
* **الدكتور**: أبو الغيط الفرت .
١٥٣ ــ بولس والمسيحية ــ دار الطباعة المحمدية ــ الطبعة الأولى .
* **القس الدكتور** : فهيم عزيز .
١٥٤ ــ الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس . الناشر دار الثقافة .

* كارل ويمز الكبير :
١٥٥ ــ الأمور المتيقنة عندنا ــ الناشر المجمع العام لكنائس الله .
* كلايد تارنر .
١٥٦ ــ هذه عقائدنا دار المنشورات المعمدانية ــ بيروت ١٩٧٢ .
* ابن كمونة : سعيد بن منصور بن كمونة اليهودى .
١٥٧ ــ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ــ الناشر دار الأنصار .
* كوستلى بندلى :
١٥٨ ــ مدخل إلى العقيدة المسيحية ــ منشورات النور بيروت .
* مراد فرج :
١٥٩ ــ شعار الخضر فى الأحكام الشرعية الإسرائيلية . مطبعة دار الرغائب ١٩١٧ .
* موريس بوكاى :
١٦٠ ــ دراسة الكتب المقدسة ــ الناشر دار المعارف .
* القمص : ميخائيل مينا .
١٦١ ــ علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية ــ مطبعة رمسيس ١٩٧٤.
١٦٢ ــ علم اللاهوت النظامى مجموعة من اللاهوتيين الناشر ــ دار الثقافة .
* ميشيل ميتيم :
١٦٣ ــ شرح التعليم المسيحى مطبعة الإحسان حلب ١٩٥٢ .
* ناشد حنا :
١٦٤ ــ أشعياء مفصلاً آية آية .
* النشار : الدكتور على سامى النشار :
١٦٥ ــ الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية . بالاشتراك مع الأستاذ عباس الشربينى ــ الناشر منشأة دار المعارف بالإسكندرية .
* وافى : الدكتور على عبد الواحد وافى :
١٦٦ ــ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ــ الناشر دار نهضة مصر ١٩٧١.
* وول ديورانت :
١٦٧ ــ قصة الحضارة ــ الجزء الثانى من المجلد الأول ترجمة محمد بدران . الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* **وليم ادى :**
١٦٨ ـــ الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ـــ الناشر مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ .
* **الأنبا يؤانس . أسقف الغربية :**
١٦٩ ـــ السماء ـــ بدون ناشر .
* **الأستاذ :** يوسف كرم .
١٧٠ ـــ تاريخ الفلسفة اليونانية . الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر .

المعاجم :

* **جبران مسعود :**
١٧١ ـــ الرائد . الناشر ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت ١٩٦٥ .
* **الدكتور :** جميل صليبا .
١٧٢ ـــ المعجم الفلسفى ـــ دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢ .
* **الرازى :** الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى .
١٧٣ ـــ مختار الصحاح . المطبعة الأميرية ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م .
* **الفيروزآبادى :** العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى .
١٧٤ ـــ القاموس المحيط ـــ طبع المطبعة الميمنية بمصر .
١٧٥ ـــ المعجم الوسيط ـــ مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٧٢ .
١٧٦ ـــ قاموس الكتاب المقدس ـــ تأليف مجموعة من اللاهوتيين ـــ الطبعة السادسة بيروت ١٩٨١ .
١٧٧ ـــ دائرة المعارف الإسلامية ـــ الطبعة العربية ـــ الطبعة الثانية . ١٩٦٩ .

المخطوطات :

* **الباحث :** أحمد عجيبة .
١٧٨ ـــ الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ـــ مكتبة كلية أصول الدين بطنطا .
* **الباحث :** فتحى محمد أحمد الزغبى .
١٧٩ ـــ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ـــ مكتبة كلية أصول الدين بطنطا .

الحوليات :

١٨٠ ـــ حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ـــ العدد الخامس ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م بحث بعنوان البعث عند الفلاسفة الإسلاميين للدكتور / محمد حسن خليل أبو حطب .

الفهرس

مدخل

اليوم الآخر فى الديانات الوضعية

الفصل الأول

واقعات اليوم الآخر

بين الإسلام والنصرانية واليهودية

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الفصل الثانى

واقعات اليوم الآخر

بين الواقع المادى والتأويل الروحانى

الفصل الثالث

الاستدلال على اليوم الآخر

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٦٩١ / ٨٨

الترقيم الدولي ٥ ـ ٢٣ ـ ١٤٢٢ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٢٤٢٧٢١ / ٢٥٦٢٢٠ / ٢٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٢٤٧٤٢٣ ص. ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦